دراسة المخطوطات الإسلامية
بين اعتبارات المادة والبشر

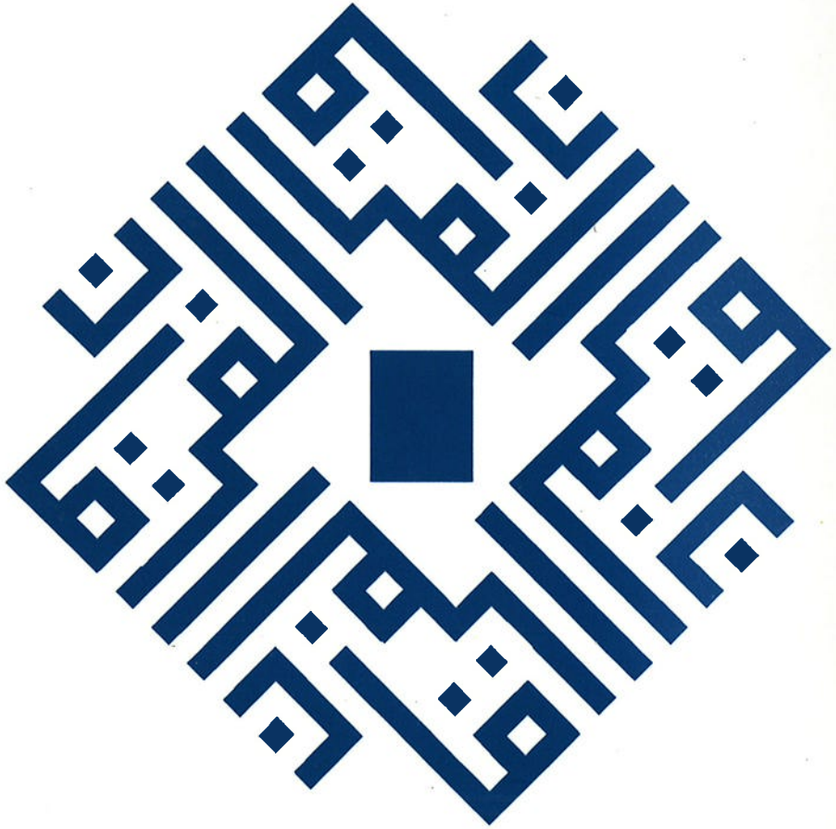

أعمال المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر

مؤسسة الفرقان

ISBN 1 873992 21 1

دراسة المخطوطات الإسلامية
بين اعتبارات المادة والبشر

دراسة المخطوطات الإسلامية
بين اعتبارات المادة والبشر

أعمال المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

ديسمبر ١٩٩٣/ جمادى الآخرة ١٤١٤

إعداد

الدكتور رشيد العناني

أستاذ مشارك اللغة العربية وآدابها
جامعة إكستر - المملكة المتحدة

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

لندن ١٤١٧/١٩٩٧

رقم النشر: ٢١

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

Al-Furqān Islamic Heritage Foundation
Eagle House
High Street
Wimbledon
London
SW19 5EF

British Library Cataloguing-in-Publication Data
A catalogue record for this book is available from the British Library

ISBN 1 873992 21 1

© Al-Furqān Islamic Heritage Foundation, 1997
All rights reserved. No part of this book may be reproduced or translated in any form, by print, photoprint, microfilm, or any other means without written permission from the publisher

Al-Furqān Foundation Library Cataloguing Data

DIRĀSAT AL-MAKHṬŪṬĀT AL-ISLĀMĪYAH BAYNA I'TIBĀRĀT AL-MĀDDAH WA-AL-BASHAR (2nd: 1993: London)
Dirāsat al-makhṭūṭāt al-Islāmīyah bayna i'tibārāt al-māddah wa-al-bashar: a'māl al-mu'tamar al-thānī li-Mu'assasat al-Furqān lil-Turāth al-Islāmī -
دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر: أعمال المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ديسمبر ١٩٩٣/جمادى الآخرة ١٤١٤ / إعداد رشيد العناني. – لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٧/١٤١٧.
227p.: plates; 24cm. – (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي؛ رقم النشر: ٢١)

Contents:
الجزء الأول: دراسة المخطوطات الإسلامية: اعتبارات المادة: ص: ١٥–١٥٢؛ الجزء الثاني: دراسة المخطوطات الإسلامية: اعتبارات البشر: ص: ١٥٣–٢٢٧.
1. Manuscripts, Islamic-Codicology-Congresses 2. al-Furqān Islamic Heritage Foundation (London, Great Britain)-Congresses
I. al-'INĀNĪ, Rashīd, ed. II. Title (Transliterated) III. Series
Z6620.3.D5 Accession no.: 11323
ISBN 1 873992 21 1

Published by Al-Furqān Islamic Heritage Foundation, London, UK
Printed by The Alden Press Ltd, Oxford, UK

المحتويات

تمهيد
أحمد زكي يماني ٧

تقديم
رشيد العناني ٩

الجزء الأول: الاعتبارات المادية في دراسة المخطوطات

مصدران جديدان عن صناعة المخطوط:
حول فنون تركيب المداد
إبراهيم شبوح ١٥

استخدام الورق في المخطوطات الإسلامية
كما سجلته النصوص الفارسية القديمة
إيرج أفشار ٣٥

البرديات العربية
جفري خان ٥٧

خصائص تجليد المخطوطات في العصر المملوكي
سهام محمد المهدي ٧٧

استخدام الرق في المخطوطات الإسلامية: ملاحظات تمهيدية
فرانسوا ديروش ٩٣

تسافير مكتبة القيروان العتيقة
مراد الرماح ١٣٥

الجزء الثاني: الاعتبارات البشرية في دراسة المخطوط

طريقة التأليف عند القدماء
من خلال مسودة المقريزي لكتاب الخطط
أيمن فؤاد سيد ١٥٣

العنصر البشري بين النص والقارئ:
الإجازة في المخطوطات العربية
جان جاست ويتكام ١٦٣

أهمية صفحة العنوان (الظهرية) في توصيف المخطوطات
رمضان ششن ١٧٩

كتب النماذج والوثائق القانونية:
تطور مخطوطات العدول في المغرب
ليون بسكنز ١٩٧

ظاهرة المخطوطات مجهولة المؤلف:
المخطوطات التاريخية والجغرافية مثالا
محمد بن شريفة ٢٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

ركزت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، منذ تأسيسها سنة ١٩٨٩، أوجه نشاطها على تشجيع البحث والدراسة في مجال المخطوطات الإسلامية. وشمل ذلك النشاط مسح المخطوطات الإسلامية عالمياً ووضع القوائم والفهارس لها ونشر المهم منها. كما قامت المؤسسة بعقد مؤتمر عام كل سنتين يركز على جانب من الجوانب المتعلقة بالمخطوطات، وكان المؤتمر الأول سنة ١٩٩١، المتزامن مع افتتاح المؤسسة، متعلقاً بأهمية المخطوطات الإسلامية بشكل عام. وقد تم نشر أعمال ذلك المؤتمر سنة ١٩٩٢ تحت عنوان «أهمية المخطوطات الإسلامية».

تميز المؤتمر الثاني سنة ١٩٩٣ بطابع تقني ركز على الجوانب الفنية في إنتاج المخطوطات في العالم الإسلامي. ونقدم هنا أعماله المشتملة على الأبحاث التي ألقيت ونوقشت فيه. وقد أعقب هذا المؤتمرتنظيم ثلاث دورات تدريبية على فهرسة المخطوطات الإسلامية، في الفترة من يناير ١٩٩٤ حتى يونيو ١٩٩٥، كانت الأولى في القاهرة والثانية في إستانبول والثالثة في لندن. وستقوم المؤسسة – إن شاء الله – بنشر المحاضرات التي ألقاها بعض من خيرة الباحثين في تلك الدورات لتكون بمثابة مرجع لعلم فهرسة المخطوطات الإسلامية.

وإنا لنرجو أن يكون في نشر هذا المجلد ونشر دليل الفهرسة عون للباحثين والدارسين للعلوم الإسلامية بصفة عامة ومخطوطاتها بصفة خاصة.

ما كان للفرقان أن تنجز في فترة قصيرة من الزمن ما أنجزته لولا أن امتدت يد المولى لتمنحنا العون والتوفيق، فله جل وعلا الحمد من قبل ومن بعد.

أحمد زكي يماني

تقديم

لعل غاية ما تثيره، لفظة «المخطوطات» من دلالة في أذهان عامة الباحثين والقراء أنها مُدوّنات نادرة مكتوبة باليد وتشتمل على معارف القدماء، وأنها تراث ثمين ينبغي جمعه من مظانِّه وصيانته من عناصر الهلاك وتصنيفه حسب مؤلفيه وموضوعاته، كما ينبغي توفير سبل الإطلاع عليه للعلماء المختصين حتى يقوموا على تحقيقه وطبعه ونشره فيصير بذلك متاحا على نطاق عريض للملاّ من الدارسين والباحثين في شتى فروع المعرفة البشرية ممن لا دربة لديهم ولا صبر على فن مقاربة المخطوطات. أما ما يغيب عن الذهن ـ فيما خلا أولئك البحاثة المختصين والمكتبيين الفنيين الذين جلُّ اشتغالهم بالمخطوطات ـ فهو أن المخطوطة عالم كامل وفن معقد الجوانب، وأن محتواها المعرفي الذي نصب عليه أغلب اهتمامنا، ما كان تدوينه ليتيسر، وما كان نفعه ليصل إلينا، لولا أن توفرَّ له حشد من الصناعات والفنون وجمهور من الصنّاع والفنانين، فليس مؤلف المخطوطة وعلمه إلا عنصرا من عناصرها الكثيرة. حقا قد يكون أهم تلك العناصر، إلا أننا لا نجاوز الحد إن قلنا إن علمه كان حريا أن يفنى بفناء صاحبه، فلا يصل إلينا لولا سائر العناصر.

حول تلك العناصر التي تجمع بين ما هو مادي وما هو بشري في صناعة المخطوطات يدور هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه الأبحاث التي ألقيت في المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي الذي انعقد في لندن في الفترة ما بين ٤ و ٥ ديسمبر ١٩٩٣ . وإذا كان المؤتمر الافتتاحي لمؤسسة الفرقان قد تناول الجوانب العامة للتراث العالمي من المخطوطات العربية والإسلامية (راجع «أهمية المخطوطات الإسلامية: أعمال المؤتمر الافتتاحي لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩١ »، لندن ١٩٩٢)، فإن المؤتمر الثاني قد ركز على المخطوطة من حيث هي نتاج مادي في المقام الأول توفر على إنتاجه صناع وفنانون محترفون، ومن حيث هي مسرح للتفاعل البشري في المقام الثاني تنطوي دراسته على فهم العلاقات القائمة بين النص من ناحية

وبين طائفة من البشر الذين يتصلون به على نحو الأنحاء. حول هذين المحورين إذن - المادى والبشري - تدور أبحاث هذا الكتاب على نحو ما قسّمناها بين جزئيه.

****

يشير إبراهيم شبوح (الأمين العام للمجمع الملكي الأردني، عمان) إلى الأركان الأربعة لصناعة المخطوطات، وهي الكاغد، والمداد والقلم والتسفير، أو - إذا شئنا استخدام العبارة الحديثة - الورق والحبر والخط والتجليد. ومن بين هذه الأركان الأربعة يكرّس بحثه لركن «المداد» أو الحبر، فيقدم لنا وصفا وتعريفا بنصين مخطوطين جديدين، كلاهما من القرن السابع الهجري، أما أحدهما فهو «الأزهار في عمل الأحبار» لمحمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري، وأما الآخر فهو «تحف الخواص، في طرف الخواص» لمحمد بن محمد بن إدريس القضاعي، المعروف بالقللوسي. أما إيرج أفشار (المدير السابق لمكتبة جامعة طهران) فينتقل بنا في بحثه إلى ركن آخر من أركان صناعة المخطوطات، ألا وهو الكاغد أو الورق، فيحدثنا معتمدا على النصوص الفارسية القديمة عن تسميات الورق في اللغة الفارسية وأساليب صناعته وأنواعه وألوانه المختلفة. وأما جفري خان (أستاذ اللغتين العبرية والآرامية بجامعة كمبريدج) فيصب اهتمامه في الفصل الثالث من هذا الكتاب على نوع آخر من الورق، هو ورق البردي الذي نشأ استخدامه في مصر القديمة وانتقل منها إلى العرب بعد فتحها حيث ظل المغذّى الرئيسي لصناعة المخطوطات حتى آخر القرن التاسع على الأقل حين بدأت الاستعاضة عنه بالورق. يقدم الأستاذ خان عرضا موجزا لمحتويات البرديات العربية الباقية ويشير إلى بعض ما نشر منها، خاتما بوصف ممتع لأساليب صناعة لفائف البردي والتقاليد الفنية والاجتماعية التي ارتبطت باستخدامها. وإذا كان الباحثون الثلاثة الأوائل قد اختاروا التركيز على الأوراق والأحبار، فإن صاحبة البحث الرابع، سهام محمد المهدي (مدير مساعد متحف الفن الإسلامي ورئيس قسم العملة) تدلف بنا إلى ركن آخر من أركان صناعة الكتاب المخطوط هو التجليد، وتتناول الباحثة فن التجليد في العصر المملوكي بصفة خاصة، متناولة عناصر محددة مثل شكل المخطوط المجلد، وطريقة صناعته والمواد المستخدمة فيها إلى جانب وصف طرق زخرفته وأساليبها المتنوعة.

أما دراسة فرانسوا ديروش (عميد المدرسة العملية للدراسات العليا في باريس) التي تتناول استخدام الرق في المخطوطات الإسلامية فتعدّ دراسة مكملة على نحو ما لبحث جفري خان عن «البرديات العربية» الوارد في الفصل الثالث، ذلك أن الرق والبردي احتلا معا موقع الصدارة في صناعة المخطوطات قبل مجيء عصر الورق. يتناول ديروش في دراسته في قدر غير يسير من التفصيل خواص الرق والوسائل الفنية لتحضيره، باسطا القول حول استخدامه في صناعة المصاحف. ومن ديروش ننتقل إلى دراسة أخرى تعني حصرا بالمخطوطات القرآنية، ألا وهي دراسة مراد الرمّاح (مدير مخبر صيانة المخطوطات والآثار برقّادة، القيروان).

يتناول الرمّاح مجموعة التسافير القيروانية العتيقة التي اكتشفت في أول القرن بمقصورة الجامع الأعظم مقدّما وصفا لفئتيها ومجموعاتهما المختلفة.

بهذا نصل إلى ختام الجزء الأول من الكتاب الذي يتناول الاعتبارات المادية في دراسة المخطوطات.

****

على أن صناعة المخطوطات لا تنحصر في أنواع الرق والبردي والورق، ولا في أمزجة المداد وألوانه وما يغمس فيها من أقلام، ولا في فنون التجليد والزخرفة والتجميل، إنما وراء هذه الجوانب الفنية المادية في إنتاج المخطوطات بشر يقومون على إنجازها، كما أن هناك بشرا آخرين يتلقون المنتج النهائي، أي المخطوطة في شكلها المنجز. العنصر البشري هذا في بعض جوانبه هو مصب اهتمام الباحثين الذين أدرجنا دراساتهم في الجزء الثاني من الكتاب.

لعله من المناسب أن نفتتح الجزء الثاني من الكتاب ببحث أيمن فؤاد سيد (المدير التنفيذي، دار الكتب، القاهرة) في «طريقة التأليف عند القدماء من خلال مسوّدة المقريزي لكتاب الخطط»، فالعنصر البشري في حياة أي مخطوطة يبدأ بطبيعة الحال بالعلاقة بينها وبين المؤلف. تمثل مسوّدة خطط المقريزي مثالا نادرا للتعرف على أسلوب القدماء في التأليف وهو ما يتوفر الباحث على وصفه لنا في دراسته.

ويجدر بنا أن ننوه هنا أن الباحث قد قام حديثا بتحقيق المسوّدة ونشرها في كتاب أصدرته مؤسسة الفرقان في لندن سنة ١٩٩٥ . من العلاقة

بين المؤلف ومخطوطته ننتقل إلى العلاقة بين المؤلف وقرّاءه أو طالبي العلم الدارسين على يديه، وهي علاقة تتم بطبيعة الحال عبر النص المخطوط. هذه العلاقة هي موضوع الدراسة التي يقدمها جان جست ويتكام (أمين المخطوطات الشرقية بمكتبة جامعة ليدن) في موضوع «الإجازة في المخطوطات العربية»، وهي الشهادة التي كان يمنحها صاحب كتاب ما إلى مريد من مريديه فتخوّل له حق نقل الكتاب أو تدريسه، وكانت تلك الإجازات ترفق بالمخطوطات. ويرى ويتكام أن العكوف على دراستها اليوم حري أن يكشف لنا الكثير عن طبيعة التفاعل بين النصوص وبيئتها الإجتماعية. ومن الإجازات الملحقة بالمخطوطات ينقلنا رمضان ششن (رئيس قسم المخطوطات بمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية IRCICA ، إستانبول) إلى الظهريات أو صفحات العنوان ويلفتنا إلى أن أهميتها تتجاوز تسجيل اسم الكتاب ومؤلفه، إذ تقدم لنا فيضا من المعلومات الخاصة بتداول مخطوطة ما عن طريق ما هو مدوّن عليها من قيود الرواية والسماع والقراءة والمناولة والتملك والانتقاء والاستفادة وغير ذلك. أما ليون بسكنز (المحاضر في الشريعة الإسلامية بجامعة ليدن) فيقطع بنا شوطا آخر على طريق التدليل على الأهمية الفائقة للمخطوطات ـ من حيث هي نتاج مادي وبشري ـ في رفد دراسة التاريخ الاجتماعي للبيئة التي انتجتها، ويلجأ بسكنز في دراسته التمهيدية هذه إلى سوق مثال لما يعنيه من خلال رصده الموجز لتطور مخطوطات شهود العدل في المغرب، وأخيرا فلعله من المناسب وقد بدأنا هذا الجزء ببحث يتناول العلاقة بين المخطوطة ومؤلفها أن نختمه ببحث آخر حول نفس الموضوع وإن كان محور البحث الآن هو افتقاد تلك العلاقة والحاجة إلى إثباتها عن طريق عناصر أخرى في دراسة المخطوطات. ذلك هوبحث محمد بن شريفة (أمين المكتبة العامة بالرباط سابقا) الذي يحدثنا عن ظاهرة المخطوطات مجهولة المؤلف ويشير إلى بعض السبل المتاحة في الكشف عن هويتها.

رشيد العناني
جامعة إكستر ـ المملكة المتحدة

الجزء الأول: الاعتبارات المادية في دراسة المخطوطات

مصدران جديدان عن صناعة المخطوط: حول فنون تركيب المداد

إبراهيم شبوح

يعتبر كتاب «عمدة الكتّاب وعدّة ذوي الألباب»، الذي أُلِّف – على الأرجح – للأمير الصنّهاجي تميم بن المعزّ بن باديس، على اقتضابه، أشملَ ما وضع في صناعة الكتاب المخطوط[١] تناول فيه مؤلّفه المجهول بتوازن وإيجاز، انتخابَ الأقلام الجيّدة، وبَرْيَها على أجناس الخطوط، وصفة الدواة واختيار آلاتها، وعمل أجناس المداد من أجناس سوداء وملونة، وخلط الأصباغ، والكتابة بالذهب، وعمل ما تُمحى به الكتابة، وإلصاق الذهب والفضّة، وصفةَ مصاقِله، وعمل الكاغد وصقله وتعتيقه، والجلد والتجليد وجميع آلاته.

وهذا الأثر المبكّر المنفرد، كان له أثره في أدب صناعة الكتاب المخطوط، والإفادة بتركيب مواده لفترة مديدة. ويتمثل ذلك بوضوح في انتشار نسخه من رامبور بالهند إلى فاس بالمغرب، وما بينهما من عواصم الثقافة الإسلامية. ونجد صداه المباشر بعد تصنيفه بنحو قرن ونصف، في كتاب جامع صنّفه الملك اليمني يوسف بن عمر بن علي بن رسول (٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، هو كتاب «المخترع في فنون الصّنع»[٢] الذي استوعب الأبواب العشرة الأولى منه استيعابا حرفيا وبشيء من الانتقاء.

ولقد حدّد القدماء[٣] لصنعة الكتاب المخطوط أركانا أربعة، هي: الكاغد، والمداد، والقلم، والتسفير، أو الورق، والحبر، والخط، والتجليد. وهذه المرتكزات، يتقاسم اختصاصها فئات مهنية، تتفاوت في مراتبها الاجتماعية، وتتباين في مستواها العلمي، وتنغلق كل منها عن الأخرى في الغالب، مما عاق تطوّر التأليف في هذه الصناعة بالمنظور الشامل الجامع الدقيق، الذي ارتاده كتاب «العمدة».

وعلى هذا، لم يكن حظّ هذه الأركان الأربعة متوازنا في معارفنا، ذلك أن القادرين على التمييز والكتابة، والوعي بضبط التّجارب للأجيال، يبدأ اهتمامهم من مرحلة القلم والخطّ، ويخرجون منها إلى التدوين والتأليف، وبهذا كان هذا الجانب كثير الثراء، واضحا بكل جزئيات العمل المرتبط به، ومسجّلا لتطور الخطّ وقواعده، وجودة المجيدين فيه. وأسرارُ كل ذلك موثّقة في أدب حافل محفوظ بالمصادر الكبرى لثقافة الكتّاب.

أمّا الخطّ وأنماطه، والمعايير الجمالية المتحكمة في أوضاعه، فذلك يدخل في اللامتناهي، لأنّه يتحرّك في مراتب الإبداع، ويتعامل مع الحسّ، ومجالهُ عالم الجمال. وتبقى الركائز الثلاث الأولى والأسبق في التسلسل من الخطّ، الورق والحبر والتجليد، فعلى هذا الترتيب المتدرّج كانت ضحالة المادة التوثيقية، التي لم تكن في مستوى توضيح تقنيات التّراث الضخم الذي سلم لنا على الزمن. فلا نكاد نعرف عن صناعة الورق غير وصفات محدودة ومجزوءة في بياناتها، لا تقدّم الأجوبة المقنعة لفهم التركيب الصناعي للعدد الكبير من أصناف الكاغد الذي كتبت عليه المخطوطات القديمة، مع ما فيها من تنوع أساليب الصناعة والمكونات، وطرق السّقي والصّقل والتلّوين، وقلّة الأحماض، ولا يمكن من خلالها أن نحدّد النماذج الورقيّة، التي تعنيها تلك المسمّيات القديمة والأحدث عهدا، منذ ابن النّديم[٤] إلى القلقشندي.[٥] وقد سجّل لنا مؤلّف «العمدة» وصفاً بيّناً لعمل كاغد ينسب لحاكم خراسان طلحة بن طاهر[٦] (٢٠٧-٢١٣هـ)، قوامه القنّب الجَيِّد الأبيض، ووصفاً آخر لكاغد يصنع من التّبن القديم، مع طريقة للسقي وللتعتيق.

وإذا انتقلنا للإشارة إلى حظّ التجليد أو التسفير من العناية بالتوضيح والتصنيف، فإن ما وصلنا – على نزارته – مفيد ومتكامل، ثمّ إنّ هذه الصناعة المتمّمة للجهد، والمحافظة على حصيلة الفكر تضمّه بين دفات أسفارها، ذات

تركيب خارجي، تعتمد تصريف وتوظيف المواد المفردة، كالجلد والحرير والخشب والورق الملبّد والخيط واللّصق، وقد جمع مؤلّف «العمدة»، الصفات المهنية والذاتية التي ينبغي أن تتوفّر في ملتمس هذه الصناعة، وهي: «سرعة الفهم، وجودة النظر وحدّته، وخفّة اليد، وترك السرعة، والتثبّت والتأنّي، وحسن الجلوس، وملاحة الاستمالة، وحسن الخلق».[٧] ونشير هنا إلى الفصل الثاني عشر من «العمدة»،[٨] الذي يعتبر أقدم نصّ متكامل وبيّن يعرض آلات المجلّد ومناقشَهُ، ويفسّر طريقة الحبك، واختيار الجلود وإعدادها وبَشْرها وشدّها، وطريقة تثبيتها، وما إلى ذلك.

ولدينا من بعده أثر غاية في الأهمية، وهو كتاب أفرده مؤلّفه الفقيه بكر بن إبراهيم الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٨هـ لهذه الصناعة، سمّاه: «التيسير في صناعة التسفير»[٩] وقدّمه برسم الخليفة يعقوب المنصور، وهو أوفى الأعمال المشابهة وأكثرها تفصيلا وإحاطة ومماشاة لأنماط التسفير التي كانت سائدة في العصر الموحّدي بالمغرب والأندلس. هذا إلى جانب الرسالة التي كتبها أبو العباس أحمد بن محمد السفياني سنة ١٠٢٩هـ، عن صناعة التسفير وحلّ الذهب.[١٠]

ولقد قامت المخلفات التاريخية من الأسفار القديمة، معرّفة بالوجهات الفنية التي اتجهتها، واستطاعت البحوث المتواصلة عن جلود الكتب الإسلامية أن تميّز خصائص المدارس الكبرى، وتوضح أساليبها وموادها، وتقدّم نماذجها الباذخة التي يقصّر الوصف عن تقديمها. نذكر من ذلك أعمال Gratzl و Sarre و Marçais و Poinssot.[١١]

وانعكس ثراء الجوانب الفنية في إعداد المخطوط بعد القرن الخامس الهجري في وفرة الألوان التي حقّق بها الخطّاطون والمزوّقون والمذهّبون إبداعاتهم. وخرجت تجارب «الحبّارين» من الدائرة المحدودة التي بدأوا بها لتزداد خبرتهم بمزج الألوان بدرجاتها، ولم يقتصر جهدهم على ما يسجّلونه لتجربة واحدة لتركيب حبر ملوّن، بل نجد للون نفسه بدائل تتحقّق في مراكز متباعدة من بلاد العالم الإسلامي، يصلون إليها بمفردات أخرى تتوفّر لديهم.

ولقد يتاح لهذه الفئة من صنّاع الحبر، القائمين بركن مهمّ من أركان صناعة الكتاب، أن ينضم إليهم في بعض الأحيان منتسبون للعلم والتدوين، فيسجّلون التجارب والوصفات التي يتعرّفون عليها، منجّمة في كتب الكتّاب

وتعليم ملتمسي الوظائف السلطانية ما لا يسع الكاتب جهله، ككتب أبي بكر الصّولي، وقدامة بن جعفر، وابن درستويه، إلى النويري والقلقشندي. وفي حالة نادرة – فيما أعلم – جمعت في أبواب شاملة كما فعل مؤلّف «عمدة الكتاب».

لهذا رأيت أن أسهم في هذه النّدوة الملتئمة حول علم صناعة المخطوط الإسلامي، بتقديم نصّين جديدين في صناعة الحبر، لهما أهمّية تاريخية وفنّية قصوى، لأنهما يعيدان النظر فيما كتب عن جذور هذا الموضوع،[١٢] ويساعدان على تمديد الرؤية، للكشف عن الكثير من الغوامض التي تواجهنا لفهم أسرار تقنيات الكتابة في تراثنا المخطوط.

النصّ الأول: مخطوط فريد، اسمه: «الأزهار في عمل الأحبار» ألّفه مغربي اسمه محمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري، لم نقف له على ترجمة، سوى ما أدركناه من بعض الإفادات التي جاءت في أثناء الكتاب، حيث كتبه وهو يسكن ببغداد في المدرسة المستنصرية[١٣] سنة تسع وأربعين وستّمائة. والكتاب أصل بخطّه، وعلى ورق العصر، وخطّه يعبّر عن وثوق صاحبه بنفسه، على القاعدة الأندلسية المغربية في التّزوية والتّقوير، على حين تنقط الفاء والقاف نقطة ونقطتين من فوق، ويعقد الحروف المنتهية الممطوطة، كالباء والتاء والفاء والكاف، بما يشبه الورقة الثلاثية. ومع أنّ المؤلّف استطاع أن يدوّن التجارب التّقنية، وأن يقدّم عمله بمقدمة موضّحة، إلاّ أن معرفته بالعربية والتحكّم في استعمالها كانت محدودة، لما يتخلّل بعض النصوص من غموض في المدلولات، وتكلف في العبارة، وخطأ في الرسم وارتباك في العائد والموصول، وخلط وغلط في وضع الحركات على الأحرف.

ويورد في العنوان وفي المقدّمة أن هذا الكتاب مضاف إلى كتاب «مفاتيح الأسرار في كشف علوم الأبرار» ويشير في أكثر من مَوْضع أنّه هو صاحب «المفاتيح»، ويذكر أنه من المعنيين بالحكمة والكيمياء، وبتراث جابر بن حيان، وقد جمع له ما كان مبدّدا من بحوثه وأعماله في كتاب آخر سمّاه: «التدابير الكبير».

ويوضّح في المقدمة أن جماعة من إخوانه سألوه «تأليف كتاب في فنون علم المداد والحبر، وبيان ما يعمل من الأجساد الخمسة[١٤] والفضّة والتّبر، وكيفيّة اتحاد الألوان، وما يركّب منها من الأصباغ الحسان الداخلة في آلات

الكتابة». وتحدث عن فضل الحبر الذي ضبط المعرفة بدءا بالقرآن والحديث النبوي، وكتب أخبار الأمم الماضية، وقيّد العلوم والأنساب.

واعترف أنّه أقبل في هذا التدوين على إثبات المنقول عن العلماء المتقدمين، ولم يسعفه الوقت لتمحيص كل ذلك بإعادة التجربة الشاملة، إلا في البعض الذي وصل إلى معرفة حقيقته، كما يقول: «بميزان الحدس العلمي واللّطف التدبيري».

وينهي مدخل الكتاب ببرنامج مفصل لسبع وعشرين مقالة، قَسَّم كلاّ منها إلى أبواب – وهذا أوسع وأشمل ما فصّل عن «فنون الحبر» – لهذا نعرضها للتعريف:

* المقالة الأولى: في عمل الحبر الأسود المائع، بها أربعة أبواب.
* المقالة الثانية: في كيفية أنواع الحبر اليابس، بها بابان.
* المقالة الثالثة: في عمل الحبر المختلف الألوان، بها أحد عشر بابا.
* المقالة الرابعة: في عمل المداد المائع المركب، بها بابان.
* المقالة الخامسة: في عمل المداد اليابس المعتاد، بها تسعة أبواب.
* المقالة السادسة: في كيفية اتخاذ المداد المختلف الألوان، وبها عشرة أبواب.
* المقالة السابعة: في كيفية ما يعمل بالذهب والفضّة حتى يكتب بهما وبغيرهما من الأجساد الخمسة، بها أحد عشر بابا.
* المقالة الثامنة: في صفة ما يشبّه بالذهب والفضّة وغيرهما من الأجساد الخمسة، بها أربعة أبواب.
* المقالة التاسعة: فيما يكتب على الأواني المتخذة من الفضّة والذهب، والآلات المصنوعة من الحديد والنّحاس والصّفر، وبها سبعة أبواب.
* المقالة العاشرة: صفة كيفية الأطلية المشتركة بين الأجساد السبعة، وبيان استخراج الطلاء منها، وفضله، وفضل ما ليس منها عنها، وبها خمسة أبواب.
* المقالة الحادية عشرة: في ذكر الإشارة والتلويح إلى صنعة الكتابة على الزجاج، وبها عشرة أبواب.

* المقالة الثانية عشرة: في صفة نقش البنان بمحاسن الألوان، والكتابة بالذهب والفضّة على الأكف البضّة الغضّة، وبها أحد عشر بابا.

* المقالة الثالثة عشرة: في كيفية اتخاذ الألوان التي يفتقر إليها في سائر ما ذكرنا من الأنواع، وبها عشرة أبواب.

* المقالة الرابعة عشرة: في مزاج ما ذكرناه في الألوان وتأليفاتها، وكيفية تركيبها وتوليداتها، وبها أربعة أبواب.

* المقالة الخامسة عشرة: في صفة ما تختلف به الكتابة في ألوانها بحسب اختلاف زمانها ومكانها، وصفة كيفيّة الكتابة على الماء، وهي من نكت ظرّاف الكتاب الأذكياء، وبها تسعة أبواب.

* المقالة السادسة عشرة: فيما يذهّب جميعا، كما يكتب به الكاتب سريعا، وبها بابان.

* المقالة السابعة عشرة: في كتابة الأسرار، والتلطف لصيانة وضعها عن الأشرار، وبها بابان.

* المقالة الثامنة عشرة: في التبيين عما يستعين به الكاتب في الكشط عن استعمال السكين، وبها سبعة أبواب.

* المقالة التاسعة عشرة: في الفرق بنظر العقل والفصل بين الممكن والمستحيل، مما ذكر قبل هذا الفصل، وبها سبعة أقسام.

* المقالة العشرون: في كيفية فك الخواتيم وردها وصفة قراءة كتبها المختومة وليّها، وبها بابان.

* المقالة الحادية والعشرون: في سقي الكاغد، ودفع الذباب عن الوقوع عليه، وصفة لصاقه وتعتيقه بما أفضت التجربة إليه، وبها خمسة أبواب.

* المقالة الثانية والعشرون: في كيفية نقوش الأقلام بالدخان، وصفة لِيقها، وليق النقوش والكتائب التي يرسم بها قبل الأدهان، وبها ثلاثة أبواب.

* المقالة الثالثة والعشرون: في صفة ما يُطلى به تحت الكتائب والنقوش على الأقلام، ثمّ يذكر ما يطلى به على نقوشها وكتائبها، فيحفظها على مرور الأيام، وبها خمسة أبواب.

* المقالة الرابعة والعشرون: في صفة الأدهان التي تطلى على الأواني، ونقوش الدّويّ والمقالم والأقلام وغير ذلك... وبها سبعة أبواب.

* المقالة الخامسة والعشرون: صفة الطريق الحميد إلى عمل أنواع الحديد، بها خمسة أبواب.

* المقالة السادسة والعشرون: في صفة سقايات السيوف وآلات الصنائع وسكاكين الأقلام، وذكر كيفية ما يحفظها من الصدأ، بها ستة أبواب.

* المقالة السابعة والعشرون: في صفة الإرشاد إلى قلع جميع ما ذكرنا من سائر الألوان والحبر والمداد، وبها أربعة أبواب.

إن هذا البرنامج مشوّق لمعرفة كل البيانات المهمّة عن صناعة الأحبار المنوعة، ومزج الألوان، وطرق التجميل، وبعض تفاصيل صناع الكاغد، وتوشية الأقلام وتثبيت زخارفها، وتركيب الألوان، والأطلية الخاصة بالمعادن، وسقي الحديد وتنويع أصنافه، وسقي السيوف والأدوات الحادّة، وحفظها من الصدأ، وإزالة آثار مختلف الألوان.

ولكن هذا العمل الكبير الذي فصّله ابن عمران المراكشي على سبع وعشرين مقالة أُعدّ لها وعدّد أبوابها، لم يصلنا منه غير المقالات الستّ الأولى متمّمة، وذكر عناوين أبواب المقالة السابعة فقط؛ وليس الكتاب مبتورا منقطعا كما قد يُتوهّم، وإنّما توقف المؤلّف عامدا بطريقة لم أصادف لها شبيها، ذاكرا بالكناية والتصريح أنه يمرّ – كما نصطلح بلغة اليوم – بأزمة عاطفية، عاقته عن مواصلة بسط مقالات الكتاب، ثمّ فكّر في إتمامه فجمع كتاب «التدابير الكبير» من أعمال جابر بن حيان، واستغنى به عن قصده، واعتبر أنّ به يتمّ كتابه، مع إدراكه أنه «أصبح قريبا من العالم بعيدا عن المتعلم» لأنّ رموزه غامضة على طريقة جابر، وتحتاج إلى شرح، ويعتذر بأن العمر قصير لا يسمح بذلك.

وهكذا ينتهي الكتاب، ولكن الباقي بمقالاته الستّ غنيّ بمحتواه، لأنه يشتمل على مجموع مائة وأربع عشرة صفة لتركيب الحبر، أعتبرها – فيما أعلم – أكثر التراكيب عددا وأوضحها بالشرح المبسوط الواضح.

وتبقى الميزة الكبرى لكتاب "الأزهار "، في اشتماله على «وصفات» لتركيب المداد، منسوبة لكبار العلماء والأدباء الذين تركوا في الثقافة الإسلامية أثرا كبيرا. فقد فصّل القول في الأحبار التي كان يتخذها عيسى بن عمر النحوي (١٤٩هـ/٧٦٦م) ومسلم بن الوليد (٢٠٨هـ/٨٢٣م)، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ/٨٦٩م) ومحمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ/

٨٧٠م) وبختيشوع الطبيب (٢٥٦هـ/٨٧٠م) ومسلم بن حجاج القشيري (٢٦١هـ/٨٧٥م) وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) ومحمد بن زكرياء الرّازي (٣١٣هـ/٩٢٥م) ومحمد بن علي بن مقلة (٣٢٨هـ/٩٤٠م) وأبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني (٣٢٦هـ/٩٦٧م) وأبو حيان علي بن محمد التوحيدي (نحو ٤٠٠هـ/١٠١٠م) وعلي بن هلال الكاتب، ابن البوّاب (٤٢٣هـ/١٠٣٢م) وعلي بن هبة الله بن ماكولا (٤٧٥هـ/١٠٨٢م) وآخرون. ولم يتردّد بعد ذكره لصفة الحبر الذي كان يستخدمه الوزير ابن مقلة، عن تسجيل أنه من تركيب أهل الهند! كما قيل له وهو بالمدرسة المستنصرية ببغداد. وللمرة الأولى نعرف هذا العدد من الأحبار منسوبة لأصحابها من أهل العلم.

ونلاحظ أنّ أمدّة هؤلاء الأعلام ترتكز على مفردات مشتركة بينها هي: العفص[١٥] noix de galle والزّاج[١٦] vitriols والصّمغ[١٧] gomme arabique، والماء العذب. ويستغنى بعضهم عن الصمغ اكتفاء بتألق لون السواد وثباته غير محتاج لما يشدّه إلى الورق أو الرقّ، وهذا ما كان عليه حبر مسلم بن الوليد، والجاحظ، والبخاري.

وتبقى الفروق المهمّة بين حبر وآخر، في طريقة الإعداد، والتدرّج في مزج العناصر الأربعة المذكورة، واتخاذ طريقة الطبخ على النار، أو التعريض للشّمس، أو النّقْع والعَصْر، وما إلى ذلك من الأساليب التي سجّلت بشيء من الوضوح.

وما دام العفص أحد المفردات الثابتة – تقريبا – في صناعة الحبر، فلم يَنْسَ ابنُ ميمون المراكشي أن يحدّد البدائل عند تعذر وجوده، فذكر «ماء الآس الرطب، وماء قشور الجوز الرطب، وماء قشور الرمان الرطب، وماء الخروب الرطب، وماء الأثل» وأنّه «إن ضمّ الواحد منها إلى الآخر كان أتمّ للفعل، وإن جمع الكل كان أقوى وأكمل، وبحسب الكثرة والقلة، تكون قوّة ذلك وضعفه».

ويذكر فضل الدخان أو السّخام في صناعة الحبر المركب، ويصف آلة استخراجه، وأنّ أفضله ما اتخذ من الشيرج[١٨] أو الجوز أو البندق أو البزر أو النفط، وهو بهذا يزيدنا إيضاحا لما حكاه أحمد بن يوسف الكاتب[١٩] عن صانع المداد الناعم، الذي كان يجيئهم به أيام خمارويه.[٢٠] ويؤكد رأي الوزير ابن مقلة في أن أجود المداد ما اتخذ من سخام النّفط.[٢١]

ونشير إلى أنّ ما ورد في المقالات ١، ٣، ٤، ٦ من تغيير المصطلح، من حبر (١، ٣) إلى (٤، ٦)، أمر يدعو إلى التوقّف. وقد أدّت بنا القراءة الفاحصة لهذه المقالات وما اشتملت عليه من أبواب، إلى أنّه لا فرق بين المصطلحين في النصّ؛ فالمراكشي يحدّد للحبر المكوّنات التالية: العفص، الزاج، الصمغ، الماء، وقد يضاف له الزعفران، والمسك والصبر السُّقُطْري، وماء الورد (المقالة الأولى – الباب الأول). ومواد المداد الأبيض، من: الإسفيداج (céruse)، وماء العفص الأبيض، والصمغ. ومواد المداد الوردي، من: المرتك، والزعفران، والصمغ. ويصف مركب مداد وحبر (كذا) بأنه يصنع من: العفص، والصمغ، والزاج، والماء، ويضاف له الدخان البزري وماء الجلنار.

إنّ هذا التردّد بين المصطلحين يثير التساؤل عن الفرق، فهذا أحمد المغربي – من علماء القرن الحادي عشر الهجري – كتب كتابا سمّاه: «قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار»[٢٢] فرّق بين محتوى التسميتين، فالحبر عنده «هو ما استمدّ لونه من المواد النباتية»، في حين خصّص لفظ المداد «لما استمدّ تركيبه من المواد المعدنية». وهذا الاستنتاج الذي ذهب إليه محقّق نصّ المغربي[٢٣] لا أقرّه عليه؛ فالزاج – وهو معدن – يدخل في تركيب كلّ الأحبار، والعفص والصمّغ والزعفران – وهي مواد نباتية – تمتزج بأكثر الأمدّة. وليس الموضوع – فيما يبدو – أكثر من خلط لغوي لمعاني دقيقة الدلالة بسطها القدماء، فعرّفوا بأن الحبر أصله اللّون، يقال: فلان ناصع الحبر، يراد به اللّون الخالص الصافي، والحبر: الأثر يبقى في الجلد. ويقال: حبّرت الشيء تحبيرا، إذا حسّنته.

أما المداد، فقد أطلق لأنّه يمدّ القلم، أي يعينه، وكلّ شيء مددت به شيئا فهو مداد. وسمّى الزيت مدادا لأن السّراج يُمَدّ به، فكلّ شيء أمددت به اللّيقة ممّا يُكتب به فهو مداد.[٢٤] وعلى هذا فإنّ المراكشي تعامل مع المصطلحين لمعنى واحد، فالحبر عنده يعني اسما للنوع، والمداد صفة دالة على موصوف.

ويتميّز عمل المراكشي بالوعي بخواص المواد المستعملة، نظرا لمعرفته بالكيمياء ولتجربته، ففي حديثه عن الحبر الذي يكثر فيه الزاج ويشتدّ سواده، يقول: «إنّه يحرق الكاغد لكثرة زاجه، ويأكل مواضع الكتابة، فينقطع الورق بذلك» ويذكر أنّه: «ليس في الصمغ للحبر فائدة، سوى أنّه يحفظ الخطّ إذا وقع في الماء، لا يتفشّى وينبسط في الكاغد». «وأن الصمغ عدوّ الزّاج».

لقد استغرقت المقالات الستّ كلّها حديث الحبر وصفاته، ولو تمّ الكتاب بمقالاته السبع والعشرين على الخطّة التي رسمها المؤلف، وفيها الحديث عن طلي المعادن، وسقي الحديد والسيوف وإزالة البقع من الثّياب، فهل كان اسم الكتاب يبقى على ما ورد عليه، «الأزهار في عمل الأحبار»!؟

والنص الثاني: كتاب آخر، نادر في وجوده وترتيبه ووضوحه ومحتواه، مؤلّفه محمد بن محمد بن إدريس القضاعي، يعرف بالقللوسي،[٢٥] أندلسيّ من أهل أسطبونه[٢٦] Estepona ولادته سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م ووفاته في رجب سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م. ويعتبر هذا المؤلّف أكثر حظّا من نظائره مؤلفي هذا الفنّ، لأنه دخل التاريخ من أبواب أخرى، فقد كان إماما في العربيّة، اشتهر بحفظ كتاب سيبويه وفكّ غوامضه، وحجّة في العروض والقوافي. وطوّع هذه المعرفة لنظم الأراجيز – على عادة الأندلسيين – في الفرائض، والعروض، ووضع أرجوزة في شرح «ملاحن» ابن دريد، وأخرى في شرح كتاب الفصيح.

وهذا الكتاب الذي نقدّمه من أعماله، هو كتاب «تحف الخواصّ، في طُرَف الخواصّ»،[٢٧] وقد نوّه به لسان الدين ابن الخطيب، فقال:[٢٨] «إنه رفع للوزير ابن الحكيم[٢٩] كتابا في الخواص وصنعة الأمدّة و{قلع} طبع الثياب،[٣٠] غريبا في معناه».

ونسخته التي بين أيدينا صورتها[٣١] كتبت بخط مغربي متوسّط، على الأسلوب الغرناطي، الجامع بين التقوير والبسط والقبض، ويكثر فيها الخطأ والتحريف وخلل الرسم، ولاحظنا إسقاط الناسخ لبعض السطور، وتنتشر الرطوبة في نصفها الأول، مع بعض المحو وأكل الأرضة، وقد فرغ نسخها في جمادى الأولى من عام ٩٣٦هـ وعلى حواشيها إفادات «ووصفات» مهمّة تتصل بموضوع الكتاب وتزيده إثراء، بعضها لا يقرأ لرداءة الخط وللانطماس، وهي كما يبدو إضافات منقولة من كتب مشابهة أخرى.

وفي المقدّمة القصيرة يذكر المؤلف أنّه جمع فيه «نشر أشياء يحتاج لعملها الكاتب، وحصر منها أشتاتا يُشان بجهلها الطالب»، وأنّه أهداه كما أشار ابن الخطيب، للوزير الأجل أبي عبد الله بن أبي الحكيم، وقسّمه إلى ثلاثة أبواب.

الباب الأول: في أنواع يحتاج لها الكتبة، ويظنّ بها كثير من الطلبة.
الباب الثاني: في أشياء يعم نفعها، و{تعتاص}[٣٢] على من أراد جمعها.
الباب الثالث: فوائد غريبة، وملح.

وهذا التقسيم الموجز لا يقدم حقيقة المحتوى الزاخر بالإفادات والتجارب والقواعد والمواصفات، وتفصيله لخواص بعض المواد وأصنافها وتمييز الجيّد المختار منها، كما جاء ذلك في الفصل الذي عقده للقول على العفص والصمغ والزاج، وكحديثه عن نشارة التجفيف والطين الذي يعلّم به، وحديثه عن الأمدة المركبة من غير عفص.

وحتى يكون مضمون الكتاب أكثر تجلية في التعرّف عليه، نعرض لبعض المحتوى للكشف الأوّلي عنه، لنبرز من ذلك مدى التوازن القائم في ذهن المؤلف بين الأحبار والألوان والأصباغ وقلع الطبع من الثياب، وهي كلّها – كما يبدو بالمتابعة – جوانب متّصلة ببعضها في تركيبها، وإن تبدو متباعدة في الاستعمال:

* الباب الأول:[٣٣] في صناعة الأمدّة، وأوّلها المداد الأكحل (ص٢)

فصل في أشياء يكتب بها، كالمدّة، ولا تظهر حتّى تعالج (ص١٠).
فصل في الآنية التي يرفع فيها المداد والليقة والنشادر والطين الذي يعلم به (ص١٢).
فصل في الأمدّة المركبة من غير عفص (ص١٤).
فصل في أنواع الكتابة بالذهب والفضّة والقصدير والنحاس الأصفر والأحمر والحديد والطَّلْق (ص٢٣).
فصل في أنواع الأمدّة التي يكتب بها على الذهب والفضّة والنحاس والرصاص (ص٢٧).

* الباب الثاني: في قلع المداد من الدفاتر، وقلع الحبر من الكتب وقلع الصباغ من الثياب (ص٢٨)
فصل في الأشربة والأنبذة (ص٣٥).
فصل في غسالة تبيّض الغزل (ص٣٨).
فصل في صناعة صبغ ثياب الكتان (ص٤٠).
فصل في صناعة صبغ الحرير (ص٤١).

المقالة[٣٣] الثالثة: وفيها فوائد (ص٤٣)

فصل في عمل الزّنجار وصناعته (ص٤٦).
صنعة عمل بياض الوجه (ص٤٦).
صنعة عمل الزرقون (ص٤٧).
صنعة الزنجفور (ص٤٩).
فصل في صنعة صبغ العود والعظم والنحاس (ص٥٠).
فصل في بيان الأصبغة والألوان (ص٥٣).
فصل في الأبدال (ص٥٤).
فصل فيما يصرف من هذه الأصبغة في الدهن والرسم (ص٥٤).
ذكر الأمزجة وما يوافق منها (ص٥٤).
ذكر ترتيب سَحْق الأصبغة (ص٥٥).
فصل في تقصير الأصبغة في إثر سحقها (ص٥٦).
ذكر ماء التذهيب (ص٥٦).

إنّ مواد الباب الأول جميعها تخص الأمدّة، كما يحرص على تسميتها، أمّا الباب الثاني ففيه الكثير مما تمحى به الدفاتر، وأثر الحبر من الكتب والثياب.

والباب أو المقالة الثالثة كما سماها الناسخ، يتّصل بخواصّ المفردات المكوّنة لأصناف من المواد والأصباغ وطرق إعدادها، وما يتفق منها عند المزج وما يتنافر، وما يصلح للورق والرق خاصة، وما يقتصر على الخشب والجدران.

وفي هذا التداخل إثراء وإيضاح يساعد على فهم وتفسير الكثير من تراث الحضارة الإسلاميّة، سواء في باب صناعة الكتاب المخطوط أو بقية الفنون الصغرى، وما يتصل بها من رقش وتلوين وتذهيب ورسم. وعلى هذا فإنّ لكتاب القضاعي أهميّة فريدة، إذ لا يتكرّر أكثر محتواه مع أعمال من سبقه أو عاصره من مصنّفي هذا الفن، كصاحب «عمدة الكتاب»، وابن ميمون المراكشي، وابن رسول.

وحتى نزيد في جلاء صورة الكتاب، نعرض منه النماذج التالية:

(ص٧) فصل: هذا قانون تركيب المداد الذي يصنع من العَفْص والزّاج والصّمغ، وهو هذا الموصوف في هذا الجدول المبارك، وهو في تركيب كل نوع من المداد وأوزانها، وصفة صنعة كلّ واحد منها، إن شاء اللّه تعالى.

وهو هذا:

المطبوخ	المعصور	المنقوع	الغبار
عَفْص: جزء	عَفْص: جزآن	عَفْص: جزآن	عَفْص: جزء
زاج: ربع جزء	صمغ: جزء	صَمغ: نِصْف جزء	صمغ: جزء
صمغ: جزء	زاج: عُشر جزء	زاج: رُبع جزء	زاج: نِصْف جزء
ماء: ثلاثة أجزاء	ماء: جزآن	ماء: ثلاثة أجزاء	ماء: جزءٌ ونصْف

فهذا هو ترتيبها وتركيبها، وعلى هذه الصفة يصنع كل واحد منها.

ويبقى أن نذكر قوّتها وأفعالها: فأوّلُ ذلك أن تعلم أنّه متى زاد العَفْص على أجزائه المعلومات، أسرع إلى الكتابة خَرْقٌ بليغ. ومتى زاد الصّمغ على أجزائه المعلومة تخرّق الكتاب بعضه على بعض. ومتى زاد الزاج على مقداره أحرق وارتفع على الكتاب... له بصيصا.

* وعماد المداد العَفْص، ثمّ بعده الصّمغ، ثمّ بعده الزّاج. فأمّا الصمغ فهو لنيره (كذا) بقوته. والزاج ليقرّ قوته حتّى يصل إلى الموضع الذي يحتاج. فهذه[٣٤] رتبة أفعالها وقوتها.

منافع كل واحد من أنواعه:

المطبوخُ يصلُح للكاغد[٣٥] وحده.
المعصور يصلح للكاغد[٣٥] والرَّق.
المنقوع يصلح للرَّقّ خصوصا.
الغبار... للأقراص ليكتب به في حينه.

فهذه صورة الأمّدة.

{ص٥٣} فصل في بيان الأصبغة والألوان

اعلم أن الأصبغة في عددها اثني عشر: زنجفور، زرقون، مغرة، بياض الوجه، النيل، اللآزورد، اللكّ، الزنجار، العكار، الزّرنيخ، الفحم، طَرْنشول.

فهذه الأجساد بأَجْمعها، ويتكسّر من كل لونٌ منها لون آخر، فتصير أربعة وعشرين.[٣٦]

فأمّا الزّنجفور إذا سحق مع البياض، جاء منه لونا ورديّا، وكذلك الزرقون، وكذلك المغرة.
وإذا سُحق البياض مع النيل، جاء منهما غماميّا.
وإذا سُحق الزرنيخ بالنيل جاء منه أخضر فستقيّا.
وإذا سُحق اللكّ بالبياض، جاء منه بنفسجيّا.
وإذا سحق الزّعفران مع البياض جاء منه لوبانيا.
وإذا سحق العكار بالبياض جاء منهما...
وإذا سحق الزرنيخ بالزّعفران، جاء منه لونا ذهبيا معتقا.
وإذا سحق النيل والزرنيخ والزنجفور، جاء من ذلك صعتريا.
فهذه الأصول بأجمعها، والمكسرة منها.

{ص ٥٤} فصل فيما يصرف من هذه الأصبغة في الدّهن والرسم

الزنجفور، والزرقون، والمغرة، واللكّ، والعكار، والبياض، والفحم، واللآزورد، لا غير.
ويصرف فيها الزيت في الأشناء.

{ص ٥٤ – ٥٥} ذكرُ الأمزجة وما يوافق منها

فأمّا الأمزجة فهي أربعة، إذا عُدم أحدها جعل بدلا منها أخرى، وهي:
البياض، والغراء، وماء الكتان، والقرظ، وهو الصمغ العربي.
البياض: لما يزوّق به الحيطان والخشب.
الغراء: مزاج لما يزوق به الدهان والخشب.
لعاب الكتان: مزاج لما يزوق به الكاغد والدهان.

فهذه الأمزجة قد أتقنتها، فمتى وضع الغراء في الزنجار وفي اللكّ أو في العكر

أو في البقم، أملك، ويوافق غير ذلك.

ومتى وضع الصّمغ في الزّرقون، عقده وأفسده لا غير، وهو موافق لجميع الأصبغة، وما كثر منه في صباغة الكاغد والرقّ كان حسنا.

أمّا البيض فمتى وضع في... لكّ أو زنجار أو في بقام أو عكار، أفسدها البتّة، ويوافق غير ذلك.

{ص ٥٣ – ٥٤} فصل في الأبدال

إذا عدم النّيل فبدله الفحم، يكسر به جميع ما تحتاجه للنيل.

البياض بدل في صباغ الكاغد وتزويق الحيطان، واذا عدم البياض بدله الجبس يقتل بالسحق، وأمّا في الدهان فلا يتهيأ منه شيء.

الزرقون بدله نوار الرمان في الكاغد والرق خاصة، وأمّا في صباغ الدهان فلا يتهيأ منه شيء.

الزرنيخ الأصفر ليس له بديل.

الزرنيخ الأحمر بدله التربة المسحوقة مع شيء من الزرنيخ، تقوم مقامه في الكتب والدهن، ويفعل هذا الزرنيخ الأصفر.

المغرة بدلها المداد، ويخلط مع الزنجفور.

والزنجفور بدله الزرقون والمغرة، إذا خلطا جميعا.

اللازورد بدله كحل الإثمد، إذا خلط مع رغوة الصباغ قام مقام اللازورد.

اللكّ يقوم مقامه العكار، إذا طرح فيه الشب المصوّف، ويترك للشمس حتّى يخثر، ويأتي حسنا للكاغد والرّق والدهان.

وبدله أيضا البقم، إذا طبخ على النّار بالماء ناعما، فإذا خرج صبغة، وضع فيه يسير شبّ، والصمغ العربي، وكتب به في الكاغد والرَّقّ، وأمّا الدّهان فكذلك، وأحسن ما يكون في الدّهان إذا وضع على زنجفور.

هذا ما أردت تقديمه، وأعتقد أنّ تجميع كل النّصوص المتّصلة بمادة الكتاب، وترتيبها تاريخيّا، والتعريف بمصطلحها، وعرض بعض الجوانب للتجربة المخبريّة، ونشرها في نشرات نقديّة مقارنة، سيكون دافعا ميسّرا لكتابة

تاريخ المخطوط الإسلامي، ومساعدا على فهم مكوناته الأساسية، لتقوم البرامج المخبريّة للإنقاذ بعملها في الصيانة والترميم ببصيرة ووعي.

الحواشي

(١) انظر عنه C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur (GAL)*, 1st ed, I (Weimar, 1898), 268, 525; Supplement, I (Leiden, 1937), 473, 963. وعثمان الكعاك: صناعة الكتب في القيروان (مجلة المباحث – العدد ٢٥ ص ١٣ – تونس ١٩٤٦)، وفيه تقديم لنسخة قديمة اكتشفت بالقيروان. وقد حقق الكتاب ونشره د. عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي في مجلة معهد المخطوطات العربية – المجلد ١٧ الجزء ١ – القاهرة. مايو ١٩٧١، وبدار الكتب التونسية نسخة حديثة جيّدة، رقمها ٣٦٣٤ – إبراهيم شبوح: المخطوط ٤٨ تونس ١٩٨٩. وقد ترجم الكتاب Martin Levy من جامعة Yale ونشره في: *Mediaeval Arabic Bookmaking and its relation to early chemistry and pharmacology*, Transaction of the American Philosophical Society, Philadelphia 1962 vol. 52 part 4. انظر أيضا: Zerdoum Bat-Yehouda, *Les encres noires au moyen âge (jusqu'à 1600)*, 123, (Paris, 1983).

(٢) استعملت صورة نسخة الامبروزيانا، ثم اطلعت على نشرة جيّدة للكتاب بتحقيق د. محمد عيسى صالحية – الكويت ١٩٨٩، ومنه نسخة لم تعتمد للتحقيق، محفوظة بالمكتبة الآصفية بالهند رقم ٢٢١، يذكر كوركيس عواد أنها مجهولة المؤلف. انظر كوركيس عواد: الخط العربي في آثار الدارسين قديما وحديثا ٣٩٣– المورد. المجلد ١٥. بغداد – نوفمبر ١٩٨٦.

(٣) على هذا بني كتاب «عمدة الكتّاب»، ويراجع «صبح الأعشى» ٤٧٣/٢ حيث يختار بدل التجليد حسن صناعة الكاتب، يقول: المداد ركن من أركان الكتابة، وعليه مدار الرّبع منها، وأنشدوا:

ربع الكتابة في سواد مدادها — والرّبع حسن صناعة الكُتّابِ

والرّبع في قلم تسوّي بَرْيَـهُ — وعلى الكواغد رابعُ الأسبابِ

(٤) «الفهرست»، ليبسيك ١٨٧٢، ص ٢١.

(٥) «صبح الأعشى» ٤٨٧/٢ وقد رتّب الورق المنتشر في عصره حسب أفضليّته، فأعلاها البغدادي، ثم الحموي، ثم الشامي، ثم المصري، وهو على قطعين. المنصوري والعادة، ثم المغربي، ثم الإفرنجي. والنصّ على إيجازه مهمّ في تفاصيله:

(٦) «العمدة» ١٤٧.

(٧) المصدر نفسه ١٥٧.

(٨) المصدر نفسه ١٥٣.

(٩) نشره المرحوم الأستاذ عبد الله كنون في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، المجلدّة ٧-٨ مدريد ١٩٥٩، يراجع الأستاذ محمد المنوني، «تاريخ الوراقة المغربية»، الرباط ١٩٩١، ص ٢٩.

(١٠) نشره Prosper Ricard بعنوان «صناعة تسفير الكتب وحلّ الذهب»، Geuthner، باريس ١٩١٩ وأعاد الناشر طبعه سنة ١٩٢٥، وكتب عنه الأستاذ محمد المنوني: المرجع السابق ٨٦ - وترجمه M. Levy في ذيل ترجمته لـ«عمدة الكتاب». الحاشية (١) المتقدمة.

(١١) عناوين البحوث التي كتبت عن فنون الكتاب والتجليد خاصة، أحصاها

K.A.C. Creswell, *A Bibliography of Architecture, Arts and Crafts of Islam*, (Oxford, 1961).

(١٢) Zerdoun Bat-Yehouda، المرجع السابق ١٢٤ وقد اعتمدت كتاب «العمدة» ووالت الخطأ في نسبة الكتاب لابن باديس، وفيه تذكر أنّ أول الإفادات المعروفة عن الحبر في بلاد الإسلام ترجع إلى القرن الثالث الهجري.

(١٣) أسسها الخليفة العباسي المستنصر باللّه في الجانب الشرقي من بغداد على ضفاف دجلة. شرع في بنائها سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م وانتهى العمل فيها سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م فأودعها خزائن من نفائس الكتب (ابن الفوطي، «الحوادث الجامعة» ٥٣)، وجمعت بين المذاهب الأربعة - وقد رممّت ترميما كاملا في القرن الحالي، بدءا من سنة ١٩٤٥.

(١٤) يعدد المراكشي الأجساد الخمسة عند ذكر عناوين أبواب المقالة السابعة، بأنّها: الذهب، والفضّة، والنحاس، والأسرب، والرصاص. هذا والرصاص الأبيض يعني القصدير étain، والأسربّ هو الرصاص الأسود plomb. انظر ترجمة وتعليقات H. Renaud و G. Colin لكتاب «تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب»، باريس ١٩٣٤، ٢٠ رقم ٣٩.

(١٥) «تحفة الأحباب» ١٣٧ رقم ٣٠٩.

(١٦) المصدر نفسه ٦٥ رقم ١٤٤.

(١٧) المصدر نفسه ١٣٢ رقم ٢٩٦.

(١٨) هو دهن السمسم l'huile de sésame ابن البيطار، «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» ٣/٣٠ - مصر ١٢٩١هـ، وترجمة Lucien Leclerc, *Traité des simples*, II p. 282 مصورة عن طبعة باريس ١٨٨١.

(١٩) هو أبو جعفر بن الدّاية، البغدادي المصري، تولّى أعمالا ديوانية في الدولة الطولونية، يذكر الزركلي أنّ وفاته نحو سنة ٣٤٠هـ/٩٥٠م، وخبره مع صانع المداد في «صبح الأعشى» ٤٧٤/٢. ونشير إلى أنّ محاولات التلطيف في صناعة الحبر، كانت تهدف إلى تحقيق نعومة العلاقة بينه وبين القلم، حتّى ينساب بدون اختناق أو كزازة، وهناك محاولة حضارية ناضجة حققها الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله، ثم توقفت بعده، وهو ابتكاره للقلم المدّاد الذي يوضع الحبر بداخله، ويقلب في كل جهة فلا يرشح منه شيء، ويكتب عندما يراد منه أحسن كتاب، وإذا رفع عن الكتاب أمسك المداد. القاضي النعمان بن حيون، «المجالس والمسايرات» ٣١٩، بتحقيقنا وآخرين، تونس ١٩٧٨.

(٢٠) خمارويه بن أحمد بن طولون، ولي مصر بعد أبيه سنة ٢٧٠هـ، ووفاته سنة ٢٨٢هـ/٨٩٦م. الكندي، «الولاة والقضاة» ٢٣٣.

(٢١) «صبح الأعشى» ٤٧٥/٢.

(٢٢) د. عماد عبد السلام معروف، ملاحظات حول مخطوطة قطف الأزهار للمغربي، المجلة التاريخية المغربية - السنة الثامنة - العدد ٢٣-٢٤ تونس ١٩٨١.

(٢٣) بروين بدري توفيق: صناعة الأحبار والليق والأصباغ. فصول من مخطوطة قطف الأزهار للمغربي. المورد - المجلد ١٢ - ص ٢٥٢ بغداد ١٩٨٣.

(٢٤) «صبح الأعشى» ٤٧١/٢.

(٢٥) كذا في مستهل النسخة الخطية، بلامين محركتين مظبوطتين، وعدّد ابن الخطيب في «الإحاطة» لاماته بدون ضبط، ورسمه بروكلمان *GAL* ٣٣٦/٢ al-Qallūsī بلام واحدة مشدّدة. ترجمته في «الإحاطة» ٣/ ٧٥.

(٢٦) بمقربة من ثغر مريلّة.

(٢٧) للمؤلف كما يبدو ولع بالجناس في عناوين كتبه، من ذلك كتابه: «زهرة الظرف وزهرة الظرف». والخواص الأولى في عنوان الكتاب عكس العامة، والثانية تعني الخواص الطبيعية والكيميائية.

(٢٨) «الإحاطة» ٧٦/٣.

(٢٩) هو محمد بن عبد الرحمان، ابن الحكيم اللخمي، أبو عبد الله، إشبيلي الأصل، رندي النشأة، يجتمع في أصل واحد مع بني حجاج وبني عباد. كتب لسلطان غرناطة محمد بن محمد بن نصر، وتقلّد الوزارة لابنه أبي عبد الله المخلوع، فلما توفي هذا أفرده بالوزارة ولقبه بذي الوزارتين. كان كاتبا حسن الخطّ، مكرّما للعلم والعلماء، مفرطا في اقتناء الكتب. مات بغرناطة قتيلا في شوال سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٩م. ترجمه ابن الخطيب: «الإحاطة» ٤٤٤/٢، ابن حجر: «الدرر الكامنة» ٤٩٥/٣ المقري: «أزهار الرياض» ٣٤٠/٢.

(٣٠) قرأها محقق «الإحاطة»: «والتطبع الشاب»!

(٣١) من ذخائر الخزانة الملكية بالمملكة المغربية، أفادني معرفتها أستاذنا الجليل محمد المنوني، حفظه الله، وتفضل عليّ بصورتها أخي العالم الفاضل د. محمد بن شريفه، فلهما منّي كل اعتراف وامتنان.

(٣٢) اعتاص الأمر، اشتد وامتنع والتاث. وفي الأصل غير واضحة، فقد تكون احتاص، بمعنى حزم وتحفظ.

(٣٣) سماها المؤلف في مقدمته أبوابا، وتغيرت التسمية في الباب الثالث لتصبح «مقالة» ولعلّ ذلك من عمل الناسخ.

(٣٤) في الأصل: فهذا.

(٣٥) في الأصل: الكاغيد.

(٣٦) كذا بالأصل، والألوان المكسرة حسب النص ثمانية فقط، ولعلّ البقية أسقطها الناسخ.

استخدام الورق في المخطوطات الإسلامية كما سجلته النصوص الفارسية القديمة

إيرج أفشار

إن أهم الدراسات التي أجريت باللغات الأوروبية عن تاريخ الورق (كاغذ) وصناعته، واستخدامه في المخطوطات الإسلامية، قام بها فون كاراباتشيك(von Karabacek)، وهوارت(L. Huart)، وبابينجر(T. Babinger)، و بيديرسون (J. Pederson)، و غروهمان (A. Grohmann)، و ليفي (M. Levey)، و سيلهايم (R. Sellheim) كما ينبغي ألا ننسى المقالة الممتازة التي كتبها كركيس عوّاد باللغة العربية. وقد اعتمدت هذه الدراسات بصفة عامة على مصادر كتبت باللغة العربية،[١] وذلك باستثناء الدراسة الحديثة التي قام بها بورتر (Y. Porter) والتي أمدت دارسي الفارسية الغربيين بمعلومات قيمة، وبصفة خاصة في مجال المخطوطات الفارسية الموجودة في بلاد الهند.[٢]

أما البحث الذي سأقدمه إلى هذا المؤتمر فهو نتاج ٤٠ عاماً من التفحص لما يزيد عن ٤٠,٠٠٠ نص باللغتين العربية والفارسية في المكتبات

والمجموعات الخاصة في إيران وغيرها. وقد تمكنت نتيجة له من كتابة دراسة عن استخدام الورق في بلاد المسلمين. وبما أن هذا العمل لم ينشر بعد، فقد رأيت أنه من المناسب تقديم مقتطف منه يتناول مصطلح «الوراقين» (صانعي الورق)، هادفاً بذلك إلى لفت الأنظار إلى أهمية المعلومات الموجودة عن الورق في الكتابات الفارسية القديمة للتعرف على أنواع الورق المختلفة التي استخدمت في المخطوطات الإسلامية.

المصطلحات

منذ انتشار صناعة الورق عند المسلمين، بدءاً كما نعرف بمدينة سمرقند، كان دائماً يوجد أفراد وعائلات في الكثير من المدن الإسلامية عرفوا باسم «كاغذي». وكانت هذه النسبة، على حسب قول السمعاني، ترجع لاشتغال أسرهم في الماضي أو الحاضر بصناعة الورق أو الاتجار به. وقد جاء الكثيرون من حاملي هذا الاسم من نيسابور، وسمرقند، وإصفهان، وقزوين، وجوران، وشوشتر، وذكروا في تواريخ هذه المدن. ومن الملفت أن هذه النسبة صارت تتمتع بالشعبية قبل بداية القرن السادس الهجري (القرن ١٢ الميلادي)، وكان آخر شخص يحمل هذا الاسم مر علي في الكتابات الفارسية القديمة يسمى الحاج صالح كاغذي. وقد كان من أثرياء شوشتر (القرن ١٢هـ)، وذكره عبد اللطيف الشوشتري في كتابه «تاريخ شوشتر». ومن المرجح أن اسمه كان دلالة على حرفته أو حرفة أسرته.

بالإضافة إلى ذلك، كانت كلمة «كاغذي» تستعمل في إيران وعند الهنود الناطقين بالفارسية لوصف الثمار ذات القشور الرقيقة، مثل بادام كاغذي (اللوز)، وسيب كاغذي (التفاح)، كردوي كاغذي (الجوز)، وشفتالوي كاغذي (الخوخ)، قصب كاغذي (نوع من التمر)، وليموي كاغذي (الليمون).

واليوم لم يتبق في الاستعمال اليومي الدارج في اللغة الفارسية سوى مصطلحات بادام كاغذي وكردوي كاغذي وقصب كاغذي (والمصطلح الأخير يستعمل فقط في فرس)، أما الباقي فلا نراه سوى في الكتابات القديمة. وقد ذكر الوزير والطبيب والمؤرخ رشيد الدين فضل الله همداني، الذي عاش في القرن السابع الهجري (القرن ١٣م)، مصطلح شفتالوي كاغذي في كتابه عن

الزراعة المسمى «آثار وأحياء» كما ذكر سراج المحققين، وهوأحد شعراء الفارسية في الهند خلال القرن الثاني عشر الميلادي، مصطلح ليموي كاغذي في بيت الشعر التالي حسب ما ذكر في «فرهنگ آمند راج»:

أيتها المحبوبة! لماذا تعقدين حاجبيك عند رؤية هذه الرسالة؟ إنها رسالة حبيب وليست ليموي كاغذي.

وفي حين نستعمل ليموي كاغذي للدلالة على الليمون ذي القشرة الرقيقة، فإن هذا المصطلح لا يستخدم في إيران، ونجد دليلاً إضافياً على استخدامه في الهند في عمل لأديب هندي آخر، ألا وهو اعتصام الدين جايبوري الذي ذكره في سرده لرحلة قام بها إلى إنجلترا عام ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤-١٧٨٥م في كتابه «شگرف نامه ولاية». بالإضافة إلى ذلك، فقد ذكرمؤلف «فرهنگ آمند راج» تحت كلمة بغرا (وهو نوع من الطعام) أن عصير الليمون ذا القشرة الرقيقة يصب فيه. وكذلك رأيت مصطلح سيب كاغذي في أعمال إيرانية بالفارسية مثل «تاريخ كاشان» (القرن ١٩م) وفي مؤلفات هندية كتبت باللغة الفارسية مثل گلزار كشمير (القرن ١٩م).

وبالإضافة إلى الثمار فإننا نجد أن كلمة كاغذي استعملت للدلالة على زهرة شهيرة تعرف باسم گل كاغذي (وتعرف بالجهنمية في اللغة العربية، واسمها اللاتيني Bougainvilia Spectabilis واستعملت كذلك للدلالة على الكتان (كتان كاغذي، حسب ما نجده في مذكرات بصيرالدين شيباني كاشاني – القرن ١٩م).

ومن ضمن أسماء المدن الإيرانية هناك كاغذ كنان (وكانت تسمى خانج قبل القرن ٨هـ)، ومدينة كاغذي التي تقع بالقرب من كاشان. وقد ذكر الشاعر نزاري قهستاني في القرن ١٥م في أخبار أسفاره التي نظمها شعراً اسم پل كاغذ گران، وهو جسر بالقرب من قهستان.

وتستعمل كلمة كاغذ في اللغة الفارسية أيضاً بمفهموم نامه (رسالة)، ويمكننا العثور على أمثلة لهذا الاستعمال في المؤلفات الشعرية والنثرية لخاقاني، وسعدي، ومولوي، وجامي، وعلي شير نوائي، ونويدي، ولكثيرين غيرهم. وسأكتفي هنا بتقديم مثال واحد من القرن ١٣م، يتضح فيه مزيج من التذوق الجمالي الأدبي والشعري:

يذكرك الربيع بأوراق الزهرة المتفتحة، كصديق يبعث برسالة (كاغذ) لصديق.

دعونا الآن نوجه انتباهنا إلى دور كلمة كاغذ وتأثيرها على التعريفات والمصطلحات والأساليب اللغوية المدنية والاجتماعية والأدبية. وقد وجدت حتى الآن أكثر من أربعين حالة استخدمت فيها كلمة كاغذي في مصطلحات ذات علاقة بالأدوات والحياة اليومية، أو استعملت للدلالة على فعل أو صفة. وللاختصار، فقد ضممت هذه المصطلحات في قائمة (الملحق رقم ١)، وعلى أي حال يمكننا بصفة عامة القول بأن معظم الاستعمالات المركبة للكلمة كانت مصطلحات شاعت بين المسلمين الهنود الناطقين بالفارسية وفي بلاد ما وراء النهر وأرجاء الإمبراطورية العثمانية.

أولاً: فيما يتعلق بالورق نفسه وصناعته، نجد مصطلحات مثل كاغذ بر (قاطعة الورق أو سكين الورق)، وكاغذ بري (قطع الورق، آلة القطع، المقصلة). وقد استعمل رشيد الدين فضل الله (القرن ١٤م) مصطلح كاغذ خانة في «الوقفية الرشيدية» للدلالة على مصنع «ربع رشيدي» لصنع الورق، والذي أسسه بنفسه في تبريز. ومن ضمن المصطلحات الأخرى كاغذ حل كاري (الورق المذهب)، كاغذ دو پوست كردن (قطع الورق إلى جزئين بتشريح سمكه إلى نصفين)، كاغذ ساز (صانع الورق)، كاغذ سازي (تصنيع الورق)، كاغذ شكستن/بريدن (قطع الورق)، كاغذ گر (صانع أو تاجر الورق)، كاغذ گير (مشبك أو ثقالة الورق)، كاغذي (صانع الورق، أو بائع الأدوات المكتبية، أو أي شيء مغطى بقشرة رقيقة).

ويتعلق المجال الثاني لاستخدام هذا المصطلح بنوعية الورق ذاته، مثل كاغذ پازهري (ورق محمر الصفرة)، كاغذ دفتري (ورق عادي)، كاغذ خام (ورق خام أو غير مهذب)، كاغذ كاهي (ورق القش أو ورق الصحف). وبالمثل هنالك مصطلحات تدل على طريقة تحضير الورق أو الاستخدام المقصود منه، مثل كاغذ آهار مهره (ورق مصقول)، كاغذ أبري، كاغذ برقي (ورق لامع)، كاغذ تحرير (ورق كتابة)، كاغذ چرب (ورق أملس)، كاغذ مشق (ورق تدريب أو ورق الخطاط).

والتطبيق الثالث لهذه الكلمة يتصل بالورق المكتوب الذي نسخ من مسودة (أز سواد به بياض آمده) ثم تم تحويله إلى ورق نفايات، وكذلك الورق

المستهلك المعثوث والكتب التالفة الغير قابلة للاستعمال. وهذه الأنواع من الأوراق تستخدم في صناعة الورق المقوى، وورق اللف، وفي الحرف القائمة على الورق مثل صناعة المقالم (قلمدان)، والعلب الصغيرة والقبعات. وتوصف هذه الأوراق في النصوص بأسماء مثل كاغذ قند، وكاغذ دواء، وكاغذ عطاري، كاغذ باطل (نفايات وقصاصات الورق).

أما الفئة الرابعة فتتعلق بالأشياء والأدوات مثل كاغذ أندازه (النموذج الورقي لتصميمات الثياب)، كاغذ سوزني/كردى (ورق إستنسل مقوى يستعمل في أشغال الجص والنقش)، كاغذلق (ورق يستخدم بديلاً عن الزجاج في النوافذ، كما جرت العادة في الصين واليابان)، كاغذ فانوس (فانوس ورقي)، كاغذ وصلي/وصالي (ورق تجليد الكتب أو لوح اللصق).

والاستعمال الخامس يخص اللُعَب وأدوات اللعب، مثل كاغذكل (الورد الاصطناعي)، كاغذ آتشزاده (ورق إشعال الألعاب النارية)، كاغذباد (الطائرة الورقية، وهي تعرف أيضاً باسم بادبادك). وهذا المصطلح الأخير ما زال يستعمل في يزد (وسط إيران) إلى يومنا هذا، وكان شائعاً للغاية في العصر الصفوي، وقد أمد الشعر الفارسي بتشبيه مجازي جديد، ومن المناسب في هذا السياق ذكر مقطع شعري من نظم الشاعر صاعب، وهو مقتطف من أكثر من ثلاثين بيتاً وجدتها:

هذه الطاغية المحبوبة لا تعبأ بالقلوب الحزينة، فالطفلة المرحة تصنع طائرات ورقية من (صفحات) المصحف.

أما الصنف السادس فنجده في التطبيق المدني والاجتماعي للمصطلح، مثل كاغذ أخبار (جريدة الأنباء) وهو مصطلح يستخدم منذ أواسط القرن ١٩م، وقد صار شائعاً منذ عهد قريب في إيران وعند الهنود الناطقين بالفارسية)، كاغذ بندكي (خطاب استعباد أو التزام)، كاغذ خانه (الأرشيف، واستعمل خلال عصر ناصرالدين شاه) كاغذ زر (شيك مصرفي، أو قطعة الورق التي كان يلف فيها الذهب قبل تقديمه إلى الشعراء). وقد كثر استخدام هذا المصطلح عند الكتاب والشعراء القدامى، كما في البيت التالي من شعر عطار نيشابوري (القرن ٦ هـ):

المرأة العجوز ذهبت إلى أبي علي (ابن سينا). أخذت إليه كاغذ زر وطلبت منه أن يأخذه.

وفي القرن التالي كتب كمال الدين إسماعيل البيت التالي:

إذا لم تمنح الشاعر كاغذ زر، قدم له على الأقل ثمن قطعة الورق لكتابة الشعر.

ومن المصطلحات التي تلفت انتباهنا إلى الأوضاع الاجتماعية في الماضي مصطلح كاغذين جامه أو پيراهن كاغذين (ثوب من الورق كان يرتديه المتضرعون والمظلومون ويكتبون عليه شكواهم إلى أولي الأمر). وكانوا يذهبون إلى المحاكم والقضاة والحكام في هذا النوع من الثياب لإنصافهم في حقوقهم. ومن المصطلحات الأخرى، مصطلح كلاه كاغذين (قبعة أو غطاء رأس من الورق الأحمر). وكان بعض العصاة يعاقبون بأن يجبروا على ارتداء غطاء الرأس هذا ويعرضوا في السوق والشوارع ليسخر منهم العامة. وقد وجدت أكثر من خمسين مثالاً على هذه العقوبة في الشعر والنثر والكتابات التاريخية.

أساليب صناعة الورق

حسب علمي، ورد أول ذكر أدبي لصناعة الورق في أشعار منچهري دامغاني (القرن ١٢م)، وذلك في قصيدة سعى الشاعر فيها إلى وصف الصحراء المغطاة بالثلج حيث مثلها بكاركاه كاغذ گري (مصنع الورق):

أصبحت الأراضي من بلخ إلى خاوران مثل مصنع سمرقند؛ أبوابه وسقفه وجدرانه صارت مثل تلك التي للنقاشين وصانعي الورق.

وشرح هذا التشبيه يكمن في أن صحائف الورق المبلل كانت تعلق على الجدران أو تنشر على الأرض لتجف، وتطلب ذلك توفر مساحات واسعة في المصنع.

وكان صانع الورق يسمى كاغذگر، وفي بعض العصور كان يطلق على العاملين بهذه الحرفة أسماء كاغذ ساز أو كاغذي. (ويمكن العثور على هذه المصطلحات في كتابات تنتمي إلى نمط من النتاج الأدبي يسمى شهر آشوب، وهي أعمال هجائية عن الطبقات الاجتماعية المختلفة في مدينة ما).

والمعلومات المتاحة لنا عن صناعة الورق في المدن محدودة، ولا نجد سوى التلميحات والإشارات الضمنية في الكتابات والأشعارالقديمة، ولكنها على الأقل تمدنا بأسماء تلك المدن الإيرانية التي جرى فيها إنتاج الورق بجانب سمرقند. ويرجع أقدم هذه المصادر إلى بدايات القرن السابع الهجري.

وكان الورق السمرقندي يحظى بشهرة عريضة وتقدير واسع من القرن الرابع حتى القرن الثالث عشر من التقويم الهجري، وأقدم المعلومات المتوفرة لدينا عن صناعة الورق في سمرقند تأتينا من الكتاب الجغرافي المسمى «حدود العالم من المشرق إلى المغرب» الذي كتب عام ٣٧١هـ. وأهم إشارة فيه إلى هذه الناحية من النشاط الاقتصادي في سمرقند هي:

ومنها يأتي ورق ينقل إلى كافة أرجاء العالم.[٣]

ونشطت صناعة الورق أيضاً في إصفهان حتى العشرينات من هذا القرن. فنحن نعرف من كتاب «محاسن إصفهان» الذي ألفه مافروخي في أوائل القرن الثامن الهجري (القرن ١٥م) وترجمه إلى اللغة الفارسية عالم من مدينة آوَه، أن الورق كان يصنع في إصفهان في ذلك الوقت على طريقة الكاغذ الرشيدي. وقد أضاف المترجم الكلمات التالية:

دون ثناءه على أفضاله على صفحة من كاغذ رشيدي صنعه بنفسه لكتابة أعماله الأدبية ولإحياء كتب علماء الماضي الكبار، وهو ورق لا نظير لجودته

من حيث نصاعة صفحاته، وحجمها وشكلها، ولينها ونظافتها، وقوتها، وملاستها وصقلها، فلا يوجد ولم يوجد له مثل في أية مملكة بعد إصفهان.[٤]

وكان الورق الإصفهاني يوزع على كل مدينة وكان دائماً ممتازاً في جودته. ومن الورق الجيد المصنوع في هذه المدينة في القرن الثالث عشر ورق سمي چهار بغل (ورق كبير الحجم)، وكانت الصفحة الواحدة منه تباع بمبلغ ٦ عباسي (عملة من النقود سميت نسبة إلى شاه عباس الصفوي). وقد ذكر ذلك حسين تحويلدار، مؤلف «جغرافية إصفهان»، في قوله: «على أية حال، يفضل البعض ورق خانبالیق (بكين) على هذا الورق»، مما يدل على أن هذين النوعين من الورق كانا متشابهين في الجودة. وكان من أنواع الورق الأخرى المشهورة لهذه المدينة ذلك المسمي كاغذ فستقي نسبة إلى لونه الفستقي.

وكما رأينا مما سبق، كانت هناك مصانع للورق الممزوج بالماء بالقرب من المدينة المسماة ربع رشيدي. وقد ذكر رشيد الدين فضل الله ذلك المكان في صك الوقفية الرشيدية. كما ذكر كذلك أنواع الورق من نفس المنطقة في كتابه «سوانح الأفكار»، وهو تجميع لمراسلاته مع حكام زمانه، وأيضاً في مقدمة كتابه «لطائف الحقائق». وكان الورق المصنع في تلك المدينة من القطع الكبير وعلى نمط الورق البغدادي.

وكانت قزوين أيضاً من مراكز صناعة الورق في إيران. ونقرأ في «تذكرة شعراء كشمير» أن ملك الهند السلطان زين العابدين (١٤١٧-١٤٦٧م) جلب عدداً من صناع الورق من هذه المدينة إلى كشمير، وبفضل هذه البداية حل الورق محل التوز (وهو نوع من لحاء الشجر) لأغراض الكتابة. ويذكر هذا الحدث مللا نديمي كشميري في بيت الشعر التالي:

وصار الورق ملزمة وسُفِّر؛ حين فرَّق الزمن بين التوز وبين الكتاب.

وكانت كاغذ كنان، الواقعة بالقرب من زنجان، مركزاً شهيراً لصناعة الورق لفترة قصيرة، وقد ذكر حمد الله مستوفي في «نزهة القلوب» (القرن ١٥م) أنها عرفت باسم كاغذ كنان منذ بداية صناعة الورق هناك، وقد أصابها

التدمير في عصر المغول، وحسب نفس المصدر و«معجم البلدان»، كانت المدينة يطلق عليها «خونج» قبل تسميتها كاغذ كنان وهو الاسم الذي تعرف به اليوم.

ويعلمنا محرابي في كتابه «تذكرة الأولياء» (القرن ١٦م) أن مصانع الورق وجدت أيضاً في كرمان، بالقرب من مدينة خندق. وكذلك نجد إشارات في تاريخين من القرن السادس عشر لمدينة يزد إلى طاحونه كاغذكري (طاحونة الورق) وحانوت كاغذي (دكان الورق) كانا من أملاك رجل اسمه فرج يهودي. وما زال هناك إلى اليوم شارع في أعتق أحياء المدينة يعرف باسم كوچة كاغذكري.

أما عن صناعة الورق في خراسان، فإن أقدم المخطوطات التي يمكننا الاعتماد عليها هي فهرست ابن النديم، الذي يخبرنا أن البداية الأولى لصناعة الورق في إيران كانت في خراسان، كما ذكر أسماء أنواع الورق الذي كان ينتج هناك. وعلى الرغم من أنني قصدت إلى تقديم هذا البحث اعتماداً على المصادر الفارسية، فقد شعرت أن النقطة السابقة بحاجة إلى مزيد من التوضيح.

ذكر ابن النديم سبعة أنواع من الورق، ستة منها تنسب إلى خراسان وما وراء النهر، وواحد من مصر، وهو المسمى كاغذ فرعوني، أما الأخرى فعرفت بالأسماء التالية: سليماني (نسبة إلى سليمان بن رشيد، وكان وزيراً للشؤون المالية في خراسان) - جعفري (نسبة إلى جعفر البرمكي) - طلحي (نسبة إلى طلحى بن طاهر من عصر أسرة الطاهريين التي حكمت خراسان) وطاهري (نسبة إلى طاهر الثاني من أسرة الطاهريين أيضاً) - نوحي (نسبة إلى نوح بن نصر من الأسرة السامانية). ويتضح من ذلك أن الورق كان يصنع في خراسان وأن أنواعه كانت على ما يبدو تسمى نسبة إلى كبار رجالات الدولة الذين فضلوها على غيرها.

وإذا أخذنا في الاعتبار هذه الإشارات، وكذلك دلالات أخرى تفيد بأن أسراً تعرف باسم كاغذي كانت تقطن في بيهق ونيشابور، وأن پل كاغذگران مذكور في شعر نزاري قهستاني، وأيضاً المعلومات التي استمدها «بورتر» من نص بابرنامه بشأن مصانع الورق في هرات،[٥] يمكننا الجزم بأن صناعة الورق انتشرت في سائر أنحاء المنطقة، بعد بدايتها الأولى في سمرقند.

وتأتينا أحدث إشارة عن صناعة الورق في خراسان من عصر ناصرالدين شاه (القرن ١٩م)، وهي في إحصاء للمنطقة أعده زين العابدين، ومنها نعلم أن نقابة صناع الورق كانت من ضمن النقابات الحرفية المحلية.

أما معلوماتنا الفنية المتعلقة بالأدوات والآلات التي استخدمت لصناعة الورق، فهي محدودة للغاية لاعتمادها على عدد قليل من الإشارات المتضمنة في المصادر الأدبية. ونحن نعلم مثلاً أن رشيد الدين فضل الله جلب عدداً من الحرفيين الصينيين إلى مصنع الورق (كاغذ خانه) الذي كان يملكه في ربع رشيدي، ودوّن المعلومات التي حصل عليها بخصوص أصناف الورق الصيني في كتابه «آثار وأحياء».[٦] وقد ذكر في حديثه عن أوجه الاختلاف بين الورق الصيني والتبريزي أن أهل الصين صنعوا ورقاً من لحاء شجرة التوت، وأحياناً صنعوه من الحرير، بينما كان الورق يصنع في إيران من القطن والخرق.

ولحسن الحظ تتوفر لدينا معلومات أكثر عن العصر الصفوي، تأتينا بصفة خاصة من إشارات في أعمال شعراء سبك هندي (الأسلوب الهندي) الذين نشطوا في تلك الفترة، والذين عادة ما استمدوا إلهامهم من الأمور اليومية العادية. وقد ورد موضوع الورق في تشبيهاتهم البلاغية، مثلما ذكره طغراي مشهدي عن قالب كاغذ (قالب صنع الورق):

ما أكثر ما أعادت فتاتي مكاتيب الهوى؛ حتى ظهرت فيها شقوق كشقوق قوالب الورق.

ومن الأشعار الكثيرة التي ذكر فيها الورق، أقتبس هنا ثلاثة أبيات فقط من قصيدة «مثنوي جوهر فرد» التي نظمها الشاعر عبدي بيك شيرازي، وكان من شعراء القرن السادس عشر، وعرف باسم النويدي، ويشيد فيها بمحاسن القطن:

يستمد الورق وجوده منه؛ كأن الوحي قد نزل عليه. الورق الهندي غضب من الورق الصيني؛ وأخبر واسط[٧] بأمر روم وزنجبار. حيناً يتكشف عن نفسه من بلاد خطائي؛ وحيناً يأتي بالأنباء من سمرقند.

ويعبر محمد شافعي همداني (القرن ١٨م) عن معان مماثلة في كتاب «شهر آشوب» من تأليفه. ولن أقتبس هنا النص نفسه، بل سأكتفي بإيراد أنه ذكر المصطلحات التالية: كاغذ خطائي وكشميري (ورق صيني وكشميري)، شحّاف (مجلِّد الكتب)، مهره كشيدن (صقل الورق بالطلاء)، نشسته (النشاء)، آهار دادن (اللصق بالنشاء)، وكل هذه المصطلحات على صلة بصناعة الورق. كما روى همداني أيضاً بصورة ضمنية أسلوب صناعة الورق من الصوف.

ويقول مؤلف «گلزار كشمير» (القرن ١٩م)، والذي أمدنا بمعلومات عن صناعة الورق في كشمير، أن خرق نسيج الكتان كانت تحول إلى عجينة بواسطة ملح النشادر ثم تصب هذه العجينة في پنجر چهار خانه (وهو إطار مقسم إلى أربعة أجزاء) وفي دام (مصيدة) وبعدها كان الورق المنتج يطلى لصقله أو يسوى.

وفي العصر الصفوي كان صناع الورق يشكلون نقابة خاصة بهم، مما يفسر ذكر معظم كُتاب «شهر آشوب» لهم. وبطبيعة الحال لم يرد أي ذكر لكاغذكار (صناع الورق) في أقدم تصانيف «شهر آشوب»، وهو الذي ألفه مسعود سلمان (القرن ١٢م)، حيث اقتصر على ذكر النقاشين والخطاطين. ولكن الأمثلة الصفوية لهذا الأسلوب الأدبي، والتي من ضمنها «شهر آشوب» الذي ألفه لساني شيرازي (القرن ١٦م)، وآخر ألفه طاهر قزويني (القرن ١٧م)، اشتملت على أبيات شيقة عن صناع الورق. وأورد لكم هنا مثالاً من عمل لساني شيرازي:

سأشتري ورقاً أصنع منه ثوباً لألتمس منك الإنصاف؛ وحين أرتديه، سأتقدم متظلماً بشكواي.

ومن طُرف البلاغة أن طاهر وحيد يكني في شعره عن مصانع الورق، فيقارن صانع الورق بالخباز الذي ينتج صفحات الورق بدلاً من الخبز، وبينما يحل الماء محل النار في تنّوره (وفي مصنع الورق، يسمى المكان الذي يصب فيه الماء بالتنّوره). يقول الشاعر:

بما أن هذا الخبز يخبز بالماء بدلاً عن النار؛ فإن الكتاب يملأ بطنه بهذا الخبز.

لون الورق

إن المعلومات المتوفرة لدينا عن تلوين الورق وصقله لأكثر اكتمالاً بسبب وجود بحوث ورسائل متخصصة عن هذا الموضوع.[٨]

وأقدم عمل فارسي يتضمن إشارات إلى صباغة الورق هو «بيان الصناعات»، من تأليف حبيش تفليسي[٩] (ت. حوالي ٦٠٠هـ)، وكما ترون فأن هذا العمل يبلغ من القدم ثمانية قرون. وكذلك يذكر دولت شاه سمرقندي (القرن ٩هـ) في «التذكرة»، الفن والإتقان الذي بلغه سيمي نيشابوري، وهو مؤلف دراسة هامة عن صباغة الورق تعرف باسم «جوهر سيمي»، حققها ونشرها مؤخراً ي. بورتر.[١٠]

وكان هناك تنوع كبير في صباغة الورق، ومع أن ما زعمه قاضي أحمد يبدو مشوباً بالمبالغة، فنذكر أنه روى في «گلستان هنر» أن مولانا محمد أمين جدولكش («مسطرة الورق») كان يلون الورق بسبعين لوناً.

ولو ذكرنا كافة الألوان التي وصف بها الورق في الكتابات النثرية والأشعار لطالت هذه الدراسة طولاً لا داعي له. ولذلك أعددت قائمة تلحق بالدراسة. وكان ي. بورتر قد اعتمد في جمعه لقائمته[١١] على الأعمال التالية: «جوهر سيمي»، و«خوشنوسي»، و«مجموعات الصنائع»، «بياض خوشبوي». أما أنا فقد اعتمدت على «گلزار كشميري»، وعروض أمناء المكتبات القدامى وأصحابها لصفحات عناوين المخطوطات، و «گنجينه صفي» (فهرس أردبيل)، بالإضافة إلى المصطلحات التقنية المأخوذة من فهارس العصر القاجري. وقد أبرزت أية اختلافات بين قائمتي وقائمة بورتر، إذ وجدت ذلك ضرورياً وخاصة لوجود مصطلحين خاطئين من الناحية الإملائية في قائمة بورتر، ألا وهما ختائي وزمرد ليموي: فالأول صحيحه جنائي، ولاثاني زرد ليموي (أصفر ليموني).

وكانت الألوان المستعملة في صباغة الورق إما بسيطة أو مركبة. وكانت أكثرها شعبية آل (أصفر محمر)، وحنائي (برتقالي محمر)، وليموي (أخضر مصفر)، وفستقي، ونخودي (أصفر برتقالي). وكان الاعتقاد السائد هو أن الورق الأبيض الناصع ضار للعين في الضوء القوي، وأن الورق الملون أكثر ملاءمة.

وفي العصر الصفوي، كان أفضل الورق جودة ينتج في لوني آل وحنائي. ويقول لساني شيرازي عن ورق آل الملون:

كان بغرفتي ورق آل وردي؛ مذكراً إياي بالورود ووجه حبيبتي.

وقد نظم شعراء ذلك العصر قصائد عديدة مشيدين فيها بالورق الحنائي. وسأكتفي هنا بمثال واحد، وهو مقطع من بيتين من شعر نظمه واعظ قزويني، يقارن فيه لون الورق الحنائي بلون يد محبوبته:

لونك، في نضارته، كالحرير الصيني؛ ويدك، في رقتها، كالكاغذ الحنائي.

وعند هذا المنعطف، لعله كان من المناسب أن نتحدث عن الأوجه المختلفة لكاغذ أبري (نوع من الورق السميك المصقول) وأهميته في فن الخط، ولكن المجال لا ينفسح لذلك كما أنه يوجد عدد وافر من البحوث نشرت حول هذا الموضوع، منها مقالتان حديثتان بالفارسية، إحداها بقلم محمد حسن سمسار نشرت في «دائرة المعارف بزرگ إسلامي» والأخرى نشرها يحيى زكاء في دورية «آينده.»[١٢] ولهذا سأقتصر على ذكر الكتابات التي توجد فيها إشارات إلى كاغذ أبري. ويمكن العثور على النصوص الكاملة لتلك الكتابات في الدراسة الخاصة التي قمت بها. وهذه المصادر تشتمل على أعمال شعرية نظمها كليم كاشاني، وسليم تهراني، وصائب تبريزي، وواعظ قزويني، وعشرات غيرهم من الشعراء. والمقطع الشعري التالي يمدنا بمثال نموذجي لتلك المصادر الشعرية:

فلتعلمي أن بدونك أبكي دموعاً بمئة لون؛ رقشت بها لون الكاغذ الأبري.

وتعود الإشارات إلى تقنيات صقل الورق بطلاء من النشاء إلى القرن الثالث عشر الميلادي. وسأذكر هنا إشارتين من تلك الحقبة. واحدة مقتبسة من «فرخ نامه جمالي»، التي كتبها في ٥٨٠هـ جمالي يزدي ونشرتها بنفسي، وفيها يذكر أسلوب الصقل بنشاء الأرز.[١٣] أما الثانية فهي بيت شعر من نظم سوزني سمرقندي (ت ٥٦٢هـ) ويقارن فيها الشاعر بين ريش طائر اللقلق الباهر العازل للماء وبين الورق المصقول اللامع، حيث يقول: رأى ريش اللقلق وكأنه ورق ملمع مصقول.

وكان الورق المصقول ورقاً من نوعية جيدة وكان الطلب عليه كبيراً من قبل الخطاطين لأن القلم كان يجري عليه بسهولة. وقد خصص الخطاط المشهور سلطان علي مشهدي سبعة مقاطع من بحثه المعروف لذكر أسلوب صقل الورق، وكان هذا يتم في العادة يدوياً. ولكن محمد حافظ إصفهاني قال بأنه اخترع آلة في عام ١٥٠٦م يسرت هذه العملية، ولا نجد ذكراً لهذا الأمر سوى في كتابه «نتيجة الدولة.»[١٤]

أنواع الورق

من أهم النقاط التي حظيت بالبحث في ميدان علم المخطوطات الإسلامية مسألة التعرف على أنواع الورق المختلفة. فالمصادر الفهرسية في عمومها لا تتناول سوى لون الورق وسمكه، في حين استطعت استكشاف أسماء الأنواع المختلفة للورق التي استخدمت من النصوص نفسها. ولكن، تعرف المفهرسون المحدثون في البلدان الشرقية على تسمية الورق بصفة عامة بأسماء اعتمدوا فيها على الشبه والأقوال المتواترة، منافين أحياناً في ذلك الوقائع التاريخية المعروفة. فعلى سبيل المثال، بعد أن درست قيود فهرس كتابخانه ملي مالك، يمكنني القول بأن المصحف رقم ١٥ الذي نسخه ياقوت المستعصمي عام ٦٨٠هـ لا يمكن أن يكون قد كتب على ورق من نوع دولتآبادي حيث أن هذا النوع لم يرد له أي ذكر في مصادر تسبق في تاريخها القرن الحادي عشر الهجري. وكذلك صُنف ورق مصحف آخر (رقم ٤٤) مكتوب بالخط النسخي المبكر على أنه من النوع الدولتآبادي. ووصف ورق المصحف رقم ٤٦، وهو مكتوب بالخط الكوفي، بأنه من نوع ترمه ختائي، بينما مصطلح «ختائي» لا يبلغ قدمه بالتأكيد التسعمائة عام. وهذه الأمثلة القليلة أدت إلى اعتقادي بأن الاعتماد على المصطلحات الشائعة في تحديد أنواع الورق المستخدم في المخطوطات إنما هو أمر يتنافى والحكمة.

والركائز السليمة الوحيدة التي يمكننا الاعتماد عليها في التعرف على أنواع الورق هي تلك الحالات التي قام فيها أصحاب مكتبات المخطوطات العربية والفارسية والتركية وأمناؤها بتدوين عروض لها. وهي تتضمن العنوان والمعالم الظاهرة للمخطوطة ونوع الورق بشكل عام. فإذا قارب التاريخ المذكور في العرض تاريخ الخط يمكننا استنتاج أن اسم الورق هو ذلك الاسم الذي

كان شائعاً في عصر تدوين العرض. وبمقدورنا العثور على هذه الأسماء في فهارس معينة لمخطوطات العصور المبكرة، مثل فهرس أردبيل الذي تم تصنيفه عام ١١٧٢هـ (١٧٥٨ -١٧٥٩م) ونشر بعنوان «گنجينه شيخ صفي.»[١٥] وقد أحصيت أحد عشر نوعاً من الورق مذكورة في ذلك العمل.

ولحسن الحظ قام شهريار ضرغام مؤخراً بنشر قائمة جرد للگنجينه تم إعدادها على ما يبدو حوالي عام ١٣٠٧هـ (١٨٨٩-١٨٩٠م) ولكنها اقتصرت على مدنا بإشارات عن ورق جلد الغزال، وترمه، وخانباليغي، وختائي. وعلى الرغم من وجود شبه تطابق بين مصحفين من مصاحف الفهرسين، فقد وصفت معالمهما المحددة وصفاً مختلفاً في كل منهما. وقد سعيت إلى تسليط الضوء على هذه الاختلافات في الكتاب الذي قمت على وضعه، كما عمدت إلى وضع قائمة بالمصطلحات المتعلقة بالورق وأنواعه المذكورة في هذا الفهرس.

ومن جهة نظر المصادر القديمة (بما فيها فهرس ابن النديم والكتابات التاريخية والأدبية الفارسية)، يمكننا التعرف على أنواع الورق طبقاً لثلاثة ركائز.

أولاً: المصطلحات المتعلقة بالأماكن التي صنع فيها الورق، مثل إصفهاني، وبغدادي، ودولتآبادي، وسمرقندي، وشامي، وهندي. ومن هذه المصطلحات يوجد مصطلحان جديران بالتفصيل الإضافي: فالسمرقندي كان أشهر أنواع الورق، ونجد إشارات إليه في مصادر ترجع في قدمها إلى القرن الرابع، وأبكرها ذكر في كتاب «حدود العالم»، حيث يقول المؤلف عن سمرقند أنها موطن المانويين وأن الورق يصنع فيها ويصدر إلى كافة أرجاء العالم.[١٦] أما المصدر الثاني فهو سفرنامه ناصر خسرو (ت. ٤٨١هـ) حيث ذكر أن أهل طرابلس في الشام صنعوا ورقاً يضاهي في جودته الورق السمرقندي أو يتفوق عليه. وقد دامت تجارة الورق السمرقندي قروناً عديدة في إيران وورد ذكره في «رساله معرفي كاروان سرايهاى عصر صفوي» (المتحف البريطاني، رقم MS 9024)، حيث نجد إشارة إلى أن السمرقنديين باعوا ورقاً في سراي قوافل محمود بيكي. وينوه شاعر ذلك العصر محسن تأثيرات بالجودة العالية للورق السمرقندي في المقطع الشعري التالي:

عندما أكتب مشيداً بشفتيك، يصير الخطاب إكليلاً. فإذا كان الورق دفترياً (متوسط الجودة)، استحال سمرقندياً.

وقد تحدث الشعراء الناطقون بالفارسية كثيراً عن الورق الشمسي، وخاصة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر. فعلى سبيل المثال، ذكره أمير خسرو دهلوي في «غرة الكمال»، كما أتاح لنا معلومات قيمة عن صناعة الورق من الحرير في عشرين مقطع شعري في كتابه «قِران السعدين». ولمح شاعر آخر من نفس القرن، وهو سراج سگزي، في بيتٍ من أشعاره إلى أن الكاغذ الشمسي كان أبيض اللون وكذلك قارنه أمير خسرو بالصباح حين قال:

حين أشرق وجهك كشمس الصباح، تحول وجهي إلى لون أصفر كالكاغذ الشمسي المحلى بماء الزعفران.

ثانياً: المصطلحات المتعلقة بالأشخاص، مثل جيهاني، وسعدي، ورشيدي، وطلحي، وعادلشاهي، ومنصوري، ونوحي. وسأفصل هنا بعض الشيء كلاً من كاغذ سعدي وكاغذ عادلشاهي، وكانا نوعين من الورق متسمين بالجودة العالية. فمصطلح كاغذ سعدي يظهر في دواوين شاعرين من الشعراء. الأول هو سوزني سمرقندي، والثاني عبد الواسع جبلي الكرجستاني (ت. ٥٥٥هـ). ومن ذكر الكاغذ السعدي في أشعار هذين الشاعرين اللذين عاشا في نفس المنطقة، يتضح لنا أن هذا النوع من الورق كان مشهوراً وموضع تقدير كبير في خراسان، وربما استمد اسمه من شخص ذي مكانة عالية مثل سعد الملك أو سعد الدين، ويقول السوزني في شعره:

أعطاني شهاب الدين أحمد رزمتان من الورق السعدي، بأمر خواجه مؤيد.
أما عبد الواسع فيتحدث عن هذا النوع قائلاً:

عندي زندنيچي[١٧] وورق، وكلاهما جيد ولكن بهما عيبان: فالأول ليس (من نسيج) بو إسحاقي، والثاني ليس سعدياً.

وقد فضل خطاط العصر الصفوي الشهير مير عماد قزويني الورق السعدي على كاغذ دولتآبادي، وكلاهما من الهند، كما أشاد بالورق العادلشاهي في «آداب المشق» بقوله:

العادلشاهي هو أفضل الورق، لكونه قليل التحبيب. العادلشاهي ممتاز لدرجة أن الفنان يعتبره مثل زهرة بلا أشواك. قيمته معروفة لقلمي، الذي ينثر بسخائه أثمن اللآلىء. وبعده في الجودة يأتي الدولتآبادي، المعروف كذلك بالسلطاني.

وتوجد مخطوطة من الورق العادلشهاي ذكر في عرضها أنها «عهد نامه حضرت أمير» (علي بن أبي طالب)، كتبت للسلطان إبراهيم بن شارخ (القرن التاسع). ويصف ورقها العرض الذي كتب عام ١٠٤٦ بأنه «قطع وسط كاغذ عادلشاهي من القطع المتوسط».

ثالثاً: المصطلحات المتعلقة بالعناصر المكونة ونمط الاستعمال وحجم الورق، من قبيل الأبريشامي، والچهار بغل، والطغرائي، وربما كذلك المنصوري. فعلى سبيل المثال، نجد الورق من القطع المنصوري مذكوراً في «قابوسنامه» (القرن ٥هـ)، في سياق نادرة عن السلطان محمود غزنوي. وتجدر الإشارة إلى أن الورق المنصوري يذكر في بعض المخطوطات باسم كاغذ منصوري فقط، بينما في مخطوطات أخرى يسمى كاغذ قطع منصوري. ومن المؤكد أن هذا النوع من الورق استمد اسمه من أبي منصور عامر (٤٩٥-٥٢٤هـ) أو من منصور ابن نصر عبد الرحيم كاغذي الذي كان نفسه صانع ورق. كما يعتبر غروهمان (Grohmann) أن درجا منصوريا، وهو مصطلح ذكر في «تحفة الأمراء» للصابي، قد سمي نسبة إلى أبي منصور أمير مثله مثل كاغذ منصوري.

وفي مخطوطة «الأربعين حديثاً» لتاج الدين (المنسوخة في القرن ٨هـ)، وكنت قد رأيتها في مسجد مدينة بكين، يذكر الكاتب أن الكاغذ المنصوري، هو

الورق الأفضل حيث أنه كان يستعمل للكتابة بالذهب: «والآن يكتبون بالذهب على الورق المنصوري.»

وبذلك يمكننا القول بأنه كان يوجد نوعان من الورق المنصوري قيد الاستعمال في بلاد المسلمين، سميا تبعاً للقطع والجودة.

متفرقات

إن التنوع في المصطلحات التي استخدمت لوصف جودة الورق وتلك المستخدمة لتسمية أنواعه (إما لأغراض التجارة أو الاستعمال) يتضح من القائمة المرفقة، والتي جمعت من إشارات في الكتابات القديمة.

وقد كان مصطلح «طبق» (ورقة) من أكثرها شيوعاً، وظهر في كتابات نثرية وأشعار من القرن السادس وبعده. فعلى سبيل المثال، نجده مذكوراً في «التوسل إلى الترسل» لبهاء الدين محمد، كاتب علاء الدين تكش خوارزمشاه، و«مرصد العباد» لنجم الدين دايا (ت. ٦٥٤هـ)، و«لطائف الحقائق» لخواجه رشيد الدين فضل الله همداني (ت. ٧١٨هـ). وربما يدلنا نص ملاحظة في الكتاب الأخير على حجم الطبق:

لما أردنا تحسين الخرائط، رأى أنه من الضرورة زيادة مقاس الورق الذي رسمت عليه... فصنع صفحات كبيرة من الورق، الواحدة بمقاس يعادل ست صفحات، ثم رسم عليه تلك الخرائط.

أما المسألة الأخيرة المتعلقة بالورق، فهي تخص تلك الفنون التي اتصلت به، وفيما يلي قائمة بالأساليب الزخرفية التي ذكرت في الكتابات الأدبية والتاريخية:

أبري كردن	رقش الورق
أفشان كردن	مسح الورق برشات من ماء الذهب والفضة أو من الحناء

پاك كردن	إزالة الكتابة السابقة لإعادة الاستعمال، أو إزالة البقع من الورق
تذهيب وتشعير	الزخرفة بالذهب
جدول كشي	التسطير وتحديد الأعمدة
دو پوست كردن	قطع الورق إلى جزئين بتشريح سمكه إلى نصفين
رنگ كردن	الصباغة
قطّاعي	القَطع
كلفت كردن	السُمك
كهنه كردن	التقادم
مجلس كشي	المنمنمات
مسطر كشي	عمل خطوط مستقيمة غير مرئية للكتابة
مهره كشي	طلاء الصقل
وصّالي	إعادة تجليد كتاب قديم

فعلى سبيل المثال، قال أحد الشعراء عن المسطر:

يجب على من ينصح بآداب الزهد أن يسطر جسده بخطوط حصيرة السَّمار.

وذكر مهربان أورنگآبادي مصطلح أفشان بقوله:

ما الداعي للحديث عن حالي، أيها الرسول، وقد مسحت (أفشان) الرسالة بدماء قلبي؟

إن المعلومات المتاحة لنا عن تجارة الورق وسعره خلال عصور مختلفة لتعيننا في بعض الأحوال على تحديد نوع الورق المستخدم لكتابة المخطوطات، حيث أن الورق الذي صنع في خراسان وإصفهان كان يستخدم في الهند، بينما أنواع الورق الهندي المختلفة كانت تنقل إلى إيران، ويمكن التعرف على معظمها في بعض المخطوطات الفارسية.

أرجو أن تكون هذه النبذة قد برهنت على أهمية التراث الأدبي الفارسي كأحد مصادر معرفتنا بتاريخ الورق وكمرجع لتحديد أنواعه المختلفة.

الحواشي

(١) انظر: J. von Karabacek, "Das arabische Papier. Eine historisch antiquarische Untersuchung", *Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer*, II-III (Vienna, 1887), 87-178; idem, "Neue Quellen zur Papiergeschichte", *Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer*, IV (Vienna, 1888), 75-122; Cl. Huart, *Les Calligraphes et les miniaturistes de l'orient musulman* (Paris, 1908), 8-11; F. Babinger, *Zur Geschichte der Papier-erzeugung im osmanischen Reiche* (Berlin, 1931); J. P. E. Pedersen, *Den arabiske bog* (Copenhagen, 1946) [= *The Arabic Book*, tr. G. French, ed. with an introduction by R. Hillenbrand (Princeton, 1984)]; A. Grohmann, *From the World of Arabic Papyri* (Cairo, 1952), 49-57; idem, *Arabische Paläographie*, I, Denkschriften der österreichischen Akademie der Wissenschaften, philosophisch-historische Klasse, XCIV (1967), 98-105; M. Levey, *Medieval Arabic Bookmaking and Its Relation to Early Chemistry and Pharmacology*, Transactions of the American Philosophical Society, New Series, LII/4 (Philadelphia, 1962); R. Sellheim, *Materialien zur arabischen Literaturgeschichte*, I (Wiesbaden, 1976) and II (Stuttgart, 1987); كركيس عوّاد، «الورق أو الكاغذ»، مجلّة المجمع العلمي العربي، ٢٣ (١٩٤٨)، ص ٤٠٩-٤٣٨.

(٢) Y. Porter, *Peinture et arts du livre: essai sur la littérature technique indo-persane* (Paris, 1992).

(٣) «حدود العالم» تحقيق م. ستده، طهران، ١٣٤٠/١٩٦١، ص ١٠٧-١٠٨.

(٤) مافروخي، «محاسن إصفهان»، وترجمه إلى اللغة الفارسية حسين بن محمد بن أبي الرضاء الحسيني العلوي، تحقيق عبّاس إقبال، طهران، ١٣٢٨/١٩٤٩.

(٥) Porter, *Peinture*, 25.

(٦) رشيد الدين فضل الله همذاني، «آثار وأحياء» تحقيق م. ستده وإ. أفشار، طهران، ١٣٦٨/١٩٨٩.

(٧) مدينة عراقية اشتهرت بإنتاج الأقلام.

(٨) وقد تم التقديم لها في مقالة كتبها محمد تقي دانش پژوه. وقد نشر پژوه بعضاً من تلك البحوث والرسالات، ونشر بعضاً آخر كل من أحمد جلحين، ورضا مايل هروي، وفكري سلجوقي، وپرويز أزكائي، إلى جانب ما نشره حديثاً ي. بورتر (Y. Porter).

(٩) حبيش تفليسي، بيان الصناعات، تحقيق إ. أفشار، فرهنگ إيران زمين، ٤ (طهران، ١٣٣٦/١٩٥٧)، ص ٢٩٨-٤٥٧.

(١٠) Y. Porter, "Un traité de Simi Neyshâpuri, artiste et polygraphe", *Studia Iranica*, XIV/2 (1985), 179-98. ثمة ترجمة إنجليزية لهذه الدراسة في كتاب: W. M. Thackston, "A Treatise on Calligraphic Arts: a Description of Paper, Colours, Inks and Pens by Simi of Nishapur", *Intellectual Studies in Islam*, ed. M. M. Mazzaoui and V. B. Moreen (Salt Lake City, 1990), 219-28.

(١١) Porter, *Peinture*, 49-50.

(١٢) دائرة المعارف بزرگ إسلامي، ٢ (طهران، ١٣٦٨)، ٥٧٠-٤؛ يحيى زكاء، «كاغذ أبري»، آينده، ١٦ (١٣٦٩)، ص ٣٧١-٩.

(١٣) جمالي يزدي، «فرخ نامه جمالي»، تحقيق إ. أفشار (طهران، ١٣٤٦/١٩٦٧).

(١٤) محمد حافظ إصفهاني، سه رساله در اختراعات صناعتي: ساعت، دستگاه روغنكشي، «نتيجة الدولة»، تحقيق ت. بيرش، (طهران، ١٣٥٠/١٩٧١).

(١٥) گنجينه شيخ صفي (فهرس أردبيل)، (تبريز، ١٩٨٠).

(١٦) انظر ٣.

(١٧) نوع من الخرقة.

البرديات العربية

جفري خان

كان ورق البردي المادة الرئيسية المستخدمة في الكتابة في مصر على مدى أربعة آلاف سنة، وكان يشار إليه في العربية بكلمة «قرطاس» المشتقة من اليونانية عن طريق الكلمة الآرامية «قرطيس».[١] وكان ورق البردي يصنع من نبات السيبيروس بابيروس Cyperus papyrus الذي ينمو في مصر وكان أسهل في الاستعمال من بدائله المتاحة مثل الخشب والجلود والألواح الصلصالية، كما كان قابلاً لأن يُصنَّع في درجات مختلفة من السمْك والنوعية، ولاشك أن هذه العوامل قد ساعدت في نجاحه.[٢] على أنه من الصعب الحكم على الخواص الطبيعية لورق البردي عن طريق البقايا الهشة التي وصلتنا في العصر الحديث. وكان ورق البردي بعد تصنيعه يتميز بلون فاتح إلى جانب النعومة والقوة والمرونة.[٣]

يرجع استخدام ورق البردي إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وقد لعب دوراً هاماً في تطور الحضارة المصرية القديمة، بل إن نبات البردي أصبح رمزاً لمصر السفلى في زمن سابق على عصر الأسرات في الألف الرابع قبل الميلاد.[٤] وابتداء من الألف الأول قبل الميلاد في أقل تقدير، صار لورق البردي منافس، هو الرق، والذي كان مادة كتابة ممتازة، إلا أن ورق البردي كان أسهل تصنيعاً من الرق.[٥] وعلى الرغم من أن الرق كان يستخدم استخداماً واسعاً في أماكن أخرى من العالم القديم، فإن ورق البردي حافظ على مكانته في

مصر خلال العصرين اليوناني والروماني.[٦] وقد انتقل استخدام ورق البردي إلى العرب بعد فتحهم مصر في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، وظلت مادة الكتابة الرئيسية في البلاد حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، عندما أصبح عاجزاً عن منافسة الورق الذي كان أقل كلفة في الإنتاج.

على عكس البردي، لم تعتمد صناعة الورق على مادة خام تكاد لا توجد إلا في مصر. وقد دخل الورق العالم الإسلامي في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) عن طريق الصين، وكانت سمرقند أول مكان يصنع فيه، وشاع استخدامه في الأراضي الإسلامية الشرقية في وقت مبكر بالمقارنة مع الأراضي الغربية، وفي عصر هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) بدأ استخدام الورق في الدوائر الحكومية.[٧] وقد كتب الجاحظ في القرن التاسع قائلاً: "إن برديات مصر هي عند الغرب مثل أوراق سمرقند عند الشرق".[٨] وقد استخدم الورق على نحو متقطع في مصر خلال القرن التاسع إلا أنه لم يصبح منافساً للبردي حتى القرن العاشر، ولا نصل إلى منتصف القرن العاشر حتى يكون الورق قد حل محل البردي في مصر وتكون صناعة هذا الأخير قد توقفت تماماً.[٩] وذكر ابن حوقل، الذي زار مصر في ٣٥٩هـ/٩٦٩م، نبات البردي، ولكنه لا يشير إلى استخدام ورق البردي في مصر كمادة للكتابة.[١٠] كما كتب المقدسي، في ٣٧٥هـ/٩٨٥-٩٨٦م، ذاكراً الورق باعتباره أحد المنتوجات المصرية، ولكنه لا يشير إلي صناعة البردي. على أننا نعرف من المسعودي، في سنة ٩٥٦م، أن صناعة البردي[١١] لم تكن قد انقرضت تماماً في مصر في القرن العاشر،[١٢] فالظاهر أنه كان ثمة بَعْدُ بعض استخدامات هامشية للبردي في ذلك الوقت، ومن أمثلتها عمل التعاويذ[١٣] والعلاج الطبي[١٤] على الرغم من ندرة استخدامه في الكتابة.

أما في المغرب، فإن الانتقال إلى استخدام الورق لم يحدث حتى وقت متأخر عن ذلك، فقد ظل الرق مادة الكتابة السائدة في تلك المنطقة، حتى القرن الحادي عشر الميلادي.[١٥]

ونعرف من ابن حوقل أن العرب كانوا لا يزالون يستخدمون ورق البردي، في صقلية، في مراسلات الدواوين الحكومية حتى النصف الثاني من القرن العاشر،[١٦] كما أن بعض البرديات التي عثر عليها في مصر كانت قد كتبت في الأصل في أماكن أخرى.[١٧]

خلال الفترة الطويلة من تاريخ مصر التي استخدم فيها ورق البردي تغيرت اللغات السائدة في البلد، بحيث أن ما تبقى لنا من مادة يتوزع بين اختصاصات خبراء اللغات المصرية القديمة، واليونانية، والقبطية، والعربية. فحين فتح العرب مصر كانت اللغات اليونانية والقبطية قد حلت محل المصرية القديمة، ثم سرعان ما حلت العربية محل هاتين في أغلب المجالات. وقد استمرت اللغة القبطية تستخدم من قِبل مسيحيي مصر من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة. أما اللغة اليونانية فقد بطل استعمالها في القرن الثاني الهجري وقد بقي أثر من أهميتها السابقة في استخدام العربية الأرقام اليونانية في الحسابات العربية المبكرة.

البرديات العربية الباقية

وقد قدر غروهمان Grohmann عدد البرديات العربية في المجموعات المختلفة المعروفة له في أوروبا وأمريكا الشمالية والقاهرة بحوالي ١٦ ألفاً،[١٨] ويبدو أن هذا الرقم لا يشير إلا إلى الوثائق المحفوظة في حالة جيدة نوعاً، وأن العدد الإجمالي لأجزاء البرديات الباقية والتي تحتوي على كتابة عربية أكبر من ذلك بكثير،[١٩] والغالبية العظمى منها عبارة عن وثائق من نوع أو آخر، على حين يحتوي عدد يسير على نصوص أدبية. فأما النوع الأول فيشمل حسابات، وصكوك ملكية قانونية ووثائق إدارية من وضع موظفي الحكومة إلى جانب رسائل شخصية. وبعض الرسائل كتبها تجار ضمن معاملاتهم التجارية ومن تلك نتعلم الكثير عن التجارة في العصر الإسلامي الباكر. وإلى كون هذه الوثائق توفر لنا الأدلة على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، فإن الكثير منها يوفر مادة نافعة في المجالات الدراسية الأخرى، ومن ذلك أن مئات أسماء الأماكن المذكورة في البرديات تضيف إضافة كبيرة لمعلوماتنا الطوبوغرافية عن مصر في تلك الفترة، كما أن الرسائل والصكوك القديمة. وعلاوة على هذه تمثل البرديات الأدبية والتوثيقية مصادر هامة لدراسة الكتابة العربية القديمة وتطور اللغة العربية.

تشمل البرديات الأدبية بعضاً من أقدم شذرات النصوص المعروفة في العربية، ومن ذلك سيرة النبي محمد (صلعم) لابن هشام، والمُوطَّأ لمالك بن أنس وقصص ألف ليلة وليلة وأشعار العرب.[٢٠] وتشمل كذلك أجزاء من أعمال أخرى

كان المظنون أنها فقدت مثل مجموعة الحكايات التي تتناول النبي محمد (صلعم) والملك داوود والمنسوبة إلى وهب بن مُنبِّه، وكذلك مجموعة السوابق القانونية لعبد الله بن وهب وعبد الله بن لهيعة.[٢١]

حُفظ الكثير من البرديات الأوروبية في العصر الوسيط في الكنائس والأرشيف البابوي، إلا أنه لم يُقدّر البقاء لأي أراشيف عربية محتوية على مثل هذه الوثائق. ونتيجة لذلك فإن ما تبقى لدينا من البرديات العربية كلها منتشل من الأرض فإما أن يكون عُثِر عليها مصادفة أو عن طريق أعمال التنقيب الأثرية الرسمية. وقد عثر على الكثير منها في تلال القمامة عند مشارف المدن حيث يتخلص السكان من جميع أنواع الفضلات بما في ذلك أوراق البردي مما لم يعد لهم حاجة به منذ أقدم العصور، وقد عثر على برديات أخرى في أطلال المباني القديمة وهذه غالباً ما تكون محفوظة في جرار محكمة الغلق.[٢٣] وقد عثر بعض الفلاحين المصريين في جرّة من هذا النوع على برديتين عربيتين في سقارة عام ١٨٢٤ والتي على أساس منهما وضعت أصول علم البرديات العربية على يد العلامة الفرنسي أنطوان سلفستر دي ساسي الذي قام بنشرهما في ١٨٢٥ و١٨٣١.[٢٤]

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر عثر على أعداد كبيرة من البرديات العربية في مواقع متفرقة من الفيوم وكذلك في مواقع أكثر تطرفاً نحو الجنوب بما في ذلك البهنسا والأشمونين وكوم اشقاو وإخميم والجبلين وإدفو ودندرة وأسوان. أما في مصر السفلى فما عثر عليه كان أقل بكثير. ولا شك أن السبب في ذلك هو نوعية التربة التي لا تسمح بالحفاظ على المواد العضوية، ومع ذلك فقد عثر على عدة آلاف من القطع في طلول الفسطاط.[٢٥]

يتكون أغلب مجموعات البرديات العربية الكبرى من مادة أتت أصلاً من مواقع في مصر العليا. وهذا يسري على المجموعات الموجودة في دار الكتب في القاهرة والمعهد الشرقي في شيكاغو والمتحف الوطني في برلين، والمكتبة الوطنية والجامعية في هامبورج، ومعهد علم البرديات في جامعة هايدلبرج، واللوفر والمكتبة الوطنية في باريس، والمكتبة البريطانية في لندن ومكتبة جون ريلاندز في مانشستر، ومكتبة بودليان ومتحف أشموليان في أكسفورد، والمجموعة السابقة للأرشيدوق رينر في ڤيينا، ومجموعة ويسلي في براغ.[٢٦] وثمة عدد قليل من المجموعات يحتوي على مادة أتى أغلبها من الفسطاط

وتشمل تلك الأخيرة مجموعات البرديات العربية الموجودة في متحف الفن الإسلامي في القاهرة،[٢٧] والمجموعة التي كانت سابقاً في حوزة ج. مايكليدس القاهري قبل أن تؤول إلى مكتبة جامعة كامبردج، ومجموعة الخليلي في لندن.

البرديات المنشورة

وقد ابتدأ نشر قطع هامة من المجموعات التي عثر عليها في مواقع بصعيد مصر عند نهاية القرن الماضي. وكان قد سبق نشر برديتين عربيتين، توجد إحداهما الآن في المتحف الوطني في برلين (P. Berol. 8505) ، والأخرى في مكتبة جامعة ليبزج في سنة ١٨٨٠ بواسطة أ. و. لوت وقتما كانتا لا تزالان في حيازة المؤلف.[٢٨] وكانت تلك أول وثائق بردية عربية تتاح منذ ظهور وثائق سقارة التي نشرها سلفستر دي. ساسي في النصف الأول من القرن ثم أعيد نشرها في عدد من المناسبات.[٢٩] على أنه يجب أن نلاحظ أن بضعة نصوص بروتوكول عربية مكتوبة على البردي (انظر التفاصيل فيما يلي) كانت قد نُشرت قبل ظهور مقالة لوت، ومثال ذلك بروتوكول عربي في بداية لفيفة تحتوي على أمر بابوي من البابا يوحنا الثامن لسنة ٨٧٦م في المكتبة الوطنية في باريس،[٣٠] وثلاثة بروتوكولات عربية في بداية بعض وثائق قبطية من المتحف المصري بالقاهرة.[٣١]

إن الدراسة الوليدة لعلم البرديات العربية قد تأسست تأسيساً جيداً عن طريق سلسلة من الدراسات الفذة لبرديات مختارة ووثائق ورقية من مجموعة إرزهرزوغ رينر قام بها فون كاراباتشيك،[٣٢] كما قدم وصفاً سريعاً لعدد من البرديات العربية يبلغ ٣٦٦ من مجموعة ڤيينا في دليل المعرض المعنون «Führer durch die Ausstellung (PERF 550-916)».[٣٣] قام أ. غروهمان بنشر نصوص البروتوكولات البردية العربية وثنائية اللغة (عربية/يونانية) من مجموعة إرزهرزوغ رينر.[٣٤] وخطط لنشر مجلد لاحق يشمل وثائق إدارية، غير أن طباعته تعذرت بسبب الهبوط الاقتصادي في النمسا. وقد نشر الكثير من هذه الوثائق في نهاية الأمر في سلسلة من المقالات.[٣٥] وتسيطر منشورات غروهمان المتشعبة على حقل دراسات البرديات العربية، وقد دقق مجموعات من الوثائق مأخوذة من مجموعات برديات أخرى، كان أكبرها تلك المشتملة على تحقيقه

لبرديات في المكتبة المصرية[٣٦] والمتحف الوطني في برلين[٣٧] ومجموعة ويلسلي في براغ.[٣٨] وفي كل حالة كان يستخرج من المجموعة وثائق متفرقة صالحة للنشر، (وكانت مجموعة صغيرة من البرديات من برلين قد نشرها في وقت سابق ل. آبل).[٣٩] ومن ضمن الوثائق المتفرقة الأخرى التي نشرت في شكل كتاب بعد استخلاصها من مجموعة مفردة ما نشره أ. ديتريش (هامبورج)[٤٠] و د.س. مارغولويوث (مانشستر)[٤١] وخان (لندن).[٤٢] كما نشر أ. ديتريش، (وفي عهد أحدث و. ديم) كتباً مكرسة لرسائل باللغة العربية على ورق البردي من مجموعات هامبورج[٤٣] وهايدلبرج،[٤٤] كل على حدة.

وفي سنة ١٩٠١ أُكتشف كنز من الرسائل المكتوبة على أوراق البردي كتبها قرّة بن شريك الوالي الأموي بمصر من ٩٠ إلى ٩٦هـ (٧٠٩ إلى ٧١٤م) في قرية في الصعيد تدعى اشقاو على مسافة سبعة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من طما، والتي كانت تعرف سابقاً باسم افروديتو في اللغة اليونانية وبعضها الآخر ثنائي اللغة (بالعربية واليونانية)، وقد ضمّت هذه الرسائل إلى مجموعات برديات مختلفة. وقام س.هـ بكَر[٤٥] بنشر الرسائل العربية وثنائية اللغة المتضمنة في مجموعة هايدلبرج، كما أن بكَر ضم معاً الرسائل العربية المنسوبة لقرة بن شريك منتشلا إياها من مجموعات مختلفة.[٤٦] وقامت ن. أبوت بتحقيق الرسائل العربية التي كتبها ذلك الوالي في المعهد الشرقي بشيكاغو.[٤٧] أما تلك الرسائل الموجودة في دار الكتب المصرية فقد ضُمنت فيما نشره غروهمان من البرديات نقلاً عن تلك المجموعة[٤٨] وقام يرنشتدت بنشر جزء من رسالة لقرة في سان بطرسبرج[٤٩] ومن فترة قريبة نشر راغب رسائل لقرة اكتشفت في السوربون[٥٠] وهذه الرسائل المنسوبة لقرة بن شريك تلقي في مجموعها ضوءاً كبيراً على فترة الإدارة الأموية في مصر والتي تندر حولها الوثائق.

كانت أعمال بكَر المتناولة لبرديات قرة[٥١] أول منشورات تضم معاً برديات من نفس النوع مأخوذة من مجموعات متباينة وقد انتحى غروهمان نفس المنحى في كتابه حول نصوص البروتوكولات. وبالإضافة إلى المادة الموجودة في مجموعة رينر يحوي هذا العمل كل البروتوكولات العربية وثنائية اللغة الموجودة في كل المجموعات الأخرى والمعلومة (أو على الأقل متيسرة المنال لدى المؤلف إبان وضعه لكتابه). وقام يان بدراسة الصيغ في الرسائل العربية ونشر عدداً صغيراً من برديات الرسائل العربية مأخوذة من مجموعات قيينا

وهايدلبرج.[٥٢] أما راغب فقد جمع من مجموعات بردية مختلفة رسائل ووثائق من أرشيف إحدى العائلات التجارية.[٥٣] وقد نشر خوري حديثاً مختارات من البرديات العربية اعتماداً على مادة جمعها غروهمان،[٥٤] وهي تحوي نماذج من أنواع عديدة من الوثائق مأخوذة من مجموعات مختلفة. وقد جُمعت كل البرديات المعروفة المكتوبة في العربية – اليهودية (أي العربية المكتوبة بالأحرف العبرية) من مجموعات مختزلة ونشرت معاً على يد كل من بلاو وهوبكنز.[٥٥]

يركز تحليل وثائق البرديات العربية في أغلب المنشورات السابقة على تفاصيل بيئتها الاجتماعية والاقتصادية والخلفية الخاصة بأسماء الأشخاص والتعرف على أسماء الأماكن والمقارنة مع غيرها من الوثائق الموجودة فيما يتصل ببعض الكلمات والعبارات. وقد قام هوبكنز[٥٦] بدراسة منهجية للنحو العربي في البرديات، كما قام ديم في تحليله للبرديات العربية بالمساهمة في دراسة لكل من النحو العربي في البرديات، كما قام ديم في تحليله للبرديات العربية بالمساهمة في دراسة لكل من النحو وتركيب العبارات، ويحوي كتابه الحديث حول الرسائل العربية من هايدلبرج[٥٧] مناقشات تفصيلية لصيغ العبارات ومقارنة مع الوثائق المنشورة الأخرى كما يحوي الكتاب قائمة بألفاظ الصيغ الرسائلية.

اكتشفت عدة برديات عربية في مواقع خارج مصر إذ يوجد الآن برديتان عربيتان من دمشق في المعهد الشرقي بشيكاغو.[٥٨] كما اكتشف عدد صغير في سامرّاء خلال أعمال التنقيب الألمانية سنة ١٩١١.[٥٩] كذلك عثر على بردية عربية ترجع إلى الفترة ٥٢–٧٠هـ (٦٧٢ – ٦٨٩م) في عوجاء الحفير (نيسانه) على مقربة من بئر شفا بواسطة بعثة هـ. دنشكوم كولت سنة ١٩٣٦–١٩٣٧.[٦٠] كذلك اكتشف عدد كبير من البرديات في خربة المرد بالصحراء اليهودية في الخمسينات من هذا القرن يرجع أغلبها إلى القرنين الأولين للإسلام كما أنها جميعها تقريباً لم يبق منها إلا شذرات.[٦١]

لفائف البردي وصناعتها

تأتي معلوماتنا عن زراعة البردي في الزمن القديم من تقارير الكُتّاب الأقدمين الذين سجلوا أن النبات كان يزرع في مزارع أغلبها يقع في مناطق مستنقعات الدلتا[٦٢] وعلاوة على هذا فإن برديتين يونانيتين تبقيتا من العصر

الرومـاني الأول (إحـداهمـا من سنة ١٣-١٤ق م، الأخـرى من سنة ٥ ق م) تحـتـويان على صكوك إيجـار لمزارع بردي.[٦٣] والمفـتـرض أن هذا النوع من الزراعة في المزارع قد استمر خلال عدة القرون الأولى بعد الفتح العربي لمصر في سنة ٦٤٠م رغم أنه ليس لدينا دليل مباشر على ذلك. كذلك فإننا نعلم من المصادر القديمة أن البردي كان ينمو في منطقة ما بين النهرين على ضفاف الفرات[٦٤] ويبدو أن الأمر استمر على ذلك النحو خلال الفترة العربية المبكرة وكانت نباتات البردي تزرع في صقلية حتى وقت متأخر من العصور الوسطى إلا أنه طبقاً لما ذكره ابن حوقل فإن أغلب البردي الذي كان يزرع هناك كان يستخدم في صنع حبال السفن، وأن الكمية الصغيرة من مادة الكتابة التي كانت تنتج كانت تخصص لاستعمال السلطان وحده.[٦٥]

تذكر المصادر العربية مثل أبي صالح واليعقوبي مصانع عديدة للبردي كانت قائمة في مصر في الفترة الإسلامية الباكرة،[٦٦] كما تذكر مصنعاً في سامرّاء أقامه الخليفة المعتصم في سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م.[٦٧] كذلك ذُكرت مصانع البردي المصرية في البروتوكولات العربية المدرجة في بداية لفائف البردي.[٦٨]

قدم بلينيوس الأرشد[٦٩] وصفاً منهجياً لصناعة البردي في العصور القديمة، إذ يخبرنا بأن الشرائح كانت توضع على لوح مبلل بماء النيل الذي كان يلصق مابين الشرائح بما فيه من طمي.[٧٠] إلا أن التحليل الحديث للبرديات القديمة قد كشف أن ما يمسك الشرائح بعضها ببعض إنما هو المادة الغروية الطبيعية المتضمنة في عصارة ساق نبات البردي والتي تسيل حين تُحطَّم خلايا النبات، ولا يبدو أنه كان لماء النيل أية وظيفة لاصقة على الإطلاق.[٧١] كان البردي يجفف ثم يُنعَّم بأن يدعك بقطعة من العاج أو بصدفة وفي آخر مرحلة من مراحل هذه العملية كانت تستخدم مطرقة خشبية لفرد التجعدات الباقية والحواف وما شبه ذلك من العيوب في مسطَّح الورق.[٧٢]

يرجع الوصف الوحيد لصناعة البردي في المصادر العربية إلى أبي العباس النباتي المتوفى في سنة ٦٣٧هـ (١٢٣٩م)، مما يعني أنه عاش في فترة كانت صناعة البردي قد توقفت منذ زمن طويل.[٧٣] وحسب رواية النباتي كان المصريون في الأزمنة السابقة على عصره يشقُّون ساق البردي نصفين ويقطعون جزءها الأسفل رأسياً إلى شرائح ثم ترص الشرائح جنباً إلى جنب فوق سطح خشبي ناعم ثم يرص فوقها صف آخر من الشرائح في زوايا قائمة.

وعلى العكس من بلينيوس يشير النباتي بوضوح إلى استخدام لزوجة صناعية ويسجل أن طبقتي البردي كانتا تضغطان معاً وتلصقان بمادة لاصقة عن طريق إذابة بذور نبات اللوتس الأزرق في الماء وحين تجف الصفحة كانت تطرق بمطرقة خشبية حتى تزال خشونتها.

كان حجم صفحات البردي يختلف اختلافاً كبيراً إبان الفترة العربية فقد وجد غروهمان أن عرضها كان يتراوح بين ١٢,٧سم و٣٧سم بينما يتراوح الارتفاع بين ٣٠سم و٥٨سم.[٧٤] وكان ثمة تراوحات مشابهة في العرض والارتفاع في برديات العصر القديم.[٧٥]

كانت نوعيات البردي تختلف في الفترة العربية كما في الفترة القديمة وكان لدى الرومان اصطلاحات لوصف النوعيات المختلفة فكانوا يقولون charta emporitica (أي بردي تجاري) لوصف الصحائف الخشنة غير الصالحة للكتابة والتي تستخدم في لف المشتريات بينما كانوا يستخدمون ألفاظاً مثل Augusta وLiviana لوصف الصحائف الشديدة الرقة[٧٦] ويبدو أن ثمة نوعاً من البردي يشبه «الكارتا امبوريتيكا» قد استخدم في العصر العربي، ذلك أن ثمة عدداً من الإشارات في البرديات العربية إلى استخدام صحائف البردي للف المجوهرات والأدوية والأردية وما شابه ذلك.[٧٧] كما كتبت بعض الوثائق العربية على ورق بردي شديد النعومة.[٧٨]

لم يكن منتجو البردي يبيعونه في صحائف منفصلة ولكن كانت الصحائف تلصق معاً بحيث تشكل لفيفة، ولعل أحد الأسباب في ذلك أن ورق البردي يميل إلى التآكل عند الحواف، حيث كانت الحواف الرأسية للصحائف عرضة بصفة خاصة للضرر الناتج عن التناول. أما في حالة اللفائف فلم يكن هذا الضرر وارداً بسبب التخلص من الحواف. كانت الصحائف تتداخل عند الوصلات بمقادير مختلفة تبلغ عادة حوالي ٢سم في كل من العصرين اليوناني والعربي.[٧٩] وكانت الحافة اليمنى لكل صحيفة تغطي الحافة اليسرى للصحيفة التالية وكان يجري تنعيم أي خشونة في الوصلات بحيث لم تكن تسبب أي عائق لأقلام الكتابة وكانت تكاد تكون غير مرئية، وعلى السطح الداخلي مع الاتجاه إلى الداخل تجري ألياف البردي موازية لطول اللفيفة (أي بمحورها الطولي). وكان الغرض من هذا النظام تقليل فرص انفصال الألياف بعضها عن البعض الآخر، أما الألياف الرأسية الخارجية فكانت تثنى بعيداً عن بعضها

البعض عند اللف إذ لو أنها كانت في الداخل لدافعت بعضها البعض وكانت عرضة لأن تقفز منحلة من مواضعها. وزيادة على ذلك فلو كانت الألياف الأفقية جهة الخارج لتعرضت وصلات الصحائف للضغط عند طي اللفيفة ولتعرضت أطراف الألياف للتسلُّخ.

كان الكتبة يكتبون على الوجه الداخلي للفيفة وإذا كان ثمة داع للكتابة على الوجهين فكانت البداية دائماً بالوجه الداخلي، ومن ثم فبالإمكان أن نشير إلى الوجه الداخلي بالركتو recto وإلى الوجه الخارجي بالفرسو verso . وحين كانت تقص قطع من لفيفة لتدوين وثيقة أو رسالة فإن الكاتب كان أيضاً يستخدم الجانب الذي كان أصلاً جزءاً من الوجه الداخلي للفيفة. وفي العصر العربي فإن كل الوثائق تقريباً المتبقية والمدونة على الوجه الداخلي للبردي كانت تكتب بحيث تتوازي عمودياً مع الألياف. والذي يثبت أن الجانب الذي نتحدث عنة هو الجانب الداخلي للفيفة هو أن محل الوصلات في الصحائف المسجلة عليها الوثائق تبدو موازية لخطوط الكتابة. أما ممارسة كتابة الوثائق متقاطعة مع الألياف فنجدها في برديات ما بعد العصر القديم.

كانت الوثائق الطويلة تأخذ شكل «الروتولي rotuli » أي اللفائف التي تفرد رأسياً. أما النصوص الأدبية فعادة ما كانت تكتب على اللفيفة في شكل أعمدة بحيث تجري الخطوط موازية للألياف وعمودية مع وصلات الصحائف وكان هذا النوع من اللفائف يُقرأ أفقياً. وفي العصر البيزنطي تزايد استخدام المخطوطات لتسجيل النصوص الأدبية، وكذلك في العصر العربي فإن أغلب البرديات الباقية والمحتوية على نصوص أدبية عربية هي أوراق من مخطوطات. ولفيفة البردي في هايدلبرج المحتوية على مجموعة أحاديث عبد الله بن لهيعة مكتوبة على هيئة روتولوس rotulus[٨٠] أي لفيفة تفرد رأسياً.

ولعل السبب أن الوثائق كانت تكتب عرضية على الألياف كان الرغبة في الاقتصاد في استخدام البردي. ولو أن الكاتب كتب وثيقة قصيرة مع اتجاه الألياف ثم قطعها من اللفيفة فالأغلب أنه يتسبب في شكل غير منتظم في طرف اللفيفة.[٨١]

في كل من العصرين اليوناني والعربي كانت الصحيفة الأولى من اللفيفة تسبقها صحيفة تمهيدية (protokollon)، والتي كانت عند وصلها تقلب على ظهرها بحيث تكون خطوط الألياف عمودية على السطح الداخلي للفيفة. وفي

عبارة أخرى فإن ألياف الصحيفة التمهيدية كانت تتعامد مع ألياف الصحائف في بقية اللفيفة وكان الغرض من ذلك حماية ألياف الصحيفة الأولى من التآكل.[٨٢]

كان الوجه الداخلي للصحيفة التمهيدية يحمل نصاً يعرف بالبروتوكول، وكان ذلك يكتب باليونانية اتباعاً للتقليد البيزنطي حتى عام ٧٤ أو ٧٥هـ (٦٩٣-٤ أو ٦٩٤-٥م) حين أمر الخليفة عبد الملك أن تكتب البرتوكولات باللغتين اليونانية والعربية فلما جاء عهد الخيفة هشام (الذي حكم من ٧٢٤ إلى ٧٤٣م) صارت النصوص في تلك الصحيفة تكتب بالعربية وحدها. وكانت البروتوكولات العربية تحتوي على البسملة وعدد من الصيغ الدينية يتضمن الآيات القرآنية ٣:١٧٣ و٩:٣٣ و٩:٦١ إلى جانب الصلاة على النبي واسم الخليفة الحاكم في ذلك الوقت، ووالي مصر أو رئيس الخزانة الإقليمية أو كليهما، وأحياناً كانت تحوي أسماء بعض الموظفين شاغلي المناصب الرفيعة إلى جانب اسم المكان الذي أنتج فيه البردي واسم المشرف في مصنع البردي. والظاهر أن صناعة البردي قد احتكرت من قبل الدولة في العصر العربي على نحو ما كانت في مصر السابقة على الإسلام، ومن ثم كان الغرض من نصوص البروتوكولات إثبات أن اللفيفة من إنتاج مصنع بردي مملوك للدولة وبذلك تصان حقوق الاحتكار.[٨٣]

كل نصوص البروتوكولات الموجودة في اللغة العربية مكتوبة بخط سميك؛ ربما بفرشاة. وفي بعض البروتوكولات اللاحقة كانت الأحبار الملونة تستخدم في بعض أجزاء النصوص وأحياناً كانت صحيفة البروتوكول تُنزع من اللفيفة ويعاد استخدام ظهرها من أجل نصوص أخرى.

كانت صحيفة البروتوكول - التي كانت بطبيعة الحال تلف حول لفيفة البردي من الخارج - تصنع عامة من ورق أسمك من ذلك المستخدم في الصحائف الأخرى. وفي بعض الأحيان كانت اللفائف تُغلف بالرق مبالغة في حمايتها أو أنها كانت تحفظ في أوعية من مادة صلبة كالزجاج أو الصلصال. ويخبرنا بلينيوس أنه في العصر الروماني كانت لفائف البردي تتكون من ٢٠ صحيفة.[٨٤] ويبدو أن الأمر كان كذلك أيضاً في العصر العربي وكان البردي يباع إما في لفائف كاملة أو أجزاء تتكون من سدس لفيفة وكانت تلك الأجزاء

تسمى بالعربية «طومار» أخذاً عن الكلمة اليونانية tomarion وكانت أطول أجزاء البردي التي لا تبلغ ٢٠ صحيفة توصف عادة بأنها أجزاء من الطومار.[٨٥] وأحياناً ما كان الجزء الصغير يشار إليه بتعبير «قطعة قرطاس».

كتب أغلب البرديات العربية بقلم من القصب المشقوق وكان هذا له نفس شكل القلموس الروماني calamus والذي اشتق اسمه منه، وفي بعض البرديات تركت القصبة المشقوقة خطاً مزدوجاً في رسومات الأحرف وفي بعض الأحيان يبدو الخط في بعض البرديات غاية في الغلظة مما يدفع إلى الظن بإنه كتب بواسطة أداة أخرى قد تكون عوداً من الدِّيس قُطع قطعاً مائلاً أو فرشاة. وكان الحبر يصنع عادة من السخام ولونه أسود، غير أننا نعثر أحياناً بحبر بني مائل للاحمرار والذي يظن أنه كان يصنع من العَفْصَة الجوزية.[٨٦]

كان البردي مرتفع الثمن نسبياً فكان ثمن اللفيفة يصل إلى الدينار ونصف الدينار في القرن الثالث الهجري وذلك في وقت كان الدينار الواحد يمثل الإيجار السنوي لفدان من الأرض الزراعية أو لدُكّان على سبيل المثال. ولذلك فإن أغلب الناس كانوا حريصين على الاقتصاد في استخدام البردي وكان الوجه الخارجي الأبيض من الصحيفة كثيراً ما يستخدم لكتابة نص آخر وأحياناً لم يكن لذلك النص الثاني أي علاقة بالنص المكتوب على الوجه الداخلي. وفي بعض الأحيان كان الشخص الذي يتلقى رسالة يستخدم الوجه الخارجي الفارغ لكتابة ردّه على الرغم من أن هذا كان سلوكاً ناقص اللياقة. وعلى سبيل المثال فإن الخليفة المعتصم حين تلقى رسالة من الإمبراطور البيزنطي فإنه كتب رده على ظهرها تعبيراً واضحاً عن احتقاره للإمبراطور وكان أولئك الذين يكتبون ردودهم على الوجه الخارجي للرسالة الأصلية يحسّون بضرورة الاعتذار عن ذلك، وكانوا يلجأون إلى الصيغة التالية في اعتذارهم: «اعذرني في القرطاس».

قدمت في هذا البحث عرضاً موجزاً لتطور علم البرديات العربية إلى جانب وصف لجوانب مختلفة للبرديات العربية من حيث كونها مخطوطات. ولم أشر إلا إشارة عابرة إلى أهمية البرديات في دراسة الكتابة العربية ولغتها وتاريخها. ولا يزال علم البرديات العربية في أغلب جوانبة في مرحلة باكرة نسبياً من تطوره ولا شك أن إمكاناته لم تتحقق بقدر ما حدث في علم البرديات اليونانية على سبيل المثال. ولا تزال آلاف البرديات العربية المحفوظة في

مجموعات مختلفة – لا تزال غير منشورة والحاجة بيِّنة إلى نشر هذه النصوص في طبعات محققة حتى تحظى بما تستحقه من التفات الدارسين.

الحواشي

(١) S. Fraenkel, *Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen* (Leiden, 1886), 245. في سياق استعمال البردي كمادة للكتابة، عرف النبات باسم «ورق البردي» أو «ورق القصب»؛ راجع: R. Sellheim, s.v. "Kirṭās", *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed (Leiden and London, 1960-), V 173

(٢) A.Grohmann, *From the World of Arabic Papyri* (Cairo, 1952), 1

(٣) N. Lewis, *Papyrus in Classical Antiquity* (Oxford, 1974), 57-61.

(٤) *The Cambridge Ancient History*, ed. I. A. S. Edwards, C. J. Gadd and N. G. L. Hammond, 3rd ed, I/2 (Cambridge, 1971), 7

(٥) C. H. Roberts and T. C. Skeat, *The Birth of the Codex* (Oxford, 1987),10.

(٦) Lewis, *Papyrus in Classical Antiquity*.

(٧) ابن خلدون، «كتاب العبر» (بولاق، ١٢٨٤ هـ[١٨٦٧م])، ١/٣٥٢؛ المقريزي، «كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (بولاق، ١٢٧٠ [١٨٥٣ م])، ١/ ٩١؛ القلقشندي، «صبح الأعشا» (بولاق، ١٩٠٣)، ١/٥٧٨ ؛ نفس المصدر (القاهرة، ١٣٣١-١٣٣٨هـ/١٩١٣-١٩١٨)، ٢/٤٧٥.

(٨) الثعالبي، «لطائف المعارف» (ليدن، ١٨٦٧)، ٩٧؛ راجع: السيوطي، «حسن المحاضرة» (بولاق، ١٢٩٩ [١٨٨٢م])، ٢/٢٣٨. ومع ذلك، نلفت النظر إلى وثيقة ضمن مقتنيات ناصر الخليلي، مكتوبة على البردي، تأتي من شمال بلاد ما بين النهرين، ويمكن تأريخها في حوالي العام ٢٤٠هـ/٨٥٤-٨٥٥م. انظر: G. Khan, *Arabic Papyri. Selected Material from the Khalili Collection*, Studies in the Khalili Collection, I [London and Oxford,1992], no. 6.

(٩) J. von Karabacek, "Das arabische Papier. Eine historisch-antiquarische Untersuchung", *Mittheilungen aus der Papyrus Erzherzog Rainer. Führdurch* Karabacek et al. (Vienna, 1894), 245.

(١٠) ابن حوقل، «كتاب المسالك والممالك» تحقيق M. J. de Goeje (ليدن، ١٨٧٣)، ٨٦.

(١١) المقدسي، «كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» تحقيق M. J. de Goeje (ليدن، ١٨٧٧) ص ٣٢ وما بعدها، ١٩٣ وما بعدها، ٢٠٢ وما بعدها.

(١٢) al-Mas'ūdī, *Kitāb al-Tanbīh wa-l-ishrāf*, Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale, VII (Paris, 1810), 146

(١٣) Karabacek, "Das arabische Papier",100-1.

(١٤) ابن البيطار، «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» (بولاق، ١٢٩١ [١٨٧٥])، ٨٦- ٨٧.

(١٥) S. D. Goitein, *A Mediterranean Society*, I (Berkeley and Los Angeles 1967), 112.

(١٦) ابن حوقل، «كتاب المسالك والممالك»، ٨٦.

(١٧) Khan, *Arabic Papyri*, no. 6, كتب في دير نسطوري ببلاد ما بين النهرين في حوالي ٢٤٠هـ/ ٨٥٤-٨٥٥م.

(١٨) Grohmann, *From the World of Arabic Papyri*, 2.

(١٩) انظر: S. A. Hopkins, *Studies in the Grammar of Early Arabic Based upon Papyri Datable to Before 300 AH/912 AD* (Oxford, 1984), xli, n. 3.

(٢٠) انظر: N. Abbott, "A Ninth-century Fragment of the Thousand Nights. New Light on the Early History of the Arabian Nights", *Journal of Near Eastern Studies*, VIII (1949), 129-64; idem, *Studies in Arabic Literary Papyri*, I-III (Chicago, 1957-72).

(٢١) انظر: R. G. Khoury, *Wahb ibn Munabbih* (Wiesbaden, 1972), J. David-Weill, *Le Djāmi' d'Ibn Wahb* (Cairo, 1939-48); R. G. Khoury, *'Abdallāh ibn Lahī'a (97-174/115–790). Juge et grand maître de l'école égyptienne* (Wiesbaden, 1986).

(٢٢) H. Bresslau, *Handbuch der Urkundenlehre für Deutschland und Italien* (Leipzig, 1931), 479-92. نشرت الكثير من الوثائق البردية الموجودة بالأرشيفات (أو المكتبات) الأوربية، في سلسلة مطبوعات من إصدار A. Bruckner and R. Marichal, *Chartae Latinae Antiquiores. Fascimile Edition of the Latin Charters Prior to the Ninth Century* (Olten and Lausanne, 1954-).

(٢٣) Grohmann, *From the World of Arabic Papyri*, 8.

(٢٤) A. Silvestre de Sacy, "Mémoire sur quelques papyrus écrits en arabe et récemment découverts en Egypte", *Journal des Savans* (1825), 462–73; idem, "Mémoire sur quelques papyrus écrits en arabe et récemment trouvés en Egypte", *Histoire et Mémoires de l'Institut Royal de France, Académie des Inscriptions et Belle-lettres*, IX (1931), *Mémoires*, 66-85. هذه البرديات موجودة الآن بالمكتبة الوطنية، باريس (مخطوطات عربية ٤٦٣٣-٤٦٣٤).

(٢٥) انظر المزيد من التفاصيل في: Grohmann, *From the World of Arabic Papyri*, 11, 214-7; idem, *Einführung und Chrestomathie zur arabischen Papyruskunde*, I, *Einführung* (Prague, 1954), 7-35.

(٢٦) Grohmann, *Einführung und Chrestomathie*, 36-62.

(٢٧) نفس المرجع، ٢٧.

(٢٨) O. Loth, "Zwei arabische Papyrus", *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft,* XXXIV (1880), 685-91

(٢٩) أعيد نشر وثائق سقارة في: J. B. Silvestre, *Paléographie universelle*, I, Peuples orientaux (Paris, 1839), 190-2, pl. 1; idem, *Universal Palaeography* (tr. into English with corrections and notes by F. Madden, London, 1850), 84ff, pl. xxix; W. Wright (ed), *The Palaeographical Society. Facsimiles. Manuscripts and (Oriental Series)* (London, 1875-83), pl. 5.

(٣٠) M. Champollion-Figeac, *Chartes latines sur papyrus, du VIe siècle de l'ère chrétienne, appartenant à la Bibliothèque Royale* (Paris, 1835), pl.1.

(٣١) F. Lenormant, *Essai sur la propogation de l'alphabet phénicien dans l'ancien monde* (Paris, 1872), pls. 19-21; E. Revillout, *Mélanges d'épigraphie et de linguistique égyptienne*, Mélanges d'Archéologie Égyptienne et Assyrienne, II (Paris, 1875), pl. 1ff, 194; idem, *Actes et Contracts des Musées égyptiens de Boulaq et du Louvre, I, Etudes du* Egyptologiques, V(Paris, 1876), 1, 90, 94.

J. von Karabacek: "Der Papyrusfund von El-Faijûm", (٣٢)
Denkschriften der kaiserlichen Akademie der Wissenschaften: philosophisch-historische Classe [Vienna], XXXIII (1883), Erste Abtheilung 207-42; "Eine merkwürdige arabische Namensunterschrift", *Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer*, I (Vienna, 1886), 126; "Das arabische Papier" [see n. 9 above], 87-178; "Neue Quellen zur Papiergeschichte", *Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer*, IV (Vienna, 1888), 75-122; "Die Involutio im arabischen Schriftwesen", *Sitzungsberichte der kaiserlichen Akademie der Wissenschaften: philosophisch-historische Classe* [Vienna], CXXXV, (1896), Abhandlung no. 5, 1-26.

Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung, ed. Karabacek (٣٣)
أعد كارلباتشيك طبعة كاملة من ٣٥٠ وثيقة، كان المفروض أن *et al.* (Vienna, 1894), 137-243.
تظهر ضمن سلسلة Corpus Papyrorum Raineri إلا أن هذا السلسلة لم تكتمل. (أنظر:
Grohmann, *Einführung und Chrestomathie*, 57).

A. Grohmannn, *Protokolle*, Corpus Papyrorum Raineri (٣٤)
Archiducis Austriae, III, Series Arabica, I/2 (Vienna, 1924).

Grohmann: "Aperçu de papyrologie arabe", *Études de Papyrologie*, (٣٥)
I (1932), 23-95; "Ein Qorra-Brief vom Jahre 90 d.H", *Aus fünf Jahrtausenden morgenländischer Kultur. Festschrift Max Freiherrn von Oppenheim zum 70. Geburtstage* (Berlin,1933), 37-40; "Eine arabischer Grundsteuerquittung vom Jahre 297 d.H. (909/10 n. Chr.) aus dem Amtsbereich eines 'Abbasidenprinzen", *Mémoires publiées par les membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire*, LXVIII (1935-40) (*Mélanges Maspéro*, III), 9-13; "Texte zur Wirtschaftsgeschichte Ägyptens in arabischer Zeit", *Archiv Orientální*, VII (1935), 437-72; "Ein arabischer Steuerpapyrus aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer", *Zeitschrift für die neutestamentliche Wissenschaft und die Kunde der älteren Kirche*, XXXVII (1938), 52-3; "Einige bemerkenswerte Urkunden aus der Sammlung

der Papyrus Erzherzog Rainer an der Nationalbibliothek zu Wien", *Archiv Orientální*, XVII/3 (1950), 80-119.

Grohmann, *Arabic Papyri in the Egyptian Library* (6 vols Cairo, (٣٦)
1935-62).

Grohmann, "Arabische Papyri aus den Staatlichen Museen zu Berlin", (٣٧)
Der Islam, XXII (1935), 1-68.

Grohmann, "Arabische Papyri aus der Sammlung Carl (٣٨)
Wessely im orientalischen Institut (Orientální Ustav)zu Prag", *Archiv Orientální* X (1938), 149-62 (nos 1-8); XI (1939), 242-89 (nos9-28)
(XII (1941), 1-112 (nos 29-49) ; XIV (1943)161-260 (nos 50-96).

L. Abel (ed), *Aegyptische Urkunden aus den königlichen* (٣٩)
Museen zu Berlin. Arabische Urkunden (2 parts, Berlin, 1896-1900).

A. Dietrich, *Arabische Papyri aus der Hamburger Staats–und* (٤٠)
Universtitäts-Bibliothek, Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes, XXII/3 (Leipzig, 1937).

D. S. Margoliouth, *Catalogue of Arabic Papyri in the John* (٤١)
Rylands Library, Manchester (Manchester, 1933).

G. Khan, *Arabic Papyri* :[انظر الهامش (٨) أعلاه] (٤٢)
Bills, Letters and Deeds. Arabic Papyri of the 7th to 11th Centuries, :نفس المؤلف
The Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art, VI (London and Oxford, 1993).

A. Dietrich, *Arabische Briefe aus der Papyrussamlung* (٤٣)
Hamburger Staats- und Universtitäts-Bibliothek,
Veröffentlichungen aus der Hamburger Staats- und Universitäts-Bibliothek, V (Hamburg, 1955).

W. Diem, *Arabische Briefe auf Papyrus und Papier aus der* (٤٤)
Heidelberger papyrus-Sammlung (Wiesbaden, 1991).

C. H. Becker: *Papyri Schott-Reinhardt*, I, Veröffentlichungen aus der (٤٥) Heidelberg, 1906); "Arabische Papyri des Aphroditofundes", *Zeitschrift für Assyrologie und verwandte Gebiete*, XX (1907), 68-104; "Neue arabische Papyri des Aphroditofundes", *Der Islam*, II (1911), 245-68.

N. Abbott, *The Kurrah Papyri from Aphrodito in* (٤٦) *the Oriental Institute* (Chicago, 1938).

Grohmann, *Arabic Papyri in the Egyptian Library*, 146-163. (٤٧)

P. Jernstedt, "Die Kome-Aphrodito Papyri der Sammlung (٤٨) Lichaïov", in G. Zereteli, (ed.), *Papyri Russicher und Georgischer Sammlungen*, IV (Tiflis, 1927), 92-3.

Y. Rāghib, "Lettres nouvelles de Qurra b. Sharīk", *Journal* (٤٩) *of Near Eastern Studies*, XL (1981), 173-87.

Becker, *Papyri Schott-Reinhardt.* (٥٠)

Grohmann, *Protokolle.* (٥١)

K. Jahn, "Vom frühislamischen Briefwesen. Studien zur (٥٢) islamischen Epistolographie der ersten drei Jahrhunderte der Hiğra auf Grund der arabischen Papyri", *Archiv Orientální*, IX (1937), 153-200.

Y. Rāghib, *Marchands d'étoffe du Fayyoum au III^e/IX^e* (٥٣) *siècle, d'après leurs archives (actes et lettres)*, I-II, Suppléments aux Annales Islamologiques, II, V (Cairo, 1982-5).

R. G. Khoury, *Chrestomathie de papyrologie arabe,* (٥٤) *préparée par Adolf Grohmann; retravaillée et élargie par Raif Georges Khoury* (Leiden, New York and Cologne, 1993).

J. Blau and S. Hopkins, "Judaeo-Arabic Papyri - Collected (٥٥) Edited, Translated and Analysed", *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, IX (1987), 87-160.

Hopkins, *Studies in the Grammar of Early Arabic* (٥٦) [انظر الهامش (١٩) أعلاه].

Diem, *Arabische Briefe.* (٥٧)

N. Abbot, "Arabic Papyri of the Reign of Ğa'far al-Mutawakkil (٥٨) 'alā-allāh(AH 232-47/AD 847-61)",*Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, XCII (1938), 88-135.

E. Herzfeld, *Erster vorläufiger Bericht über die* (٥٩) *Ausgragungen von Samarra* (Berlin, 1912), pl. xxxvi b.

C. J. Kraemer, "The Colt Papyri from Palestine", *Actes du* (٦٠) *v^e congrès international de papyrologie* (Brussels, 1938), 238-44; idem, *Excavations at Nessana*, III (Princeton, 1958).

(٦١) نشر جروهمان بعض المختارات، *Arabic Papyri from Khirbet el-Mird* – (Louvain, 1963) للبرديات الأدبية انظر مطبوعات Abbott وKhoury المذكورة أعلاه.

Theophrastus, *Historia Plantarum*, ed. F. Wimmer (Leipzig, 1854), IV (٦٢) xviii. 3; Strabo, *Geographica*, ed. G. Kramer (Berlin, 1852), XVII. i. 15; Pliny, *Naturalis Historia*, ed. C. Mayhoff (Leipzig, 1875), XIII. xxii. 71.

Aegyptische Urkunden aus den königlichen Museen zu (٦٣) *Berlin. Griechische Urkunden*, IV (Berlin, 1904-12), nos. 1121, 1180

(٦٤) يبدو أن السلوقيين هم الذين أدخلوا البردي إلى بلاد ما بين النهرين في القرن الثالث قبل الميلاد، وهذا بسبب التقطع في استيراده من مصر البطلمية. انظر Lewis, *Papyrus in Classical Antiquity*,11, Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxii. 73.

(٦٥) ابن حوقل، «كتاب المسالك والممالك»، ٨٦.

Abū Ṣāliḥ, *The Churches and Monasteries of Egypt and Some* (٦٦) *Neighbouring Countries Attributed to Abu Salih, the Armenian,* ed. and tr. B. T. A. Evetts (Oxford, 1895), 66;

اليعقوبي، «كتاب البلدان» تحقيق M. J. de Goeje (ليدن، ١٨٩٢)، ١٢٦، ١٢٧.

(٦٧) اليعقوبي، «كتاب البلدان»، ٣٩؛ نفس المؤلف، «تاريخ» تحقيق M. T. Houtsma (ليدن، ١٨٨٣)، ٢/ ٥٧٧.

(٦٨) Grohmann, *Protokolle*, nos. 116, 140, 162, 204.

(٦٩) Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxiii. 74 - xxvi. 82.

(٧٠) نفس المرجع: XIII. xxiii. 77.

(٧١) Lewis, *Papyrus in Classical Antiquity*, 47-9.

(٧٢) Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxv. 81.

(٧٣) ضمن ابن البيطار (وهو أحد تلامذة النباتي) هذا الوصف في كتابه «الجامع»(الجزء الأول، الصفحة ٨٧).

(٧٤) Grohmann, *Allgemeine Einführung in die a rabischeu Papyri, nebst Grundzügen der arabischen Diplomatik*, Corpus Papyrorum Raineri Archiducis Austriae, III, Series Arabica, I/1 (Vienna, 1924), 40-1.

(٧٥) Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxiv. 78; Lewis, *Papyrus in Classical Antiquity*, 56.

(٧٦) انظر: Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxiii. 74, 76. يورد Isidore of Seville أسماء مختلفة للبردي بدرجاته، (*Origines*, ed. W. M. Lindsay [Oxford, 1911], VI, 10) هي: *Emporetica, Augustea and Libyana*

(٧٧) Khan, *Arabic Papyri*, 149.

(٧٨) Khan, *Arabic Papyri*, nos. 1 and 2.

(٧٩) Grohmann, *Allgemeine Einführung*, 42.

(٨٠) انظر المراجع المذكورة في الهامش ٢١ أعلاه.

(٨١) لمزيد من التفاصيل حول الملفوفات البردية، أنظر: E. G. Turner, "The Terms Recto and Verso. The Anatomy of the Papyrus Roll", *Actes du XVe Congrès International de Papyrologie*, première partie (Brussels,1978),15-53

(٨٢) نفس المرجع، ٢١.

(٨٣) Grohmann, *From the World of Arabic Papyri*, 39–42

(٨٤) Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxiii. 77.

(٨٥) Grohmann, *From the World of Arabic Papyri*, 43–4

(٨٦) نفس المرجع، ٦٢– ٦٨.

خصائص تجليد المخطوطات في العصر المملوكي

سهام محمد المهدي

كانت مصر رائدة فن التجليد منذ القرن الرابع الميلادي حيث نقلت عنها المراكز الحضارية المجاوره عبر العصور. واشتهرت مصر بنشاطها الواسع في تصنيع وتصدير كميات من الجلد. كما اشتهرت مراكز كثيرة في الجزيرة العربية مثل صنعاء وصعدة وزبيد ونجران في الجنوب ومثل الطائف في الحجاز التي اشتهرت بجلودها من نوع الرق. وقد مدح أبو القاسم حسين بن محمد الأصفهاني (٥٠٢هـ/١١٠٨م) كتابا رآه في الطائف من الرق كتب بالخط الكوفي ومغلف بلوحين من الخشب.[١]

كما ذكر المجلد والجغرافي المقدسي (كتب في ٣٧٥هـ/٩٨٥-٩٨٦م) أنه تعلم صناعة التجليد في جنوب الجزيرة في إحدى رحلاته الطويلة، وكان يتخذ لقب ورّاق ومجلّد ضمن ألقابه العديدة ويجلد المصاحف بالأجر، بل إن حارة الحسينية في القاهرة تنسب إلى جماعة من الأشراف الحسينيين قدموا من الحجاز في أيام الملك الكامل (٦١٥-٦٣٤هـ/١٢١٨-١٢٣٦م) ويقال إنهم نزلوا خارج باب النصر بالقاهرة وبنوا مدابغ صنعوا بها الأديم المشبه بالطائفي.[٢]

وحفلت المصادر المختلفة بذكر الكثير من المخطوطات المزوقة ذات الأغلفة الفاخرة، وخاصة المصاحف التي حرص المسلمون على وضعها في أغلفة تناسب قيمة محتواها في نفوسهم فضلا عن كتب الحديث والتفسير والفقه والعلوم المختلفة.

ولفن التجليد في العصر المملوكي مكانة خاصة حيث وصلتنا أمثلة عديدة لهذا الفن، حفلت بها المكتبات الخاصة والعامة في أوروبا والعالم الإسلامي. ويمكن من خلال هذه الأمثلة متابعة تطور فن التجليد وازدهاره ودراسة أساليب الصناعة والزخارف المختلفة، وهو ما لم يتوفر للباحثين في العصور الإسلامية قبل ذلك العصر، لأسباب عديدة منها ما أصاب المكتبات الشهيرة من تخريب على أيدي الغزاة، وما أفرزته الخلافات المذهبية. ونذكر، على سبيل المثال، ما حدث للمكتبة الفاطمية في مصر، والتي أفاض المقريزي في وصف ما كان بها من آلاف الكتب المجلدة، التي صارت تلالا تعرف بتلال الكتب، أخذ العبيد جلودها فصنعوا منها أحذية لهم.[٣]

وهناك عدة عوامل أثرت بطريقة مباشرة في ازدهار فن التجليد في هذا العصر، أهمها النشاط الثقافي والديني، الذي كان من أبرز مظاهره كثرة الإنشاءات الدينية والخيرية، كالمدارس والخانقاوات والمساجد، التي لعبت دورا مزدوجا، ففضلاً عن وظيفتها الدينية لإقامة الصلوات، كان لها الدور الأكبر في تدريس علوم الشريعة والحديث والفقه والتفسير على المذاهب الأربعة، بل قام بعضها بتدريس علوم أخرى، كالطب والكيمياء، وقد صاحب تلك الإنشاءات تزويدها بالكتب التي تضاعفت أعدادها لكثرة ما أوقف منها. واشتغل الطلبة والصوفية بنسخ الكتب، وتجليدها.

ولم يقتصر وجود المكتبة على منشآت السلاطين والأمراء المماليك، بل وجدت خزانات خاصة كثيرة، منها الخزانة السلطانية بقلعة الجبل، والخزانات الأميرية لدى الأمراء، وكذلك العلماء والأدباء، الذين تباروا في جمع المخطوطات النادرة والمصاحف الثمينة وقد وصلنا كثير من المخطوطات والمصاحف، التي جمعت من تلك المنشآت، وتفخر دار الكتب المصرية باقتنائها مجموعة رائعة من الكتب الدينية والمصاحف والربعات، التي بقي بعضها محتفظا بأغلفته الأصلية، وقد سبق لي دراسة أكثر من سبعين مثالا منها.[٤]

ولدراسة فن التجليد وخصائصه في العصر المملوكي يمكن التركيز على عناصر محددة مثل شكل المخطوط، وطريقة صناعته، والمواد المستخدمة في هذه الصناعة وطرق زخرفته، وأساليبها المختلفة، وأخيراً تسليط الضوء على بعض الأمثلة التي توضح تطور هذا الفن وازدهاره. وقد اعتمدت في الدراسة السابق ذكرها على دراسة عملية لمجموعة دار الكتب المصرية من مخطوطات العصرين الأيوبي والمملوكي.

ولا يتسع المجال هنا لتناول طريقة صناعة المخطوط بالتفصيل الدقيق، ولكن مجمل القول أنه اتبعت في صناعته طرق حافظت على شكله حتى الآن، رغم مرور عدة قرون، وهو ما لم يتوفر للكتاب في العصر الحديث.

وقد اتخذ الكتاب المخطوط، وخاصة المصحف، شكلا موحدا بدأ في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وهو الشكل الأفقي (أي الذي يزيد الارتفاع فيه عن العرض) أو ما يسمى بالمصحف العمودي، أو الفورمه الفرنسية، ويتصل به لسان خماسي الأضلاع تصل مساحته إلى ثلث حجم الكتاب، ويكون الاتصال بواسطة ما يطلق عليه «قنطرة اللسان» وهو تطور شكل اللسان في الكتب المبكرة، التي كانت تتصل بالغلاف من جهاته الثلاث. وتم الاستغناء عن الأحزمة ذات العراوي والأقفال التي تربط الكتاب. كما يتكون الغلاف من الجلدة الخارجية، والبطانة الداخلية، وبينهما دفوف من الورق المستعمل المضغوط. أما الكتاب فيتكون من ملازم مخزومة معا بطريقة تجعل الخيوط تبدو كالسلسلة أو الجديلة في خلفية الملازم، مع تقفية كعب الكتاب، أي تدويره حتى لا ينصرم إلى الأمام فيما بعد. وتتصل الملازم بالغلاف الجلد بواسطة الدفوف. وتترك صفحات خالية من الملازم في أول الكتاب ونهايته لتثبيت أطراف البطانة بها من الجهتين، ثم يشبك الجميع في كعب قماش في رأس وذيل الكتاب، منسوجا في طرفيه بخيوط ملونة. وكان الغلاف الخارجي للكتاب من الجلد البني بدرجاته، من قطعة واحدة مع الكعب واللسان، أما البطانة فمن الجلد المبشور أو الخفيف، وقد تكون من القماش الحرير الأزرق أو الأخضر بدرجاته. واستخدم النشا والكثيراء في لصق الجلد والكعب في خلفيات الملازم. ونفذت الزخارف بطرق عديدة، منها الطرق القديمة مثل الدلك أو التمحيط والتثقيب والتخريم. وطرق متطورة مثل القطع أو التفريغ على أرضية من الحرير الأزرق أو الأخضر، والضغط بالأختام أو القوالب الساخنة،

وقد لعب هذا الأخير دورا رئيسيا. كما صاحب التذهيب معظم الزخارف خاصة المفرعة منها فضلاً عن استخدامه مضغوطاً على بعض الأغلفة.

واستخدمت طرق كثيرة في التذهيب، منها الضغط بالذهب المصهور، أو الضغط بصفائح الذهب تحت القوالب الساخنة المنقوشة، وكذلك وضع تلك الصفائح على الزخارف المضغوطة وإعادة الضغط عليها. وفي أواخر القرن الخامس عشر استخدم التذهيب بالفرشاة.

ونالت بطانة المخطوط حقها في الزخرفة، فكان يتم زخرفتها قبل قصها بقدر الكتاب. واستخدم في زخرفتها قوالب خاصة البروز بعد تسخينها، ويبدو أنها كانت قوالب كبيرة الحجم، تتسع لضغط زخارف من وحدات وعناصر زخرفية كبيرة، بعكس الغلاف الخارجي الذي كان يتم تقسيمه إلى متن وأركان وإطار ولسان، وكل منها يحتاج إلى نوع خاص من القوالب لاستخدام وحدات زخرفية متكررة ومتتابعة. وفي زخرفة اللسان أيضا روعي نقش نفس الوحدات في المتن والإطار. وفي أحيان أخرى اختلفت زخرفة اللسان عن زخارف المتن. وبملاحظة دقة الرسوم والعناصر الزخرفية، وضبط قياسها على صفحة الجلدة، يتضح لنا أنها صممت بخيال دارس، وعارف بأصول الرسم والهندسة، ثم نفذها النقاشون على القوالب، ثم استخدمها المجلد. ويرجع إلى ذلك تكرار النماذج الزخرفية على تحف مختلفة المواد، كالأحجار والأخشاب والمعادن والنسيج. ومن المعروف أن زخارف المنسوجات والوزرات الرخامية والمحاريب كان يصمم لها الرسوم مثل هؤلاء الرسامين والمهندسين.[٥] ومن جهة أخرى كان من بين المجلدين من جمع بين حرفة التجليد وبين الزخرفة. وقد وصلتنا أسماء بعض فناني التجليد، في العصر المملوكي، من العلماء الذين جمعوا بين العلم وفنون التجليد والوراقة وأحيانا التذهيب، منهم يوسف بن علي عبد الواحد المكناسي (ولد عام ٧٠١هـ/١٢٠٦م) الذي جمع بين المشيخة والتجليد والخط،[٦] ومحمد بن أحمد بن عبد الله الشمس (ولد عام ٧٥٧ هـ/١٣٥٦م) الذي تميز في صناعة التجليد والتذهيب والكتابة وعمل المزهرات وقص الورق وقام برسم برقع الكعبة والمقام من سنة ٧٨٥-٨٦٠هـ،[٧] وهناك ابن المصري مرشد بن محمد بن محمد الزين، من مجلدي القرن التاسع الهجري، الذي كان كثير التنقل للاسترزاق، وقد نشر أخيرا غلاف نسب إلى مصر في القرن الرابع عشر عليه توقيع «عمل ابن المصري».[٨] كما وصلتنا توقيعات جديدة لمجلدين لم يستدل على سيرهم الذاتية، ولكن يمكن دراسة أساليبهم الفنية، من خلال ما قاموا

بتجليده من مخطوطات، ومن هؤلاء إسماعيل ويسن بن يحيى وأمين أو أميني، ومحمد الشريف والحسن.

وكما أبدع فنان العصر المملوكي في صنعة التجليد، فقد أبدع في زخرفة الجلدة بمختلف الوحدات والعناصر الزخرفية. وقد اتخذت زخارف التجليد في هذا العصر صوراً مختلفة ومتنوعة التفاصيل، ولكنها لم تتجاوز في مضمونها الأشكال والتكوينات الهندسية والعناصر النباتية التي تتوسط المتن، فلم يستخدم الفنان صوراً آدمية أو حيوانية، بعكس ما نراه في أغلفة المخطوطات الإيرانية. وكان للكتابات نصيب ولكن في نطاق ضيق. وعني بزخارف أغلفة المصحف وأجزائه، على حين كانت أغلفة الكتب المخطوطة بسيطة الزخارف. ومما يلفت النظر تكرار الزخارف ذاتهاعلى أغلفة من عصورمتتابعة، مما يرجح أنها إما نفذت بنماذج من القوالب الجاهزة التي استخدمت لسنوات عديدة، وإما أن الفنان استمر في العمل لمدة طويلة بحيث تتابع عمله لدى أكثر من سلطان أو صاحب منشأة.

وشملت العناية بزخرفة الغلاف كل تقسيماته: المتن والإطار والأركان واللسان وباطن الغلاف. وتنقسم زخرفة المتن إلى طرازين، أهمهما المناطق الهندسية المختلفة الأشكال، منها الدائرية واللوزية من المربعات أو المثلثات المتداخلة، وقد يقسم داخلها بالتالي إلى تكوينات تفصيلية أخرى من الأطباق النجمية، أو الأشكال الأخرى من التقسيمات الهندسية كاللوزات والسروات والمخموسات والسداسيات..الخ. وأحيطت تلك المناطق، والدائرية منها بصفة خاصة، بفصوص نصف دائرية أو ميمات متتابعة أو خطوط إشعاعية، وملئت كل تلك التقسيمات بأنواع من الجديلات والخطوط السلسلية والوريدات والدوامات والخطوط المعكوفة. وقد عرفت المناطق الهندسية في فن التجليد منذ ما قبل العصر المملوكي، وهناك نماذج منها على أغلفة المخطوطات الأيوبية بدار الكتب المصرية، إلا أنها تطورت تطورا كبيرا على أغلفة المخطوطات المملوكية، فتنوعت أشكالها وتفاصيلها، واستخدم التذهيب في تحديدها.

أما الطراز الثاني من زخرفة المتن فهو التكوينات الهندسية وأشهرها الأطباق النجمية التي يتناثر حولها أطباق أصغر منها، أو وحدات من أشكال هندسية مختلفة الأشكال بحيث تغطي كامل مساحة المتن. وينقسم الطبق

النجمي إلى ترس مركزي يقوم حول سروات (لوزات) مضلعة، يتداخل معها عدد من الأشكال الخماسية الأضلاع، يطلق عليها اسم كندة أو بكشة، وتنتظم في ترتيب إشعاعي، فتقع أطرافها على محيط دائرة حقيقية. وتم ابتكار عناصر كثيرة لملء أسطح تلك المناطق الهندسية، كالنقط الذهبية والمشعة، والوريدات والدوامات، والعناصر السلسلية والقلبية والمجدولة والمعكوفة، فضلا عن التلاعب بالخطوط والدوائرة لعمل أشكال زخرفية متنوعة. وزخرفت إطارات الأغلفة بأشرطة كاملة، قد تكون منفردة أو مزدوجة، من تلك العناصر (انظر أشكال زخرفية رقم ١-١٦).

أما لسان الغلاف، فقد زخرف غالبا بأجزاء من الوحدات الهندسية المزخرفة للمتن، وفي أمثلة قليلة زخرف اللسان بعناصر نباتية مورقة (شكل ١٧).

وقد حدث تطور كبير في الاتجاه إلى زخرفة باطن الغلاف بتكوينات من الرقش العربي، والعناصر النباتية المستوحاة من الطبيعة مثل زهرات اللوتس المصرية (البشنين) والآسيوية (النيلوفر) فضلا عن الزهرات الصينية الأخرى، كالمرجريت وعباد الشمس (شكل رقم ١٨-٢٣).

وفي أواخر العصر المملوكي، استخدم فن تفريغ الزخارف المضغوطة بالتذهيب على شكل أوراق وتفريعات نباتية، داخل منطقة أو جامة بيضاوية، وعلى أرضية من الحرير الملون. وأقدم ما وصلنا من أغلفة العصر المملوكي غلاف كتاب «شرح الحصيري» للجامع الكبير، المؤرخ عام ٦٦٣هـ،[٩] زخرف متنه بطبق نجمي من عشرة أضلاع، يتوسطه ترس كالوريدة، وحوله وحدات هندسية كالكندة والتاسومة والنرجسة وبيت الغراب. وبداخل كل منها عنصر الدوامة أو نقط ذهبية، ويزخرف الإطار خطوط منكسرة ومعلقة، تكون أشكالا هندسية في أوضاع معكوسة، وكلها محبوسة بالتذهيب.

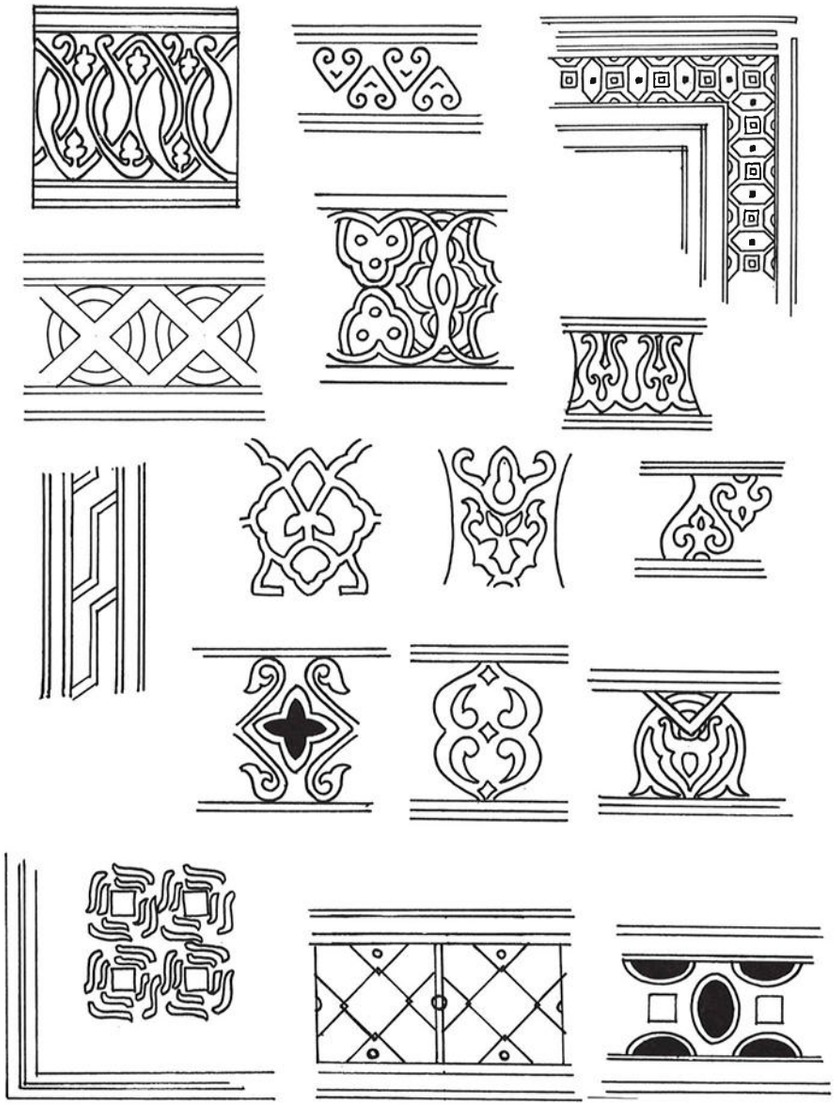

أشكال زخرفية (١-١٦)

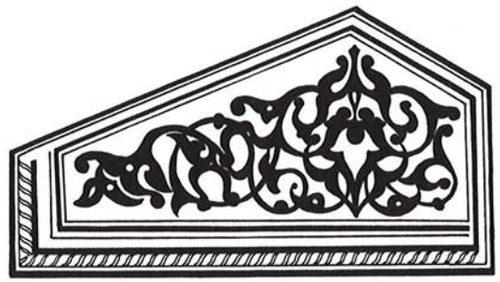

شكل (١٧) لسان للغلاف مزخرف بنباتات مورقة

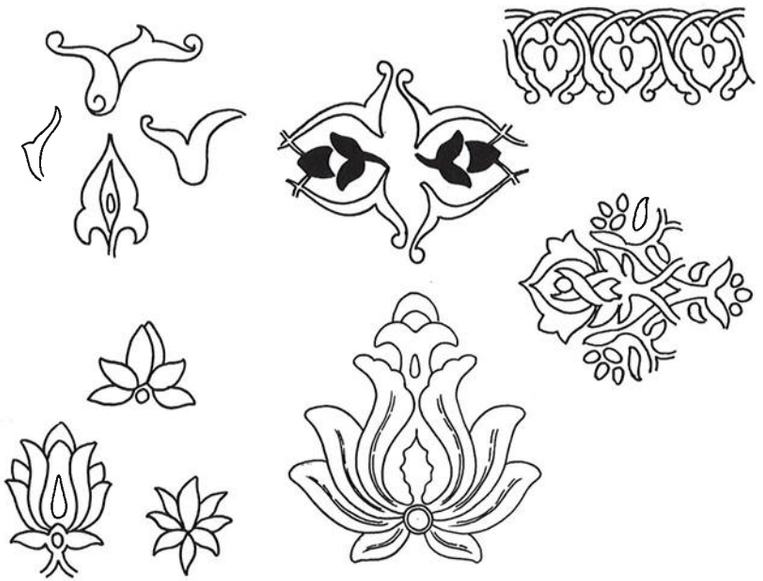

أشكال زخرفية (١٨-٢٣)

ويوضح هذا الفن في بداية العصر المملوكي غلاف «كتاب الوصايا» المؤرخ عام ٦٩٤هـ[١٠] الذي كتب بقرية دومة، من كور دمشق، إذ يتوسطه منطقة دائرية، بداخلها نجمة سداسية، مقسمة بالتالي إلى أشكال هندسية بها نقط مذهبة، وحول الدائرة فصوص صغيرة يخرج منها أشعة، كما يخرج من أعلى الدائرة وأسفلها دلاية مربعة. ويلاحظ في هذا الغلاف لأول مرة ظاهرة زخرفة باطن الغلاف بزخارف مضغوطة عبارة عن معينات بداخلها فروع نباتية. وفي غلاف كتاب «الشرح الصغير» للرافعي والذي كتب عام ٧٣٧هـ[١١] زخرف وسط المتن بوحدة لوزية الشكل، بداخلها عناصر مورقة. وهكذا نرى مثل تلك الوحدات الزخرفية البسيطة على معظم أغلفة الكتب حتى منتصف القرن الثامن الهجري.

غير أن ذلك الضرب من الزخارف يتجلى في أروع صوره في مجموعة ربعات يمتد تاريخها من منتصف القرن الثامن إلى أوائل العاشر الهجري/ الرابع عشر إلى السادس عشر الميلادي. وعلى الرغم من أن زخارفها لا تخرج عن الطرازين السابق ذكرهما، إلا أن التنوع والابتكار واضحان في تلك الأمثلة. فمنها خمس ربعات أوقفها الأمير صرغتمش عام ٧٥٧هـ على مدرسة الحنفية بجوار جامع ابن طولون بالقاهرة،[١٢] وزخرفت أغلفة أجزائها بمختلف أنواع الزخارف الهندسية، مثل دائرة بداخلها تقسيمات هندسية (الشكل ٢٤-٢٥)، أو منطقة هندسية من ربعتين متداخلتين، أو نجمتين متداخلتين (الشكل ٢٦). وترك السلطان الناصر حسن بن قلاوون[١٣] أجزاء ربعة زينت أغلفتها بمنطقة هندسية ذات محيط مفصص، يخرج من بين الفصوص رؤوس مثلثة، وفي المركز طبق نجمي حوله تقسيمات هندسية. وزخرف باطن الغلاف بعناصر نباتية متشابكة، بينها زهرات اللوتس بشكليها المصري والآسيوي (الشكل ٢١-٢٣).

ومن أروع أمثلة التجليد أيضا أغلفة ربعتين،[١٤] كتب بداخل كل جزء منها (حررها محمد بن علي، الإمام بالمدرسة الظاهرية)، وبتحقيق النص تبين أن ناسخها كان إماما بالمدرسة البيبرسية، وأنه توفي عام ٧٧٧هـ[١٥] وقد أحضرت أجزاؤهما من المدرسة البرقوقية، فهما قد ترجعان إلى عصر السلطان شعبان أو عصر الظاهر برقوق، وزخرفت أجزاؤهما بأشكال متنوعة من المناطق

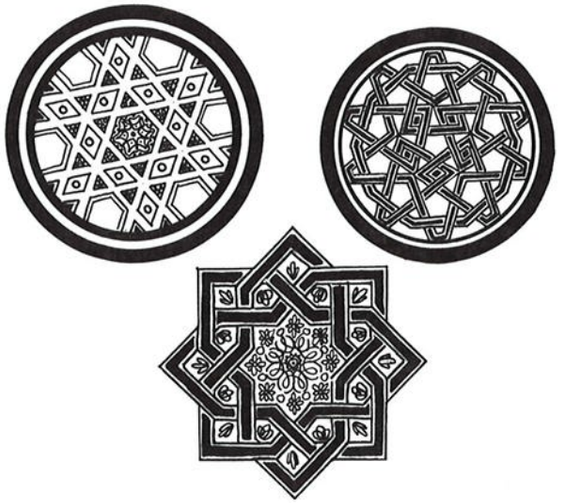

أشكال زخرفية (٢٤، ٢٥، ٢٦)

الهندسية، مثل الجامة ذات الدلاية المحاطة بفصوص نصف دائرية، وفي داخلها تقسيمات هندسية متنوعة، وزخرفت بعض ألسنتها بعناصر نباتية من الرقش العربي أرابيسك، وزخرفت أغلفة أجزاء أخرى منهما بتقسيمات هندسية تغطي مساحة المتن وتميزت تلك الأغلفة بالتنوع في زخرفة باطن كل منها بمختلف العناصر النباتية المحورة، والزهور الطبيعية، مثل اللوتس المصرية والآسيوية. وفي أغلفة أجزاء ربعات أخرى أوقف بعضها الظاهر برقوق عام ٧٨٩هـ،[١٦] وبعضها الآخر أوقفها ابنه الناصر فرج عام ٨١٣هـ،[١٧] فقد زخرفت بنفس الطراز ذي المناطق الهندسية، بالإضافة إلى شكل آخر، هو منطقة دائرية حولها فصوص، وداخلها تقسيمات هندسية أيضا ولكن بتكوين مختلف. ونرى مثالا آخر للتنوع والغنى في تلك الأنماط من الزخرفة، في أغلفة أجزاء ربعات أوقفها الأشرف برسباي على جامعه فيما بين عامي ٨٢٦ و٨٣١هـ.[١٨]

وفي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري حدث تطور كبير في أسلوب زخرفة أغلفة المصاحف، حيث زخرفت بأشكال لوزية (جامة) يخرج من طرفيها دلاية، وفي الأركان قطاع من نفس الشكل، وقد أضاف إليها الفنان لمسة جديدة، حيث تم تفريغها بشكل عناصر نباتية متشابكة ومذهبة على أرضية من الحرير الأزرق أو الأخضر، وأبرز أمثلتها أغلفة ربعة صغيرة الحجم، أوقفها السلطان الظاهر أبو سعيد خشقدم عام ٨٦٦هـ،[١٩] وقد زخرف باطن الغلاف واللسان بشكل دائرة بها تقسيمات هندسية بالضغط العميق. وتبدو الزخارف المفرغة في أروع صورها في باطن غلاف مصحف للأشرف قانصوه الغوري (مؤرخ بعام ٩٠٨هـ) من الجلد الأحمر.[٢٠] زخرف الغلاف الخارجي بشكل الجامة يغطي سطحها تفريعات نباتية، وفي الأركان أرباع الجامات. وقسم الإطار إلى بحور مستطيلة، بها عناصر السلاسل. أما باطن الغلاف فقد زخرف بشكل جامة بيضاوية مفصصة، يملؤها عناصر نباتية مفرغة، وفي الأركان واللسان شريحة مفرغة بنفس الشكل، إلا أنها تمت بطريقة مختلفة، حيث أن الجامة تم قطع مكانها وألصق مكانها جامة مفرغة الزخارف على بطانة من الرق الأزرق، ونقش على قنطرة اللسان عبارة «برسم الشريف مولانا المقام الشريف خادم الحرمين الشريفين السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري خلد الله ملكه».

وتعتبر زخارف غلاف المصحف العثماني، المحفوظ بحجرة المخلفات النبوية بالمسجد الحسيني بالقاهرة، من أجمل الأمثلة ذات الزخارف المفرغة. وتذكر المصادر التاريخية إعادة تغليف هذا المصحف بأمر السلطان الغوري،[٢١] وله مفصلات مذهبة بين الغلاف والكعب لحفظه من التمزق نقش عليها برسم المصحف الشريف العثماني «السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري عز نصره» ويتوسط المتن في الغلاف الأيمن منطقة مستطيلة مفرغة، وحولها إطار سميك، عليه نص بالخط الثلث المملوكي المذهب، يفيد، بعد الديباجة، بأنه «جدد هذا المصحف العثماني وأمر بتجليده السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري بعد ثمانمائة وأربع وسبعون (كذا) عاما مضت». هذا النص يفيد أن التجديد حدث بعد مضي ٨٧٤ عاما على وفاة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، أي أن التجديد حدث عام ٩٠٩هـ.

وفضلا عن تلك الأشكال المتنوعة من المناطق الهندسية التي تتوسط متن الغلاف، فقد ملئت سطوح الأغلفة بتكوينات هندسية بأشكال متعددة، ويطلق عليها «ضرب خيط» لدى الفنانين من المرخمين والنجارين،[٢٢] لم تختص بعصر معين، وإنما كغيرها من الزخارف امتدت من القرن السابع إلى التاسع الهجري. وبمتابعة هذه التكوينات على الأغلفة، نلاحظ أن لكل منها أسلوب خاص في رسمها، يعتمد على التلاعب في تنظيم الخطوط. فمنها ما قام على أساس تقسيم المتن بخطوط رأسية وأفقية ومائلة، تكوّن في مجموعها أشباه منحرف متداخلة، وينتج عن تداخلها ذلك الشكل النجمي العشري الأضلاع، ومنها ما تم على تقسيم المتن إلى خطوط طولية، ومائلة، ينتج عنها أربع مثلثات متداخلة، تكوّن خطوطها هيكل طبق اثني عشري الأضلاع.

ومن القرن الثامن الهجري تحتفظ دار الكتب المصرية بربعة كبيرة، أوقفها الجاي اليوسفي من عصر السلطان شعبان بن حسين،[٢٣] زخرفت أغلفتها بأطباق نجمية في أكمل صورة، كالمعروفة على الأبواب المملوكية، وإن اختلفت زخارف الوجه الأمامي عن الخلفي، ففي الأول قسم المتن إلى مربع، أعلاه وأسفله منطقة مستطيلة، ثم إطار عريض ومربع في أركانه الأربع. وقد زخرف مربع المتن بأطباق نجمية من اثني عشر ضلعا، محددة بخطوط مذهبة، تملأ تقسيماته نقط مذهبة وخطوط معكوفة، وفي المنطقة المستطيلة أعلى المتن وأسفله آيات كريمة من سورة الواقعة «إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين»، ومن سورة الشعراء «إنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين» وكتبت النصوص بخط الثلث المضغوط بالتذهيب. وقد زخرف الغلاف الأيسر بنفس التكوينات الهندسية، ولكنها تغطي المتن كله دون نقش النصوص القرآنية، ومع ذلك فإن الأطباق النجمية موضوعة داخل مناطق محددة بالتذهيب، وحولها أشكال أخرى فاصلة، كالتي نراها داخل المناطق الهندسية السابق ذكرها، كالنرجسة والتاسومة والسقط وبيت الغراب.. الخ.

ويمكن القول بأن الزخارف من التكوينات الهندسية، وخاصة الأطباق النجمية، قد استمرت حتى القرن التاسع الهجري، مع التنوع في أسلوب تكوينها والتأنق في رسمها. ففي نموذج من أغلفة كتب أوقفها الظاهر برقوق على خانقاته،[٢٤] زخرف المتن بشكل طبق نجمي من عشرة أضلاع، وأربع منه في الأركان، ويكمل باقي مساحة المتن تقسيمات هندسية متنوعة، جميعها

بالتذهيب، وتملؤها خطوط معكوفة. ويزخرف الإطار أشرطة زخرفية على هيئة وحدات من ضفيرة، أما اللسان فقد زخرف بمجموعة من فروع نباتية، بها عناصر كأسية وأنصاف كأسية. وفي أغلفة ربعة أوقفها جانبك بن عبد الله دوادار الزيني عبد الباسط[٢٥] على الجامع الباسطي، بعد سنة ٨٢٣هـ (وهو تاريخ إنشاء الجامع)، زخرف متن كل غلاف بشكل طبق نجمي، به اثنا عشر ضلعا، وفي الأركان أرباع منه، وحوله أشكال هندسية، أضلاعها مكونة من ثلاث أقواس دائرية، متبادلة مع ثلاث رؤوس مثلثة، وفي كل منها شكل مخموس.

واستمرت زخرفة الإطارات كذلك، حيث زخرفت إطارات المتن بأشرطة من عناصر على شكل القلب، متتابعة في أوضاع معكوسة. وفي شريط آخر مجموعات متتابعة من خطين متقاطعين، بينهما نقط مماثلة لنمط من أغلفة ربعة سابقة.[٢٦]

أما في غلاف جزء من ربعة أوقفها الأشرف قايتباي على مدرسته بالصحراء،[٢٧] فيزخرف المتن أطباق نجمية أيضا من عشرة أضلاع، محددة بخطوط مذهبة، والتروس بشكل وريدات مفصصة، وفي الجوانب والأركان أجزاء من أطباق نجمية، يفصل بينها أشكال من تقسيمات هندسية كالمعتاد.

الحواشي

(١) T. Arnold & A. Grohmann, *The Islamic Book*, (London,1929), p. 31.

(٢) المقدسي: «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» (ليدن ١٩٠٤) ص ٣٣-٣٤، ١٠٠.

(٣) المقريزي: «كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار» ج١ ص ٤٠٩، ج ٢ ص ٣٢٩، ٤٠٢.

(٤) سهام المهدي: «تجليد الكتب في مصر العصر المملوكي» (رسالة ماجستير مخطوطة بكلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٤).

(٥) المقريزي: المرجع السابق، ج ٢ ص ٣١، ذكر هانز لوبيز أن المجلد كان يعتمد على آخرين لإتمام عمله ممن اختصوا بعمل أقفال الكتب أو صهر المعادن لعمل قوالب وطوابع الزخرفة، بينما أضاف غروهمان إلى هؤلاء قاطعي الورق والرسامين الذين يرسمون الزخارف التي يحتاج إليها حفار المعادن كنماذج ينفذها هو وغيره من

صناع التحف المختلفة، ويقرر أن الغلاف يتداوله عدة صناع لزخرفة الإطار والمتن واللسان. انظر:

H. Loubier, *Der Bucheinband von seinen Anfängen bis zum Ende des18 Jahrhunderts*, (Leipzig,1926). p. 10; T. Arnold & A. Grohmann, *The Islamic Book*, (London, 1929).

(٦) العسقلاني: «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ج ٤ ص ٤٦٦.

(٧) السخاوي: «الضوء اللامع في أبناء القرن التاسع»، القاهرة، ١٣٥٥هـ، ج ٩ ص ٦.

(٨) G. Bosch, *Islamic Bindings and Bookbinding*, (Michigan University, 1981), p. 87, no.2.

(٩) رقم ٧١٢، فقه حنفي، طلعت، مقاس ٢١x ١٧سم.

(١٠) رقم ٩، فقه حنفي، مؤيد، مقاس ٢٤×١٨سم. وهذا الغلاف شاهد على وحده الفن السوري والمصري.

(١١) رقم ١٩٢، فقه شافعي، طبعت بدار الكتب، مقاس ٢٥×١٥سم. وهناك أمثلة أخرى بدار الكتب، منها غلاف الجزء الرابع من كتاب «الشرح الوجيز» للرافعي، كتب عام ٧٣٩هـ (رقم ١٩٢، فقه شافعي، طلعت) مقاس ٢٤ر٥×١٧سم، وكتاب «المنتخب في تفسير مائة آية من كتاب الله» (رقم ١١، تصوف، مؤيد، بدار الكتب) مقاس ٢٥×١٦ر٥سم، وكتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري، حوالي ٧٤٣هـ (رقم ٥٥٦، معارف عامة) مقاس ٢٦×١٨سم، وأخيرا كتاب «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزي، المتوفى ٧٥٦هـ (رقم ٢٩، فقه حنبلي) مقاس ٢٦ر٥×١٨ر٣سم.

(١٢) أرقام ١٤٨، مصاحف، مقاس كل جزء ٢٦×١٨سم، ١٤٩، مصاحف، مقاس ٢٦×١٨ر٥سم، ١٥٠، مصاحف، مقاس ١٨×١٣سم، وعليها توقيع صانعها «عمل يس بن يحيى»، رقم ٦٠، مصاحف، مقاس ٣٧× ٢٧ر٥سم، ورقم ٦١، مصاحف، مقاس ٣٨×٢٩ر٥سم. كان الأمير صرغتمش الناصري رأس نوبة، اشتراه السلطان ناصر محمد وانفرد بتدبير أمور المملكة، وعزل قضاة مصر والشام، وغير النواب، فحقد عليه السلطان وحبسه واستولى على أمواله. المقريزي، «الخطط» ج ٢ ص ٤٠٤.

(١٣) رقم ٥٩، مصاحف، مقاس ٤٦×٣٣ر٥سم.

(١٤) أرقام ١٢٠ و١٢١، مصاحف، بدار الكتب، مقاس كل منها ٣٧×٢٦سم.

(١٥) ابن حجر العسقلاني: المرجع السابق، ج ٤ ص ١٧١.

(١٦) رقم ١٢٢ و١٢٣، مصاحف.

(١٧) أرقام ٧٦ و١٢٥ مصاحف، و٧٤ و١٢٢مصاحف.

(١٨) أرقام ٩٩ و١٠٥ و١٠٧ و١٠٨ مصاحف، مقاساتها على التوالي ٣٥×٢٦ر٥سم و٣٢×٢١ر٥سم و٣١×

٢١سم و٤ر٢١×٢ر٣١سم.

(١٩) رقم ١٠٤، مصاحف، مقاس ٣ر٢٧× ١٨سم.

(٢٠) رقم ٧٣، مصاحف، مقاس ٤٧× ٣٦سم.

(٢١) ابن إياس: «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، ج ٤ ص ٩٧، ومما يؤسف له أن وصف الغلاف جاء من المشاهدة عن بعد، حيث باءت محاولاتي لدراسته وتصويره بالفشل.

(٢٢) عبد اللطيف إبراهيم: «الوثائق في خدمة الآثار» (مؤتمر الآثار سنة ١٩٥٧) ص ٢٥٤.

(٢٣) رقم ٦٢، مصاحف مقاس ٥٣×٣٦ر٥سم، الجاي بن عبد الله اليوسفي، أمير سلاح، ثم أتابك العساكر، وناظر المارستان المنصوري، في عصر السلطان شعبان، تزوج والدته، خوند بركة، ومات غريقاً عام ٧٧٥هـ، المقريزي «السلوك» ج ٣ ص ١٥٥.

(٢٤) رقم ١٢٠، مصاحف، بدار الكتب، كتبها محمد بن علي، أحد أئمة البيبرسية، توفي عام ٧٧٧هـ، مقاس ٣٧×٢٦سم.

(٢٥) رقم ١٠٢، مصاحف، بدار الكتب، مقاس ٣٢× ٢سم. جانبك بن عبد الله، ولي الاستادارية في الدولة الأشرفية برسباي إلى أن قبض عليه الظاهر جقمق.

(٢٦) رقم ١٢٥، مصاحف، بدار الكتب، مقاس ٣٨×٢٦ر٥سم.

(٢٧) رقم ٨٨، مصاحف مقاس ٤٣ر٥× ٣٢سم.

استخدام الرق في المخطوطات الإسلامية: ملاحظات تمهيدية

فرانسوا ديروش

كان الرق (بفتح القاف أو كسرها مع التشديد، وهو ما يعرف أيضاً بالجلد) يحتل إلى جانب البردي موقع الصدارة في مجال صناعة المخطوطات، وذلك قبل أن يعرف الورق ويصبح المادة الوحيدة المستخدمة في هذا الغرض. ولم يكن استخدام الرق محصوراً في هذا المجال، وهو ما تشهد به الوثائق العديدة حول هذه المادة والتي جرى العرف بإدراجها في مجال دراسة البرديات العربية، ولكننا لن نتعرض لها في سياق بحثنا هذا المخصص لفن الكتاب. وعلى الرغم من أهمية الرق في العصور السالفة إلا أنه لم يتبق لنا من مخطوطاته سوى النزر اليسير، وهو ما قد يفسر جهلنا النسبي بكيفية استخدام النسّاخ والمجلّدون المسلمون له. ولكي نتمكن ذات يوم من كتابة تاريخ الرق في العالم الإسلامي يتحتم على علماء المخطوطات أن يستكشفوا النماذج المحفوظة في بطون المكتبات وأن يدرسوا استخداماتها المختلفة، فعن طريق رصد هذه الممارسات على مر العصور وبامتداد الرقعة الإسلامية يمكننا إرساء أسس هذه الدراسة التاريخية. وإذا اقتضى الأمر، يمكننا أن نجمع بين النتائج التي نتوصل إليها من ناحية، وبين معطيات النصوص غير المؤكدة من ناحية

أخرى، إضافة إلى ما تكشف عنه التحاليل المعملية لنماذج الرق القديمة. وأخيراً فإن المقارنة بين ما نعرفه عن صناعة هذه المادة واستخدامها وبين مثل هذه الممارسات في مجتمعات أخرى (إسبانيا أو الشرق الأوسط على سبيل المثال)، تيسر لنا فهماً أفضل لبعض جوانب العملية أو على الأقل تيسر لنا طرحاً أفضل للأسئلة التي تحيرنا. وفي كل الأحوال فإنه يجب علينا أن ندرك أن الفحص الدقيق للمخطوطات ذاتها يمثل خطوة لا غنى عنها نحو فهم طريقة استخدام الرق في صناعة الكتاب.[١]

لا يزال أمامنا شوط طويل قبل أن نتمكن من إيفاء متطلبات هذا البحث حقها، ولا زلنا بغير شك نواجه أسئلة بلا حل. ذلك أن خبرتنا لا تتجاوز بضعة مئات من المخطوطات أو أجزاء من المخطوطات أغلبها مخطوطات قرآنية غير مؤكدة المصدر. كذلك فإن الدلالات الجغرافية لبعض ما نرصد من ظواهر تبقى غامضة بغير استثناء. لذلك يميل المرء إلى تقديم سلسلة من الدراسات لنماذج مفردة يمكن من خلالها دراسة استخدامات الرق في إطار تسلسلها الزمني ممهدين لذلك أولاً بسوق نبذة موجزة عن تاريخ صناعة الرق والوسائل المستخدمة فيها.

١ – الرقّ: أصله ووسائل تحضيره وخواصه

بالرغم مما توحي به تسميات الرق في اللغات المختلفة،[٢] فالثابت أنه لم «يخترَع» في القرن الثاني قبل الميلاد في برجامة (پرجام).[٣] بل يبدو أنه كان معروفا ومستخدما في الشرق طويلا، ربما منذ ألف عام قبل العهد الجديد.[٤] وبالرغم من أن وسيلة تصنيع الرق تبدو بسيطة وهينة، إلا أنها تغصّ بالمشاكل إذا حكمنا عليها من خلال التفسيرات المتباينة للمراجع المتخصصة. ومع ذلك، نرى ضرورة النظر في هذه العملية حتى نتمكن من الإلمام باستخدامات هذه المادة. ما هو الرق؟ الرق وفقا لتعريف معجم خاص بعلم المخطوطات ومعد طبقا للمفاهيم الأوروبية هو «جلد حيواني منتوف ومكحوت من خلال معالجة غير دابغة (أو دابغة قليلا) تليها عملية تجفيف وشدّ تعدّ شريحة الجلد للكتابة على وجهيها».[٥]

إذن، فالمادة الأساسية أصلها حيواني: الخروف أو الماعز أو العجل: أو ربما الحمار – ولكن العرف كان يحبِّذ استخدام الغزال.[٦] كما سيتضح لنا،

معظم النصوص تدل على تفضيل استخدام جلد الخروف. بينما يعطينا «كتاب الأنواء» للقرن الرابع/ العاشر، معلومة مثيرة، إذ يذكر تحت مدخل شهر مايو/ أيار أن: الرق يصنَّع من جلد الظبي والغزال إلى نهاية شهر يوليو/ تموز.[٧] ويبدو أن نوعية جلود الحيوانات البرية كانت تفضل على جلود الحيوانات المستأنسة[٨] – وهذا خيار فنيّ أساسا، يدعونا إلى التساؤل عن المشاكل الاقتصادية المعنية إذا أخذنا في الاعتبار كمية الجلود اللازمة لإنتاج مخطوط متوسط السمك. كما أننا نتساءل عن تسمية «جلد الغزال»، فقد تعود إلى نوع معيَّن من الرق – مثل التسمية الفرنسية vélin؛ ففي مرجع (ملحق القواميس العربية) لـ «دوزي» *Supplément aux dictionnaires arabes* يخبرنا أن «رق الغزال» يعني فعلا «جلود عذراء» أي الرق المعدّ من جلد «الجدي الصغير أو الحمل المولود ميتا».[٩] تعطينا رسائل الحسبة بعض الإشارات العابرة عن الوسائل المستخدمة. ومن ضمنها رسالة ابن عبدون المحررة في أسبانيا في أواخر القرن الخامس/ الحادي عشر أو أوائل القرن السادس/ الثاني عشر، التي توصي بعدم استخدام جلود الخراف النحيفة لتحضير الرق،[١٠] والتي نستنتج منها أن جلد الخروف كان هو المستخدم غالبا وأن الرقاقين كانوا على علم بأن حالة الحيوان الصحية كانت عاملا أساسيا في تحديد جودة الرق. فالحيوان الذي يشكو من سوء التغذية يعطي جلدا رقيقا وضعيفا ملمسه غير منتظم ويعيبه انطباع شكل العظام عليه.[١١] ومع ذلك فواضح أن بعض الحرفيين لم يكونوا يلتزمون بالمقاييس المعترف بها – مما كان يستتبع مساءلتهم في ذلك. إذ يمكن مبدئيا تعيين الحيوان الذي استخدم جلده لتصنيع الرق بمتابعة نمط جذور الوبر في قطعة الرق المنجزة. ولكن غالبا ما محت المعالجة العشوائية لهذه الجلود العلامات المميزة لفروة الحيوان، وبالتالي نعجز عن تحديد مصدرها بدقة – ونضطر إلى الحديث عن «الرق» عامة. ويجب الاقتصار في استخدام لفظة vélin الفرنسية على معنى الرق المصنع من جلد العجل الصغير.

يبدأ الرقاق بإزالة الشعر: والطريقة المعروفة التي مارسها الغرب في العصور الوسطى كانت غمر جلد الحيوان في حمام من الجير يسهِّل نزع الفروة. ويدل مؤلف «الفهرست» على علمه بهذه العملية في القرن الرابع/ العاشر بذكره لمعجون مزيل للشعر – «نورة» – مكون من الجير والزرنيخ،[١٢] والذي، حسب قوله، كان يعيبه أنه يؤدي إلى تجفيف الجلد. ولكن هناك وسيلة

أخرى استخدمت في الكوفة لم يكن لها ذلك الأثر، وكانت تعتمد على خلطة أساسها ثمرة البلح.[١٣] على أن استخدام الجير – كما ثبت في الشرق الأوسط خلال القرن الثالث/ التاسع[١٤] – موضح في مخطوط لاتيني منسوخ في إيطاليا في القرن الثامن، المخطوط «لوك – Lucques, Biblioteca capitolare 490» وفيه نظريتان متعارضتان: إحداهما، وإن لم تؤكد نسبة اختراع معالجة الجلد بحمام الجير إلى العرب، فهي تحبذ أنهم نقلوها إلى الأوروبيين،[١٥] بينما تؤكد الأخرى أن انتشار هذا الأسلوب كان في الاتجاه العكسي.[١٦] أما استخدام خلطة البلح، فقد كان متبعا في المجتمعات اليهودية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى.[١٧] وبصدد استخدام الطباشير لإزالة الشحم، فالنصوص لا تفيدنا بما يوضح ذلك، ولكننا لاحظنا على رقائق من مصحف منسوخ بالخط الحجازي – أي يؤرخ بين أواخر القرن الأول/ السابع وأوائل القرن الثاني/ الثامن – طبقة طباشيرية قد تؤخذ كدليل على هذه العملية إن لم يكن القصد منها إضفاء طابع متجانس على وجهي الصفحة.[١٨] كما يحدثنا «ريد» Reed عن استخدام الطباشير أو الجبس للتحكم في عملية تجفيف الجلد المشدود.[١٩]

كانت رواسب اللحم والشحم على السطح اللحمي للجلد تكحت بأداة حادة كالشفرة أو النصل. ويبدو نص ابن عبدون متمسكا بهذه العملية إذ يقول إنه يجب أن لا يعمل رق إلا مبشورا.[٢٠] ثم يكرر عمر الجرسيفي (أوائل القرن السابع/ الثالث عشر؟) أنه واجب على المحتسب مراقبة الورّاقين خاصة، وكذلك الرقاقين من حيث اختيار الجلد الذي يجب أن يكون مكشوطا ناعما ونظيفا.[٢١] ولكننا لا نؤكد أن تصنيع الرق بعد ذلك في العالم الإسلامي اعتمد بانتظام على صنفرة الجلد لإزالة جميع الفروق بين وجهيه. الخطوة الأساسية أثناء معالجة الجلد كانت شده على إطارات وتركه حتى يجف. وأما المساحة اللازمة لهذه العملية، فقد وجدها الرقاقون الأندلسيون في أفنية المدافن – مما دعا ابن عبدون إلى التذكرة بعدم صحة فرش الوسخ مثل جلود الدباغين والرقاقين في أفنيتها.[٢٢]

بناءً على فحص أمثلة المخطوطات الرقية المحفوظة، نلاحظ اختلافا كبيرا في نوعية الرق المستخدم. تتوقف تلك النوعية على عوامل كثيرة نسردها باختصار. نعلم من الدراسات السابقة أن أصناف الحيوانات المختلفة لا تعطينا نفس نوعية الجلود. كما أنه لا يتحتم أن يعطي حيوانان من نفس الجنس جلودا

متماثلة النوعية، وبما أننا قررنا من خلال بحثنا في هذا المجال أن حالة الحيوان – وصحة جلده بالذات – تلعب دورا أساسيا في نوعية المنتج النهائي، فأي جرح أو شكّة أو رطمة سابقة للذبح تترك علاماتها على الجلد. كما أنه هناك احتمال إتلاف الجلد أثناء معالجته. كل ذلك يترك أثره على الرق في صورة ثقوب دائرية أو بيضاوية لجأ البعض إلى حياكة أطرافها معا لترميمها. وفي المخطوط Paris, BN Arabe 6095 نجد أن شريحة دقيقة من الرق ألصقت بالثقوب لتغطيتها – انظر الصحائف ٣ وه و٢٨.[٢٣] وأثناء تحضير الجلدَ بإخضاعه للشد، قد تظهر به بقع شبه شفافة تسمّى «عيون» كما في الصحيفة ٤٧ من المخطوط BN Arabe 6090.[٢٤]

نضيف إلى هذه الشوائب عاملا آخر هاما وهو جديّة الرقاق وحذره أثناء تحضيره للجلد. فكما سبق، يبدو أن الرقاقين لم يعتنوا بمحو الفوارق بين سطح الوبر والسطح اللحمي فالأخير أكثر بياضا من الأول ويتميز بملمس مخملي، ونتيجة ذلك أن المداد يثبت بسهولة أكثر على السطح الوبري وهو ما يتضح خاصة في بعض نماذج المصاحف العباسية الكبرى.[٢٥] ويمكن التحقق من ذلك بسهولة. فبمجرد فتح المخطوط أمامنا بحيث يمكننا مشاهدة هوامش عدد من الرقائق المتتالية، نستطيع أن نرى الفارق واضحا بين وجهي الصحائف.[٢٦] الوجه العلوي يمدنا في بعض الحالات بقرائن ثابتة: الشعر أو الوبر يبقى بصورة ملحوظة على محيط الثقوب التي ناقشناها أعلاه وعلى حواف قطعة الجلد – كما في مخطوط باريس Paris, BN Arabe 6095 f.39 verso – ظهر/صحيفة ٣٩.[٢٧] وقد يحدث ألاّ تنَفَّذ عملية النتف كما يجب فنجد الشعر في مواضع لا نتوقعه بها حسب فهمنا لإجراءات هذه العملية. ففي مخطوطات مغربية عديدة نجد أن جذور الوبر ما زالت واضحة على السطح العلوي للرق – كما في المخطوط 6090 أو Paris, BN Arabe 5935 (٢٨ و٢٩) – ويبدو أن الأداة المستخدمة لسحف الوجه اللحمي كانت تترك أحيانا رواسب كالتي نلاحظها في المخطوط Paris, BN Arabe 6095 – صفحة ١٧.[٣٠] إن وجود مخطوطات رديئة يقابله وجود العديد من المخطوطات الممتازة في نوعية إنتاجها مثل مخطوط إستانبول نور عثمانية ٢٧[٣١] – الذي نُسِخ على صحيفات رق أعدَّ وجهاها بعناية تامة إلى درجة أننا نجد صعوبة في التمييز بينهما. كما أنَ الوسائل المتعددة المعروفة لاستخدام الجلد في تصنيع كراسات المخطوطات ومجلداتها تفتح مجال تنوعات نتعرض له فيما بعدِ بالأمثلة.

بالطبع، تتحدد مقاسات الرق وفقا لمقاسات جلد الحيوان المستخدم في صناعته، وكما هو معلوم تختلف خواص الفصائل الحيوانية المستخدمة كما تختلف الخواص الفردية للحيوانات داخل الفصيلة الواحدة. وأودّ أن أناقش هنا مثالا واضحا لما أعنيه في صورة مخطوط ووثائق تحدّد أقصى مقاسات صحيفة الرق – وذلك مع إهمال القيم الدنيا لهذه المقاسات لعدم أهميتها.[٣٢] فأجزاء المصحف المصنَف تحت مصحف – BN Arabe 324 – في باريس تتكون من رقائق مخنصرة بشدة وقياساتها ٥٣٧ x ٦٢٠ مم.[٣٣] كما أن وثيقة محفوظة في لندن تحت رقم British Library Or. 4684/III تبلغ مقاساتها ٨٥٠ x ٨٢٠ مم.[٣٤]

وقد يُصبَغ الرق قبل أن يستعمله الناسخ كما كان المعتاد في حوض البحر الأبيض المتوسط.[٣٥] ولن نتطرق هنا إلى مناقشة أشهر مخطوط إسلامي منسوخ على الرق المصبوغ: المصحف الأزرق.[٣٦] فالحرفيون الإسلاميون استخدموا ألوانا أخرى مثل أصفر الزعفران والصبغة البرتقالية.[٣٧] وقد أملت الطبيعة الخاصة للرق استخدام ألوان من المداد والأحبار يتميز بها: فابن باديس يذكر المداد الذهبي والمداد الأزرق.[٣٨]

يمكن من ناحية المبدأ تصنيع الرق في أي مكان، وذلك بخلاف البرديّ الذي يقتصر إنتاجه على بعض مناطق محدِدة ينمو فيها نبات «سيبروس بابيروس ل Cyperus papyrus L» حيث أن المادة الأساسية تكاد تكون متوفرة في كل مكان ووسائل التصنيع بسيطة نوعا ما. ونجد أن ذلك كان من أهم مزايا هذه الصناعة: إذ إن مستخدمي الرق لم يعتمدوا على إمدادات من مصادر بعيدة قد تنقطع الطرق المؤدية إليها نتيجة لظروف سياسية أو اقتصادية. وبالرغم من أننا على علم بتفضيل إنتاج مدن معينة مشهورة بجودة رقها – مثل الكوفة والرُها[٣٩] – إلا أننا للأسف لم نحصل على معلومات توضح لنا أسباب هذا التميز في الإنتاج – سواء كانت عوامل فنية[٤٠] أو مناخية[٤١] أو غيرها.

٢ – استخدام الرق في المخطوطات الإسلامية

عندما نتحدث عن المخطوطات الإسلامية، يبدر إلى ذهننا مباشرة المخطوط المجلّد في صورة كتاب – codex – وعلى الرغم من أن هذه هي

الصورة التي وصلتنا بها أعداد وفيرة من المخطوطات، تفوق بكثير أي أمثلة أخرى، إلا أنها لم تكن الصورة الوحيدة التي أنتجت بها المخطوطات الإسلامية. وبالنسبة للرق، فنعرف على الأقل مثالا واحدا على أنه استُخدم في مخطوطات ليست مجلدة، ونعني بذلك اللفائف (الدَرْج – rotulus – حسب التعبير المستخدم بخلاف اللفة – volumen)[٤٢] التي وصلنا منها عدد صغير. نعرف أن هذه اللفائف كانت شائعة في العالم الإسلامي القديم بالرغم من أن أمثلتها المتبقية قليلة[٤٣] وفي مجموعة متحف الفنون التركية والإسلامية في إستانبول[٤٤] نجد أجزاء من كتابات قرآنية منسوخة على لفائف قد تكون مكونة من أجزاء منفصلة مخيطة[٤٥] أو ملصوقة ببعضها[٤٦] طرفا لطرف.

أ – تصنيع الكراسة: المصاحف القديمة

هناك دلائل على استخدام الرق في العالم العربي القديم،[٤٧] على نحو لا يقل عن استخدام البردي. ففي أوائل العصر الإسلامي، كان يستخدم الرق مع البردي في الكتابات الديوانية وفي نسخ المخطوطات على وجه سواء. وكان الرق مكلفا، ولذلك كثيرا ما أعيد استخدامه منذ العصور القديمة كما سنرى فيما بعد. ولم يلبث ظهور الورق أن أدى إلى إعادة النظر في استخدام الرق، وذلك بالرغم من مزاياه وشدة مقاومته خاصة. فمن القرن الرابع/ العاشر إلى القرن الثامن/ الرابع عشر – أو ربما التاسع/ الخامس عشر[٤٨] – أخذت استعمالاته في الانكماش بينما تطورت أساليب استخدامه. ولا تتوفر لنا إحصائيات بعدد المخطوطات العربية الإسلامية المنسوخة على الرقّ – كما اتضح لنا خلال بحثنا أن نسبة عدد المصاحف عالية جدا ضمن العينات التي درسناها – وقد يكون هذا دليلا على تفضيل الرق لهذا النوع من الكتابات أو على العناية الخاصة بحفظها أو نتيجة لأهمية هذين العاملين معا، ولم يثبت لنا أي أساليب خاصة لاستخدام الرق تتوقف على طبيعة الكتابات المدونة عليه سواء كانت مصاحف أو غير ذلك وأقصى ما نستطيع الجزم به هو أن المادة الخام المستخدمة للمصاحف كانت من نوع أفضل من المعتاد، إلا أنه من الضروري أن نفحص عددا أكبر من النصوص غير القرآنية المدونة على الرق كي نستطيع الجزم بأمر في هذا الموضوع.

وقبل أن نتعرض لوسائل تصنيع الناسخين المسلمين لكراسة الرق، قد نستفيد من إلقاء نظرة على أساليب ناسخي العصور الوسطى في الغرب. فقد كان هؤلاء يطوون الجلد، منصِّفينه مرة أو مرتين أو ثلاثا، فيحصلون على كراسة تتكون من صحيفتين (مقاس فوليو) أو أربع (مقاس كوارتو) أو ثماني صحائف (مقاس أوكتاڤو) أو ست عشرة صحيفة (مقاس ١٢).[٤٩] وينتج عن هذا النمط في الطيّ ما يُعرف بقاعدة «جريجوري» المسماة على لقب العالم الألماني، أول من لاحظ أنه في الكراسات يكون وجها الصحائف المتقابلة متماثلين نوعا – فإن كانت الصفحة «س/ظهر» الوجه العلوي للرق يكون الوجه المقابل لها «صفحة س+١/ وجه» مأخوذا أيضا من الوجه العلوي للرق (انظر الرسم ١).

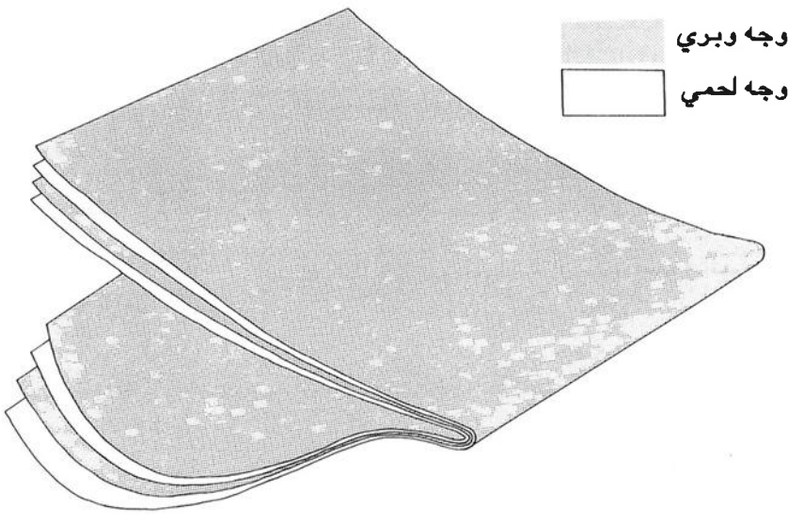

الرسم (١) كراسة من ٤ ورقات من النوع الغربي

في بداية دراستنا للمصاحف الرقية المحفوظة في المكتبة الوطنية، وضعنا جانبا بعض المخطوطات المتضمنة لنصوص متسلسلة تسلسلا كافيا بحيث يسمح لنا باستخلاص نتائج مفيدة عن طريقة تكوين الكراسة. من هذه النسخ نخص بالذكر المخطوط «سميث–لوسويف Smith-Lesouëf 193» كعيّنة نموذجية في تكوينها.[٥٠] فبالرغم من الفجوات المتناثرة التي تحرمنا من بعض الصحائف (انظر مثلا الكراسة ٣ – رسم ٣) يتضح مباشرة أن الكراريس تكونت من عشر صحائف مجمَّعة بالتسلسل الآتي:[٥١]

و/ل، و/ل، و/ل، و/ل، و/ل + ل/و، ل/و، ل/و، ل/و، ل/و (الرسم ٢).

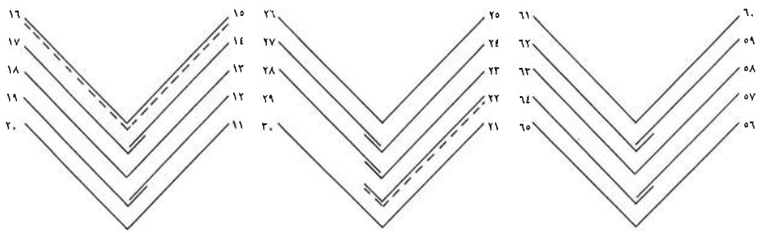

الكراريس رقم ٢ و٣ و٧ من مخطوط باريس BN Smith-Lesouëf 193: ١– رق (الخط المتقطع يبيِّن وضع الوجه الوبري) – (ملاحظة: نتيجة لعملية ترميم قديمة – ربما عثمانية – ألصقَت الصحيفتان المتناظرتان غير المتجانستين بإحدى التعقيبتين – كما في ص ١٤ و١٧ – بينما أزيلت الأخرى).

وقد أكدت هذه الملاحظات دراسة مجموعتين واسعتين من المصاحف المنسوخة على الرق نسخت فيما بين نهاية القرن الأول/ السابع والقرن الرابع/ العاشر. نبدأ بمجموعة باريس ونتبعها بالمجموعة المحفوظة في متحف الفنون التركية والإسلامية بإستانبول. عند فحصها، يتضح لنا أن معظم الكراريس

مكونة من عشر صحائف – أي خمس مزدوجة، مما يعني أنها لا يمكن أن تنتج عن الطيّ البسيط، كما سنبينه فيما يتبع. ونلاحظ نفس النسق في عادات الحرفيين المصنعين للكتب عند استعمالهم الرق في الكراسة: وجه الصفحة «١» (أي الوجه المتصدر) يكاد يكون دائما الوجه الوبري للرق.[٥٢] وجوه الصحائف التالية – أي الصفحات ٢ و٣ و٤ و٥ من الكراسة، هي أيضاً الوجوه الوبرية. (انظر الرسم ٣) إذن، فلا يمكن هنا تطبيق قاعدة «جريجوري»، فعند فتح المخطوط، نلاحظ اختلافا واضحا بين نصفي الصفحة المزدوجة[٥٣] – فيما عدا نقطة تلاحم كراستين – حيث نجد أن وجهي وبر يتقابلان – وفي منتصف كل كراسة – حيث، بالطبع، نجد وجهين لحميين. وقد يحدث بالصدفة ألا نجد هذه الخاصية داخل كراسة في مخطوط أعدَّ بعناية خاصة متَّبِعا التسلسل الذي وصفناه بدقَّة. على ذلك الأساس، لا يسنَح لنا سوى استنتاج أن الناسخين – أو الورّاقين – في العالم الإسلامي لم يكونوا يطوون الجلد – بل كانوا يفضلون قطع الرق بالمقاسات المناسبة لحجم المخطوط الذي يعملون فيه.

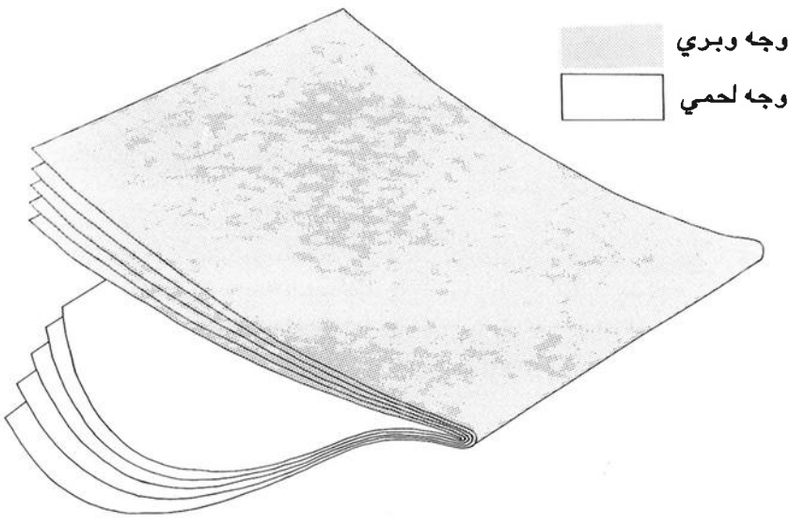

الرسم (٣) كراسة من ٥ ورقات من النوع التقليدي (القرن الثالث/ التاسع)

وأنهم، إن لم ينجحوا في إعداد الجلد حسب حاجتهم، كانوا يستعملونه في كراريس أخرى، أي مخطوطات أخرى[٥٤] إذ كانت تجمع شققات من نفس الحجم، – خمس شققات في العادة – في نفس الوضع ثم تطوى إلى قسمين من منتصفها لتكوين كراسة.

لقد سبق أن أشرنا إلى اختلاف هذا الأسلوب عن الوسائل المعتادة المستخدمة في الغرب. هل كان ذلك ابتكارا أم ترى كان يوجد تقليد متبع في ميدان صناعة الكتاب رجع إليه الحرفيون المسلمون؟ الإجابة عن هذا السؤال قد تكمن في فحص وسائل تصنيع الكتب من ورق البردي، إذ إن لدينا معلومات دقيقة عن فن صناعة الكراسة توضح أن ورق البردي كان يُقطّع شرائح يضاف بعضها إلى بعض بحيث تكون الألياف الأفقية إلى أعلى. وبعد تجميع العدد المرغوب من الصحائف، تُطوى كومة الورق إلى اثنين من منتصفها لعمل كراسة حيث تواجه الصفحات ذات الألياف الرأسية تلك ذات الألياف الأفقية على نحو منتظم – فيما عدا طبعا الصفحة المزدوجة المنصِّفة للكراسة.[٥٥] عند هذا الموضع يشتد الإغراء بتعليل تتالي الوجوه العلوية للرق داخل كراريس المخطوطات التي وصفناها قياسا إلى طبقات أوراق البردي المزدوجة المقطوعة لتصنيع اللفائف، إذ أن شكل المجموعات الخماسية التي نلحظها في كراريس البردي يسهل شرحه في هذه الحالة من الناحية العددية.[٥٦] كما نجد أن هذه الطريقة في إعداد الكراريس كانت تبدو معروفة في أقدم المخطوطات السريانية.[٥٧]

إن تتالي وجوه الرق في كراريس خماسية ليس الظاهرة الوحيدة الملحوظة في مخطوطات المصاحف في هاتين المجموعتين، فاستخدام الجلد فيهما أيضاً يسترعي الانتباه: إذ إننا لاحظنا أثناء فحصنا للكراريس وجود العديد من التعقيبات، وذلك منذ قديم بدليل جزء من مصحف حجازي – المخطوط Paris, BN Arabe 328a – حيث تكتمل الصحيفة رقم ١٧ بتعقيب. ومع البحث، تأكد لنا أن هذه التعقيبات ليست دليلا على ضياع جزء من النص، فالتدقيق في الأمثلة الموجودة أظهر لنا أن الصحائف المنفصلة المزودة بتعقيبات كانت تُضَمَّن بانتظام في الكراريس «كبدائل» لصحائف مزدوجة أصلية. وفي

داخل الكراريس المكونة من مجموعات شرائح خماسية، تتراوح أعداد التعقيبات بين ٢ و٨ (انظر الرسم ٤ و٥) بحيث نحصل دائما على عشر صحائف.

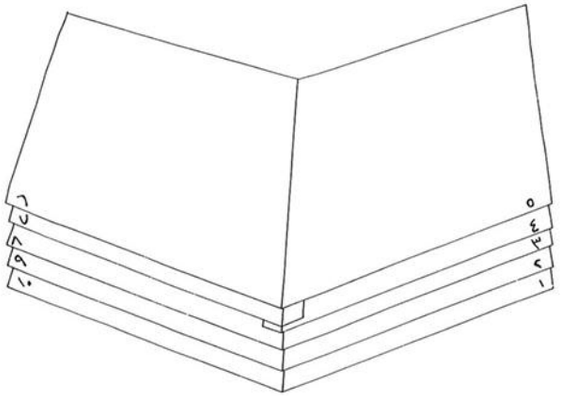

الرسم (٤) كراس من خمس ورقات يتضمن صحيفتين غير متجانستين مزودتين بتعقيبة (ص ٤ و٧) وموضوعتين بالتناظر.

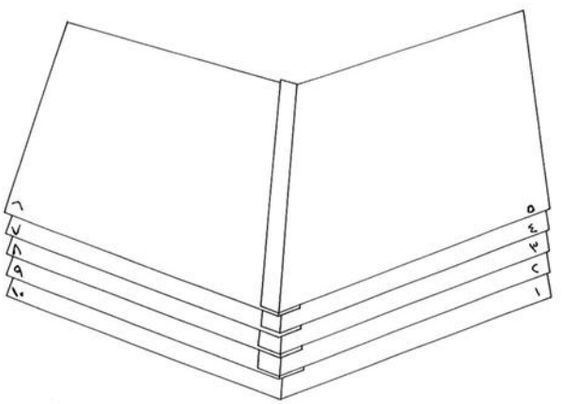

الرسم (٥) كراس من خمس ورقات به ثماني صحائف غير متجانسة مزودة بتعقيبة (ص ٢ إلى ٩) وموضوعة بالتناظر.

وبالفحص التفصيلي لمجموعة من المخطوطات متناسقة من حيث الخط وطريقة التصنيع وصلنا إلى أن ربع عدد الكراريس فقط يتكون من خمس صحائف مزدوجة.[٥٨] وفي الحالات الأخرى، أدخلت صحائف منفصلة متناظرة بين الطبقات لتحل محل الصحائف المزدوجة الغائبة (انظر الرسم ٦). والصيغة الأخرى الأكثر شيوعا والتي تضاهي في تواترها الكراس ذا الخمس صحائف المزدوجة هي إدخال صحيفتين منفصلتين مكان ص ٣ و٨ للكراس. وعامة، في ٤٠٪ من الحالات، نجد أن صحيفتين منفصلتين أدخلتا بالتناظر في مواضع مختلفة بين الصحائف المزدوجة. كما أنه في حوالي ١٠٪ من الحالات نجد ست صحائف منفصلة (أي ثلاث مجموعات من صحيفتين) موضوعة بين صحيفتين مزدوجتين. والظاهر أن المصنعين كانوا يعتنون – على قدر المستطاع – بألا يضعفوا من صلابة الكراس – أي المخطوط.[٥٩]

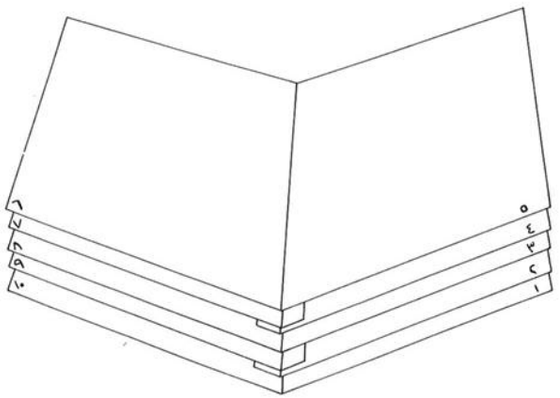

الرسم (٦) كراس من خمس ورقات يتضمن أربع صحائف غير متجانسة مزودة بتعقيبة (ص ٢ و٤ و٧ و٩) وموضوعة بالتناظر.

ويجب أن نشير هنا إلى بعض الحالات الاستثنائية – وإن كانت شاذة ومعدودة – حيث يكون مجموع عدد صحائف الكراس أكثر أو أقل من عشر: فيكون أحيانا إحدى عشرة أو تسع صحائف بدون أي فراغات في النص. وفي بعض الحالات الأخرى نجد أن الصحائف المنفصلة المضافة ليست في أوضاع متناظرة: فمثلا تكون في موضع ص ٣ و٧ من الكراس بدلا من ص ٣ و٨ – ولكن بدون الإخلال بتوزيع نصفي الكراس أو بتسلسل وجهي الرق.

ب – تصنيع الكراريس: خصائصها في العصور القديمة

إن عرضنا السابق ينطبق بالذات على مخطوطات المصاحف من القرن الثالث/ التاسع.[٦٠] ولكن، هل كان الوضع دائما كذلك؟ من أجل الوصول إلى إجابة مفيدة لهذا السؤال، يتحتم علينا دراسة أعداد وفيرة من مجموعات المخطوطات كما سبق أعلاه – إلا أن عدد المخطوطات السابقة على القرن الثالث/ التاسع أقل مما بعد ذلك، مما يجعل المقارنة أمرا معقدا. إننا نفترض أن جزء المخطوطة القرآنية باريس Paris, BN Arabe 328a المذكور أعلاه نسخ في أوائل القرن الثاني/ الثامن أو حتى أواخر القرن الأول/ السابع،[٦١] وأساس هذا التأريخ هو خطها الحجازي. اقتنت المكتبة الوطنية في القرن التاسع عشر هذه المجموعة من الصحائف المبعثرة التي حصل عليها ج. ل. أسلان دي شرفيل J. L. Asselin de Cherville في القاهرة. وقامت المكتبة حفاظا على المخطوطة بجمع الصحائف ووضعت بينها أوراقا للحماية كانت نتيجتها إعاقة البحث في فن تصنيع الكتاب والمخطوط المجلد. ويكوِّن العديد من الصحائف نصا متسلسلا: الصحائف ٤ إلى ٢٢ – و٢٣ إلى ٤٠ – و٤١ إلى ٤٨؛ نضيف إليها الصحائف ٥٧ إلى ٦٤ التي حفظت مستقلة تحت رقم Arabe 328b بسبب استبعادها على أساس التحليل الخطي والتي نرى الآن تضمينها في نفس المصحف.[٦٢] ولما كنا غير قادرين على القيام بتحليل المخطوط بصورة تفصيلية للأسباب السابق ذكرها، فإني أقترح التحليل الآتي: الجزء يتكون من أربع مجموعات رباعية، الصحائف ٧ إلى ١٤ و٢٤ إلى ٣١ و٣٢ إلى ٣٩ و٥٧ إلى ٦٤، ونضيف الكراس ص ٤٢ إلى ٤٨ (٧ صحائف) ناقصا صحيفته

الأخيرة. أما ص ١٥ إلى ٢١ فتكوينها شاذ. وتسلسل وجوه الرق في ص ٧ إلى ١٤ مثلا يسترعي الانتباه:[٦٣]

ل/و، و/ل، ل/و، و/ل + ل/و، و/ل، ل/و، و/ل (انظر الرسم ٧).

وبما أننا لاحظنا هذا النمط في أمثلة أخرى، فقد نستنتج أن هذا المخطوط يكوِّن مثالا على تصنيع الكراس بالطيّ. ولكن هناك مثالين من المجموعات الرباعية التي تتعارض مع هذا الافتراض وهما: ص ٤٣ إلى ٤٨ و٤٤ إلى ٤٧ التي، مثلها كمثل ص ٥٩ إلى ٦٢ و٦٠ إلى ٦١، تتقابل فيها وجوه لحمية مع وجوه وبرية. وهذا دليل قوي ضد افتراض الطيّ، ولكن مع ذلك نلاحظ أن الوجه المتصدر لمختلف الكراريس هو الوجه اللحمي. لا نستنتج من ذلك أن المجموعات الرباعية التي وصفناها هي الأمثلة الوحيدة المعروفة من تلك الفترة. فهناك مخطوط آخر بالخط الحجازي (انظر الرسم ٧)– Paris, BN 328c – تكوينه خماسي معتاد (بمعنى أن الوجه الوبري هو وجه جميع الصحائف في نصفه الأول). فعلينا الانتظار إلى أن نتعرف على عدد أكبر من المصاحف الحجازية كي نضع الخطوط العريضة للاتجاهات المختلفة.

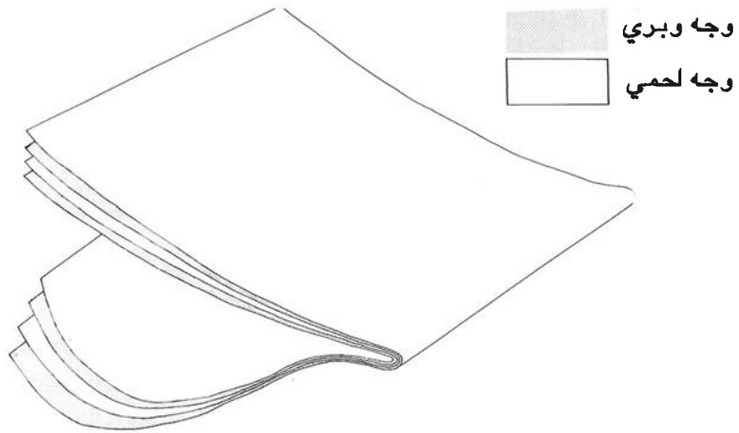

الرسم (٧) كراس من ٤ ورقات. مخطوطة باريس BN Arabe 328a
(نهاية القرن الأول/السابع وبداية القرن الثاني/ الثامن)

وإلى أن نتمكن من ذلك، فلنذكر الآن التنوع النسبي في استخدامات الرق السائد في هذه الفترة – أواخر القرن الأول/ السابع وأوائل القرن الثاني/ الثامن – والذي لا يخرج عن المعتاد من حيث عدد صحائف الكراريس بينما يلفت انتباهنا ظاهرة أخرى غير عادية وهي استخدام الوجه اللحمي للرق في صدارة الكراس.

نعود الآن لذكر مخطوط باريس Paris, BN Arabe 324 الذي يرجح أن يرجع تاريخه إلى النصف الثاني للقرن الثاني/ الثامن، فندرك من أول نظرة أن الوجه المتصدر لمعظم صحائفه هو الوجه اللحمي. وتتميز مجموعتان من الصحائف بنص متسلسل – ص ١٨ إلى ٢٧ ثم ٣٠ إلى ٣٧ – الأولى على عشر صحائف والثانية على ثماني صحائف. وقد أشرنا إلى أن واجهات الصحائف هي الجانب اللحمي للرق، ذلك فيما عدا ص ٢٣ المعكوسة. قد نظن أننا نتعامل مع كراريس من ١٦ أو ٢٠ صحيفة. ولكننا نحبذ تفسيرا آخر في ضوء دراسة ١٢٢ صحيفة من النص القرآني مجمَّعة في مخطوطي إستانبول TIEM 51-52 خطها مثل خط الأجزاء المحفوظة في باريس والتي تتسلسل فيها الجوانب من الجانب اللحمي للرق.[٦٤] في كلتا الحالتين، المخطوط «مسطَّح» in plano – أي أن كل صحيفة مكونة من جلدة كاملة،[٦٥] إذن فالكراسة ليست أساس الكتاب. وجميع الصحائف موضوعة بنفس النمط: أي أن جميع الوجوه على الجانب اللحمي للرق وجميع ظهور الصحائف على الجانب الوبري. وللأسف لم يصلنا أي من المخطوطين في حالة تجليده الأصلية فلا نستطيع أن نعرف كيف كانت الصحائف مجمَّعة – هل كانت مخيَّطة مسطَّحة[٦٦] أم محمَّلة على شرائط؟ حالة المخطوطين لا تسمح لنا بالإجابة. ويبدو أن مخطوط صنعاء – دار المخطوطات ٢٠ – ١, ٣٣ – كان مركبا بنفس الأسلوب ولكننا لا نعرف إن كانت جميع صحائفه على نفس الوجه.[٦٧]

من وقت لآخر، تظهر أمثلة لمخطوطات رقية مركبَّة بصور أخرى. فأحيانا نجد الصورة الرباعية بين المخطوطات المستطيلة من القرن الثالث/ التاسع وبين المصاحف الرأسية الهيئة من القرن الرابع/ العاشر، ومن العجيب أن ذلك لا يؤثرعلى تتالي وجوه الرق الذي لا يختلف في هذه الأمثلة عنه في الأمثلة أعلاه حيث يكون الوجه المتصدر للمخطوط من جانب الرق الوبري. وبعض الأمثلة محيِّرة فعلا – كمخطوطي إستانبول (من القرن الثالث/ التاسع) TIEM 552-553 المكونين من مجموعات رباعية بداخلها وجوه الصحائف ١ و٢ و٤ من

جانب الوبر بينما ص ٣ معكوسة ووجهها من جانب اللحم. كما نجد أجزاء مخطوط آخر في هذه المجموعة –SE 148 – يبدو وكأنه مكون من مجموعات خماسية تتبع قاعدة جريجوري بينما يكون الوجه المتصدر للكراريس أحيانا وبريا وأحيانا لحميا، ولسبب ما نلاحظ أن الصحائف المزدوجة ٢ و/أو ٤ معابة على نحو متواتر.

جـ – تصنيع الكراريس: أحوال المغرب

في مناطق مغرب العالم الاسلامي، استمر استخدام الرق بعد انقطاعه في المناطق الأخرى، وخاصة لنسخ المصاحف، فنجده بقي شائعا حتى القرن الثامن/ الرابع عشر أو حتى القرن التاسع/ الخامس عشر إلى جانب الورق. وقد تدعونا هذه الظاهرة إلى الظن بأن تصنيع الرق استمر على الصورة التي وصفناها. ولكن هذا غير صحيح، فالملاحظ أن تتالي وجوه الرق يتبع قاعدة جريجوري ولا يبدو أنه كان ثمة أسلوب مفضل في تجميع الكراريس. أما المجموعات الخماسية فلم تكن مجهولة الشأن، بل نجد منها مخطوطين في مجموعة باريس Arabe 6090[٦٨] و6499[٦٩] يتكونان من كراريس أساسها خماسي – وإن لم تكن النوع الوحيد. فقد تكون الكراريس الرقية أكثر أهمية: كراريس المخطوط Arabe 6095 يبلغ عدد صحائفها ١٤ صحيفة.[٧٠] ولكن النساخين استخدموا أيضاً النمط الرباعي كما في المخطوطات الموجودة في باريس – المكتبة الوطنية – Bibliothèque Nationale Arabe 385[٧١] وفي الفاتيكان – مكتبة الفاتيكان – Biblioteca Vaticana, Arab. 881.[٧٢] ووفقا لما يعتقده پ. أورساتي P. Orsatti[٧٣] ويبدو أن استخدام المجموعات الثلاثية لمخطوطات الرق كان خاصية مغربية، مما يمثل اختلافا هاما عن تقاليد تصنيع المصاحف في العالم القديم التي استخلصناها إلى الآن. ففي المصاحف الرقية الصادرة من المغرب الإسلامي، تكثر المجموعات الثلاثية: كالمصاحف الثمانية المخطوطة المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس – والتي معظمها إن لم يكن جميعها مكون من مجموعات ثلاثية.[٧٤] وفي مكتبة الفاتيكان، يتبع هذا النمط اثنان من المخطوطات الرقية غير القرآنية مكونان من كراريس أساسها ثلاثي، إلى جانب ستة من المصاحف السبعة في هذه المجموعة.[٧٥] جميع هذه المخطوطات، سواء في باريس أو الفاتيكان، يتبع قاعدة جريجوري كما يتضح

لنا مثلا في المخطوط Arabe 395 المكون من تكوينات ثلاثية مختلطة بأخرى ثنائية والوجه المتصدر لبعضها هو الوجه الوبري للرق (انظر الرسم ٨).[٧٦] ونلاحظ نفس الخواص في المخطوط Arabe 5935[٧٧] – ولكنه أكثر انتظاما من المخطوط السابق، فالظاهرة الشاذة الوحيدة به هي الكراسة الأخيرة، وتركيبها خماسي حيث يتبع تتالي وجوه الرق قاعدة جريجوري. ويبدو أن هذه الخاصية ليست ناتجة عن ابتكار متأخر كالوضع في مخطوط الڤاتيكان Vatican, BAV Vat. arab. 310 . فهناك أمثلة لها منذ القرن الرابع/ العاشر.[٧٨]

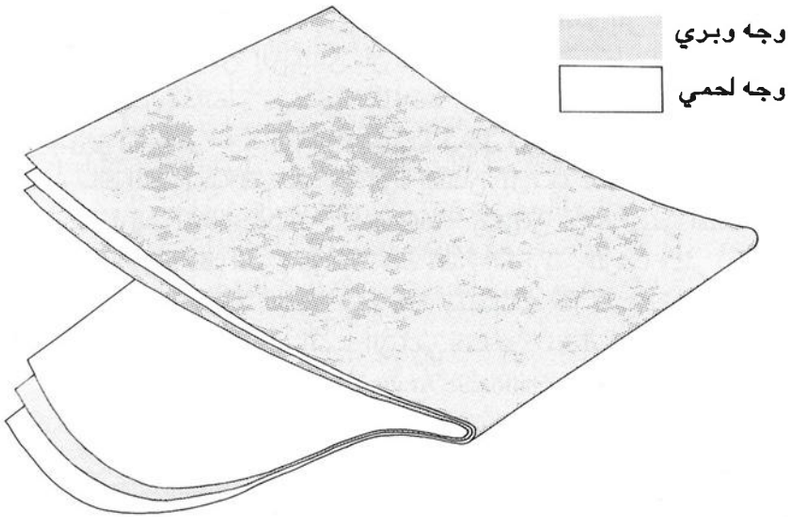

الرسم (٨) كراسة من ٣ ورقات من مخطوط مغربي

تتبع الكراريس الخماسية لمخطوطين آخرين من المجموعة الباريسية Arabe 6090[٧٩] وArabe 6499[٨٠] منسوخين في الأندلس هذه القاعدة بصفة عامة إذ تتكون غالبا من صفحات مزدوجة يتقابل فيها وجهان من نفس النوع. ولكن لا يعني ذلك أن الكراريس صنعت بالطيّ مثل كراريس المخطوطات الغربية التي ذكرناها في أوائل حديثنا. فمثلا، «العيوب» في الصحيفتين المزدوجتين

الأوليين من الكراسة رقم ١ في المخطوط Arabe 6090 وأيضا في أول الكراسة رقم ٨ (ص ١٣٠ – ١٣٢) في Arabe 6499 تجعلنا نعتقد ذلك. كما أن الغرابة البادية في الصحائف المزدوجة المتداخلة في تكوين نفس الكراسة قد تؤخذ كدليل على ذلك: فقد تحدثنا أعلاه عن بقايا جذور الشعر في عدد من صحائف مخطوطين في باريس – BN Arabe 5935 – 6090 – ويعزز التوزيع العشوائي لهذه الصحائف إلى جانب عدم قدرتنا على إيجاد صحيفتين مصدرهما نفس الجلد من الافتراض بأن الرق كان مقصوصا مسبقا وأن مصنعي الكراريس راكموا القطع الموجودة بدون أي اعتبار لمصدرها.[٨١]

د – تصنيع الكراريس: حلول مختلطة

ثمة عناصر عديدة تعضد فكرة أن قوة تحمّل الرق كانت تحظى بتقدير كبير. وعندما بدأ الورق في منافسة الرق بجدية، اتخذ النساخون – أو أوصياؤهم – الذين كانوا حريصين على بقاء المخطوطات على مر الدهر، موقفين مختلفين، الأول تمثل في اختيار النصوص التي يقتصر عليها استخدام تلك المادة المكلِّفة: وغالبا ما كان الاختيار يقع على النصوص القرآنية، والآخر كان

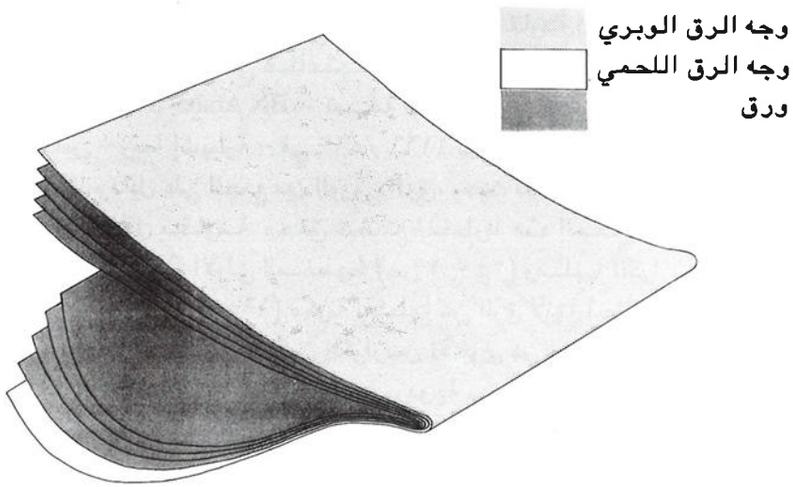

الرسم (٩) كراس من خمس ورقات مختلط

الجمع بين الرق والورق بحيث يجمعون بين متانة الرق ورخص الورق باستخدام هذا الأخير حيث لا يكون ظاهرا. وهكذا ظهرت الكراريس المختلطة المكونة من الورق والرق معا، حيث كان الرق يوضع خارج (ثم في وسط) الكراس (انظر الرسم ٩) بينما يملأ الورق باقي الفراغات بين الطبقات الرقية.

وقبل أن نتوسع في مناقشة مخطوطين استُخدم فيهما الرق والورق معا، أود أن أذكر أسلوبا فنيا لم يصلنا منه سوى مثَال واحد في هذا المجال للمخطوطات الإسلامية – وتدل على استخدامه قبل ظهور الإسلام المخطوطات المنسوخة على البرديّ.[٨٢] نعلم أن خيط الحياكة يمر في طية الصحيفة المنصِّفة لكل كراس. ومع كثرة تداول المخطوط أثناء قراءته، قد يقطع الخيط الورق وتتبعثر الصحائف في النهاية. وفي مخطوط برلين، المكتبة الوطنية – Staatsbibliothek Spr . 517 – نجد أن المجلِّد، بدلا من أن يستخدم صحيفة مركزية كاملة من الرق لمنع الانشقاق، خيَّط قطعة مستطيلة صغيرة من الرق مع كل غرزة يمر بها في ثنية الكراس بحيث يزيد طول الشقفة قليلا عن المسافة بين كل غرزتين.[٨٣] وبتفاوت أطراف الشقفات الحامية، تمكن من حفظ الكراس من الانشقاق.

الكراريس المختلطة التي ذكرناها تزودنا بدليل آخر على الأساليب التي لجأ إليها الحرفيون من مصنعي الكتب لتحسين مقاومة المخطوطات في الوقت الذي يدمجون الورق في صناعتها لخفض تكلفتها،[٨٤] ولا شكّ أن مخطوط باريس – BN Arabe 6499 – نسخة النحوي علي بن محمد بن خروف في الأندلس – ربما إشبيلية – في ٥٦٢/ ١١٦٦ يعتبر مثالا قيما على ذلك.[٨٥] فهو فعلا أقدم دليل على الجمع بين الورق والرق، بحيث تحمي متانة الرق الورق، أي العنصر الأقل مقاومة. وحقق مصنع المخطوط هذه الحماية في اتجاهين: الكراريس الثلاثة الأولى للمخطوط (ص ١ – ٢٥) ومثلها الكراريس الثلاثة الأخيرة (ص ١٣٠ – ١٦٥) مكونة بأكملها من الرق لأنها أجزاء الكتاب الأكثر تعرضا للعوامل المختلفة. تتكون الكراريس الأخرى من صحيفة مزدوجة خارجية من الرق تليها ثلاث صحائف أو أربع مزدوجة من الورق تغطي الصحيفة الرقية المزدوجة الأخيرة التي هي الصحيفة المنصِّفة للكراس. إذن فالكراريس الموضوعة بين ص ٢٦ و١٢٩ تتمتع بحماية الرق في الكراريس ص ١ إلى ٢٥ و١٣٠ إلى ١٦٥ من ناحية، تضاف إليها من ناحية أخرى حماية الصحيفتين المزدوجتين الحاضنتين لرزمة الصحائف الورقية.[٨٦]

هناك مخطوط آخر في المكتبة الوطنية بباريس يجمع بين الرق والورق. وهو المخطوط BN Arabe 2547 – عبارة عن مجموعة مؤلفات في الفلك نسخَت أساسا في ٩٨٠/ ١٥٧٢ – ١٥٧٣في دمشق.[٨٧] وفي القرن التاسع عشَر زُوِّد المخطوط بجلدة من الطراز الغربي عليها علامة لويس فيليب. ومعظم كراريس المخطوط خماسية، وخمسة منها تحتوي على صحائف من الرق مختلطة بصحائف ورقية تكون أحيانا مصبوغة. أما الكراس الأول (رقم ١٢ – ص ٩٢ إلى ٩٩) فناقص وغير منتظم. وبه صحيفتان غير متجانستين من الرق (ص ٩٧ و٩٩) موضوعتان في النصف الثاني للكراس في وضع متماثل، ووجه الصدارة لكليهما هو الجانب الوبري للرق. وأما الكراس الثاني (رقم ١٣ – ص ١٠٠ إلى ١١٥ – انظر الرسم ١٠) فبه أربع صحائف رقية (ص ١٠٤ و١٠٦

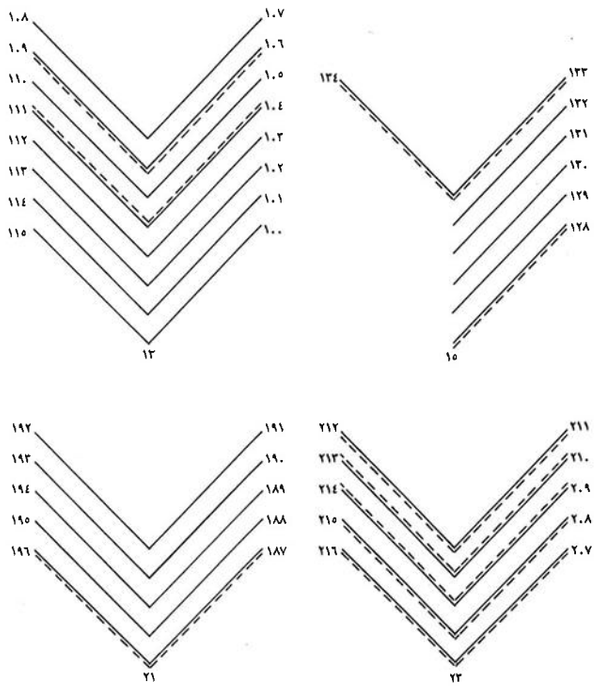

الرسم (١٠) الكراريس رقم ٨ و١٥و٢١ و٢٣ من المخطوط Paris, BN Arabe 2547 . (الخط المتقطع يبين وضع وجه الوبري).

و١٠٩ و١١١). وهي عبارة عن صحيفتين مزدوجتين وضعهما مختلف (وجه ص ١٠٤ من الجانب الوبري بينما وجه ص ١٠٦ من الوجه اللحمي). الكراس الثالث من ناحية أخرى (رقم ١٥ – ص ١٢٨ إلى ١٣٤) مشوَّه: فهو يحتوي على ثلاث صحائف رقية أولها غير متجانسة (ص ١٢٨ – وجه وبري) والأخريان تكونان الصحيفة المزدوجة المنصِّفة للكراس (ص ١٣٣ و١٣٤)، حيث تتميز الأولى بوجه لحمي. وأما الكراس الرابع (رقم ٢١ – ص ١٨٧ إلى ١٩٦) فمنتظم: الصحيفة المزدوجة الخارجية من الرق والوجه المتصدر للكراس من الجانب الوبري. فإذا ما جئنا للكراس الأخير (رقم ٢٣ – ص ٢٠٧ إلى ٢١٦) وجدناه يتكون بكامله من الرق: وتسلسل وجوه صحائفه كالآتي:

و/ل، و/ل، ل/و، ل/و، و/ل + ل/و، و/ل، و/ل، ل/و، ل/و.[٨٨]

وكما يتضح لنا، فإن استخدامات الرق لا تتبع نمطا موحَّدا في جميع الحالات: فباستثناء الكراسين رقم ٢١ وربما ١٥ (في حالته الأصلية)، الرق لا يُستخدم للوقاية الخارجية وأسلوب وضعه يبدو عشوائيا بالرغم من التفضيل النسبي لوجه الرق الوبري في ترتيب وجوه الصحائف كما أن نوع الرق نفسه يختلف عن الرق القديم الذي كان أكثر سُمْكا: هل عولج الرق؟ هل أعيد استخدامه؟ هناك العديد من الأسئلة بلا إجابات. وعلى أية حال، فهذه ليست كراريس مختلَطة مصنَّعة على نسق كراريس المخطوط Arabe 6499 ، ولكنها خليط. فالمخطوط يميل بنوعيته إلى مجال النوادر والغرائب curiosa ونعتقد أن الناسخ اختار الرق لندرته، مثلما أكثر من استخدام الورق المصبوغ – بمعنى أنه لا مجال هنا لاعتبار أن خياراته أساسها رغبته في الاستفادة من شدة مقاومة الرق. وإلى أن نعرف المزيد، يمكننا القول إن المخطوط BN Arabe 2546 هو أحدث مثال لاستخدام الرق في المخطوطات الإسلامية.

هـ – بعض الملاحظات عن استخدامات الجلود

نظرا لأهمية تصنيع الكراريس نسبة إلى تصنيع المخطوط المجلَّد، كان طبيعيا أن نخصص لها جزءا هاما من هذه الدراسة. ومجموعة الأمثلة التي عرضناها توضح أنماطا مختلفة لهذه العملية. ولكن دارس المخطوطات المجلَّدة

لا يمكن أن يكتفي بذلك: فهناك بعض الخواص لاستخدامات الرق تتطلب الإشارة إليها. وأكرر أن من استباق الأمور أن نحاول في الوقت الراهن وضع قائمة شاملة، ولذلك نقتصر على عدد من الأمثلة نستنتج منها بعض المعلومات الاقتصادية. فنجد مثلا أن المخطوط Paris, BN 6095 يحتوي على صفحات تتفق حوافها مع حواف الرق الطبيعية (ص١٧ مثلا) أو أخرى ما زال الوبر عالقا بها (مثل ظهر ص ٣٩). وقد نستنتج من ذلك أن هذه النسخة صنعت بأقل التكاليف. أما المخطوط Arabe 6499 من نفس المجموعة، وإن كان مصنَّعا بعناية أكثر، فإن به صحيفة حافة هامشها الخارجي مقطوعة بزاوية، مما يظهر أن على الرغم من عناية ابن خروف الواضحة بإنتاج مخطوط جميل، فيبدو أنه لم تطاوعه نفسه على الاستغناء عن قطعة لا تعطيه صحيفة مزدوجة كاملة. وحتى مخطوطات الأمراء، مثل MS Arabe 6090 ، تشهد على هذه الرغبة في الاقتصاد، إذ يوجد في بعض صحائف هذا المخطوط ثقب صغير داخل حدود الأسطر لإجبار الناسخ على تعديل كتابته للالتزام بالهامش، وفي مصاحف القرن الثالث/ التاسع، كما أوضحناه أعلاه (انظر أيضا الرسم ٣ إلى ٥) استُخدمت مرارا صحائف غير متجانسة لإعادة تكوين الصحائف المزدوجة – مما يقنعنا تماما بجهود مصنعي المخطوطات في تحري الاقتصاد في استخدامهم الجلود وإصرارهم على استعمال القصاصات العديدة الناتجة عن قطعها.

و – التسطير على الرق

طبيعة الرق كمادة غير مرنة أملت اللجوء إلى أساليب خاصة في تسطير الرق. فبدلا من استخدام المسطرة بصورتها المعروفة لدى دارسي المخطوطات الإسلامية الأكثر حداثة استُخدِم القلم الجاف ذو سن من الرصاص أو الحبر. ولا يهمنا الآن دراسة التطورات النوعية لأساليب التسطير، ولكننا نجد من المناسب أن نشير إلى وسائل تسطير الرق. من الناحية النظرية يسمح القلم الجاف بتسطير عدة صحائف في نفس الوقت – على شرط أن يُضغَط على القلم قليلا. ومع ذلك فلم نجد إلى اليوم أي دليل على استخدام هذا الأسلوب، ولكننا نعلم أن الرق كان يُسطَّر بالصحيفة المزدوجة، بمعنى أنه عندما لم تكن الكراسة محاكة، كانت الصحائف المزدوجة تعالج كل على حدة.[٨٩] كما يبدو أنه

جرت العادة على تسطير كل صحيفة على حدة كما لا حظنا في أعمال الناسخين الذين استعملوا الحبر أو السن الرصاصية.

وقد احتفظت بعض المخطوطات المنسوخة بالخط الحجازي بآثار التسطير، مما يثبت لنا أن الناسخين كانوا على دراية بمشاكل تنسيق الصفحات منذ البداية.[٩٠] بالتالي ندهش لانعدام آثار التسطير في معظم المصاحف المنسوخة بالخط العباسي القديم:[٩١] فانتظام الخط يدعونا إلى افتراض أن الناسخ اعتمد على نظام معين للتحكم في نسق السطور – ولكن ليس ثمة من دليل على ذلك.[٩٢]

٣ – إعادة استخدام الرق

سبق لنا أن أشرنا إلى رسائل الحسبة التي نشرها بالفرنسية لڤي پروڤنسال حيث يُنصح بعدم إعداد أي رق غير مكحوت.[٩٣] يذيل الكاتب توصية ابن عبدون بتوضيح منه مفاده أن الرق المعني قد يكون الرق الجديد المكحوت قبل بيعه أو الرق المُستَعمَل، أي الحامل للكتابات، الذي يُحكُّ لإعادة استعماله (الطرس).[٩٤] ونتساءل عن معنى «الطرس» في هذه الحالة على التحديد، إذ يبدو لنا أن التوصية بالحك لإزالة الكتابة وإعادة استعمال الرق ليست ضرورية، فنحن نعلم أن الناسخين، بحكم غلاء الرق، أعادوا استخدام صحائف عليها كتابات يمحونها بالغسيل أو بمجرد الحك. ولا تنقصنا المراجع التاريخية الدالة على ذلك. ثم أن رسائل ابن باديس تشرح لنا بوضوح كيفية محو أجزاء محدودة من النصوص.[٩٥]

إلى جانب المصادر الأدبية المذكورة، لدينا أمثلة عربية للطرس تؤكد لنا هذه الممارسات. ولعل واحدا من أقدم الأمثلة هو جزء من مصحف عُرض للبيع أخيرا في لندن،[٩٦] وعلى الرغم من أننا محقين في تشككنا في دقة تاريخه المبكر إلا أننا نقبل أن صحيفته استُعملت خلال القرن الأول/ السابع. وثمة شبيه لهذا المصحف هو مخطوط اكتُشف في اليمن وأعلن عنه الفريق الألماني المسؤول عن ترميم مصاحف صنعاء المَخطوطة،[٩٧] ولكن مصنعي المخطوطات لم يكتفوا بإعادة استعمال الرق في إطار تقليد معتمد: فإلى جانب النصوص العربية الإسلامية المكتوبة فوق نصوص أقدم في نفس اللغة، كما في الأمثلة السابقة، نجد أمثلة للطرس حيث تغطي النصوص العربية نصوصا بلغات

أخرى،[٩٨] والعكس صحيح: ففي أطراس «لويس–منجانا» نجد نصوصا مسيحية بالعربية من القرن العاشر أو حتى التاسع فوق صفحة من التوراة بالإغريقية، ومقتطفات سريانية، وثلاث فقرات قرآنية بالخط الحجازي.[٩٩] ولم يكن الفارق الزمني بين النصين المتتاليين بالضرورة طويلا: وقد يستفيد الناسخ من هذه العملية عندما يحتاج تصحيح نص أدرك أنه أخطأ فيه.[١٠٠]

لا تمثل إعادة استخدام الرق التي أسلفنا وصفها حصرا شاملا لتلك الظاهرة، فدراسة المجلَّدات القديمة تثبت أن المجلِّدين لم يترددوا في استخدام رق مستَعمَل. فأثناء التجليد بالألواح الخشبية، يبدو أنهم كثيرا ما لجأوا إلى تبطين الوجه الداخلي للوح بلصق صحيفة من مخطوط قديم.[١٠١] كما أنهم اعتادوا تقطيع الصحائف إلى شرائط لتقوية ظهر رزم الكراريس،[١٠٢] أو لاستخدامها كمفاصل في تعشيقة التجليد التي تميزت بها المصاحف القديمة.[١٠٣] كما حولوا صحائف الرق المناسبة حجما إلى أغلفة.[١٠٤] ولكننا نخطئ حين نصوِّر المجلِّد في دور المنقب عن الرق المستعمل، إذ نجد بكر الإشبيلي، على سبيل المثال، يكرر في رسالته عن التجليد «كتاب التيسير في صناعة التسفير» ذكر الرق عدة مرات بدون تحديد ولو مرة إن كان الرق جديدا أم لا. ويمكننا الأخذ بأن اقتراحاته تشمل أيضا الرق الجديد.[١٠٥] إذ يمكننا أن نتعرف فيها على الاستخدامات التي شهدناها في المجلدات القديمة مثل البطانة،[١٠٦] واستعمال شرائط الرق في المفصل بين اللوح الخشبي ورزمة الكراريس.[١٠٧] ونشير هنا إلى نوع من الأغلفة يسمى الشدْق يتكون من قطعة من الجلد تلصق عليها ورقتان أو ثلاث ثم طبقة من الرق: مما يؤدي إلى نوع من الورق المقوَّى أو الكرتون.[١٠٨] وأخيرا، ننبه إلى أن الإشبيلي ينصح باستخدام نوع معين من الصمغ مخصص للرق.[١٠٩]

الخاتمة

إن الخبرة الفنية الواسعة للرقّاق العربي تفتح مجالا واسعا للمناقشة، إلا أننا نقف على أرض صلبة في تحليلنا لاستخدامات الجلود في صناعة المخطوطات، وهو تحليل نخرج منه بأن المسلمين يحتلون مكانة خاصة بين وارثي فن الكتاب القديم. ترى هل كانوا يتبنون مهارات سبق أن تأسست في الشرق الأوسط؟ – بالنسبة لصناعة كتب البردي، نجد أن التقليد الذي يبدو

شائعا في القرنين الثالث–الرابع/التاسع–العاشر يتميز بقواعد تتسم بالابتكار منها القطع المسبق للجلود بانتظام، وتفضيل يكاد يكون تاما للكراريس خماسية التركيب، وتسلسل منتظم لوجوه الرق، وإعادة تكوين الصحائف المزدوجة «المزيفة» بتجميع صحيفتين غير متجانستين، تقابلها طرق تصنيع أخرى معروفة في ذلك الوقت إلا أنها نادرة الوجود ولا تسمح لنا حاليا بأي تفسيرات موثوقة. ويجدر بنا أن نؤكد أن الأساليب الفنية التي تميَّز بها المغرب الإسلامي في هدا المجال تضفي على المنطقة طابعا خاص بدون أن تيسر لنا سبيلا لتفسيره.

إن التسلسل الزمني لاستخدام الرق في المخطوطات الإسلامية قد بدأ يسير على درب التحديد الدقيق. وقد نقبل بصعوبة تاريخ المخطوط BN Arabe 2547 – ٩٨٠/ ١٥٧٢ – ١٥٧٣ – كإعلان قاطع بنهاية استخدام الرق في المخطوطات الإسلامية. لقد استُخدِم الرق منذ القرن الأول/ السابع بكميات يستحيل تحديدها بالمقارنة مع استخدام البردي. وبالرغم من أنه لم يتبق لنا أي مخطوط مؤكَّد التاريخ والمصدر من الفترة السابقة للقرن الثالث/ التاسع،[١١٠] فإنه يمكننا القول إن الرق استخدم في تصنيع المخطوطات في جميع أركان العالم الإسلامي خلال عصر ذهبي يمتد إلى القرن الرابع/ التاسع. وثمة مثالان من أواخر القرن الثالث/ التاسع – يظن أنهما نسخا في إيران – يدلان على أن الرق ظل يستخدم في تلك المنطقة بينما كان الورق في طريقه إلى التربع على عرش فن المخطوطات بلا منافس.[١١١] على أن الأمثلة لنفس الفترة في المنطقة الوسطى للعالم الإسلامي أكثر عددا ودقة، خاصة عند دراستها في ضوء الأمثلة المتبقية لنا من المجتمعات الأخرى في نفس المنطقة – كمخطوطات طور سيناء على سبيل المثال.[١١٢] وفي القرن الرابع/ العاشر وبعده، يقتصر استخدام الرق على المغرب الإسلامي تدريجيا، باستثناء عدد من الحالات المعزولة التي لا نقدر حاليا على تقييمها بدقة. واستمر استخدام الرق في قلعته الأخيرة بالمغرب، سواء على حدة أو مجتمعا بالورق إلى القرن الثامن/ الرابع عشر أو ربما القرن التاسع/ الخامس عشر.

إن توفر معرفة أفضل بفن صناعة المخطوطات الرقية، وخاصة القيام بدراسة المجموعات المنشورة بانتظام للمخطوطات المؤرَّخة، لحريّ أن يسمح لنا بإكمال جدولنا الزمني. كما أن المقابلة بين النتائج التي نصل إليها وبين

الشواهد النصية العديدة أو شواهد أسماء المدن،[١١٣] قد تسمح لنا أن نكوّن تصورا ما عن الجغرافية التاريخية لاستخدام الرق في العالم الإسلامي.

الحواشي

(١) نجد بعض المعلومات المفيدة (مع ملاحظة تخصصه في علم الورق عند العرب) في:

A. Grohmann, *s.v. Djild, EI*^{2}, II, p. 533–54,

و لنفس المؤلف

Arabische Paläographie I [Denkschriften der Österreichische Akademie der Wissenschaften], Phil.-hist Klasse, 94, Vienna, 1967, p. 108–11;

و كـــــذلك عند J. Pedersen, *The Arabic book*, ed. with an introduction by R.Hillenbrand, Princeton, NJ, 1984, p. 55–7; G. Endress, "Pergament in der Codicologie des islamisch-arabischen Mittelalters", *Pergament, Geschichte – Struktur–Restaurierung-Herstellung*, P. Rück éd. Sigmaringen, 1991,p. 45–6.

(٢) بالانجليزية parchment وبالألمانية Pergament وبالفرنسية parchemin وبالإيطالية pergameno إلخ... الكلمة الإغريقية الدالة على الرق diphthera أصل الكلمة العربية دفتر

(انظر: B. Lewis, *s.v.* Daftar, *EI*^{2}, II, p. 78).

(٣) راجع:

F. Bilabel, s.v. "Membrana", Paulys Real-Encyclopädie der classischen Altertumswissenschaft, XV/1 (Stuttgart, 1931), col. 596-601;

وفقا لرايدر بلينيوس الأرشد (Pline l'Ancien) مسؤول عن نشر هذا التفسير.

M. L. Ryder,"The biology and history of parchment", *Pergament, Geschichte – Struktur – Restaurierung – Herstellung*, P. Rück éd. [Historische Hilfswissenschaften, 2], Sigmaringen, 1991, p. 25.

(٤) انظر:

R. Reed, *Ancient skins, parchments and leathers* [Studies in archaeological science], London-New York, 1972,p. 277; M. L. Ryder, *op. cit.* [no. 3], p. 25.

يجب الحذر عند استخدام اللفظ «رق». فوجود الكتابة على وجهي الجلد ليس مقياسا كافيا. ثم أن هناك موادا أخرى مشابهة تصنّع بأساليب مختلفة تماما (انظر ١٦ أدناه).

(٥) D. Muzerelle, *Vocabulaire codicologique*, Paris, 1985, p. 39;

M. L. Ryder (*ibid.*)

يصران على أن الدباغة لم تكن تستخدم، بينما هارن، الذي يتحدث عن skins يعتقد أن الجلود في الشرق الأوسط كانت تعالج بعملية دباغة خفيفة:

M. Haran,""Technological heritage in the preparation of skins for biblical texts in Medieval Oriental Jewry", *Pergament, Geschichte – Struktur – Restaurierung – Herstellung*, P. Rück éd. Sigmaringen, 1991, p. 35 - 37.

ويشاركه ريد هذا الرأي في *Ancient Skin* ص١٢٢-١٢٣. ويفرق بيت آري كذلك بين المشرق وأوروبا – بما في ذلك أسبانيا – ولكنه يتحدث عن «الرق» في كلتا الحالتين:

M. Beit-Arié *Hebrew Codicology*, Paris, 1976, p. 22, no. 25 .

(٦) لسنا على علم بأي دراسات عن أصناف الحيوانات المستخدمة. كما أن المصادر لا تفيدنا بأية معلومات عن ذلك في العصور القديمة. (راجع بلابل، المرجع نفسه، العمود٥٩٧)، بالنسبة للعالم الإسلامي، يتحدث الكتاب الذين ذكروا الرق عن الخروف والماعز والعجل. راجع: غروهمان (المرجع السابق [1] ص١٠٨) و إندرس (المرجع السابق[1] ص٤٥)

U. Dreibholz, "Der Fund von Sanaa. Frühislamische Handschriften auf Pergament", *Pergament , Geschichte – Struktur – Restaurierung – Herstellung*, P. Rück éd. [Historische Hilfswissenschaften, 2], Sigmaringen, 1991 p. 301).

يكثر ذكر جلد الغزال في الفهارس ودفاتر المعلومات، مثلا:

A. Mousa, *Islamische Buchmalerei*, Cairo, 1931, p. 46 et pl. XVIII [29];

M. Ülker, *Baslangıçtan günümüze Türk hat sanatı*, Ankara, 1987, p. 110,

و يخصص غروهمان بعض السطور لهذا الموضوع في *Arabische Paläographie*, I, 110 ومع ذلك، فثمة مصادر أرمنية تعدد الأصناف المستخدمة: الماعز والظبي والخروف المستأنس والبري والأيّل والقواع و العجل والحمير. راجع:

P. Schreiner, "Zur Pergamentherstellung im byzantinischen Osten", *Codices manuscripti*, 9, 1983, p. 126.

Le Calendrier de Cordoue, R. Dozy éd., Texts and Studies, I], Leiden, (٧) 1961, p. 90–1;

و هي طبعة جديدة تصحبها ترجمة فرنسية أعد حواشيها شارل بيلان. ونحن نشكر M. G. Guesdon للفته نظرنا إلى هذه الفقرة.

(٨) عن جلود الأيّل المستخدمة في تصنيع الرق، راجع ريد المرجع السابق [4] ص٢٧ وص١٠٦

(٩) T. I, p . 545, s.v. *Raqq*

يجب أيضا أخذ طبيعة الحيوان في الاعتبار: فمقاسات جلد الغزال الشرقي تكون حوالي ٤٠ x ٥٠ سم.

(١٠) راجع:

E. Levi-Provençal, *Séville musulmane au début du XII^e^s., Le traité d'Ibn Abdūn sur la vie urbaine et les corps de métier* [Islam d'hier et d'aujourd'hui II], Paris, 1947, p.133, n. 219 (=traduction);

ولنفس المؤلف *Documents arabes inédits sur la vie sociale et économique en Occident musulman au Moyen-Age*, Première série, *Trois traités hispaniques de hisba (texte arabe)* [Publications de l'IFAO, Textes et traductions d'auteurs orientaux, 2], Cairo, 1955, p. 59 (texte arabe).

(١١) راجع: ريد (المرجع السابق [4] ص ٣٧)

(١٢) لا يذكر النص هذا التركيب، ولكنه يوجد في قواميس مختلفة عربية وتركية وفارسية – كما يذكرها

B .Dodge, *The Fihrist of al-Nadīm*, New York-London, 1970, I, p . 40 , no .92

(١٣) Ibn Al-Nadīm, al-*Fihrist*, éd. G. Flügel, (Leipzig, 1871-2) p. 21;

و دودج (المرجع السابق [12] ص٤)

(١٤) يذكره R. Hay Gaon (العراق، نهاية القرن التاسع)، انظر أيضا:

A. Harkavy, *Studien und Mittheilungen aus der kaiserlichen öffentlichen Bibliothek zu St Petersburg, 4 Theil, Responsen der Geonim (zumeist aus dem X–XI Jahrhundert)*, Berlin, 1885–7, p. 28.

ونخص بالشكر M. Garel على مساعدته لنا في دراسة هذه الفقرات الدقيقة.

(١٥) راجع: ريد (المرجع السابق [4] ص ١٣٥-١٣٦) و رايدر (المرجع السابق [2] ص ٢٧)

(١٦) يقول شراينر إن هذا الأسلوب كان معروفا في العصور القديمة (المرجع السابق[٦] ص١٢)، و يوافقه في

ذلك هاران(المرجع السابق[٥] ص٤٢)، وهذه الاختلافات ناتجة جزئيا عن صعوبة تفسير المصادر النصية ولكنها لا تضعف من أهمية مقارنة فنون تصنيع المخطوطات المجلدة. فمقارنة تقاليد تصنيع المخطوطات في مناطق مثل الشرق الأوسط أو أسبانيا قد تتمم لنا معلومة ناقصة. فلنأخذ مثلا مسألة نشر الجلود في اتجاه السمك - أي شد ورقتين من قطعة جلد واحدة. يؤيد هاران وجود طريقتين، إحداهما في الغرب ينتج عنها الرق بمعناه المفهوم والأخرى في الشرق ينتج عنها منتج يشابهه وإن لم يطابقه، ويعتقد أن الرقاقين المسلمين مهروا في عملية النشر بحيث أمكنهم شد طبقتين من الجلد: raqq (raq بالعبرية) - وهي الطبقة السميكة القريبة من اللحم - والقشط qasht - وهي الجزء الرقيق من ناحية الوبر. راجع:

"Bible scrolls in Eastern and Western Jewish communities from Qumran to the High Middle Ages" *Hebrew Union College Annual*, LVI, 1985,p . 47-50.

وبالإضافة إلى نص لابن ميمون يرجع إليه كثيرا (Mishne Tora, II Hilkhot tephillin 6-7)، يذكر هاران فقرة من رسالة لابن ميمون تبين أسماء هذه المنتجات ولكنه قرأ «قشط» بدلا من «قنط» وهو اللفظ الموجود في النص الذي حرره

J . Blau, *R . Moses ben Maimon responsa*,I, Jerusalem, 1957, p . 268 , 1.7

(للنص العربي والعبري) و يبدو أن النصوص العربية لم تحفظ لنا معلومات عن هذا الأسلوب الفني وإن كانت حروف الكلمة الجذرية ق ش ط ذات معنى فلا نجد في القواميس التي استشرناها دليلا على كلمة قَشط بمعنى نوع من الرق (مع ذلك، نجد الأصل ق ش ط عند الحديث عن الطرس: انظر ٨٩). ومع ذلك نؤيد أن التقنية كانت معروفة منذ القدم: فقبل أعمال ابن ميمون Maïmonide الذي سكن بمصر في القرن الثاني عشر نصادفها في كتابات من القرن التاسع، أي في عصر كان تصنيع الرق فيه ما زال شائعا. يلخص لنا هاران خطوات تصنيع الرَّق والقَشط كالآتي: (١) تمليح الجلد لمدة يومين أو ثلاثة. (٢) غمره في محلول ماء وجير. (٣) تجفيفه بشدة على إطارات خشبية، وتزول بقايا الوبر أثناء هذه العملية، كما أن هذه مرحلة فصل الرَّق عن القَشط (نفس المرجع، ص ٤٨-٤٩). يتضح مما سبق، وباستثناء الخطوة الأخيرة، أن الإجراءات قريبة جدا من إجراءات التصنيع المتبعة في أوروبا، آخذين في الاعتبار أننا لم نتمكن من العثور على أي دلائل في المخطوطات التي درسناها على فصل الجلد إلى منتجات مختلفة.

(١٧) هاران، المرجع السابق [5] ص٣٦، و المرجع السابق [16] ص٣٦-٣٧.

(١٨) درايبهولتز، المرجع السابق [6] ص٣٠١.

(١٩) ريد، المرجع السابق [4] ص١٤٧.

(٢٠) ليفي بروفنسال، المرجع السابق [10] النص العربي ص٥٩، الترجمة، ص١٣٣، رقم ٢١٩.

(٢١) انظر ليفي بروفنسال، المرجع السابق [10] النص العربي ص١٢٤.

R. Arié, "Traduction annotée et commentée des traités de hisba d'Ibn 'Abd al-Ra'ūf et de 'Umar al-Jarsīfī", *Hesperis Tamuda* I, p. 371.

(٢٢) ليفي بروفنسال، المرجع السابق [10] النص العربي ص٢٧، ١، ١٧-١٨، الترجمة، ص٦٠، رقم ٤٥.

(٢٣) راجع:

F. Déroche, FiMMOD, no 16; (G. Humbert, FiMMOD, no 65)

انظر أيضا مخطوط BN Arabe 6499,

كان الرق الشفاف معروفا في العصور الوسطى: راجع ريد، المرجع السابق [4] ص ١٤٢-١٤٥، وما قيل عن goldbeaters' parchment ص ١٣١.

(٢٤) راجع:

E. Blochet, *Catalogue des manuscrits arabes des nouvelles acquisition (1884–1924)*, Paris, 1925, p. 184; F. Déroche, *FiMMOD*, n° 68.

(٢٥) راجع:

F. Déroche, *Les manuscrits du Coran, aux origines de la calligraphie coranique* [Bibliothèque Nationale, Catalogue des manuscrits arabes, 2e partie, Manuscrits musulmans, I/1], Paris, 1983, p. 20;

و درايبهولتز، المرجع السابق [6] ص٣٠١، كما نجد مثالا جيدا في

F. Déroche, *The Abbasid tradition, Qur'āns of the 8th to the10th centuries AD* [The Nasser Khalili collection of Islamic art], London, 1992,p.62–3,n°15

(٢٦) حتى تنجح هذه التجربة، يجب إهمال منتصف الكراريس وأيضا الصحائف الأولى والأخيرة من كراسين متلازمين (انظر أدناه).

(٢٧) انظر ٢٣

(٢٨) F. Déroche, *Les manuscrits du Coran, du Maghreb à l'Insulinde* [Bibliothèque Nationale, Catalogue des manuscrits arabes, 2e partie, Manuscrits musulmans, I/2], Paris, 1985, p. 34–5, n° 302 et pl. XIV a.

(٢٩) انظر ٢٤

(٣٠) انظر ٢٣

(٣١) M. Lings, *The Qur'anic art of calligraphy and illumination*, London, 1976, pl. 3 et 4;

و أولكر، المرجع السابق [6] ص١٠٥و ١٠٧؛ وديروش، المرجع السابق [22 لعام ١٩٩٢] ص٩٠-٩١ رقم ٤١، ويبدو أن جزءا من المجلد الأول لهذا المصحف – أو كله – محفوظ في برينستون. راجع:

P. K. Hitti, N. A. Faris et B. 'Abd al-Malik, *Descriptive catalogue of the Garrett collection of Arabic manuscripts in the Princeton University Library*, Princeton, 1938, p. 359, n° 1156 = 35G.

(٣٢) غروهمان، المرجع السابق [1] الجزء الأول و الثالث.

(٣٣) E. Tisserant, *Specimina codicum orientalium*, Bonn, 1914, XXXII, pl. 42; R. Blachère, *Introduction au Coran*, 2e éd., Paris, 1959, p. 96, 99, 100; G. Bergsträsser et O. Pretzl, *Die Geschichte des Korantexts*, dans Th. Nöldeke, *Geschichte des Qorans*, III, 2e éd., III, Leipzig, 1938, p. 254;

و ديروش، المرجع السابق [25 لعام ١٩٨٣] ص٧٥-٧٧. وتوجد صحائف أخرى في مجموعات أخرى مثل دار الكتب بالقاهرة، انظر:

B. Moritz, *Arabic palaeography*, Cairo, 1905, pl. 1–12) et Gotha, Forschungsbibliothek (*cf.* J. H. Möller, *Paläographische Beiträge aus den herzoglichen Sammlungen in Gotha*, 1. Heft, Erfurt, 1844, pl. XIV).

و توجد مخطوطات أخرى مقاساتها مقاربة وطرازها مشابه، و إن كان هذا وفقا لمصدر غير علمي:

F. Neema, "Restaurado, el Coran mas antiguo", *Excelsior*, Mexico, D.F., suppl, du dimanche 25/07/1993.

ومقاسات المصحف في مسجد سيدنا الحسين في القاهرة هي ٧٠٠ x ٦٠٠ مم حسب صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، بيروت (١٩٧١)، ص ٥٣ – ٥٤. ووفقا لريد، توافق هذه المقاسات مقاسات الرق المصنع من جلد الجدي (انظر ريد، المرجع السابق.[4] ص١٢٠)

(٣٤) غروهمان، المرجع السابق [1] ص١١١.

(٣٥) بلابل، المرجع السابق [3] العمود ٥٩٨، وعرفت الآثار القديمة الرق ذا اللّون الأصفر، وفي هذا الصدد، يشير إلى كتاب Isidore de Séville, *"fiebant autem coloris lutei"*, الذي يذكر فضلا عن هذا،

الرقّ ذا اللّون الأرجواني (الأحمر القاتم):

"membrana autem aut candida aut lutea aut pupurea sunt" (*Etimologias*, texto latino, version española y notas por J. Oroz Reta y M. A.Marcos Casquero, Introduccion general por M. C. Diaz y Diaz, Madrid, 1982, p. 586–9: VI, 11, 2–5).

ولاحظ بلابل في مجموعة القطع المنسوخة على رقائق مكتبة جامعة «هيديلبيرغ»، نماذج ذات لون أصفر، والنماذج البيزنطية التي استطاعت التأثير على إنتاج (الرق) في البلاد الإسلامية معروفة جيدا. انظر على سبيل المثال الحادثة التي نقلها غروهمان، في المرجع السابق ذكره [١] ص ١١١.

(٣٦) الذي خصص له بلوم دراستين J. Bloom("Al-Ma'mun's Blue Koran?" *Revue des Etudes Islamiques* (REI), 54, 1986, p56-65.

J. Bloom"The Blue Koran. An Early Fatimid Kufic manuscript from the Maghrib", *Les manuscrits du Moyen-Orient,* F. Déroche éd. [Varia Turcica VIII], Istanbul-Paris, 1989, p.95–9.

و توجد ببليوغرافيا وافية في ديروش،المرجع السابق [٢٥(١٩٩٢)] ص ٩٢

(٣٧) من أجل نموذج ذي لون برتقالي، راجع المرجع السابق [٢٥(١٩٩٢)]ص٥٨، رقم ١١.

(٣٨) M. Levey, *Medieval Arabic bookmaking and its relation to early chemistry and pharmacology* [Transactions of the American philosophical society, New series, vol. 52, part 4], Philadelphia, 1962, p. 22–3.

(٣٩) حسب غروهمان، المرجع السابق [1] ص ١١٠، الذي يشير إلى الراغب الأصفهاني والبكري. انظر أيضا رقم ١٣.

(٤٠) فيما يخص نماذج الكوفة، يمكننا أن نعتبر أن استعمال المزيج المكوّن من التّمور الذي أشرنا إليه سالفا، كان له تأثير على شهرة الرقائق التي أُنْتِجَتْ فيها. وهنا نستطيع ملاحظة تشابه نسبي مع حالة Pergame حيث تقنية إنتاج الرق، وكما يشير إلى ذلك البعض، تقدّمت تقدّما ملموسا إلى درجة جعلت المدينة تشتهر وكأنها مهد للرّق. انظر رايدر، المرجع السابق [3] ص٢٥.

(٤١) يؤكّدريد (المرجع السابق [١]ص ١٣٢) أهميّة الماء في عملية التّصنيع كما يناقش المشاكل المتعلّقة بالتّجفيف في البلاد الحارة ص١٤٧.

(٤٢) تعني كلمة (*rotulus*) أن تكون خطوط الكتابة عمودية بالنسبة إلى اتجاه نشر اللفة. بينما

(*volumen*) تعني تعامد الكتابة بحيث تكون موازية لاتجاه النشر.

(٤٣) استخدمت الإدارة الساسانية لفائف من الجلد المدبوغ (انظر غروهمان، المرجع السابق [١] ص ١٠٧)

ويبدو أن مكتب قاضي القضاة العبّاسي قد تخلّى عن «اللفة» فيما يخص مجموعة المخطوطات(ص ١٠٨) غير أن مجموعة مخطوطات إدارة مصر الأموية بقيت محفوظة (راجع القائمة في

J. Gascou, "Les codices documentaires égyptiens", *Les débuts du codex*, A. Blanchard éd. Turnhout, 1989, p. 100)

إن اللفة التي قد يقصد بها *rotulus* قد عُرِفَتْ في الميدان الأدبي أيضا راجع:

N. Abbott, *Studies in Arabic literary papyri*, II, *Qur'anic commentary and tradition* [Oriental Institute Publications, LXXVI], Chicago, 1967, p. 57–8.

(٤٤) S. Ory, "Un nouveau type de muṣḥaf, inventaire des Corans en rouleaux de provenance damascaine, conservés à Istanbul", *REI*, XXXIII, 1965, p.87–149.

(٤٥) انظر أوري، المرجع السابق [44] ص ٩٧، ١٠١، ١٠٢، وغيرها، حيث نجد خيطا - يمكن أن يكون من الحرير وكذلك حبلا من الجلد المدبوغ (ص١١٦).

(٤٦) المرجع السابق [44] ص ١١٤.

(٤٧) ذُكر الرق في القرآن الكريم (٥٢:٣). وقد عُرِفَ الرق في اللغة العربية قبل الإسلام مثل ورق البردي ولنفس الأسباب، كما ذكرغروهمان في المرجع السابق [1] ص١٠٩.

(٤٨) يعلن غروهمان (المرجع السابق [1]ص١١١) أن الاستعمال الأكثر حداثة للرق، يعود تاريخيا إلى ٤٩٨/ ١١٠٥ ، وذلك يخصّ فقط ورق البردي (انظررقم ١). وفيما يخص المخطوطات، وخاصة مخطوطات القرآن الكريم، فإن الأمر يختلف عن ذلك. وخلال بحوثنا وجدنا أمثلة لاستعمال الرق في مصاحف مكتوبة في الشرق حتى نصف القرن ٤/ ١٠، انظر على سبيل المثال

F. Déroche, "Collections de manuscrits anciens du Coran à Istanbul: Rapport préliminaire", *Etudes médiévales et partrimoine turc*, J. Sourdel-Thomine éd. [Cultures et civilisations médiévales, 1], Paris, 1983, p. 155: un Coran copié à Fustat en 325/936–7.

ومخطوطات أخرى يمكن أن تكون قد كتبت فيما بعد، وكذلك نأخذ بعين الاعتبار مخطوطة

BN Arabe 2547 التي سنقدمها لاحقا.

(٤٩) L. Gilissen, *Prolégomènes à la codicologie, Recherches sur la construction des cahiers et la mise en page des manuscrits médiévaux*, Ghent, 1977, p. 26–35; J. Lemaire, *Introduction à la codicologie* [Université catholique de Louvain, Publications de l'Institut d'études médiévales, 9], Louvain-la-Neuve, 1989, p. 69–94.

(٥٠) ديروش، المرجع السابق[٢٥(١٩٧٣)] ص ٩٦، رقم ١١٠ونصادف نفس البنية في قطعة BN Arabe 358 b التي يمكن إعادة تاريخها إلى قبل ٣٠٠هـ/٩١٣م (انظر *FIMMOD* رقم ١٩).

(٥١) ورقة تطابق مجموع «و/ل» أو «ل/و» (و = الوجه الوبري، ل = الوجه اللحمي للرق) ويشار إلى الخياطة في وسط الكرّاسة بالرّمز «+».

(٥٢) فيما يخص ورق الرق البردي فقد استُعْمِلَ جانبه الداخلي فقط في البداية (راجع غروهمان المرجع السابق [1]ص١١١)، وحسب هاران يحتمل أن يكون النّساخ العرب قد قاموا بنفس العمل، كما هو عليه الحال في الرّق المتحصّل عليه بنشر الجلد في اتجاه السّمك، بينما كانوا يفضّلون بالدّرجة الأولى استعمال الجانب الوبري للقشط (المرجع السابق [١٦] ص٤٨)

(٥٣) موزيريل، المرجع السابق (٥) ص٩٢:

"ensemble de deux pages se faisant vis-à-vis, constitué par le verso d'un feuillet et le recto du suivant" .

(بحيث تكون جملة صحيفتين تقابل إحداهما الأخرى، إذ تشكل إحداهما ظهر الصّحيفة الأولى بينما تشكل الأخرى وجه الصّحيفة الثّانية).

(٥٤) انظر حالة المخطوطات في المكتبة الوطنية BN Arabe 5935

(٥٥) انظر على سبيل المثال

J. Robinson, "Codicological analysis of Nag Hammadi Codices V and VI and Papyrus Berolinensis 8502", *Nag Hammadi Studies* X, Leiden, 1979, p.14–5; A. Wouters, "From Papyrus Roll to Papyrus Codex, Some Technical Aspects of the Ancient Book Fabrication", *MME*, V (1990–1), p. 12.

(٥٦) ليس من المؤكد أن هناك إجماعا على تركيب لفائف الرقّ: فأحيانا يشار إلى ٢٠ ورقة ملصقة بأطراف بعضها البعض، كما هو الحال في ما ورد بعد بلينيوس، ولكن ذلك لا يشكل قاعدة.

(٥٧) على سبيل المثال مخطوط باريس BN Syriaque 27 الذي يعود إلى الفترة قبل ٧٢٠م، أما قبل٦٤٠م فكانت الكراسات المتكونة من ٨ إلى ١٠ أوراق تتواجد إلى جانب بعضها البعض، وظلّت كذلك بعد هذا التاريخ،

W. H. P. Hatch, *An Album of Dated Syriac Manuscripts*, Boston, 1946, p.23; M. Mundell Mango, "The Production of Syriac Manuscripts, 400–700AD", *Scrittura, libri e testi nelle aree provinciali de Bisanzio*, G. Cavallo,

G. de Gregorio et M. Maniaci éd., I [Biblioteca del "Centro per il colegamento degli studi medievali e umanistici nell'Università di Perugia", 5], Spoleto, 1991, p. 163.

(٥٨) F. Déroche, "A propos d'une série de manuscrits coraniques anciens", *Les manuscrits du Moyen-Orient*, F. Déroche éd. [Varia Turcica VIII], Istanbul-Paris, 1989, p. 107–8.

(٥٩) لا زلنا غير قادرين على تحديد ما إذا كان وجود عدد من الأوراق غير المربوطة بعضها مع البعض له تأثير على سعر المخطوطات.

(٦٠) تبدأ الفترة التي تُغَطِّي هذا النوع من الإنتاج من نهاية القرن ٨/٢ إلى وسط القرن ٥/ ١٠، ولكن جل النماذج المدروسة تعود إلى القرن ٩/٣.

(٦١) M. Amari, "Bibliographie primitive du Coran" (éd. par H. Dérenbourg), *Centenario della nascita di M. Amari*, I Palermo, 1910, p. 18–9;

N. Abbott, *The rise of the North Arabic script and its Qur'anic development, with a full descripton of the Qur'ān manuscripts in the Oriental Institute* [Oriental Institute publications, 50], Chicago, 1938, p. 24; A. Grohmann, "The problem of dating early Qur'āns", *Der Islam*, 33, 1958, p. 216, 222, 226 et n. 48;

و تيسران، المرجع السابق [33] ص٣٢ والشكل ٤١أ؛ و برجشتراسر وبريتزل، المرجع السابق[33]ص٢٢٥ و اللوحة٩؛ و غروهمان، المرجع السابق [1]ص٤٢، رقم١؛ و ديروش، المرجع السابق [25 (١٩٨٣)] ص٥٩–٦٠، رقم ٢.

(٦٢) انظر ٦١.

(٦٣) انظر ٥١.

(٦٤) بالرجوع إلى نسخ القرآن الكريم الموجودة في مسجد الحسين بالقاهرة (انظر رقم ٣٣) يصعب الحكم حول ما إذا كان نفس الترتيب قد رُوعي.

(٦٥) معنى ذلك أن الرق لم يكن يثنى، عكس الحال في قطع الفوليو.

(٦٦) يعني أن الفرز يتم على كامل سمك مجموعة الأوراق على طول الهامش الداخلي وعلى مسافة قصيرة من خط الطي، راجع موزيريل، المرجع السابق[5] ص١٧٩.

(٦٧) درايبهولتز، المرجع السابق[6] ص٢٠١، رقم ٩.

(٦٨) انظر ٢٤.

(٦٩) انظر أدناه.

(٧٠) راجع رقم ٢٣، بحيث أن كل جزء يتشكل من كراستين الأولى تتكوّن دائما من ١٤ ورقة، بينما الثّانية تتضمّن ٨ إلى ١٢ ورقة.

(٧١) E. Blochet, *Les enluminures des manuscrits orientaux de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1926, p. 62–4; *Les arts de l'Iran, l'ancienne Perse et Bagdad* [exposition, Bibliothèque Nationale, Paris], Paris, 1938, p. 172–3, n° 109;

G. Vajda *Album de paléographie arabe*, Paris, 1958, pl. 46; *Trésors d'Orient* [exposition, Bibliothèque Nationale, Paris], Paris, 1972, p. 64, n° 172;

M. Lings et Y. H. Safadi, *The Qur'ān* [exposition, The British Library, Londres], London, 1976, p. 40, n° 48 et pl. VI; *L'islam dans les collections nationales* [exposition, Grand Palais, Paris], Paris, 1977, p. 118, n° 212 et fig;

و لينجز، المرجع السابق [31]ص٢٠٥ و اللوحات ١٠٤ و ١٠٥؛ و ديروش، المرجع السابق [28] ص٣١–٣٢ و اللوحة ١٤ب.

(٧٢) P. Orsatti, "Le manuscrit islamique: caractéristiques matérielles et typologie", *Ancient and Medieval Book Materials and Techniques*, M. Maniaci and P. Munaò, ed. (Vatican, 1993), II, 297.

(٧٣) نفس المرجع:٢٩٧–٢٩٨. تتفق ملاحظاتنا مع هذا الاتجاه (راجع المصدر المذكور في رقم ٢٥ ص ١٤) ويوجد إجماع حول هذه النقطة مع المخطوطات العبرية الإسبانية، فحسب بيت آري فإن ثماني نسخ من المخطوطات تم انجازها في مجموعات ثلاثية (مكونة من ثلاث صحف) في الفترة ما بين ١١٩٦م و ١٣٠٠م، وبصفة خاصة في طليطلة. (راجع المصدر المذكور في رقم ٥، ص ٤٣).

(٧٤) Mss Arabe 386, 388, 395, 423, 5935; Smith-Lesouëf 194 et 202.

(٧٥) Vat. arab. 310 et Barb. or. 46, et les Corans Vat. arab. 210, 211, 212, 213, 215 et Borg. arab. 51; voir P. Orsatti loc. cit..

(٧٦) ديروش، المرجع السابق[٢٨] ص٣٢-٣٣، رقم ٢٩٨. تسلسل وجه الصّحائف يتم عادة بشكل و/ل + و/ ل؛ بينما في الدفتر رقم (٤) يوجد و/ل + و/ل + ل/و. أما فيما يخص المجموعات المزدوجة (أي المكوّنة من صحيفتين) فإن واحدة منها غير منتظمة (الدفتر رقم ١٣)، بينما الثلاثة الأخرى منتظمة.

(٧٧) انظر ٢٨.

(٧٨) تيسران، المرجع السايق [33]ص٣٧ و اللوحة ٥١أ؛

G. Levi della Vida, *Elenco dei manoscritti arabi islamici della Biblioteca Vaticana,* [Studi e testi,67], Vatican, 1935, p. 26; P. Orsatti, "Le manuscrit islamique", 294, 298.

(٧٩) انظر ٢٤.

(٨٠) انظر أدناه..

(٨١) من المؤسف أن المخطوطات التي كُتبت على الرق في القيروان وبالأخص تلك المتعلقة بالقانون لم تُدرس دراسة فنية تسمح بجلاء بعض الخصوصيات الإقليمية. وفيما يخص استعمال الرق في المغرب العربي وتتمة لما قيل نشير إلى محمد المنوني، «تقنيات إعداد المخطوط المغربي» في

Le manuscrit et la codicologie, A.C.Binebine ed. (Rabat, 1994) 20-21.

(٨٢) يشير ريد (المرجع السابق[4] ص ٥) إشارة خاطفة إلى هذا الاستعمال. ونجد نموذجا له في

V. Scheil, *Deux traités de Philon* [Mémoires publiés par les membres de la mission archéologique française au Caire, IX/2], Paris, 1893, p. 7.

(٨٣) W. Ahlwardt, *Verzeichnis des arabischen Handschriften, der königlichen Bibliothek zu Berlin*, (Berlin, 1887-99), II, 249, no 1557.

(٨٤) كما أشرنا في الهامش رقم ٥٩، ليس لدينا من المعلومات ما يمكّننا من تقدير تكاليف صنع المخطوطات مع الأسف، ونود بصفة خاصّة معرفة أثر استعمال الورق ومبلغ أهميته بالنسبة لعنصر التكاليف.

(٨٥) أنظر [23] أعلاه، و

"Remarques sur les éditions du *Kitāb* de Sîbawayhi et leur base manuscrite", K. Versteegh & M. G. Carter ed., *Studies in the History of Arabic Grammar,* II [Studies in the history of the language sciences, 56] Amsterdam-Philadelphia , 1990, p. 185.

وفيما يخص المخطوطات العبرية يعود تاريخ أقدم شهادة حول هذا النوع من الكرّاسات إلى ١٢١٢م، وتصادف هذا النوع من العمل بصفة أساسية في شبه جزيرة إيبيريا وفي إيطاليا وفي الإمبراطورية البيزنطية (انظر بيت آري، المرجع السابق[٥] ص ٢٧-٢٩).

(٨٦)الكرّاسة رقم ١١ نهايتها غير منتظمة (ص ١٠٦ إلى ١١٥)، كما تشمل الكرّاسة رقم ١٢ ورقتين مزدوجتين من الرق في اتجاه المركز (ص ١٢١ إلى ص ١٢٤).

(٨٧) W. de Slane, *Catalogue des manuscrits arabes,* Paris, 1883–5, p. 457–8. بعض الكتيبات أكثر قدما نوعا ما: محرم ٩٧٧/يونيو-يوليو ١٥٧٩ (الورقة رقم ١٨٣)؛ شوال ٩٧٩/فبراير-مارس ١٥٧٢ (الورقة رقم ١٢).

(٨٨) انظر ٥١.

(٨٩) انظر على سبيل المثال، MS Istanbul, TIEM, SE 362.

(٩٠) انظر على سبيل المثال، قطع باريس BN Arabe 328a (انظر رقم ٥٨) و تيسران، المرجع السابق [33]اللوحة ٤١ ب؛ وبرجشتراسر و بريتزل، المرجع السابق [33]، الشكل ٨؛ و آبوت، المرجع السابق [61] ص٢٤؛ و ديروش، المرجع السابق [25 (١٩٨٣)]ص٦١، رقم ٧.

(٩١) لا بد من الإشارة إلى ظاهرتين تناقضان الوضعية السائدة هنا: (١) تظهر نسخ المخطوطات على الرق المصبوغ (ونذكر هنا بصفة خاصة مثال القرآن الكريم المنسوخ على رق أزرق) آثارا لنظام كامل التسطير.

(٢) غالبا ما كان الصبّاغون يسمحون ببقاء التسطير التحضيري على المخطوطات التي لم يكن لها تسطير.

(٩٢) E. Whelan, "Writing the word of God: some early Qur'ān manuscripts and their milieux, Part I", *Ars Orientalis* 20, 1990, p. 115.

حسب هذا المرجع، فإن وجود التّسطير في الزخارف وأكثر من ذلك عدم الانتظام الذي لا يكاد يلاحظ في خط قاعدة الحروف، هي الحجّة بعدم وجود التّسطير إطلاقا، فقد اعتمد الناسخ فقط على تقدير العين المجّردة، وهنا لا يبدو لنا أن ما يقال عنه تسطيرا يعني مسطرة شيء بجانب الصواب، والخط المتُسطَّر على الرق (أو الورق) ما هو إلا دليل لا يعيق حركة اليد قليلا أو كثيرا بالنسبة إلى السطر، من جهة أخرى لا تبدو لنا المقارنة بين تقنيات الملوّن وتقنيات الناسخ من القوة بمكان بحيث تمكّننا من البت في هذه المسألة.

(٩٣) (الترجمة) *Séville musulmane*, p. 133, no 21 (النص العربي)*Documents arabes*, p. 59

(٩٤) راجع *Séville musulmane*, ص ١٦٠، الملاحظة «a» حيث يشرح دوزي مطوّلا عبارة «رق مبشور» التي تشابه عبارة «طرس مكشوط»، بما يصب في معنى *palimpseste*

(Lettre à M. Fleischer contenant des remarques critiques et explicatives sur

le texte d'al-Makkari, Leiden,1871, p. 78–81).

(٩٥) ليفي، المرجع السابق [38] ص ٢٦-٢٧

(٩٦) دار مزادات سوذبي، مبيعات يوم ٢٢/ ١٠/١٩٩٢ ، كمّية رقم ٥٥١.

(٩٧) G. R. Puin, *Maṣāḥif Ṣan'ā'* [exposition, Dār al-athār al-Islamiyya Kuwait] Kuwait,1985, 14 et 6.

(٩٨) يشير غروهمان إلى نموذجين: المرجع السابق [1]ص١٠٩

(٩٩) A. Mingana et A. Lewis, *Leaves from three ancient Qur'āns possibly pre'Uthmānic, with a list of their variants*, Cambridge,1914, p. v-vi.

(١٠٠) انظر على سبيل المثال:

H. Loevenstein, *Koranfragmente auf Pergament aus der Papyrussammlung der Österreichischen Nationalbibliothek* [Mitteilungen aus der Papyrussammlung der Österreichischen Nationalbibiothek (Papyrus Erzherzog Rainer), Neue Serie, XIV. F., Textbd.], Vienna, 1982, p. 24-5 (n° 1 = A Perg. 2).

إن القطعة القرآنية المذكورة أعلاه ربما تطابق مثل هذا.

(١٠١) G. Marçais et L. Poinssot, *Objets kairouanais, IXe au XIIIe siècle, reliures, verreries, cuivres et bronzes, bijoux*, fasc. 1 [Direction des antiquités et arts, notes et documents, 9], Tunis, 1948, p. 16, 65–7, etc ...; F. Déroche, "Quelques reliures médiévales de provenance damscaine", *REI*, 54, 1986 [Mélanges D. Sourdel, L. Kalus éd.], p. 89.

(١٠٢) لا بد من التمييز بين هذا الاستعمال وذلك الخاص بالمتحفّظين الذين ذكرناهم سلفا.

(١٠٣)مارسي و بوانسو، المرجع السابق [101] ص١٤ و ٧٢، وديروش، المرجع السابق [101] ص٨٩.

(١٠٤) تقدّم لنا مجموعة مخطوطات المسجد الكبير بدمشق نموذجا من هذا.

(١٠٥) بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمي الإشبيلي: «كتاب التيسير في صناعة التسفير» تحقيق عبد الله كنون في *Revista del Instituto de estudios islamicos en Madrid*، المجلد ٨/٧ (١٩٥٩-١٩٦٠) ص ١-٤٢ (النص العربي) و١٩٧-١٩٩ (موجز بالإسبانية)؛

A. Gacek, "Arabic bookmaking and terminology as portrayed by Bakr

al-Ishbīlī in his "Kitāb al-taysīr fī ṣinā'at al-tasfīr", *Manuscripts of the Middle East*, 5, 1990–1, p. 106–113.

(١٠٦) المرجع السابق [105] ص٢٧، وجاتشك، المرجع السابق [105] ص١٠٧.

(١٠٧) المرجع السابق [105] ص٢٧، وجاتشك، المرجع السابق [105] ص١٠٩.

(١٠٨) المرجع السابق [105] ص٢٧، وجاتشك، المرجع السابق. نستطيع أن نقارب بين هذه التقنية وبين تلك التي تستعمل بكثرة في التغليف (انظر أعلاه) والتي تتألّف من لصق الرق والجلد المدبوغ.

(١٠٩) المرجع السابق [105] ص٢٧، وجاتشك، المرجع السابق [105] ص١٠٧.

(١١٠) بالنسبة للمخطوطات ذات التواريخ القديمة، نستطيع النقل عن كركيس عوّاد «أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م» بغداد ١٩٨٢ ، و أيضا عن

G. Endress ("Handschriftenkunde", *Grundriß der arabischen Philologie*, W. Fischer éd., I, Wiesbaden, 1982, p. 281) F. Déroche ("Les manuscrits arabes datés du III^{e}/IX^{e}s."*REI*, LV–LVII,1987–9, p.343–79).

(١١١) MSS Dublin, Chester Beatty Library 1417 (A. J. Arberry, *The Koran illuminated, a handlist of Korans in the Chester Beatty Library*, Dublin, 1967, n° 260; D. James, *Qur'āns and bindings from the Chester Beatty Library, a facsimile exhibition*, London, 1980, p. 26) et Istanbul, Topkapı Sarayı Müzesi, A 1.

ديروش المرجع السابق [48] ص ١٥٣-١٥٤.

(١١٢) انظر على سبيل المثال: ا. ص، عطية: «الفهارس التحليلية في مخطوطات طور سيناء العربية، المجلد ١- الإسكندرية،١٩٧٠؛ و

I. E. Meïmari, *Katalogos tôn neôn arabikôn cheirographôn tês Ieras Monês Agias Aikaterinês tou Orou Sina*, Athens, 1985.

(١١٣) لو أن جميع المشتغلين بالرق في مختلف المناطق في العالم الإسلامي تركوا أثرهم في جملة الأسماء العمرانية، فإن دراسة هذه الأسماء ستسمح بتدقيق التسلسل الزمني لصناعة الرقائق. وكذلك برسم خارطة لها في البلاد الاسلامية، انظر:

"Faubourg des Parcheminiers" à Cordoue: *Le calendrier de Cordoue* [n. 7], Dozy éd p. 166, n. 6.

تسافير مكتبة القيروان العتيقة

مراد الرمّاح

المعطيات العامة:

حافظت مكتبة القيروان العتيقة على مجموعة نادرة من المصاحف المكتوبة على الرّق والتسافير الجلدية التي تعود إلى فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي. وقد كانت هذه المجموعة قبل اكتشاف مصاحف وتسافير جامع صنعاء باليمن المرجع الأساسي والفريد لدراسة أوجه من فنون الكتابة خلال العهد الإسلامي المبكّر.

وقد خص كل من مارساي وبوانسو التسافير القيروانية ببحث مستفيض[1] سمح بتوثيقها والتعرف على أهم خصائصها الزخرفية والفنية، إلا أن التركيز على دراستها مستقلة عن مصاحفها التي أخذت منها، وفي معزل عن اطارها العام حال دون التوفّق في تصنيفها والنجاح في ضبط تواريخها. كما أن الاطلاع على وثائق ونصوص لم تنشر في ذلك التاريخ كسجل قديم للمصاحف القيروانية وتحقيق بعض المخطوطات[2] المتصل بالمادة وخاصة كتاب «التيسير في صناعة التسفير» للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي[3] يسمح بالتثبت من مختلف مراحل مباشرة الجلد والتعرف على المصطلحات اللغوية والفنية الخاصة بذلك إلى جانب ما يمكن القيام به من استنتاجات حضارية تتعلق بمواد هذه الصناعة.

وقد ازدهرت صناعة الجلد بإفريقية خلال القرنين العاشر والحادي عشر ميلادي[٤] وكانت السروج القيروانية المطرزة بالفضّة والخزّ تصدّر إلى الممالك الأوروبية[٥] كما راجت صناعة الرق ويذكر المقدسي أن مصاحف ودفاتر أهل إفريقية كانت مصنوعة كلّها من الرق. وقد ساعدت الظروف المناخية على توفير الماشية ممّا جعل أهل إفريقية يعوّضون عن الكتابة على الكاغد بالكتابة على الرق، وقد أخذ الأندلسيون عن أهل إفريقية الأساليب المعتمدة فيها[٦] ونستشف من وثائق الجنيزة أن إفريقية قد أصبحت مركزا هاما لصناعة الكتابة تصدر بضاعته إلى المشرق والأندلس،[٧] كما تثبت نفس هذه الوثائق أن التجار الأفارقة كانوا يستوردون من المشرق حيث مستودع التجارة الهندية المواد الأولية اللازمة لذلك كالبقم المستعمل في دبغ الجلود باللون الأحمر[٨] وماء الإهليلج بالنسبة للأصفر.[٩] كما كانت إفريقية تستورد النوشادر المعتمد في تبييضها[١٠] وحجر البركان المتخذ للتسوية من جزيرة صقلية[١١] إلى جانب الحرير الصالح للتخزيم والحبك[١٢] ولعل بعض الجلود الجيّدة كانت تستجلب من اليمن مما يعمل بعر والطائف وينبع ومثل هذه الديار.[١٣] وقد ازدهرت تبعا لذلك صناعة المصاحف بإفريقية وسرى ذكر الوراقين بها ولعل من أشهرهم أحمد بن علي الوراق الذي باشر بمفرده إنجاز مصحف حاضنة الأمير ابن مناد باديس بن منصور الصنهاجي وقد جاء في وثيقة التحبيس: «كتب هذا المصحف وشكله ورسمه وذهبه وجلّده علي بن أحمد الوراق للحاضنة الجليلة حفظها اللّه على يدي درّة الكاتبة».[١٤] وذلك سنة ٤١٠هـ/١٠٢٠م.

ويمثل أحمد بن علي الوراق أوج المدرسة القيروانية التي أصبحت لها خصائص وتوالت فيه خطوط تميزها[١٥] وقد تبلورت هذه التجربة وبدا نضجها خلال كتاب «عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب» الذي ألفه صاحبه لتميم بن المعزّ الصنهاجي وهو يعتبر من أهم المصادر الإسلامية المتعلقة بفنون الكتاب.

التسافير القيروانية العتيقة:

لقد اكتشفت مجموعة التسافير القيروانية في أول القرن بمقصورة الجامع الأعظم ثم حفظت بمتحف باردو قبل تحول القسم الأوفر منها منذ سنة

١٩٨٥ إلى مركز دراسة الحضارة والفنون الإسلامية برقّادة - القيروان. وتعرض عيّنات منها حاليا بالمتحف الوطني بباردو وبمتحف رقادة وبمتحف المنستير. وتشتمل المجموعة على فئتين:

١- الفئة الأولى: وهي ذات قطع مستطيل أصبح يعرف فيما بعد بالنمط الإيطالي ويتراوح طولها بين ٦ و٢٧ سم وعرضها بين ٥، ١٠ و٣٨ سم ويكون طولها عادة قدر ثلثي عرضها ويتراوح سمكها بين ٤ و١١ سم ويشتمل هذا القسم على أقدم التجاليد القيروانية (من أواسط القرن ٣هـ/٩م إلى أواسط القرن ٥هـ/١١م) وأغلبها اللوح المتخذ من خشب التين أو الأرز أو الحور ويبدو أنها كانت تختص بالمصاحف، إلا أن إشارة بسجل قيرواني وضع لها سنة ٦٩٣هـ تفيدنا بأنها كانت تتخذ في بعض الأحيان للكتب الفقهية ومجامع الأحاديث.[١٦]

وقد كانت جلدة المخطوط تصنع على شكل صندوق يقفل من ثلاث جهات وتكون الدفة العليا غشاءه.[١٧] وكانت أوراق المخطوط تحاط وتلزم بكعب الصندوق، وقد حافظت بعض الأمثلة من مصاحف القيروان على بقايا الثقب التي كانت تتخذ للتخريم، وتتراوح سعة الصناديق في ما بين ٤٤ و١٤٠ ورقة وكانت الكراريس تضم لبعضها بخيوط من الحرير الملون[١٨] لتكون سفرا، ويقفل الصندوق بإطلاق الوجه المتحرك على أوراق المخطوط، ويكون القفل كروي الشكل معمول من الحديد أو البرنز ونادرا من الفضّة[١٩] ويشد إلى القسم السفلي بخيط من الجلد ويثبت في اللوح بمسمار ويبطن من الداخل بقطعتين أو ثلاث من الرّق[٢٠] تمد على أطراف الجلد وتغطّي الرقعة الخشبية وربما أضيفت فوقها طبقة من الجلد أو من الحرير.

وقد يتخذ وجه التبطين لتسجيل التحبيس والقائم به وتاريخه أو لعدد الأجزاء المسفرة. ويلاحظ أن أغلب الجلود من جلد الماعز وقد كان الاهتمام فيها منصبا على زخرفة الأسطح الخارجية، فبعد أن تتم عملية مد الجلد مباشرة يقوم المجلد برسم خطوط زخرفية بواسطة عظم محدب الطرف والجلد طري لم يجف بعد ثم يتركها قليلا ليمر عليها فيما بعد بقطعة من الحرير المحمي وكان تنفيذ الزخارف يتم بواسطة حدائد الكي أو المناقش، ويبدو أن هذه الحدائد المحمية كانت تطفأ بالشمع وهو ما يؤكد وجود بقايا منها على التسافير القيروانية[٢١] وتوجد ضمن هذه الفئة مجموعة متميزة تحتوي على زخارف أشبه

بالعروق، مستقيمة ومنحنية ودائرة، وهي أشبه بالنقش البارز، إذ ترتفع عن السطح بنسبة ملحوظة، وهذه طريقة صنعها:

يلصق الصانع بواسطة الغراء خيوطا على دفة الكتاب الخشبية، وتتخذ هذه الخيوط أوضاعا زخرفية معينة، وبعد تجفيفها يمدّ عليها الجلد، وقبل جفاف الجلد يوضع الكتاب تحت المعصرة لفترة ما ويفصل بين السطح المزخرف وجزء المعصرة الضاغط بقطعة من قماش الصوف، تسمح للزخارف أن تبرز وتأخذ شكلها في الجلد. ثم يقوم المجلد بمتابعة الزخارف البارزة بواسطة قطعة من العاج أو العظم المحدب حتى يتم تحديد الزخرفة تحديدا تاما، كما يقوم بتسطيح الأجزاء المحصورة بين الزخارف. وقد لوحظ أنه توضع أحيانا أقراص جلدية مستديرة بين الدفة الخشبية والجلد لتعطي زخارف مستديرة وشموسا (لوحة ١).

وتتمثل زخارف هذه الفئة من التسافير في تحانيش وتشابيك ودوائر. وتتكون الحواشي غالبا من شريط مضفور أو دويرات أو معينات أو مربعات على القاعدات، وتوجد عدة عناصر زخرفية لطيفة على الأرضية.[٢٢]

٢ – الفئة الثانية: وهي أقل عددا وتعود إلى فترات تاريخية متأخرة نسبيا جميعها على النمط المصطلح عليه بالفرنسي، ويتراوح عرضها بين ١٢سم و٤ر٢٢سم وطولها بين ٤ر١٥سم و٢١سم، كما أنها خالية من القفل المعدني، ذي المسمار والخيط، وهذه الجلود مصنوعة من قطعة واحدة من الجلد تشمل السطحية والكعب واللسان، ولم تعد تقوم كالسابق على دفتين خشبيتين، ولكن تكسي وتغشي الورق الملبد المقوى، كما أصبحت البطانة الداخلية من الجلد، أو من القماش باطراد، وزخارفها أقل كثافة وأحسن صنعة.

تاريخ التسافير القيروانية:

وقد قام كل من مارساي وبوانسو بتأريخ المجموعة وتقسيمها إلى خمسة نماذج تمسح كل منها فترة تاريخية، وذلك بالاعتماد على مجموعة من المعطيات الفنية والإشارات التاريخية التي سمحت بالقيام بالاستنتاجات التالية:

١ – مجموعة أولى تتكون من أربعة وخمسين مجلدا وتعود إلى القرن التاسع الميلادي وهي ذات قطع مستطيل على الشكل الذي أصبح يعرف فيما بعد بالشكل الإيطالي، ويحلي محور دفة الكتاب عادة تشبيك مكون من سلاسل

لوحة (١)

لوحة (٢)
أحد تسافير مصحف فضل مشدود لأوراقه

لوحة (٣)

تسفير مصحف خديجة بنت الأغلب بن عبد الله (أواسط القرن ٣هـ/٩م)

لوحة (٤)

التسفير من الجلد الأحمر المشدود إلى أجزاء من مصحفه الأصلي
(أوائل القرن ٥ هـ/ ١١م)

أو دوائر وفي بعض الحالات من ضفائر ذات أربع أو ست أو ثماني جدائل أو من مربعات متوازية مع الحاشية التي تكون مشتملة على أطر يحتوي بعضها على معينات أو مربعات وأغلبها على ضفائر أو تشابيك أو دوائر أو سطور تكون من وريدات وتحلى حافة الكتاب عادة خطوط مجمعة تكون متعامدة مع الدفة ويتمثل العنصر الأساسي في سرفات chenilles مكونة من حزات يتم تنفيذها بواسط حديدة الكي المشتملة على شفرتين متتاليتين.

وقد أرخ المؤلفان هذه المجموعة من القرن التاسع بالاعتماد على تجليد محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة يشتمل على أغلب الزخارف والأشكال المذكورة وهو محبس على جامع دمشق في سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣-٨٨٤م.[٢٣]

٢ - مجموعة ثانية يبلغ عددها ثمانية عشر تجليدا وهي ذات قطع على الشكل الإيطالي ويستجيب لنفس روح المجموعة الأولى، إلا أن حواشيها متعددة الأطر وزخارفها أكثر تنوعا بحيث تتعدد الدوائر المحفورة والمجوفة والبارزة ويتراجع استعمال المعينات والوريدات. وتتمثل الأطر عادة في أسطر من الدوائر المنقطة أو مربعات على القاعدة أو معينات أو ضفائر أو عقود أو أشكال كمثرية. وقد أرخت هذه المجموعة من القرن العاشر اعتمادا على تحبيس يشتمل عليه إحداهما ويعود إلى جمادى سنة ٣٧٨هـ/سبتمبر-أكتوبر ٩٨٨م.[٢٤]

٣ - مجموعة ثالثة: ويبلغ عددها ٤٥ تجليدا وأغلبها على شكل المجموعات الأخرى إلا البعض منها فهو على النمط الفرنسي وهي تتميز بتنوع زخارفها وثرائها وكثافتها وبكونها عملا فنيا أكثر إتقانا، وتحلى الأرضيات زخارف متعددة تتمثل في أشكال كمثرية أو معينات متداخلة أو عقود متلاحقة، وتظهر لأول مرة صحون ودوائر تحمل بعضها كتابات، وتتميز الحواشي بأطر متعددة الأشكال وهي نفس العناصر التي تتكرر في ملء الأرضية. وتختص السرفات بصغر حجمها وسلاسة وتناسق تشابيكها ورقة توزيعها.

وتؤرخ هذه المجموعة من القرن الحادي عشر وذلك بالاعتماد على خط مصحف أحد التجاليد الراجعة للمجموعة وعلى وجود زخارف تتمثل في وريقات ذات ثلاثة فصوص، حيث أن هذا العنصر يتكرر في شواهد القبور القيروانية التي تعود إلى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر. كما أن أحد التسافير قد بطن بورقة من الرق مؤرخة من سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨-٩٣٩م وهو حد أقصى لتاريخ إعادة استعماله.[٢٥]

٤ – مجموعة رابعة: وهي معاصرة للمجموعة الثالثة ويبلغ عدد نماذجها تسعة تسافير وهي تتميز بزخارفها المثبتة بالخيوط وهي أقل كثافة وتنوع مما نراه في الأمثلة السابقة، وتقتصر على أطر ووريقات ذات ثلاثة أو أربعة فصوص.[٢٦]

٥ – مجموعة خامسة: وهي أقلها عددا وتتركز فيها الزخارف على الجاهة والأركان وتمتاز بدقّة صنعتها وهي تؤرخ من القرنين الثاني عشر والثالث عشر حيث أنها تشبه إلى حد كبير التسافير الموحدية المحفوظة بمدرسة ابن يوسف بمرّاكش، وقد أرخ أحدها في شهر رجب ٦٥٤هـ/أغسطس ١٢٥٦.[٢٧]

وإن تميزت دراسة بوانسو ومارساي بإعطائنا جردا كاملا للتسافير القيروانية ومواصفاتها وأشكالها وأحجامها. وهي من هذه الناحية وثيقة ذات أهمية فائقة، فإن محاولة تأريخها للمجموعات لم ترتكز على مقاييس موضوعية واضحة.[٢٨] خاصة وإنه لم يتسن للباحثين المذكورين الاطلاع على المصاحف التي أخذت منها التسافير وقد ظل بعضها محافظا على تحابيس مؤرخة قد تفيدنا في زيادة التحري في الأمر. ثم إن توزيع المجموعات قد أتى مرتبكا ومتداخلا ولا يستجيب في حد ذاته إلى المقاييس التي ضبطها الباحثان نفسهما، من ذلك فإنه ليس هنالك ما يبرر وجود بعض التسافير في المجموعة الثالثة من دون الأولى، أو الأولى من دون الثانية[٢٩] وهكذا.

تاريخ الفئة الأولى

أ – المجموعات الثلاث الأولى: تثبت دراسة المصاحف القيروانية المكتوبة على الرق أن أقدم مثال مؤرخ فيها هو المصحف الذي حبسته فضل مولاة أيوب على الجامع الأعظم بالقيروان سنة ٢٩٥هـ/١٠٠٨م (اللوحة ٢)، وربما قدمنا ذلك بنصف قرن بالاعتماد على مصحف حبسته على جامع القيروان خديجة بنت الأغلب بن عبد الله بن الأغلب التي عاشت فيما يبدو إلى أواسط القرن الثالث الهجري (اللوحة ٣).[٣٠] وقد تطورت ظاهرة تحبيس المصاحف بقدر تبحر إفريقية في العمران وازدهار البلاد وثراء أهلها ونلاحظ من خلال المجموعة القيروانية أن الظاهرة قد استفحلت ونمت خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس الهجري، وتعود إلى

هذه الفترة أنفس وأبهى المصاحف القيروانية التي وصلت إلينا كمصحف الحاضنة ومصحف المعز بن باديس وأم العلو أخت المعز وأم ملال عمته... والمصحف المكتوب بالذهب الخالص... والمصحف الذي حبسه أبو بكر محمد الكاتب على جامع مدينة عزّ الإسلام (أي صبرة المنصورية) سنة ٤٤٦هـ، وهو آخر المصاحف المحبسة ويوافق هذا التاريخ الزحفة الهلالية وخلاء القيروان ونكاد نجزم بالاعتماد على الإطار التاريخي العام للفترة أن صناعة التجليد والكتابة قد تعطلت خلال بقية القرن الخامس وكامل القرن السادس بالقيروان، حيث أن المدينة قد هجرها أهلها واندرس عمرانها وكسدت أسواقها وليس هنالك ما يبرر حتى الحاجة إلى استجلاب مصاحف من الآفاق بل إن بعض المساجد قد خلت واستلزم الأمر نقل المصاحف التي كانت موجودة فيها وحفظها بالجامع الأعظم بالقيروان، فقد جاء في مقدمة مصحف أم العلو أخت المعز الذي حبسته على مسجد ابن عبد المطلب بباب سلم ما يلي: «نقله قاضي السنة عمر بن أحمد بن علي إلى المسجد الجامع الأعظم بمدينة القيروان للخوف عليه وخلاء الموضع».[٣١]

ومن ثمة فإنه يمكن القطع أن المصاحف القيروانية وتسافيرها من الفئة الأولى تعود جلها، إن لم نقل جميعها، إلى الفترة الواقعة بين النصف الثاني من القرن الثالث ونهاية النصف الاول من القرن الخامس الهجري أي من النصف الثاني من القرن التاسع إلى نهاية النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي وفي ذلك اقتصار للمدة وتحديد أولي يتواصل على امتداد قرنين من الزمن فقط.

ومن حسن الطالع أن حافظت مجموعة من هذه المصاحف على تسافيرها وهو ما سيعيننا على إعادة تصنيفها. ومن ذلك فإن مصحف فضل (٢٩٥هـ/١٠٠٨م) قد أبقى أحد أجزائه على تسفيره مشدودا إليه (لوحة ٢) وتتمثل زخارفه في إطار في شكل ضفيرة تحيط بصفتين من الضفائر تحتل محور الكتاب ويعرف هذا الزخرف في مصطلح المسفرين المسلمين بالتحنيش، وقد أرخ صاحبا كتاب *Objets Kairouanais* أمثلة عديدة مشابهة له من القرن التاسع فقط.[٣٢]

كما أن مصحف خديجة (أواسط القرن التاسع) قد حافظ على تسفيره (لوحة ٣) ويتمثل إطاره في ضفيرة تتكون من خصلتين تحيط بمجموعة من

المربعات على القواعد وهي تتواتر بين مسطحة ومحزوزة ويتولد الزخرف المذكور عن سطور مائلة ومتقاطعة. وقد أرخ بوانسو ومارساي مثالا مطابقا له من القرن العاشر.[٣٣]

كما تم التعرف على تجليد من مصحف مكتوب بخط مولد عن الريحاني الذي كتب به مصحف الحاضنة وهو يتميّز بكتابته الحادة والدقيقة، إلا أن جميع حروفه تكون بنفس السمك بقطع النظر عن زاوية القلم عند رسمه لهيئة الحرف، وقد انتشرت هذه الكتابة بإفريقية بداية من القرن ٥هـ/١١م (لوحة ٤) ونحن نملك مصحفا مؤرخا من سنة ٤٢٣هـ كتب بنفس الخط وهو يطابق المصحف المشار إليه في طريقة تنقيط علامات الإعراب بالأحمر وفي تذهيب بدايات السور وتزويقها، مما يدعم التاريخ الذي اقترحناه. ويتمثل تجليده في دفة من الجلد الأحمر تشتمل حاشيتها على إطار في شكل ضفيرة تحلّي محورها زخارف ساذجة مرسومة رسما بسيطا بعظم محدب يتمثّل في أشكال مختلفة تعتمد العنصر الدائري. وتبدو طريقة زخرفته بدائية بالنسبة للتجاليد المتقدمة رغم أنها أحدث منها.

وتجعلنا مختلف المعطيات التي ذكرناها نتوقف في اعتماد التصنيف الذي أورده مارساي بالنسبة للثلاث مجموعات الأولى من التسافير القيروانية، وإن كان الاطلاع عليها عن قرب مرتبطة بمصاحفنا لا تسمح لنا بتقديم تصنيف جديد نظرا لأن التسافير المؤرخة لا تمثل إلا نسبة قليلة من المجموع، وهذه النسبة تدعونا بدورها إلى الاحتراز، نظرا لعدم بروز تطور واضح فيها يعتمد عناصر زخرفية تتغير بتغير الفترة التاريخية، بل إننا نلاحظ تداخلا وتقديما وتأخيرا فيها. ومن ثمة فإنه لا يمكن التأكد بأن هذا العنصر الزخرفي أو ذاك قد انتهى اعتماده في عهد ما. ومن ذلك أنه إن ثبت اعتماد الضفائر الدائرية منذ /أواسط القرن التاسع فإننا لا نستطيع الجزم بعدم تواصل استعمالها من طرف بعض المسفرين وصناع التجاليد في الحقب التالية. وبالاعتماد على ذلك فإنه يمكن التسليم بأنه منذ أواسط القرن ٣هـ/٩م تبلورت عناصر زخرفية في التسافير القيروانية تعتمد خاصة الأشكال الهندسية والضفائر والتشابيك والسرفات المحزوزة، وبقيت سائدة إلى أواسط القرن ٥هـ/١١م، على أن ذلك لا ينفي حصول تطور في الأنماط دون العناصر بداية من النصف الثاني من القرن ٤هـ/١٠م نتيجة التمرس والنضج الفني بعد أجيال من الممارسة والتطبيق. ونضرب مثلا على ذلك التسافير التي تحمل ضفائر كثيفة ومحززة

حزا لطيفا وتتخللها دويرات منتظمة وهي تنم عن تبحر في الصنعة وتراسب في المخزون الفني.

ب – المجموعة الرابعة: إن عدد دفات المجموعة الرابعة المزخرفة بالخيوط قليلة لا تسمح بالقيام باستنتاجات ثابتة، إلا أن مكتبة القيروان حافظت على مثالين يتسنى تاريخهما الأول من مصحف يحمل العدد الرتبي ٦٨ وتؤرخ كتابته الكوفية وزخارفه من النصف الثاني للقرن ٤هـ/١٠م، حيث أنه يعتبر متطورا بالنسبة لمصحف فضل السابق الذكر من حيث زخارفه وعلامات وقفه ومنمنماته، إلا أنه يقاربه في خطه وعلامات إعرابه ويعتبر تجليد هذا المصحف من أجمل الأمثلة التي تم العثور عليها بمجموعة القيروان حيث أنه من الجلد الأسود الذي تتوسط محوره زهرة متعددة الفصوص يحيط بها مستدير تنبثق منه أربعة زهيرات تشتمل كل منها على ثلاث وريقات.[٣٤] كما تم العثور على تجليد آخر مثبت بالخيوط تتمثل زخرفته في إطار بسيط تتوسطه دائرة تشتمل على زهرة. وهذا المصحف مكتوب بخط مستمد من الريحاني يؤرخ من بداية القرن ٥هـ/ ١١م،[٣٥] ونلاحظ أن المثال الأول رغم أنه أقدم من المثال الثاني إلا أنه أثرى منه زخرفة، وأن المعطيات المجمعة إضافة إلى عدم وجود أمثلة من هذه التسافير سابقة إلى أواسط القرن ٤هـ/١٠م رغم تعدد التجاليد المؤرخة من قبل ذلك، تجعلنا نذهب إلى التخمين بأن هذه المجموعة تؤرخ من أواسط القرن ٤هـ/١٠م إلى أواسط القرن ٥هـ/١١م كحد أقصى، ويدعم ذلك أن هذا النمط من التسافير قد اختصت به مدينة القيروان وهو ابتكار جديد لا يمكن أن يحصل إلا بعد أن يتمرس المسفرون بالأنماط القديمة حقبة من الزمن.

تاريخ الفئة الثانية:

لقد فصلت هذه المجموعة عن مصاحفها، ولم تحافظ على تحابيسها التي تسمح بالتدقيق في تاريخها ولا شك أن جميعها متأثر بالفن المغربي[٣٦] وهي مباينة للمدرسة القيروانية التي فقدت صنّاعها وتلاشت مقوماتها. إلا أنه بالاعتماد على الإطار التاريخي للمدينة فإنه يعسر تأريخ المجموعة من قبل أواسط القرن ٧هـ/١٣م، ويوافق ذلك إعادة تعمير القيروان واهتمام الخلفاء الحفصيين بترميم معالمها، حيث قام الخليفة المستنصر (٦٤٧-٦٧٥هـ/٢٤٩ – ١٢٧٧م) بتجديد صحن الجامع وسقوفه، وتولى أبو حفص تدارك جدرانه

وتجميل مداخله. ولم تحفظ لنا مجموعة المصاحف المتبقية إلا مؤشرين لتدعيم رأينا: أولهما أن تبطين أحد المصاحف يحمل وثيقة من الورق مؤرخة من سنة تسع عشرة وستمائة، مما يسمح بتأريخ المصحف من أواسط القرن ٧هـ/١٣م، وثانيها أن أحد المصاحف المكتوبة على الورق قد حبسه أبو محمد الحسن بن محمد الحفصي (٨٩٩-٩٣٢هـ/١٤٩٣-١٥٢٦م). ومهما يكن من أمر فإن حصر تأريخ مجموعة التسافير من الفئة الثانية فيما بين أواسط القرن ٧هـ/١٣م والقرن ١٠هـ/١٥م لا يبدو اعتباطيا. وتجدر الملاحظة أننا لا نملك دلائل على أن هذه التسافير قد صنعت بالقيروان والأرجح أنها وردت من تونس أو من مراكش أو غيرها من مراكز التسفير التي ازدهرت في تلك الحقبة الزمنية.

إن مجموعة التسافير القيروانية تعتبر مرآة عاكسة لتطور المدينة يرتسم من خلالها خط بياني لمختلف المراحل التاريخية التي مرت بها، وهي تؤكد أن القيروان قد عرفت مدرسة في فن التسفير تضاف إلى المدارس الأخرى التي ازدهرت فيها في مجالات الطب والفقه والعمارة والأدب والشعر. وهي بزخارفها الهندسية النباتية تمثل تواصلا للفن التجريدي الذي ميز الفكر المغربي في العهد الإسلامي المبكر.

الحواشي

(١) G. Marçais & L.Poinssot, *Objets Kairouanais: IXe au XIIIes Reliures, Verreries, Cuivres et Bronses, Bijoux - Notes et Documents XI- Fasc.I* (Tunis, 1948), 364p + LIV Planches.

(٢) إبراهيم شبوح سجل قديم من مكتبة القيروان العتيقة، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مايو ١٩٥٦.

(٣) بكر بن إبراهيم الإشبيلي «كتاب التيسير في صناعة التسفير» تحقيق وتقديم عبد الله كنون، لقد تفضّل الأستاذ إبراهيم شبوح مشكورا بالإشارة به علي وتقديمي نسخة منه. يراجع كذلك «عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب» صنف لتميم بن المعز بن باديس تحقيق د. عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي، مجلة معهد المخطوطات ١/١٧. القاهرة ١٩٧١، «صناعة تسفير الكتب وحل الذهب» تأليف أبي العباس أحمد بن محمد السفياني نشر: P. Ricard باريس ١٩٢٥ وأعيد نشره مترجما إلى الإنجليزية في: *Transactions of the American philosophical society*, New series, vol. 52, Philadelphia, 1962.

(٤) حول شهرة جلود القيروان انظر «دائرة المعارف الإسلامية» ٦٨٧/١.

(٥) حسن حسني عبد الوهاب «بساط العقيق» ص ١٩ - ٢٠، مجلة الأندلس ١٢ - ١٩٤٧ ص ٢٩٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) S. D. Goitein, *A Mediterranean Society*, 1/113. ويذكر أحد كبار القضاة اليهود بالمهدية في إحدى رسائله الموجهة إلى الفسطاط في حدود سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م أنه كلف أحد أصدقائه بسوسة باشتراء الرق لنسخ أحد كتب الربى نسيم، ولما تم له ذلك حاول إرسال المخطوط مع بعض التجار الشاميين، إلا أنهم رفضوا ذلك لعدم توفّر المكان الكافي نظرا لكبر حجم المصنف الذي كان في ستة عشر مجلدا. انظر:

S. D. Goitein:"Letters of Medieval Jewish Traders" pp. 164-165.

(٨) وذلك اعتمادا على وثائق الجنيزة ففي رسالة من المهدية مؤرخة سنة ١٠٤٠م يشير صاحبها إلى بعض المواد المستجلبة من التجارة الهندية كالبخور وخشب البقم، انظر: المرجع السابق، ص ١٢٨، وكذلك مواد الكتابة والصباغة كالأنزروت والله... المصدر نفسه ص ٩٥-١٠١. وقد أورد الإشبيلي في «كتاب التيسير» ص ٢٨-٢٩، طريقة طبخ البقم، ويذكر صاحب «عمدة الكتاب» ص ٢٠، التراكيب والنسب من البقم وغيره من المواد المتخذة للصبغ باللون الأحمر. ويذكر صفة الصبغ به «أن تجعله في غضارة أو إناء قد أنف البقم وتشربه وخذ مسواك شعر فانزل رأسه في البقم ومر به في سائر الجلد تفعل به ذلك مرتين أو ثلاث مرات ثم تعصره ثم تبسطه... ثم تأخذ صوفة فتنزلها في الشب، ويجب أن يبل قبل أن يصبغ بساعة..».

(٩) وحول الصبغ بالأصفر ينظر «عمدة الكتاب» ص ٢١ «إن أردت أن تصبغه أصفر وهو لونان فمنه النارنجي ومنه أصفر، فأما النارنجي فإنك تخلط العكر مع الزعفران وتصبغ به الجلد... فإن أردت أن تصبغ بعكر وحده فهو يجيء مخالفا لهذا اللون، فإن أردته كان بزعفران وحده فهو أصفر وتسقى هذه الألوان كلها بماء الإهليلج الأصفر... وتمر بمسواك الشعر عليه».

(١٠) المقدسي، «أحسن التقاسيم» ص ٢٣٩-٢٤٠. ويبدو أن إفريقية قد عوضت النوشادر الصقلي في العهد الفاطمي بما أصبحت تستجلبه من هذه المادة من المشرق:

S. D. Goitein: *A Mediterranean Society*, I/226-229.

(١١) «التيسير» ص ١٢، حاشية ٣.

(١٢) المقدسي، «أحسن التقاسيم» ص ١٧، كما أن الحرير كان يستجلب من قابس.

(١٣) وذلك اعتمادا على إشارة وردت في كتاب «عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب».

(١٤) *Objets Kairouanais* I, p. 61 fig. 16.

(١٥) انظر: ابن خلدون، «المقدمة»، دار العلم، بيروت ١٩٨٧، ص ٤٢٠-٤٢١، حيث يشير إلى الخط القيرواني وشيوع كتابته بإفريقية إلى مجيء الأندلسيين.

(١٦) مكتبة القيروان العتيقة، سجل قديم رتبي ٢٨٩، قد وضع سنة ٦٩٣هـ لوصف المصاحف والكتب التي بقيت بمكتبة جامع القيروان بعد هجرة بني سليم وهلال إليها واعتمد واضعوه فهارس أقدم منه ترجع إلى أوائل القرن الخامس للهجرة.

(١٧) ويستفاد من السجل القيرواني المذكور ورقة ١ قفا أن بعضها كان يحفظ في بيت عود لطيف مبطن بالحرير المدمج المغشى بالجلد الأكحل، ويذكر صاحب «كتاب التيسير» في باب العمل في أقربة المصاحف، ص ٣٥، أن المصحف «إن تناهى في التجزئة إلى أربعة أقسام فلا يكون غشاؤه إلا مبنيا أو تابوتا من الخشب» وقد حافظ متحف الفنون الإسلامية على بقايا الصندوق الخشبي الذي كان يحفظ فيه مصحف الحاضنة وهو في جرم جافي.

(١٨) حول تبيّن ذلك انظر: «كتاب التيسير»، ص ٢٠، ويسمى هذا النوع «الشطرنجي».

(١٩) يشير السجل القيرواني إلى وجود مصحف في أجزاء مغشاة بالجلد الأحمر المنقوش بالضرس قفلها ذهب، ورقة ١ قفا.

(٢٠) «كتاب التيسير»، ص ٢٢-٢٣.

(٢١) ويدعم ذلك إشارة إلى الحدائد المحاة بالشمع وردت في «كتاب التيسير»، ص ٣٠.

(٢٢) انظر: *Objets Kairouanais*, Fig 13, 22.

(٢٣) المصدر نفسه ص ٤٤ - ٤٩.

(٢٤) المصدر نفسه ص ٤٩ - ٥٢.

(٢٥) المصدر نفسه ص ٥٢ - ٥٦.

(٢٦) المصدر نفسه ص ٥٦ - ٥٨.

(٢٧) المصدر نفسه ص ٥٨.

(٢٨) إن التسفير الدمشقي المعتمد في تاريخ المجموعة الأولى وإن وافق بعض نماذج منها فإنه يؤرخ من سنة ٢٧٠هـ/٢٨٤م أي أواخر القرن التاسع وهو ما يدعو إلى مراجعة نسبة المجموعة إلى كامل القرن المذكور ولا يستبعد إذن أن تستعمل أمثلة مشابهة في القرن ٤هـ/١٠م لتقارب المدة، وهو ما سنؤكده فيما سيأتي ذكره. كما أن اعتماد استعمال الوريقات ذات الثلاثة فصوص في زخرفة الجلود كمؤشر لتاريخ المجموعتين الثانية والثالثة من القرنين ٤ و٥هـ/١٠ و١١م لا يمكن الاطمئنان إليه نظرا إلى أن هذا العنصر متواجد في الرصيد الزخرفي الإفريقي منذ أوائل القرن ٣هـ/٩م إلى الزحفة الهلالية على الأقل، وأن تأخر استعماله في شواهد القبور الإفريقية لا يعني عدم اعتماده في المواد الأخرى حيث أننا نجد أمثلة منه في منبر القيروان منذ أواسط

القرن ٣هـ/٩م وفي الزخارف الجصية التي كشفت عنها حفريات رقادة وهي مؤرخة من النصف الثاني من القرن ٣هـ/٩م. وقد قدم صاحبا كتاب *Objets Kairouanais* من أسباب تاريخ المجموعة الثالثة من القرن ١١م حجتين إضافيتين: ١: أن المثال عدد ٧٦ قد أمكن التعرف على المصحف المنسوب إليه وهو يحمل العدد الرتبي ١٧٦ ويؤرخ خطه من بداية القرن ١١م، وقد توليت مراجعة العدد المذكور وهو محفوظ حاليا بمركز دراسة الحضارة والفنون الإسلامية برقادة ويشتمل على مصاحف متعددة الأقلام تؤرخ جميعها من أواسط القرن ٣هـ/٩م إلى أواسط القرن ٤هـ/١٠م على أقصى تقدير. ٢: وجود تبطين ضمن التسفير عدد ١٠٦د يحمل وثيقة مؤرخة من سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨-٩٣٩م وقد اعتمدا هذه الحجة للتأكيد على أن هذا التجليد ومن ثمة المجموعة التي ينسب إليها مؤرخة من القرن ١١م. وأن أثبتت هذه الوثيقة أن هذا التسفير يعود إلى ما بعد سنة ٣٢٧هـ، فليس هنالك ما يؤكد أنه أنجز بعد ذلك بأكثر من ستين سنة وينفي القيام به بعيد سنة ٣٢٧هـ وهو الأقرب إلى المعقول. بل أن التسفير عدد ١٠٥د (اللوحة ٧) *Objets Kairouanais I*، ٢٠٨-٢١٢، الذي لا نشك في أنه معاصر للتسفير عدد ١٠٦ لاشتمالها على نفس الأشكال والزخارف ولاعتمادهما نفس الجلد من حيث اللون والجودة قد حافظ على تحبيسه الذي جاء فيه: «هذه الربعة حبس على مسجد التوفيق باب سلم حبسها عبد الله بن يوسف الرقي (أو الدقي) طلبا ثواب الله الكريم وابتغاء مرضاته». ومن حسن الصدف أن وقع التعرف على المصحف الذي ينسب إليه (اللوحة ٩) وتؤرخ كتابته الكوفية من القرن العاشر وليس هنالك ما يؤكد تجاوزها لهذا التاريخ.

(٢٩) من ذلك فإن الرقمين ٣٨ب و٦٣ الواردين في كتاب *Objets Kairouanais* متشابهان في حين يوجدان في مجموعتين مختلفتين وكذلك الرقم ١٣، فإنه ليس هنالك ما يبرر وجوده في المجموعة الأولى، في حين أن عدد ٦٩ الذي يشبهه تمام الشبه يوجد في المجموعة الثانية وكذلك الأمر بالنسبة للأعداد ٨٠ و٨١ و٨٢ و٨٣ و٨٨ من المجموعة الثالثة فإنها تكون أكثر استجابة للمقاييس المتخذة لو وضعت في المجموعة الأولى، بل إننا نملك بالنسبة للرقم ٨٨ دليلا واضحا عن ذلك، فهذا التسفير (انظر *Objets Kairouanais* ١/١٧٩) يحمل تجديدا لتحبيسه على يدي القاضي أبي عيسى أحمد بن الشيخ القاضي الإمام أبي البركات محمد بن هاشم وقد أمكن التعرف على المصحف الموافق له في مكتبة القيروان العتيقة وهو يحمل أعداد رتبية مختلفة وقد حافظ بدوره على تجديد التحبيس نفسه وهو مؤرخ من سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م وإذا اعتبرنا أن الحاجة لتجديد التحابيس تأخذ مدة زمنية هامة كما نتبين ذلك من خلال مجموعة مصاحف القيروان، وبالاعتماد على خط المصحف الذي يؤرخ فيما بين أواسط القرن الثالث الهجري وأواسط القرن الرابع الهجري فإنه تجدر مراجعة تصنيف تسفيره في المجموعة التي نسب إليها.

(٣٠) هي خديجة بنت الأغلب بن عبد الله أخو إبراهيم مؤسس الدولة الأغلبية ووالدها الأغلب ويعرف بغلبون كان وزير زيادة الله الأول (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٨م) وقد انهزم أمام منصور الطنبذي سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م وانسحب من الحياة السياسية على أثر ذلك، كما أن أخاها محمد بن الأغلب لقي حتفه وهو شاب في معركة سبيبة سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م، واعتمادا على مختلف المعطيات يمكن التخمين بأن خديجة قد عاشت إلى أواسط

القرن الثالث الهجري، وهنالك رباط يعرف ببرج خديجة بجهة الشابة (الساحل التونسي) مؤرخ من تلك الفترة لعله من مآثرها. ولا يستبعد أن يكون لنكبتها في أبيها وأخيها أبلغ الأثر على نمو شخصيتها (انظر: محمد الطالبي «الإمارة الأغلبية» ترجمة المنجي الصيادي، ص ١٨٢، ٢٠١، ٢٠٩).

(٣١) ونلاحظ أن عددا من المصاحف القيروانية قد استقدمت من مساجد أخرى وحفظت بالجامع الأعظم بالقيروان، وذلك لنفس الأسباب المذكورة، وقد ترد الإشارة إلى المساجد التي كانت محبسة عليها مكتوبة على رقوق الأجزاء المتبقية منها من ذلك تحبيس على مسجد الساحلي بباب سلم مكتبة القيروان العتيقة (رتبي ٩٣) والمسجد المعلق الكبير بباب سلم ومسجد ابن غانم، ومسجد التوفيق بباب سلم.

(٣٢) *Objets Kairouanais* اللوحات: ٢ و٣ و٥ و٦ و٧ و٩ و١٠ و١٦ ونلاحظ أن التجليد عدد ١٦ ص ٨٤ (اللوحة عدد ١) هو من مصحف فضل إلا أنه لم يكن بإمكان المؤلفين التعرف عليه.

(٣٣) المصدر نفسه ٦٩/١ لوحة ٢٢.

(٣٤) "30 ans au Service du patrimoine" I.N.A.A. Tunis, 1987, p. 224

(٣٥) انظر ما تقدم ذكره حول المصحف المشابه ص ٢٦.

(٣٦) *Objets Kairouanais* I/58. P. Ricard, "Reliures marocaines du XIIIes.", *Hesperis*, pp. 105-127.

الجزء الثاني: الاعتبارات البشرية في دراسة المخطوط

طريقة التأليف عند القدماء من خلال مسودة المقريزي لكتاب الخطط

أيمن فؤاد سيد

عرف فن كتابة الخطط (الطبوغرافيا) – وهو طراز من الجغرافيا التاريخية الإقليمية – في كثير من أقطار العالم الاسلامي حيث اشتملت مقدمات الكتب التي أرّخت للمدن الإسلامية مثل «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي و«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر و«الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» لابن شدّاد على أوصاف طبوغرافية لهذه المدن. ومع ذلك فنستطيع القول إن هذا الفن هو واحد من الفنون التي اختصت بها مصر الإسلامية ونما وتطور بها على مدى تاريخها الطويل، وكان له فيها تاريخ مجيد، مهد فيه كل من الكندي وابن زولاق والقضاعي والشريف الجواني وابن عبد الظاهر وابن المتوج الطريق إلى الاكتمال الذي بلغه هذا الفن مع مؤلف المقريزي «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» الذي يعد أكبر ممثل لنمط التأليف في الخطط.[١] فحقيقة الأمر أنه لا يوجد أي كتاب – باعتبار أهميته – يمكن أن يوضع إلى جانب كتاب خطط المقريزي الذي يحتل مكان الصدارة بين بقية مؤلفاته.

وهذا الكتاب بإجماع الباحثين أهم كتاب في تاريخ مصر وجغرافية مدنها وطبوغرافية عاصمتها في العصر الإسلامي، فهو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا ويقدم لنا عرضا شاملاً - اعتماداً على المصادر الأصلية لتاريخ مصر الإسلامية ولتأسيس عواصم مصر ونموها منذ الفتح الإسلامي وحتى أواسط القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. ويعد اليوم مصدراً لا غنى عنه للمشتغلين بدراسة آثار مصر الإسلامية، حيث يوفر لنا قائمة تفصيلية وأوصافا دقيقة للقصور والجوامع والمدارس والخانقاوات والحارات والأخطاط والدور والحمامات والقياسر والخانات والفنادق والأسواق والوكالات التي وجدت في عاصمة مصر خلال تسعة قرون. وترتكز هذه القائمة في الأساس على الملاحظات الشخصية للمقريزي وعلى مصادر لم تصل إلينا، فحفظ لنا المقريزي بذلك نقولاً ذات شأن للمؤلفين القدماء، الذين فقدت مؤلفاتهم اليوم.

ومؤلف هذا الكتاب هو العلامة الأشهر تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن القادر بن محمد المقريزي الشافعي المولود سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، والمتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤٢م شيخ مؤرخي مصر الإسلامية وصاحب التآليف الضخمة في تاريخها وحضارتها مثل «اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» و«السلوك لمعرفة دول الملوك» و«المقفى الكبير»، و«درر العقود الفريدة» وغيرها.[٢]

ويحتل كتاب «المواعظ والاعتبار» مكان الصدارة بين مؤلفاته المختلفة ويعد بلا جدال أكبر ممثل لنمط الخطط. فبعد عرض يعرف فيه المقريزي بمصر ومدنها وأقاليمها المختلفة يشغل نحو ربع الكتاب، يركز المقريزي جهده للحديث عن العمران المدني للقاهرة التي أضحت بعد سقوط بغداد وتراجع السيطرة الإسلامية في الأندلس المركز الثقافي والسياسي للعالم الإسلامي في هذا الوقت.

وفي هذا القسم يعرف المقريزي تعريفا مفصلا بكل ما يتصل بمسقط رأسه القاهرة فلم يترك أثراً أو مؤسسة إلا وصفه بدقة متناهية، وحكى بإسهاب تاريخ بنائه وما طرأ عليه من تغييرات، كما روى سير حياة الأمراء والكبراء الذين باشروا بناءه أو أقاموا فيه، ودون كذلك الأحداث المهمة التي اقترنت بهذه المنشآت والتقاليد والعادات والمراسم المتعلقة بها «حتى إنه لا توجد - كما يقول

كاترمير Quatremère مدينة شرقية يمكن أن تفخر بمؤلف يبلغ مرتبة «الخطط» من حيث الاكتمال والطرافة كما هو الحال مع القاهرة».[٣]

وتستمد المادة التي يقدمها لنا المقريزي وهو يسرد تاريخ القاهرة وتطورها العمراني أهميتها من قيمة المصادر التي اعتمد عليها وتنوعها وتعددها، حتى أن جانبا كبيرا من المادة التي حفظها لنا كان في حكم المفقود لولا نقله له فأنقذ بذلك من الضياع جزءاً كبيراً من تاريخ مصر كان سيظل بدونه مجهولاً لنا.

وتعتبر الأجزاء التي وصف فيها المقريزي نظام الخراج وجبى الضرائب ونظام الإقطاع، وجميع الجزء الخاص بالفاطميين وتأسيس القاهرة أكثر أجزاء كتابة «المواعظ والاعتبار» قيمة وأصالة. وإلى جانب ذلك يعد المقريزي أهم مؤرخ مصري أرخ للفاطميين فقد كان يرى أن كتابة تاريخ مصر دون وضع الفاطميين في موقعهم الصحيح في هذا التاريخ غير ممكن فهم مؤسسو القاهرة وهم الذين أعطوا لمصر مكانتها الاستراتيجية الهامة في المنطقة، لذلك فقد شغل حديثه عن الفاطميين وتاريخ القاهرة في زمنهم نحو نصف كتابه. ومن الغريب أن وصف المقريزي لقلعة الجبل العاصمة التي أقام بها الأيوبيون ثم خلفاؤهم سلاطين المماليك سادة مصر في وقته لا يرقى في قيمته ومصادره إلى الوصف الذي يقدمه للقاهرة في زمن الفاطميين.

ويدل على الأهمية الكبرى التي منحها المؤلفون والكتّاب العرب لهذا الكتاب احتفاظ مكتبات العالم بعدد كبير من مخطوطاته تعدت المائة وسبعين مخطوطة بينها خمس وثلاثين مخطوطة في مكتبات إستامبول وثمان وعشرين مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس وعشر مخطوطات في المتحف البريطاني بلندن، وهو رقم يفوق بكثير مخطوطات أي كتاب عربي. وذلك برغم أن مصحح طبعة بولاق من الكتاب التي ظهرت سنة ١٨٥٢ - وهي الطبعة التي عليها اعتماد الباحثين إلى الآن - يذكر أن نسخ الكتاب عزيزة في الديار المصرية وهي مع قلتها مليئة «بالتحريف الفاحش والسقط المتفاحش والغلط المخل والخطأ المضجر».[٤]

ولم تغب أهمية هذا الكتاب عن الباحثين في القرن التاسع عشر وكان احتفاظ المكتبة الوطنية في باريس وكذلك مكتبات ليدن والمتحف البريطاني بعدد

كبير من مخطوطاته سببا في لفت انتباه المستشرقين له فرجعوا إليه واقتبسوا منه نقولا مطولة فيما كتبوه عن تاريخ مصر الإسلامية ونشروا وترجموا فصولا منه وعلى الأخص لويس لانجليه L. Langlès وسلفستر دي ساسي S. de Sacy وإيتيان كاترمير E. Quatremère وفرديناند وستنفلد F. Wüstenfeld.[٥]

كما كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي أخرجتها مطبعة بولاق التي أصدرت له طبعة كاملة في سنة ١٢٧٠/١٨٥٢ وهي نشرة لا تستحق دائما ثقة كاملة فقد جاءت مليئة بالأخطاء والتصحيف والسقط الذي وجد في أصولها المعتمد عليها. ومع ذلك فما تزال هي الأساس الذي تعتمد عليه كل الدراسات التي تتناول عواصم مصر الإسلامية وخططها ومعالمها الأثرية في غياب أية نشرة محققة للكتاب. فعلى أساس هذه النشرة قدم كل من رافيس Ravaisse وسالمون Salmon وكازانوفا Casanova دراساتهم عن عواصم مصر الإسلامية،[٦] وقدم كذلك ماكس فان برشم Van Berchem وجاستون فييت G. Wiet وصفهما للآثار في دراستهما عن الكتابات التاريخية العربية في مصر،[٧] وأيضا قدم كريزويل Creswell وصفه للمعالم الأثرية في كتابه عن العمارة الإسلامية في مصر.[٨]

وأمام أهمية الكتاب وغنى وتنوع موضوعاته ومصادره، وأمام كذلك حجم الأخطاء والتصحيفات التي تسربت إلى الطبعة الوحيدة الكاملة له فكر المستشرق جاستون فييت G. Wiet وهو واحد من أعلم العارفين بتاريخ مصر الإسلامية، في إخراج نشرة كاملة محققة للكتاب وبدأ هذا المشروع في سنة ١٩١١ وتوقف عن إتمامه سنة ١٩٢٧ بعد أن أخرج خمسة أجزاء تعادل الصفحات من ٢ إلى أثناء ٣٢٢ من الجزء الأول من طبعة بولاق[٩] ولعلة انزعج أمام العدد الضخم من المخطوطات التي جمعها والتي جاءت مليئة بالتصحيفات والأخطاء والسقط.

مسودة المقريزي للخطط

ومن حسن الحظ فإن مكتبة خزينة الملحقة بمتحف طوبقبوسراي بإستامبول تحتفظ بالمسودة الأولى لكتاب «المواعظ والاعتبار» للمقريزي تحت رقم ١٤٧٢. وتمثل هذه المسودة الشكل الأول لتصور المقريزي لتأليفه للخطط وهي تختلف في ترتيبها ومصادرها وحجم المعلومات الذي تقدمه لنا اختلافا

كبيرا عن التأليف النهائي للخطط كما تمثله طبعة بولاق كما أنها لا تحوي سوى قسم غير كبير من الكتاب في صورته النهائية التي تعبر عنها طبعة بولاق.

وهذه المسودة نص من النصوص القليلة التي وصلت إلينا وتفيدنا في التعرف على أسلوب القدماء في التأليف فنحن نملك عددا من المؤلفات بخطوط مؤلفيها ولكن نادراً ما وصلت إلينا مسودات المؤلفين. فالمسودة يدونها المؤلف عادة أثناء جمعه مادة الكتاب وهي أشبه بهيكل الكتاب الذي يضيف إليه ويحذف منه أو يعدل فيه بالتقديم والتأخير وهي بذلك لم تبلغ مرحلة الكمال الذي وصل إليه المؤلف في الصورة النهائية لكتابه.

والمعروف أن أقدار النسخ الخطية لكتاب ما متفاوتة جدا فمنها ما لا قيمة له أصلاً في تصحيح نص الكتاب، ومنها ما يعول عليه ويوثق به. ومهمة المحقق هي تقدير قيمة كل نسخة من النسخ والمفاضلة بينها وفق قواعد متعارف عليها في أصول التحقيق العلمي والنشر النقدي للكتب القديمة منها: أن النسخة التي بخط المؤلف تعد أرفع النسخ مكانة. تليها النسخة التي قرأت على المؤلف أو التي عليها خطه. ثم النسخ التي قوبلت بغيرها وتداولها علماء وعليها إجازات وسماعات. ودائما النسخ القديمة تفضل النسخ الحديثة.

غير أن لهذه القاعدة بعض الشواذ. فعندما نشر نيكلسون كتاب «اللمع في التصوف» لأبي نصر عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السرّاج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨هـ في ليدن سنة ١٩١٤، اعتمد على مخطوطتين واحدة كتبت سنة ٥٤٨ والأخرى سنة ٦٨٣، ومع ذلك فقد اتخذ النسخة الأحدث أصلاً لأنها كاملة بينما النسخة القديمة بها نقص في مواضع كثيرة تبلغ ثلث الكتاب والباقي مرتب على ترتيب غير مفهوم، واكتفى بمقابلة النسخة القديمة في تصحيح النص.[١٠]

كذلك فإن لبعض الكتب تأليفين الأول ونستطيع أن نسميه المسودة يدونه المؤلف أثناء جمعه مادة كتابه والثاني وهو المبيضة التي ينقح فيها المؤلف ما جاء في المسودة وفق ما وجده فيها من أغلاط ويعيد ترتيب أبوابها ويدخل الزيادات التي أضافها إليها في صلب المتن.

ومسودة كتاب «الخطط» للمقريزي المحفوظة في مكتبة خزينة نموذج فريد لمسودات المؤلفين وتفيدنا في التعرف على أسلوب القدماء في التأليف، ففي المخطوطة حذف وكشط وشطب كثير وإضافات عديدة ومطولة على هوامش أوراقها وفي طيارات مضافة بين أوراق الكتاب وتعديل لبعض النصوص وإشارة بنقلها عند التبييض إلى موقع آخر أليق بها، وتنبيه إلى استكمال نقل بعض النصوص التي نقلت مبتورة أو ضرورة الرجوع إلى مصادر جديدة تعرف عليها المقريزي بعد كتابته للمسودة.

هل سطا المقريزي على مسودة الأوحدي؟

وتفيدنا هذه المسودة كذلك في وضع حل لقضية طالما أثارت العلماء الذين اهتموا بخطط المقريزي، وهي الاتهام الذي ساقه السخاوي وأدان فيه المقريزي بأنه سطا على مسودة جاره الأوحدي في الخطط فبيضها وزاد عليها ونسبها لنفسه.[١١] وتفيدنا مسودة خطط المقريزي وما كتبه المقريزي بنفسه عن الأوحدي في الوصول إلى حكم صحيح حول صحة أو عدم صحة الاتهام الذي ساقه الأوحدي. ورغم أن المقريزي قد تجاهل في مقدمته التي ذكر فيها الذين سبقوه في كتابة خطط مصر والقاهرة ذكر معاصريه ابن دقماق والأوحدي، فقد أثنى على صاحبه الأوحدي عندما ترجم له في كتابه «درر العقود الفريدة» وأشار إلى وقوفه على مسودته للخطط واستفادته منها. يقول بعد أن أشار إلى معرفة الأوحدي بتاريخ مصر وخطط القاهرة: «علقت عنه جملة أخبار واستفدت منه كثيرا في التاريخ وأعانني الله بمسودات من خطه في خطط القاهرة ضمنتها كتابي الكبير المسمى بكتاب «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار»، «وناولني ديوان شعره وهو في مجلدة لطيفة».[١٢]

وهذا الاعتراف يثبت ما ذهب إليه السخاوي وكرره في مؤلفاته من أن الأوحدي كتب مسودة كبيرة لخطط القاهرة تعب فيها وأجاد، ولكنه في الوقت نفسه يفتح الباب أمام تبرئة المقريزي من تهمة السطو على كتاب الأوحدي وينفي الاتهام الذي ساقه السخاوي وتشكك فيه الكثير من الباحثين. ومع ذلك فإن علينا أن نتساءل إذا كان المقريزي قد استفاد باعترافه بمسودات الأوحدي وضمنها في كتابه «المواعظ والاعتبار» لماذا لم يذكره بين مصادره في مقدمة «الخطط»، ولماذا لم يشر إلى المواضع التي استفاد منه فيها في أثناء الكتاب؟

تفسير ذلك أن الأوحدي كتب مسودة خطط القاهرة وربما بيض بعضها في الوقت الذي كان جاره المقريزي مهتما بالموضوع نفسه، ويبدو أن الأوحدي كان حريصا على حجب مصادر معلوماته عن جاره المقريزي، فلما مات الأوحدي شاباً في سنة ٨١١هـ قبل أن يتم كتابه وبيبيضه ظفر به المقريزي مسودة وأخذ في مراجعة مصادره والمكتبات التي اعتمد عليها الأوحدي فعرف المصادر التي استخدمها ورجع إليها مباشرة وضمن هذه النقول مسودته التي نتكلم عنها اليوم متمثلة في الطيارات الكثيرة الموجودة بين أوراق الكتاب والهوامش المطولة التي أضافها على صفحاته، وكلها نصوص نسبها إلى مصادرها الأصلية أعانت المقريزي على إعادة تبويب كتابه وزودته بمواد بالغة القيمة. وترجع أغلب النصوص التي ضمنها من كتاب الأوحدي إلى: ابن زولاق والمسبّحي وابن المأمون وابن الصيرفي وكتاب الذخائر والتحف وتعليق القاضي الفاضل في المتجددات وكلها متصلة بالجزء المتعلق بوصف القاهرة في زمن الفاطميين.

ويبدو أن مسودة الأوحدي لم تكن سوى أمشاج من النقول ألصقت جنبا إلى جنب دون ما أي تمحيص، ولم يفعل المقريزي سوى أن نقل هذه النقول التي فاتته إلى كتابه من مصادرها الأصلية ولم يجد ضرورة لذكر الأوحدي الذي لم يكن قد بيض كتابه وأعاد النظر فيه. ولكن الأمانة العلمية كانت تتطلب من المقريزي أن يضيف اعترافه بأن الله أعانه بمسودات من خط الأوحدي ضمنها كتاب «المواعظ والاعتبار» في مقدمة هذا الكتاب بالاضافة إلى الترجمة التي أفردها للأوحدي في «درر العقود الفريدة».

وصف المسودة

تقع مسودة خطط المقريزي المحفوظة في مكتبة خزينة الملحقة بمتحف طوبقبوسراي في ١٨٠ ورقة من قطع الربع ومسطرتها ٢٠ سطرا وقياسها ١٨ر٣x١٤ر٥سم كتبها المقريزي ترجيحا في الفترة بين سنتي ٨١٨ و٨٢٧ هـ.

والمسودة كتبت على ورق سبق استخدامه في كتابات أخرى من قبل وبه بياضات كثيرة تدل على أن المقريزي كان سيعيد النظر فيها ويستكملها من مصادر أخرى. وهذا الورق هو نفس نوع الورق الذي كتب عليه المقريزي

مسودة كتاب «المقفّى الكبير» المحفوظة في باريس والتي تحوي أيضا زيادات على الهوامش وتصحيحات للمقريزي تدل على أنه لم ينته بعد من تأليف كتابه.

وكثير من الطيارات الموجودة بين صفحات الكتاب جلدت بعكس اتجاهها بحيث أصبح ظهر الورقة مكان وجهها، كما أن الورقة الأخيرة في المخطوط وهي الورقة رقم ١٨٠ ليست في موضعها، ومكانها الطبيعي يجب أن يكون في أول المجلد لأنها تتعلق بتعيين حدود المنطقة الواقعة بين الفسطاط والقاهرة.

ويتضح لنا من مراجعة هذه المسودة أن المقريزي أعاد تبويب كتابه بعد أن أتم بناءه في العقد الأخير من حياته وقسم بعض النقول المطولة التي نقلها في المسودة على ما يناسبها من أبواب الكتاب في تقسيمه الأخير.

ومما يدلنا على التاريخ الذي دوّن فيه المقريزي هذه المسودة ما ذكره وهو يصف قصبة القاهرة أو الشارع الأعظم حيث يشير في تحديد الشارع إلى خزانة شمائل التي كانت في هذا الوقت سجن متولي القاهرة. وهذه الخزانة هدمت سنة ٨١٨ لذلك فقد أضاف المقريزي في مرحلة لاحقة على هامش الصفحة، صار سوق الخلعيين وخزانة شمائل جامعاً بناه الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي.

وهكذا فإن هذه المسودة تعد نصاً نادراً للتعرف على طريقة التأليف عند القدماء ونظرا لأهميتها فقد قمت بتحقيقها ونشرها[١٣] باعتبارها نسخة فريدة دون مقابلتها على بقية النسخ الكاملة للكتاب لاختلاف التبويب والمنهج بينهما، خاصة وأن بها تفاصيل لا توجد في النسخ النهائية التي جاءت مليئة بتصحيفات النساخ وأخطائهم، بينما أفادتني مسودة المقريزي في إثبات القراءة الصحيحة لكثير من المصطلحات وأسماء الأعلام والمواضع التي جاءت مصحفة في بقية نسخ الكتاب.

الحواشي

(١) راجع حول موضوع الكتابة في الخطط والخطط بوجه عام، محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، القاهرة، ١٩٣١، ١٩٦٩.

J. C. Garcin, "Toponymie et topographie urbaines mediévales à Fustat et au Caire", *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, XXVII

(1984), 113–55; C. Cahen, s.v. "Khiṭṭa", *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed (Leiden and London, 1960-), V, 23.

(٢) راجع في ترجمته، أبا المجاسن: المنهل الصافي ١: ٤١٥ – ٤٢٠، السخاوي، الضوء اللامع، ٢: ٢١– ٢٥، التبر المسبوك في ذيل السلوك ٢١– ٢٤.

J. C. Garcin,"Al-Maqrīzī, un historien encyclopédique du monde afro-oriental", *Les Africains*, IX (1978), 197–223.

(٣) كراتشكوفسكي: تاريخ الادب الجغرافي العربي ٤٨٢.

E. Quatremère, "Livre des avis et de la réflexion, concernant les quartiers et les monuments [= al-Maqrīzī, *Kitāb al-Mawā'iẓ wa-l-i'tibār bi-dhikr al-khiṭaṭ wa-l-āthār*]", *Journal des Savants* (1856), 326.

(٤) المقريزي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بولاق، ١٨٥٢/١٢٧٠، ٢: ٥٢٠. وهذا يدل على أن الكتاب تسرب من مصر وعرفت نسخه المختلفة طريقها إلى مكتبات تركيا وأوربا قبل الشروع في طبعة بولاق.

(٥) انظر: L. Langlès, "Histoire du Canal de Messr (vulgairement nommé *Canal de Suez*) tirée de la description géographique et historique de l'AEgypte par Al-Maqryzy", *Magasin Encyclopédique*, V/5 (Paris, 1799), 289-310; idem, "Le livre des avis et sujets de réflexions [= al-Maqrīzī, *K. al-Mawā'iẓ wa-l-i'tibār*], premier extrait", *Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale*, VI (Paris, 1801), 320-86; A. I. Silvestre de Sacy, "Route de la capitale de l'AEgypte à Damas (extrait de la description de l'AEgypte par Makrizi)", *Magasin Encyclopédique*, VII/2 (Paris, 1801), 328-32; idem, *Chrestomathie arabe* (Paris, 1806), I, 74-176 (Arabic text), II, 67-223 (French translation); E. Quatremère, "Livre des avis et de la réflexion" [see n. 3 above], 321-37; F. Wüstenfeld, *Geschichte der Copten*, (Göttingen, 1845).

(٦) انظر: P. Ravaisse, "Essai sur l'histoire et sur la topographie du Caire d'après Makrizi (Palais des Khalifes Fatimites)", *Mémoires ... de la Mission archéologique française au Caire*, I/3 (Paris, 1887), 409-80, and II/4 (Paris, 1890), 33-115; G. Salmon, *Etudes sur la topographie du Caire, la Kal'at al-Kabch et la Birkat al-Fîl*, Mémoires ... de l'Institut français d'archéologie

orientale du Caire, VII (Cairo, 1902); P. Casanova, "Histoire et description de la Citadelle du Caire", *Mémoires ... de la Mission archéologique française au Caire*, VI/4-5 (Paris, 1894 and 1897), 509-781; idem, *Essai de reconstitution topographique de la ville d'al-Fousṭāṭ ou Miṣr*, Mémoires ... de l'Institut M. (٧) français d'archéologie orientale du Caire, XXXV (Cairo, 1913-19).

van Berchem, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Première partie, Egypte, Le Caire*, I, Mémoires ... de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, XIX/1-5 (Paris, 1894-1903); G. Wiet, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Première partie, Egypte*, II, Mémoires ... de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, LII (Cairo, 1929-30).

(٨) K. A. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt* (Oxford, 1952-9; reprint, New York, 1978).

(٩) المقريزي: كتاب المواعظ، تحقيق ج. فييت، القاهرة، ١٩١١–١٩٢٧.

(١٠) أبو نصر السرّاج، كتاب اللمع في التصوف، تحقيق نيكلسون، لندن، ١٩١٤. برجشتراس: أصول نقد النصوص ونشر الكتب، إعداد وتقديم محمد حمدي البكري، القاهرة ١٩٦٩، ١٤– ١٥.

(١١) السخاوي: الضوء اللامع ١: ٣٥٨، ٢: ٢٢، والتبر المسبوك ٢٢، والإعلان بالتوبيخ، بيروت، ١٣٩٩/١٩٧٩، ١٣١.

(١٢) المقريزي: رر العقود الفريدة، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، بيروت، ١٩٩٢، ١: ٢٣٣.

(١٣) «مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي» حققها وكتب مقدمتها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤١٦/ ١٩٩٥.

العنصر البشري بين النص والقارئ: الإجازة في المخطوطات العربية

جان جاست ويتكام

الإجازة هي شهادة القراءة أو السماع التي ترد أحياناً إما في نهاية المخطوطة أو في صفحة العنوان وتخول من حاز عليها حق نقل النصوص أو التدريس أو إصدار الفتاوى. كما أنها بمثابة شهادة حضور لجلسات القراءة ولا يجوز الخلط بين إجازة التدريس وإجازة السماع التي ينبني عليها تخويل نقل النص المقروء. وسوف ينصب اهتمامنا في هذا البحث على إجازة السماع، أي بروتوكولات جلسات القراءة التي كانت تضاف إلى النصوص، فتلك خاصة تمدنا بمعلومات وافرة عن دور العنصر البشري في نقل النصوص.

تمثل الإجازة عنصراً بارزاً في المخطوطات الإسلامية، إلى جانب أنها تصوّر لنا الدور الذي يلعبه المخطوط في بيئته العلمية والتعليمية والثقافيه. إن دراسة الإجازات تزيد من معرفتنا بالعنصر البشري في استخدام النصوص والمخطوطات. ومن الهام من أجل التوصل إلى فهم أفضل للإجازة أن نكون على دراية بالعنصرين الفردي والشخصي في نقل العلوم الإسلامية. ومن هنا تعرضنا لهذا الموضوع على نحو موجز فيما يلي يأتي بعده اقتراح بمشروع لجمع إجازات السماع في المخطوطات العربية وتحليلها.(١)

النهج الشخصي والاستمرارية في العلوم الإسلامية

غالباً ما يقال إنه لا يوجد تراتب وظيفي في الإسلام على غرار ما هو قائم في الكنيسة المسيحية. وبصورة عامة يمكننا اعتبار هذه المقولة صحيحة، إذ أنه لا يوجد في الإسلام بابا معصوم عن الخطأ ولا رجال دين يخضعون لهيكل وظيفي دقيق ومميز، أو يزعمون أنهم الوسيط بين الله والمؤمن أو يتظاهرون باحتكار العقيدة الدينية. غير أن ذلك كله لا يعني أن التنظيم معدوم كلياً في الإسلام إذ أن ديناميكية الاستمرارية في الإسلام قد تطورت في اتجاه مختلف. فالإسلام لا يعتبر وجود وسيط بين الله والانسان أمراً ضرورياً كما أن علاقة المسلم مع الله هي علاقة مباشرة وشخصية لذا يتبع المسلم طريقاً مباشراً للحصول على تعاليم دينه.

وقد ولدت العلاقة الشخصية القائمة بين المعلم والتلميذ – عبر أجيال من العلماء – قوة دافعة تكفل استمرارية هذه العلاقة. وقد ظهرت مع مرور الزمن العديد من أنماط الآداب الإسلامية التي تعكس أهمية هذه العلاقة. وبدأ ذلك على نحو مبكر بظهور الحديث. فالإسناد الذي يسبق كل حديث يوازي من حيث الأهمية محتوى الحديث. وتجدر الإشارة إلى أن الأحاديث الأولى قد رتبت ليس وفقاً للموضوع الذي تعالجه بل حسب المسند. ويمثل علم الرجال أي الرواة، نصف علم الحديث. ولا يكون الحديث صحيحاً إلا إذا ثبتته مجموعة من الرواة الموثوقين، وبدون ذلك يبقى الحديث ناقصاً. هكذا كان موقف العلماء المسلمين الأوائل إزاء الحديث. وقد تم تدوين نصوص الحديث وأسماء الرواة لأسباب عملية رغم أن النموذج القديم كان يقضي بنشر المعرفة الدينية عن الطريق الشفاهي. ويمكن أن يفسر الإسناد بأنه بروتوكول لسلسلة من الأحداث واللقاءات التي تم من خلالها نقل العلم. ومما يجدر ذكره أن الحديث المدون هو فقط أحد أبعاد الحديث وأن دور العامل البشري في نقل المعرفة واستمراريتها لا يقل أهمية عن الرسالة المسجلة نفسها. والقول المأثور «إن العلم في الصدور لا في السطور» يلخص بوضوح هذه الفكرة.[٢]

وقد حال الانتشار السريع للدين الإسلامي والتشعب الهائل للعلوم دون بقاء النقل الشفهي الوسيلة الوحيدة لنقل المعرفة. وكان من الضروري تدوين الوحي الإلهي إذ كان حفظة الوحي الأوائل يتساقطون في معارك الفتوحات.

كما تم في وقت لاحق تدوين نصوص الحديث والنصوص التاريخية. وكان الرواة في بادىء الأمر يدونون هذه النصوص في سجلاتهم الشخصية المختلفة[٣] وفي وقت لاحق دونت هذه النصوص في تصنيفات منظمة تستهدف جمهوراً أوسع. ورغم أن الكتب قد اعتبرت في نهاية المطاف الوسيلة الطبيعية لنقل المعرفة إلا أن الأسلوب الشخصي والفردي في تحصيل العلم بقي كما هو دون أن يطرأ عليه تغيير. وكما نلاحظ في عصرنا هذا فإن مجرد قراءة كتاب ما لا تعتبر كافية لاستيعاب محتوياته لهذا كان يقرأ الكتاب في العصور القديمة بمساعدة من معلم يحسن أن يكون هو مؤلف الكتاب نفسه، فإنه لم يكن، فعلى يد جهبذ يحظى بالاحترام ويعتبر مرجعاً موثوقاً. وعلاوة على ما تقدم، لم تكن القراءة أو الدراسة عملاً فردياً بل نشاطاً اجتماعياً كما سنرى فيما بعد. أدّى النهج الفردي والشخصي إلى ظهور أدب السيرة في الإسلام. ولم يكن هذا النمط الأدبي جديداً إذ نجد في العصور الكلاسيكية القديمة أن كتاب «حيوات متوازية» لبلوتارك قد انطوى على أغراض تاريخية وتعليمية وأخلاقية وإيديولوجية.

وكان لبعض أدب السيرة الإسلامي هدف مشابه إلا أنه اشتمل أيضاً على بعد إضافي إذ نما وتطور علم الرجال ليصبح أسلوباً نقدياً لتقييم المكانة العلمية للرواة. كما عُنيت الكثير من كتب السيرة بوصف حلقات العلماء وتسجيل سلاسل الرواة ومثال ذلك كتاب «تهذيب التهذيب»[٤] لابن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ/١٤٤٩م. وهذا الكتاب عبارة عن معجم لسير رواة الحديث الموثوقين. وتتألف كل سيرة من ثلاثة أجزاء. يتناول الجزء الأول الاسم الكامل لصاحب السيرة وبعض التفاصيل الشخصية الأخرى، ثم يتلو ذلك سجل بأسماء المحدثين الذين استند إليهم في نقل الحديث، ثم أسماء أولئك الذين جاءوا بعده واستندوا إليه في نقل الحديث. ويتضح مما تقدم أن معجم ابن حجر قد كرس كلياً للرواة. وقد اتبعت السير الأخرى بما فيه تلك التي لم تُعنى حصراً بالمحدثين نهجاً مشابهاً في تقديم أصحاب السير.

الأنواع الأدبية ذات الطبيعة الفردية والشخصية

ظهرت أنواع أخرى من الأدب الفردي والشخصي. وعلم الفهرسة[٥] الذي نما وتطور في الأندلس وبلدان المغرب هو مثال على ذلك، وهو عبارة عن

سيرة ذاتية علمية يعدد فيها العالم الشيوخ الذين تتلمذ عليهم والأعمال التي قرأها عليهم، ثم كان هناك الثبت وهو قائمة يعدّها المحدث ويسرد فيها أسماء الشيوخ الذين عرفهم ومدى نقله بالاستناد إليهم. أما في الرحلة فنلاحظ أن اهتمام المؤلف ينتقل من الجغرافيا والاثنوغرافيا، في المرحلة القديمة، إلى العلاقات الشخصية بين العلماء. وقد اتسع نطاق الرحلة فيما بعد حيث أخذ المؤلف يعدد أسماء العلماء الذين قابلهم وما تعلمه منهم والإجازات التي حصل عليها أثناء سفره. ولم يكن الهدف من السفر السياحة بل طلب العلم والحج إلى مكة.[٦] وثمة نوع آخر من النصوص يمكن تسميته بسلاسل النسب الروحية أو الدراسية للعلماء[٧] أما البرنامج[٨] والمشيخة فلهما وظيفة تشبه إلى حد بعيد وظيفة الفهرسة وهما يشتملان في بعض الأحيان على تفاصيل خاصة بالسفر وطلب العلم على غرار الرحلة. ولعل أحد أبرز أنواع مصنفات السيرة الذاتية هو ذلك القائم على وصف طبقات العلماء، والذي يقوم بإحصاء الأجيال المتتالية للعلماء العاملين في حقل بعينه. وقد نتج عن هذا التناول جيلاً بجيل لطبقات العلماء المحافظة على أسباب التواصل في تاريخ العلوم سواء داخل جيل بعينه أو عبر سلسلة من الأجيال. وفي العصور المتأخرة خاصة كانت تلك الإحصاءات تقوم بمثابة سيرة ذاتية علمية. أحياناً كان الاهتمام ينصب على ما قرىء من نصوص على الشيوخ كما في البرنامج، وأحياناً أخرى كان الشيوخ أنفسهم يصبحون محور الاهتمام كما في المشيخة.

وغالباً ما كان يقوم صاحب السيرة نفسه بتصنيف النصوص وكتابتها بضمير المتكلم، وإن كان ضمير الغائب يستخدم أيضاً. وعندما كان أشخاص آخرون يقومون بإعداد قوائم بالمواضيع التي دُرست أو الثقات الذين التقى بهم شيخهم، كانت القائمة تبدأ بعبارة«التعريف بـ» يتبعها اسم العالم المعني. ونفس الشيء ينطبق في الترجمة حيث يبدأ النص بعبارة «التعريف بـ» يتبعها اسم المترجم له. وثمة أيضاً عناوين من قبيل: "السند المتصل إلى" يتبعها اسم أحد أوائل الرواة، أما التصنيفات التي تحوي كلمة "أسانيد" في العنوان فلها هدف مشابه لما سلف ذكره، وهو أنها تبين أسانيد عالم ما وصلته بكبار الائمة الذين عاشوا في عصر سابق. وقد بدأت تظهر في مرحلة جد متأخرة، لعلها في القرن ١٢هـ/١٨م، كتيبات منفصلة تشتمل عناوينها على كلمة "إجازة". ويبدو للوهلة الأولى أن هذه الكتيبات تندرج في قائمة الإجازات الدراسية وليس في عداد شهادات القراءة. على أنه ثمة علاقة بين هذين النوعين لأن الشهادات المتأخرة

كثيراً ما كانت تشتمل على أسماء سلسلة من العلماء السابقين غالباً ما تنتهي باسم النبي محمد في بدايتها واسم طالب العلم صاحب الكتيب/الإجازة في ختامها. وكانت تلك الإجازات تزخرف بإتقان وتكتب بخط منمّق وأسلوب متأنق وبإمكاننا أن نعتبرها ممثلة لآخر مرحلة في تطور الإجازات وهي المرحلة التي بلغت فيها الذروة في إخراجها الفني. وقد تحولت الإجازة إلى نوع أدبي مستقل بفضل هذه الكتيبات.[٩]

وثمة نوع أدبي آخر نشأ عن هذه الممارسات وهو ما يعرف بالجزء، وهو نص قصير لا يجاوز الرزمة الواحدة عادة، ويبلغ من صغر حجمه أن يسهل حمله. ولعله كان يحدث أن جزءاً صغيراً من أعمال أحد الشيوخ تجري قراءته وشرحه في جلسة تمنح في نهايتها الإجازة. وفي تلك الحالة يكون لدى المانح خياران، فقد يمنح تلميذه أو طالب العلم الزائر حق نقل كتاب كامل له أو حق نقل مَرْوِيّاته، أو ما تلقاه هو نفسه شفاهة «المسموعات» أو تلك الأعمال التي حاز هو نفسه إجازات فيها، وهو ما يعرف بالمستجازات، أو أيّاً من أعماله الأخرى حتى وإن كان قد قُرىء قسم منها فقط أو لم تُقرأ على الإطلاق. وكانت تلك الإجازات العامة واسعة الانتشار.

أما الخيار الآخر فكان يتمثل في تخويل التلميذ أن ينسخ نسخاً مستقلاً ذلك النص القصير أو نخبة المرويات التي تلقاها عن أستاذه. وكانت تلك النخبة من حصيلة علم شيخ من الشيوخ تعرف غالبا بالجزء.[١٠] وفي بعض الأحيان كانت الأجزاء تحظى بوصف أكثر تفصيلاً وتحمل عنواناً أفصح مغزى.[١١]

وحين كان أحد التلاميذ يحظى بثقة شيخه، فربما قام هذا الأخير بمنحه حق نقل كل أعماله حتى وإن لم يكن قد تلقى شرحها على يديه. وفي مثل تلك الحالات فإن الإجازة قد تحوي ذكر كل أعمال الشيخ أو غالبيتها وتصبح بذلك بمثابة سيرة ذاتية. والجدير بالملاحظة أن قوائم عناوين الكتب المشتملة في الإجازات أو في المخطوطات عامة لم تحظ بالدراسة بعد.[١٢] وثمة المزيد من الأعمال ذات العناوين الأكثر أناقة تؤدي نفس الوظيفة، أي تقييم أعمال شيخ من الشيوخ وإثباتها، والظاهر أن ثمة عدداً لا حصر له من هذا النوع من الكتب، والقاسم المشترك الأعظم بينها هو حرصها على إحصاء الشيوخ الذين زيروا والكتب التي دُرست والإجازات التي نيلت. وفي هذا السياق يمكن تعريف الإجازة بأنها ختام لقاء بين عالمين تشتمل في الوقت ذاته على ثبت بالعلماء

السابقين عليهما. وبموجب هذه الإجازة يُخوّل الحاصل عليها حق النقل أو التدريس لبعض أعمال الشيخ المانح لها أو لمجمل تلك الأعمال. وليست هذه العملية بمختلفة عن الشهادات النهائية التي يحصل عليها طلاب الجامعات في عصرنا الحالي، إنما يكمن الفارق في كون الإجازات القديمة تعبيراً عن علاقة بين شخصين وليس بين طالب وبين مؤسسة تعليمية.

ولعله يجدر بنا أن نلاحظ في الختام أن الترتيب الألفبائي للمادة المتعلقة بالترجمات في كتاب ابن حجر «تهذيب التهذيب» قد اشتمل على كل ما سبقه من تطورات. ولا شك أن مثل هذا الترتيب كان يمثل الإجراء التنظيمي الأوحد الكفيل بمعالجة المادة المتنامية، وذلك على الرغم من أننا نعثر أحياناً على أوجة قصور من الناحية الجغرافية أو من ناحية التسلسل التاريخي في معاجم التراجم المرتبة ألفبائياً.

علم المخطوطات والإجازة في المخطوطات العربية

ما علاقة كل ما تقدم إذن بالمخطوطات، ولا سيما بعلم المخطوطات؟ يُعرف علم المخطوطات في بعض الأحيان بأنه الدراسة المختصة بتناول جميع جوانب المخطوطة باستثناء محتواها. كما يُوصف بأنه ذلك العلم الذي يركز كلياً على الخصائص المادية للكتاب المخطوط باليد. وهذه تعاريف مفيدة إلا أنها مسرفة في التبسيط إذ غالباً ما نتعلم من مجلد المخطوطة ما يفوق ما نتعلمه من الجوانب اللغوية للنص إلا أنه لا يجوز لنا أن نقيم مثل هذا التمييز الشكلي بين نص بغير وجود فيزيائي وبين مخطوطة ذات وجود مادي صرف، أي أن نقارن بين روح النص وجسده إذا جاز التعبير. فهناك تفاعل دائم بين الجانبين الروحي والمادي لكل مخطوطة. ويتجلى ذلك بوضوح في الآثار المتنوعة والكثيرة التي نعثر عليها في المخطوطات والتي تشير بوضوح إلى الاستعمال الشخصي. وتجدر الإشارة أن كل مخطوطة هي قطعة فنية صنعها فرد ما وأنها تنطوي على معلومات صريحة وفي بعض الأحيان ضمنية عن صانع المخطوطة أو مستعملها أو كليهما، وتعطينا خصائص المخطوطات المختلفة مثل بيانات الصفحة الأخيرة وشعار الناسخ وعلامة المالك وشهادات القراء فكرة عن وظيفة نص ما بصورة عامة وكيفية استخدام المخطوطة بصورة خاصة. لذا فإن دراسة هذه الخصائص التي تنتمي إلى علم المخطوطات تعطي النص بعداً

إضافياً وتضعه في إطاره الحضاري. ونحن نعتقد أنه فقط باعتماد مثل هذا النهج الشامل والمتكامل – عند تناول المخطوطات – نكون قادرين على إعطاء خصائص المخطوطات حقها من حيث علاقتها بعضها بالبعض الآخر. هذا هو فقه اللغة في أوسع معانيه بما يشمل جميع الجوانب السالفة الذكر علاوة على دراسته للتفاعل بين نص ما والبيئة التي انبثق عنها.

ونعثر أحياناً على الإجازة أو على نسخ منها في المخطوطات،[١٣] حيث تكون ملحقة بنهاية النص أو مسجلة على صفحة العنوان التي تسبق النص الذي تتعلق الإجازة به. وفي بعض الأحيان لا يتجاوز نص الإجازة بضعة أسطر بينما يكون مسهباً في أحيان أخرى. وقد يجمع النص بين الإجازة وبين شهادات القراءة على أن إضافة الإجازة إلى النص هو تقليد قديم في المخطوطات العربية بقي قيد الاستعمال لعدة قرون. وعندما نلقي نظرة على المخطوطات التي سجلت فيها الإجازات فأنها تعطينا فكرة عن كيفية تطبيق نظام إجازات التعليم. وعلاوة على ما تقدم فإن الإجازة تكشف الكثير عن طريقة استخدام النص أو المخطوطة. ومما يدعو إلى الاستغراب أنه ليس ثمة بعد أية محاولات منهجية لجمع البيانات الموجودة في إجازات المخطوطات العربية.[١٤] إن جمع هذه النصوص وتحليل محتوياتها وأساليب صياغتها لهو أمر مرغوب وقد تأكدت الفائدة من جمع هذه النصوص باكتشاف الباحثين عبيد (Ebied) ويونغ (Young) أصل كلمة "بكالوريا". فمن خلال التدقيق في صياغة الإجازات في عدد من المخطوطات اكتشف الباحثان أن الكلمة الأكاديمية الأوروبية الشهيرة "بكالوريا" مستمدة من التعبير العربي "بحق الرواية".[١٥]

أمثلة لبعض الإجازات الهامة

انبثقت الإجازة عن نظام التعليم الإسلامي الذي كانت تدرس من خلاله العلوم الدينية الإسلامية، إلا أنها لم تبق مقصورة على علوم الدين إذ نجد أن من أصل ٧٢ مخطوطة صنفها الباحث فاجدا (Vajda)، هناك ٥٩ مخطوطة ذات محتوى إسلامي تقليدي، أي فروع المعرفة الخاصة بمنهاج المدرسة بينما ثمة ١٣ مخطوطة ليس لموضوعها علاقة مباشرة بالدين إذ تتناول موضوعات في الطب والأدب والعلوم. وتعتبر هذه نسبة عالية نظراً لوجود عدد كبير من المخطوطات من الفئة الأولى. ويبين الجدول الجغرافي الذي وضعه فاجدا أن

دمشق والقاهرة هما مصدر معظم المخطوطات التي تحتوي على إجازات، وتأتي بعدهما، من حيث الغزارة في إصدار الإجازات، كل من بغداد ومكة وحلب، وغالبية الأماكن الأخرى التي كانت تُصْدرُ الإجازات تقع في المشرق ويرجع ثمانون في المئة من الأعمال المذكورة إلى الفترة ما بين القرنين ٦-٩هـ/١٢-١٥م بتوزيع متكافىء على امتدادها.[١٦]

وتجدر الإشارة أن أبرز الإجازات ليست متضمنة في نص إسلامي علمي، بل في أشهر نصوص الأدب العربي وأكثرها احتراماً، وهو مقامات الحريري. ويتضح ذلك من مجموعة الإجازات التي عثر عليها في مخطوطة نسخة المقامات والتي استنسخت من نسخة الحريري الخاصة. ففي الأجازة الرئيسية والمعاصرة للمخطوطة نجد أسماء ٣٨ عالماً نعلم أن بعضهم كانوا من وجهاء بغداد البارزين، ويذكر النص أنهم كانوا حاضرين أثناء قرأة المقامات برمتها التي استغرقت أكثر من شهر من الجلسات المتقطعة.[١٧] إن تحليل ماكيه (MacKay) الدقيق لهذا العدد الكبير من الإجازات قد ساهم في تكوين صورة عن حقبة من الحياة الثقافية في بغداد وحلب ودمشق امتدت زهاء القرنين. لقد بدأ الأمر في بغداد في سنة ٥٠٤هـ/١١١١م وذلك عندما أنجزت القراءة الأولى لنسخة المؤلف وقد تبع ذلك قراءات لاحقة في بغداد أيضاً. وبعد مضي ستين سنة أو نحوها على القراءة الأولى أصبحت المخطوطة مثقلة بشهادات السماع. ثم انقطعت أخبارها لمدة أربعين سنة وبعد ذلك انتقلت ملكيتها إلى المؤرخ الحلبي كمال الدين ابن العديم الذي توفي في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م. بقيت المخطوطة في حلب أكثر من ثلاثين سنة وهي تحمل أسماء العديد من أفراد أسر حلبية بارزة حضروا جلسات السماع. وأخيراً نلاحظ أن المخطوطة تحمل شهادات جلسات السماع التي عقدت في دمشق خلال عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م. تختفي بعد ذلك هذه المخطوطة عن الأنظار وبعد ستة قرون وبالتحديد في عام ١٨٧٥م تحصل عليها دار الكتب المصرية حيث لا تزال موجودة.

وعندما نلقي نظرة على أسماء ما يزيد على مئتي شخص شاركوا في قراءتها والاستماع إليها نلاحظ أن الكثيرين من هؤلاء الأشخاص ينتمون إلى أسر تربط بينها القرابة. وخلاصة لما تقدم يمكننا القول إن تاريخ نقل هذه المخطوطة قد واكب تاريخ أجيال من العلماء ورجال الأدب الذين انشغلوا بها.

إن أقدم الإجازات المعروفة هي تلك التي نجدها في مخطوطة فريدة من نوعها تحمل العنوان «الناسخ والمنسوخ في القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلاّم الذي توفي عام ٢٢٣هـ/٨٣٧م.[١٨] في هذه المخطوطة نجد عملاً هو في صميم العلوم الإسلامية إذ أنه يتناول الآيات الناسخة والمنسوخة في القرآن الكريم. ويرجع تاريخ أول شهادة سماع في هذه المخطوطة إلى عام ٣٩٢هـ/٢-١٠٠١م أما آخر شهادة فتاريخها هو ٥٨٧هـ/١١٩١م. ونلاحظ في أحدى شهادات السماع لهذه المخطوطة ذكر الجامع العتيق بمصر[١٩] كما تذكر أسماء أفراد من أسرة واحدة تشمل الأب وأبنائه وعدداً من إخوانه. وعلى غرار ما لمسناه في مخطوطة مقامات الحريري نجد في هذه المخطوطة أن نقل نص ما كان ينطوي على مناسبة اجتماعية أو عائلية، وفي كلتا الحالتين كان ثمة حضور للعامل الشخصي. وإذا ما قارنّا بين الإجازات الواردة في آخر مخطوطة أبي عبيد «الناسخ والمنسوخ» الموجودة في إستانبول وبين قائمة الروايات المتضمنة في صفحة العنوان الخاصة بمخطوطة إستانبولية أخرى هي «كتاب المجالسة» لأبي بكر الدينوري،[٢٠] فإننا نكتشف ورود اسم شخص بعينه في المخطوطتين وهو أبو عبد الله بن حمد بن حامد بن مفرّج بن غياث الأرتاجي، والذي لم يسمع به أحد في غير هذا السياق. فأما في مخطوطة أبي عبيد العتيقة «الناسخ والمنسوخ» فنجده ناشطاً في دور المُسْمِع عام ٥٨٧هـ/١١٩١م، على حين نجد في نسخة «كتاب المجالسة» للدينوري الموضوعة عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م أنه أحد رواة النص في الفترة السابقة على وضع المخطوطة. وهو ما يدل على فائدة جمع المعلومات الواردة في الإجازات والسماعات والروايات وما شابه ذلك حيث يكشف المثال الذي بين يدينا عن بداية تكوين شبكة علماء.

يمكن العثور على الإجازات التي منحها ابن الجواليقي (المتوفى عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م)، وكان من أبرز فقهاء اللغة ببغداد،[٢١] في عدد من المخطوطات مثل مخطوطة دبلن التي تتضمن صفحة العنوان فيها شهادة قراءة موقعة من ابن الجواليقي عام ٥١٤هـ/١١٢٠م[٢٢] ومخطوطة ليدن التي تحتوي على كتاب «لزوم ما لا يلزم» لأبي العلاء المعري من نسخ ابن الجواليقي قبل عام ٤٩٦هـ/٣-١١٠٢م.[٢٣] ويمكن التعرف على خطه بسهولة كما يمكن تحديد تاريخ المخطوطة من شهادة بخط أستاذه وسلفه في المدرسة النظامية ببغداد الخطيب التبريزي (المتوفى عام ٥٠٢هـ/١١٠٨م).[٢٤] وتشتمل المخطوطة أيضاً على شهادة قراءة لأحد تلامذته، هو ابن الخشّاب مؤرخة في ٥١٩هـ/١١٢٥م.

ثم تنتقل المخطوطة من بغداد إلى القاهرة ويتضح ذلك من ملاحظات المالك الجديد عالم النحو ابن النحّاس (المتوفى عام ٦٩٨هـ/١٢٩٩م).[٢٥] وثمة مخطوطة أخرى في ليدن تشتمل على كتاب «الألفاظ» لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (المتوفى عام ٣٢٠هـ/٩٣٢م) ونُسخت في عام ٥٥٢هـ/١١٢٨م[٢٦] وهي تحتوي في صفحة العنوان على شهادة قراءة بخط ابن الجواليقي. كما تضم المخطوطة شهادات "بلوغ" و"مقابلة" على نحو منتظم. ويمكن تحديد طول جلسات القراءة التي كانت تمتد كل منها ما بين ساعة وساعتين من هذه الشهادات. وثمة نسخة متأخرة (القرن ١١هـ/١٧م) لشهادة قراءة لابن الجواليقي يرجع تاريخها إلى صفر ٥٠١/١١٠٧ موجودة في مخطوطة بليدن MS Leiden Or. 403, F.430b تشتمل على ديوان أبي تمام مع شرح للخطيب التبريزي.[٢٧] والانطباع الذي يخرج به من شهادات لابن الجواليقي هو أن عملية النقل بالنسبة له لم تكن مناسبة اجتماعية، كما في الحالات السابقة. إذ يبدو أنه كان يميل إلى مجالسة حلقة صغيرة من المريدين يدرس لهم النصوص الهامة في عصره – ونسخته من كتاب المعري «اللزوميات» هي خير دليل على صحة ذلك بما تقتصر عليه من ورود اسم أستاذه الخطيب التبريزي وحده بين اسمه واسم المؤلف.

خلاصة واستشراف

تناولت فيما سبق موضوع الإجازة من ناحيتين، أولاهما ناحية التاريخ الثقافي، والثانية من جهة الاعتبارات الخاصة بعلم المخطوطات. وإني أعتقد أن كلتا النظرتين ضرورية وأن كلا منهما تكمل الأخرى من خلال تفاعلهما المشترك. ويبين تاريخ الإجازه نفسه أنه لا يمكن عزل هذين الجانبين الواحد عن الآخر. فالإجازة مصدر هام لتاريخ شبكات الثقافة والدراسة، وهي تكفل لنا المعلومات المطلوبة لتكوين صورة متكاملة عن محيطها الثقافي الشامل.

وتستحق الإجازة باعتبار كونها فيما مضى آلية لنشر العلم أن تُدْرسَ على نطاق أوسع بكثير مما تم حتى الآن. ويتعين على أمناء المكتبات أن يجمعوا إجازات المخطوطات الموجودة لديهم وينشروها. وينبغي أن لا يكون النشر مقصوراً على تحليل بيانات الشهادات كما فعل فاجدا وماكيه بل تتعدى ذلك لتشمل أيضاً نشر النسخة الكاملة للنصوص العربية. وعندئذ فقط يمكن أن يبدأ

تنفيذ أهم مشروع ألا وهو إعداد فهرس تراكمي للمادة البيوببليوغرافية الواردة في تلك الشهادات وسيكون هذا الفهرس بمثابة إضافة قيمة إلى المراجع البيوببليوغرافية المتوفرة حالياً. إن نشر عدد كبير من الإجازات لقمين أن ييسر لنا العلم بالمصطلحات الفنية المستخدمة، وهذا بدوره حريّ أن يعمق من معرفتنا بوظيفة الإجازة في المخطوطات العربية.

إن الحد الأدنى من متطلبات عملية النشر تلك يستلزم أولاً توفير النصوص الكاملة مع صور فوتوغرافية جيدة، لعدد كبير من الإجازات، وهو ما يشكل أساس المشروع. وفي المقام الثاني يلزم أن تشتمل عملية النشر على عدد من مستلزمات البحث مثل وصف موجز للمخطوطات المعنية، وفهرس بأسماء الأشخاص الضالعين في إصدار الإجازات ووظائفهم، وفهرس بالأماكن التي تنقلت بينها المخطوطات الحاوية للإجازات على مر الزمن، إلى جانب معجم بالمصطلحات الفنية المستخدمة.

غير أنني أعتقد أن مهمة دراسة الإجازات لن تكون مثمرة ما لم يكن الباحث على دراية بشروط الإجازات[٢٨] وبالبيئة الثقافية التي أفرزتها ولديه في نفس الوقت خبرة واسعة مكتسبة من العمل في ميدان المخطوطات. كما أعتقد أن محققي النصوص التي تشتمل على إجازات ليسوا هم دائماً أنسب الأشخاص للقيام بهذه المهمة رغم اختصاصاتهم اللغوية إذ أن هناك الكثير من النصوص المطبوعة التي إما تجاهلوا إجازاتها أو أساءوا فهم مضمونها. أما بالنسبة للمتخصصين في علم المخطوطات فإن الأمر مختلف إذ أن تدريبهم المهني قد عودهم على النظر فيما وراء نص المخطوطة. وفي إطار الجهود المبذولة لرفع المستوى المهني لعلم المخطوطات فإني اعتقد أنه من الضروري أن تجمع الأعمال المرجعية من قِبل إخصائيين محترفين في علم المخطوطات.

الحواشي

(١) لا يوجد كتاب مخصص لتناول «الإجازة» ولا نصوص بإجازات منشورة إلا أن هناك بعض المراجع المفيدة بهذا الشأن مثل: عبد الله فيّاض، «الإجازات العلمية عند المسلمين» بغداد ١٩٦٧. (يجري التركيز في هذا المرجع على الشيعة).

P. A. MacKay, *Certificates of Transmission on a Manuscript of the* Maqāmāt *of Ḥarīrī, MS.* Cairo, Adab 105, Transactions of the American Philosophical Society, New Series, LXI/4 (Philadelphia, 1971);

صلاح الدين المنجد، «إجازات السماع في المخطوطات القديمة» مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٣٧٥/١٩٥٥، ٢٣٢-٢٥١.

J. Pedersen, *The Arabic Book* (Princeton, 1984), esp. 31-4;

قاسم أحمد السامرائي، «الإجازات والتطورات التاريخية» عالم الكتب، ٢ (١٩٨١)، ٢٧٨-٢٨٥. ثمة أمثلة كثيرة على الإجازة يمكن العثور عليها في كتاب

A. J. Arberry, *A Handlist of the Arabic Manuscripts of the Chester Beatty Library* (8 vols., Dublin, 1955-66).

تناول جورج مقدسي استخدام الإجازة في نظام التعليم الإسلامي في كتابه:

George Makdisi, *The Rise of Colleges. Institutions of Learning in Islam and the West* (Edinburgh, 1981),

بينما يقدم جورج فاجدا تحليلاً لمحتوى عدد كبير من الإجازات التي وردت في ٧٢ مخطوطة:

Georges Vajda, *Les certificats de lecture et de transmission dans les manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale de Paris (Paris, 1956).*

أود أن أنتهز هذه الفرصة كي أتوجه بالشكر إلى الدكتور ليون بسكنز (Léon Buskens) الأستاذ المحاضر في القانون الإسلامي في جامعة ليدن وذلك لوضعه تحت تصرفي عدداً من الإجازات المنشورة أو النصوص ذات الصلة بالإجازات والتي جاءت من مكتبته الخاصة.

(٢) انظر: ابن الأكفاني، «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» تحقيق ج. ج. ويتكام، (ليدن، ١٩٨٩)، ٤٤٦، رقم ١٩١.

(٣) انظر استخدام تلك السجلات وما حاط بها من شكوك في: البلخي (المتوفى حوالي ٣١٩هـ/٩١٣م)، «كتاب قبول الأخبار ومعرفة الرجال»، مخطوطة القاهرة، دار الكتب المصرية، مصطلح ١٤م، في مواضع مختلفة. سأتم تحقيق النص للنشر قريبا.

(٤) نشر في حيدر آباد سنة ١٣٢٥-١٣٢٧هـ (١٩٠٧-١٩٠٩م) في ١٢ مجلداً.

(٥) انظر: Ch. Pellat, s.v. "Fahrasa", *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed (*EI*^{2}), (Leiden and London, 1960-), II, 743-4.

(٦) يلاحظ أن هذا النوع من أدب الرحلات قد تطور بشكل خاص في الجزء الغربي من العالم الإسلامي. إذ أن المسافة الطويلة التي تفصل تلك البلدان عن شبه الجزيرة العربية قد جعلت الحج مسألة جدية تتطلب التفكير وأعمال الذهن.

(٧) هناك العديد من السلاسل المعروفة، وللصوفيين سلاسل خاصة بهم. وقد قمت بتحليل ونشر سلسلة حسن كافي الأقحصاري (المتوفى ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) وهو عالم حنفي بوسني وذلك في

Manuscripts of the Middle East (*MME*), IV (1989), 85-114

(٨) انظر: عبد العزيز الأهواني، «كتب برامج العلماء في الأندلس»، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٥، ٩١-١٢٠، ٢٥٢-٢٧١.

(٩) مخطوطة مونتريال، مكتبة جامعة ماك غيل رقم AC156 وهي عبارة عن دبلوم منفصل حلله ونشر محتوياته آدم جاتشك

Adam Gacek, "The Diploma of the Egyptian Calligrapher Ḥasan al-Rushdī", *MME*, IV (1989), 44–55.

هناك مخطوطة أخرى هي مخطوطة ليدن الموجودة في مكتبة الجامعة: MS Leiden, University Library, Or. 11.121. وهي عبارة عن مجلد صغير ربما كان مصدره إستانبول. وهو يحتوي على إجازة في قراءات القرآن حصل عليها أبو بكر لطفي أفندي بن السيد عمر الصنوبي من أستاذه إسماعيل حقي بن علي في محرم سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م.

(١٠) من الممكن أن يكون الجزء كشكل مستقل، قد تطور عن ذلك التقليد القديم، حيث كانت تكتب الإجازة أو السماع على كل جزء (بمعنى الملزمة) من المخطوط. ويشار إلى هذه المخطوطات باسم «المجزءات» أي المقسمة إلى أجزاء، وكان هذا النوع من المخطوطات منتشرا، ونراه في مخطوطة ليدن Or.122 (مكارم الأخلاق) وOr.12.644 (تاريخ مدينة دمشق). وتحتوي كل ملزمة في هذين المخطوطين على عدد متشابه من الإجازات. ولكل ملزمة صفحة عنوان خاصة بها، تنقسم بها المخطوطة إلى عدد من الأجزاء المتساوية – ولا علاقة لهذا التقسيم بتقسيم النص إلى فصول أو أبواب وما إلى ذلك. وجدير بالذكر أن القرآن الكريم يقسم إلى أجزاء، كما يقسم إلى سور وآيات.

(١١) ذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد التعبيرين: إجازات وسماعات في بحثه «إجازات السماع في المخطوطات القديمة» تحت رقم ١٠ و١١.

(١٢) انظر مقالتي:

"Lists of Books in Arabic Manuscripts", *MME*, V (1990-1), 121–36,

ولا سيما القسم الخاص بالاجازة والسيرة الذاتية: '*Ijāzāt and autobibliography*' pp. 126–30

حيث ناقشت وثيقة من القرن ٨ هـ/١٤م تتعلق بهذا الموضوع. هناك سيرة ذاتية أخرى بشكل إجازة نسخت في دمشق سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٦م، انظر:

MS Dublin, Chester Beatty Library, no. 3488 (cf. Arberry, *Handlist*, II, plate 63).

(١٣) في كثير من الأحيان يتعذّر التمييز بين النسخة (أو ما يعرف بالمثال أو الصورة) وبين الإجازات الأصلية.

(١٤) يقدم ماكيه MacKay تحليلاً شاملاً لإجازة مخطوطة القاهرة الموجودة في دار الكتب المصرية، أدب ١٠٥ (انظر ١ أعلاه) والتي تحتوي على نسخة معاصرة من «المقامات» للحريري (المتوفى ٥١٢هـ/١١٢٢م). ويعتبر هذا التحليل مثالياً من حيث مراجعه وأسلوبه المنهجي. وتوفر مجموعة شهادات فاجدا (انظر ١ أعلاه) ثروة من المعلومات.

(١٥) R. Y. Ebied & M. J. L. Young, "New Light on the Origin of the Term 'Baccalaureate'", *The Islamic Quarterly*, XVIII (1974), 3-7.

(١٦) انظر: Vajda, *Certificats de lecture*, 65–6.

(١٧) انظر: MacKay, *Certificates of Transmission*, 9.

(١٨) مخطوطة إستانبول متحف طوبكابي سراي Topkapı Sarayı Library, Ahmet III A 143.
وتبدو هذه الإجازة كما لو كانت نسخة (مثالا). وقد نشر فؤاد سزكين صورة طبق الأصل عن المخطوطة:

Fuat Sezgin, Publications of the Institute for the History of Arabic-Islamic Science, Series C, XII (Frankfurt am Main, 1985).

(صورة الإجازة ص ٤١٨–٤١٩). وحقق النص جون برتون:

John Burton, *Abū 'Ubaid al-Qāsim b. Sallām's* K. al-nāsikh wa-l-mansūkh *(MS. Istanbul, Topkapı, Ahmet III A 143)*, E. J. W. Gibb Memorial Series, New Series, XXX (Cambridge, 1987).

قدم برتون شهادات القراءة الخاصة بمخطوطة طوبكابي في الصفحات ١٠١–١٠٣ من كتابه كما حلل مضمون هذه الشهادات وحدد هوية معظم الأشخاص الذين ذكرت أسماؤهم في الصفحات ٥٢–٥٣ من مقدمته.

(١٩) هذه هي المخطوطة التي أشار إليها صلاح الدين المنجد، «إجازات السماع» (انظر ١ أعلاه) والتاريخ ٣٧٢هـ الذي ذكره غير صحيح لأن المخطوطة تبين بوضوح أن التاريخ هو ٣٩٢هـ.

(٢٠) MS Istanbul, Topkapı Sarayı Library, Ahmet III, No. 618.

وقد نشر فؤاد سزكين صورة طبق الأصل عن المخطوطة:

Fuat Sezgin, Publications of the Institute of the History of Arabic-Islamic Science, Series C, XXXVIII (Frankfurt am Main, 1986).

(٢١) انظر: C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur*, I (Weimar, 1898), 280.

(٢٢) Chester Beatty Library, No. 3009 (Arberry, *Handlist*, I, plate 1).

انظر أيضاً: S. A. Bonebakker, "Notes on Some Old Manuscripts of the *Adab al-kātib* of Ibn Qutayba, the *Kitāb aṣ-ṣināʿatayn* of Abū Hilāl al-ʿAskarī and the *Mathal as-sāʾir* of Ḍiyāʾ ad-Dīn ibn al-Athīr", *Oriens*, XIII-XIV (1960–1), 159-94.

وتجدر الإشارة أن الملاحظات في مخطوطة دبلن قد حققها Bonebakker في الصفحة ١٦٥.

(٢٣) University Library, Or. 100.

انظر أيضاً: S. M. Stern, "Some Noteworthy Manuscripts of the Poems of Abu'l-ʿAlāʾ al-Maʿarrī'", *Oriens*, VII (1954), 322-47.

(٢٤) نشر الكاتب شهادة القراءة في:

Seven Specimens of Arabic Manuscripts (Leiden,1978), 11.

(٢٥) انظر: Stern, "Some Noteworthy Manuscripts", 343–4.

(٢٦) MS Leiden Or. 1070 (P. Voorhoeve, *Handlist of Arabic Manuscripts in the Library of the University of Leiden and Other Collections in the Netherlands* [Leiden, 1957], 10).

(٢٧) Voorhoeve, *Handlist*, 62.

(٢٨) كما بين ذلك صلاح الدين المنجد، «إجازات السماع»، ص ٢٣٤–٢٤١.

أهمية صفحة العنوان (الظهرية) في توصيف المخطوطات

رمضان ششن

تأتي دراسة مقدمة الكتاب وصفحة العنوان والصفحة الأخيرة من المخطوطات في الدرجة الأولى من الأهمية عند توصيفها وتثبيت هويتها لأن المقدمة كثيراً ما تحتوي اسم الكتاب واسم مؤلفه، كما تدلنا على موضوع الكتاب وأبوابه وأقسامه. أما الصفحة الأخيرة فكثيرا ما تحمل اسم الناسخ للكتاب وتاريخ الفراغ وموضوع كتابته وقيودا أخرى مثل قيود الرواية والسماع والقراءة وغيرها.

أما صفحة العنوان أي الظهرية فنرى فيها اسم الكتاب ومؤلفه في الدرجة الأولى، كما نرى قيود الرواية والسماع والقراءة والمناولة والإجازة والتملك والمطالعة والانتقاء والاستفادة والنظر والوقف واسم المستنسخ وقيودا أخرى مثل ضروب الأمثال والأبيات النادرة والولادة والوفاة وترجمة المؤلف مختصرا وحادثة تاريخه وغيرها في الدرجة الثانية. ونستعين بكل ذلك على تثبيت هوية المخطوطة وتاريخها. بناء على ذلك سنتحدث عن كل هذه العناصر تبعا لدرجات أهميتها.

١ – اسم الكتاب ومؤلفه:

يذكر الناسخون اسم الكتاب واسم مؤلفه في صفحة العنوان ولا يهملونهما إلا في أحوال نادرة. كما يكتبون اسم صاحب المخطوطة أو الخزانة التي كتبوا النسخة لهما. وإذا حدث وأهمل المستنسخ اسم الكتاب واسم مؤلفه في صفحة العنوان فإننا نرى أحيانا أن يقوم أحد العلماء بكتابتهما إذا قرأ النسخة أو طالعها. وهذه هي بعض النماذج:

خزانة كوبريلي، رقم ١٥٠٧:

«الجزء الأول من كتاب المقتضب في النحو، صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد. كتبه المهلهل بن أحمد لأبي الحسين بن الحسين العلوي».

خزنة كوبريلي، رقم ١٢٠٩:

«كتاب إصلاح المنطق، تأليف أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت. وفيه أيضا كتاب النوادر لأبي مِسحل بن حريش. كان صدر النسخة: قرأت على أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي في سنى نيّف وخمسين وثلاث مائة، قابلت بأصله. قال: قرأته على بندار بن لزه قال قرأت على أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت. قال: هذا باب فَعْل وفِعل...».

خزانة قليج علي، رقم ٦٨٤:

«كتاب نهاية الانتفاع لابن الكتاني، مما عمل برسم الجناب العالي القضائي الرئيسي برهان الدين إبراهيم الشهير بالبتنوني أعزه الله تعالى».

خزانة مراد ملا، رقم ٦:

«هذا الكتاب وهو الحجة في شرح القراءات السبعة لأبي علي الفارسي رحمه

الله أربعة أجزاء بخط طاهر بن غلبون المصري النحوي. وكان هذا الرجل ماهرا بالقراءات وبالعربية يدري ما يكتبه. وكان على كل جزء منها اسمه في آخره... هذا خط علي بن جعفر بن الحسين بن النوري النحوي رحمه الله».

ويستفاد من النموذج الأخير أن العنوان وما بعده لم يكتب على يد الكاتب بل كتبه علي بن جعفر بن الحسين.

خزانة كوبريلي، رقم ١١٦٣:

«الجزء الرابع من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي. برسم الأشرف الجمالي محمود أستاذ دار العالية الملكي الظاهري».

ونرى أحيانا في عنوان الكتاب ومؤلفه خطأ كما وقع في كتاب نسخة تقويم الصحة تحت رقم ٢/٩٦٠، من ٥١ آ إلى ٩٢ ب من مكتبة كوبريلي المكتوبة لخزانة السلطان محمد الفاتح، إذ يذكر الكاتب في العنوان أنه من تأليف يعقوب بن إسحاق الكندي وهو خطأ. والصحيح أن المؤلف هو ابن بطلان. ونرى أيضا مجموعة من مؤلفات علي بن جعفر بن علي بن القطاع تحت رقم ١٦٨٥ من خزانة فيض الله أفندي. ذكر الكاتب في صفحة العنوان أن اسم المؤلف هو «أبو عبد الله محمد عبد الله بن أبي عبد الله» خطأ رغم أنه ذكره في آخر الكتاب بشكل صحيح. ثم طالع المجموعة آخر وزاد تحت العنوان قيدا ذكر فيه «ليس هذا اسم ابن القطاع بل اسمه ابو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي». هكذا صحح الخطأ. وفي مكتبة ولي الدين أفندي، رقم ٣٦٢١، مجموعة فيها كتب نادرة بينها كتاب الآمل والمأمول للجاحظ والصحيح أن الكتاب ليس للجاحظ بل للمرزباني أو لرجل جاء بعده. ثم نرى نسخة كتاب «عين الحياة» في تفسير القرآن لنجم الدين الكبرى تحت رقم ٤٩ من مكتبة كوبريلي لم يذكر الكاتب اسم مؤلفه في صفحة العنوان ثم جاء رجل وزاد قيدا ذكر فيه أن الكتاب لنجم الداية الرازي خطأ. لهذا يجب أن لا نعتمد عنوان الكتاب كليا بل نقارنه بالشكل المذكور في مقدمة الكتاب أو في المراجع الأخرى.

واستعمل المؤلفون أيضا في مقام كلمة التأليف في المخطوطات كلمات أخرى نحو تصنيف، إنشاء، نظم، إملاء، تخريج، جمع، عمل، عنى بجمعه، مما عني بجمعه، مما اعتنى بجمعه، تحرير، صنعة، إنشاء، شرح، تفسير، تحشية، تعليق، اختصار، تلخيص، انتقاء، استثمار، تجريد، تهذيب، اقتضاب، تميزة انتخاب، اختيار، نقل، ترجمة تعريب. ولا شك أنه لكل هذه الكلمات معان خاصة تميزها عن الأخرى، فهي تشير إلى كيفية التأليف أو الترجمة، كما تدلنا على كيفية تحرير الكتاب.

٢ – قيود الرواية والسماع والقراءة والإجازة:

تأتي في صفحة العنوان بعد اسمي الكتاب والمؤلف قيود الرواية والسماع والقراءة والإجازة. وهي قيود يستفاد منها أن الكتاب قد وصل إلى الكاتب بدون تحريف كما صححت النسخة وقوبلت. ونرى هذه القيود بوجه خاص في كتب الحديث وكثير من مؤلفات التاريخ والفقه والعقائد التي صنفت إلى أواخر القرن السابع. ويجب علينا أن نذكر أسماء ابن عساكر وأبي طاهر السلفي والمديني بين رواة كتب الحديث واسمي تاج الدين أبي اليمن الكندي وابن العديم بين رواة كتب التاريخ والقراءات واللغة. وهذه نماذج مختلفة عن قيود الرواية والسماع والقراءة:

خزانة كوبريلي، رقم ٣٦٦:

«كتاب صحيح الأمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري. رواية أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه عنه. رواية أبي أحمد محمد بن عيسى بن عمروية الجلودي عنه. رواية أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي عنه. رواية أبي عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي عنه. رواية أبي الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي عنه. رواية الشيخ الإمام العالم الحافظ شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي الفضل السلمي الأندلسي ثم المرسي عنه. سماع الأمير الأجل الأوحد الأخضر الكبير الإسفهلار المجاهد المرابط المناضل المؤيد المنصور

جمال الدين عمدة الملوك اختيار السلاطين صفوة أمير المؤمنين آيدوغدي العزيزي.

سمع جميع هذا الكتاب على الشيخ الفقيه الإمام العامل الورع الزاهد فقيه السلف الصالح شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي الأندلسي المرسي نفع الله ببركته بقراءة الشيخ الإمام الكامل محي الدين محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة الأنصاري الشاطبي. وسمع كل واحد منهما ما قرأه الآخر بحق سماعه له من أبي الحسن المؤيد الطوسي كما بُيّن أعلاه. فسمعه السادة الأجلاء صاحبه... وصح ذلك وثبت في مجالس متعددة آخرها ليلة الثلاثاء المسفرة عن العشرين من شهر رمضان المعظم الذي من سنة اثنتين وخمسين وستمائة بالقاهرة المعزية بدار الحديث الكاملية والمدرسة الصالحية قدس الله روحهما. وأجاز الشيخ وفقه الله للجماعة المذكورين جميع ما يجوز روايته بشروطه وتلفظ بذلك حال السؤال... صحيح ذلك وكتب محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الفضل».

خزانة شهيد علي، رقم ٢٧٦٣:

مجموعة من الرسائل الاعتقادية للحنابلة، وكلها من النوادر غير أن أحدا لم يدرسها حتى الآن كما ينبغي والأولى منها:

«كتاب الاعتقاد المروي عن الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني رحمه الله في أصول الدين إملاء الشيخ أبي الفضل عبد العزيز التميمي رضي الله عنه. تخريج علي بن أحمد بن علي الأسدي رضي الله عنه. نقل من أصله الذي عوض به الأصل الذي نقل عنه وهو بسماع الشيخ أبي القاسم علي بن أحمد بن علي الأسدي من الشيخ الجليل أبي محمد رزين بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي يوم السبت من النصف من ذي الحجة من سنة تسع وخمسين وأربع مائة. وعليه وكتب أحمد بن الحسن بن خيرون بخطه في التاريخ».

خزانة مراد ملا، رقم ٥٦٩:

«الجزء الأول من كتاب غريب الحديث تأليف الشيخ الإمام أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البخاري. رواية الشيخ أبي عمر محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى الزرجاهي الفارسي عنه. سماع لصاحبه أبي القاسم الفضل بن عبد الله بن سعد بن عيسى الصائغي الطبري».

خزانة فيض الله أفندي، رقم ٥٠٤:

«الجزء الأول من كتاب المجالسة تصنيف أبي بكر أحمد بن مروان ابن مالك الدينوري. رواية الشيخ أبي محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد الغراب عنه. رواية الشيخ النسيب أبي الحسين القاسم علي بن إبراهيم عن رشاء. ورواية أبي الحسن علي بن الحسين بن عمر الموصلي الفراء عن أبي القاسم عبد العزيز بن الحسن عن أبيه. رواية الحافظ أبي القاسم بن عساكر عن النسيب ورواية البوصيري والارتاخي عن الفراء. رواية الشيخ أبي بكر عتيق بن أبي الفضل بن سلامة عن الحافظ أبي القاسم. ورواية الشيخ أبي القاسم عبد المغني بن ابن سليمان بن بنين عن البوصيري والارتاخي. سماع لمحمد بن محمد بن أبي بكر الفاريابي الأبيوري ثم الكوفي عنهما وعن غيرهما كما سيأتي».

خزانة فيض الله أفندي، رقم ٥٠٦: مجموعة تتضمن أجزاء الحديث. الأول منها:

«الجزء الأول من حديث ابي بسطام شعبة بن الحجاج العتكي. تخريج أبي الحسين محمد بن المظفر بن موسى الحافظ عن شيوخه. رواية أبي محمد

الحسن بن علي بن محمد الجوهري الشيرازي عنه. رواية أبي غالب أحمد بن أبي علي الحسن بن أحمد بن البناء عنه. رواية أبي العباس أحمد بن أبي الفائز بن عبد المحسن بن أكبري عنه. سماع منه لصاحبه الشيخ الإمام العالم موفق الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن عمر البغدادي نفعه الله به. سمع جميع هذا الجزء من أوله إلى آخره ويشتمل على ثلاثة كراريس من هذه النسخة على الشيخ الصالح الفقيه أبي محمد عبد الرحمن بن مسعود بن سرور بسماعه من أبي غالب أحمد بن البناء بقراءة كاتبه محمد بن عبد السيد الزيتوني وأبي الخير مبارك بن مسعود بن مبارك الرصافي وعبد الرحمن بن عمر بن أبي بكر المعروف بشاب الشباب ومحمود بن بركة بن سعادة وذلك في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وصح وتمت. سماع عبد الصمد بن عبد اللطيف بن محمد بن العبدي الحموي. سماع عبد العزيز بن عد القادر بن أبي الكرم بن أبي ذر الربعي البغدادي».

خزانة كوبريلي، رقم ١٥٠٧-١٥٠٨: كتاب المقتضب في النحو للمبرد مرتب على جزئين على كل واحد منهما:

«قرأت هذا الجزء من أوله إلى آخره وأصلحت ما فيه وصححته. فما كان فيه من إصلاح وتخريج بغير خط الكتاب وهو بخطي. وكتب الحسن بن عبد الله السيرافي. خط أبو سعيد أيده الله».

خزانة فيض الله أفندي، رقم ٥٠٦: مجموعة تحتوي أجزاء في الحديث الأول منها حديث أبي بسطام العتكي.

«قرأه أجمع علي القاضي المسند المعمر ملحق الأحفاد بالأحداث عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن الفرات الحنفي بإجازته من أم محمد ست العرب بنت محمد بن علي البخاري وتفرد بذلك... شمس الدين

محمد بن محمد بن محمد ابن محمد السنباطي وآخرون وأجاز لنا جميع ما يرويه وصح ذلك في يوم الثلاثاء ٢٦ ذي الحجة سنة خمسين وثمان مائة بمجلس المسمع... أجاز في باب الفتوح. وكتبه محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن أبي بكر بن عمر السخاوي الشافعي».

خزانة فيض الله أفندي، رقم ١٦٨٥: مجموعة من مؤلفات ابن القطاع. نرى في صفحة العنوان في المؤلف الأول القيد الآتي:

«قرأه العبد الفقير إلى الله تعالى المستعين بربه الأعلى الفاتح أبو بكر بن علي الصالحي قراءة بحث من أوله إلى منتهاه في شعبان المكرم سنة لبوبك من الهجرة النبوية».

خزانة أحمد الثالث، رقم ١٦٨٥: مجموعة في كتب الحديث. نرى في صفحة العنوان القيد التالي:

«قرأت جميع سؤالات ابن الجندي ليحيى بن معين... بسماعه على ابن محمد بن وراج (رواح) بسنده... أيضا وأجاز المسمع لكتابه ما قرأه وما يجوز له وعنه روايته رابع عشر شعبان سنة اثنتي عشرة وتسع مائة. وكتب محمد بن أحمد بن محمد المظفري. صح ذلك وكتبه إبراهيم بن أبي شريف الشافعي حامدا. قرأت السؤالات أجمع كاتبه محمد المظفري من أصل آخر».

وبينما نجد قيود الإجازة في أواخر قيود السماع والقراءة كما وردت في النماذج السابقة، نرى أحيانا إجازات مستقلة في الكتب المخطوطة يعطيها العلماء إلى علماء يعيشون في أماكن بعيدة بدون سماع وقراءة اعتمادا بهم كإجازة الزمخشري لأبي طاهر السلفي وإجازة ابن العربي للملك المظفر شهاب الدين الغازي الأيوبي وغيرهما (فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي، ١:٣٧٢-٣٧٣، ٢:٣٠٧).

٣ – قيد المناولة:

قيد المناولة هو من القيود المهمة التي نراها في صفحة العنوان. وهو أيضا من القيود التي تقوي صحة الكتاب ونسخته كما يلي:

خزانة كوبريلي، رقم ١١: كتاب الوقف والابتداء..، تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري. «ناول هذا الكتاب الشيخ الفقيه الإمام العالم الكبير المحدث الورع جمال الدين أبو محمد عبد المجيب بن أبي القاسم بن زهير الحربي رسول الخلافة العباسية البغدادي رفعه الله للفقيه سراج الدين أبي الطاهر إسماعيل بن علي بن يوسف المهدوي الحميري ولمجد الدين أبي محمد عبد الله بن محمد بن صدقة الخزرجي ولمحمد بن مرتفع بن جبريل ولعبد الرحمن بن أبي بكر... والكاتب السماع العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى مرتفع بن جبريل بن قراتكين وذلك في سلخ شوال سنة ثلاث وستمائة. صحيح ذلك وكتب عبد المجيب بن أبي القاسم. إسناد الشيخ الفقيه... عن الشيخ أبي الفضائل بن هبة الله... بن بركات بن هلال النحوي عن أبي الحسن علي بن صالح الرودباري عن أبي مسلم محمد بن أحمد بن علي الكاتب عن ابي بكر مصنفه».

يعني بالإسناد الرواية.

٤ – قيود التصحيح والمقابلة والمعارضة:

ونرى أيضا في صفحة العنوان قيود التصحيح والمقابلة والمعارضة كلها تؤيد صحة النسخة. وأحيانا يقارن الكاتب نسخته بنسخ عديدة ويكتب التصحيحات والاختلافات على هوامش صفحاتها. وهذه نماذج لها:

خزانة مراد ملا، رقم ١٤١٠: كتاب النجاة لابن سينا بخط رضوان بن محمد بن علي الخراساني المعروف بابن الساعاتي. «قوبلت المنطقيات من هذه

النسخة بخط المستنسخ رحمه الله وقوبلت الطبيعيات والإلهيات بنسخة مقروءة على المؤلف وعليه خطه بالإجازة على هذه الصورة: قرأ عليّ هذا المجموع قراءة فهم... الصاحب أبو عبيد نفعه الله. وكتبه أبو علي الحسين بن سينا. وقوبلت النسخة بنسخ عدة وصححت مقابلة وعملا».

خزانة مراد ملا، رقم ٥٦٩: الجزء الأول من غريب الحديث للخطابي. «توليت عرضه بأصل الشيخ الفقيه أبي عمرو الزرجاهي رضي الله عنه المسموع لي فيه بنفسي وتصحيحه على قدر جهدي ووسعي إلى آخره».

خزانة كوبريلي، رقم ٣/١٢١٠: شرح المقامات للزمخشري. «ابتدأت على معارضة الشرح ظهر يوم الأربعاء من وسط ذي القعدة سنة إحدى وثمان مائة بكرمان».

خزانة كوبريلي، رقم ١٥٠٧: الجزء الأول من المقتضب في النحو للمبرد. «قابلت هذا الجزء من أوله إلى آخره وصححته في سنة سبع وأربعين وثلاث مائة. وكتب الحسن بن عبد الله السيرافي. عارض به نسخته داعيا محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد الناصري سنة ٨٠٤. عارض هذا الجزء والذي يليه وصححها في سنة سبع وأربعين وثلاث مائة. كتب الحسن بن عبد الله السيرافي».

خزانة كوبريلي، رقم ١٥٣٥: جزء من تهذيب اللغة للأزهري. «عورض بدستور المصنف المنقول منه وبنسخة أبي زكريا (الخطيب التبريزي) وألحق ما كان فيها وبنسخة أخرى على سقمه في الجميع وزيادات ونقصان».

٥ – قيود المطالعة والنظر والانتقاء:

ومن القيود التي نجدها في صفحة العنوان قيود مطالعة ونظر وانتقاء. ونرى أيضا كثيرا من المطالعين ينتقون من النسخة معلومات للكتب التي يريدون تأليفها كما في النماذج التالية:

خزانة مراد ملا، رقم ١٤١٠: كتاب النجاة لابن سينا. «طالعه وكتب منه ما يحتاج إليه حسن بن محمد النابلسي الخصكي».

خزانة قليج علي، رقم ٦٨٤: كتاب نهاية الانتفاع في معرفة فضل الدائرة من الفلك من قبل الارتفاع. «طالع في هذا الكتاب المبارك العبد الفقير إلى ربه الغني أبو الطاهر محمد بن محمد بن بهادر المؤمني الشافعي... بتاريخ يوم الجمعة قبل الصلاة ورابع عشر شهر شعبان المكرم سنة أربع وثمان مائة».

خزانة كوبريلي، رقم ٢٩: كتاب المحتسب لابن جني. «طالعه أحمد بن حسن بن يوسف القدسي النقاش بجامع الحريرة بالعقيبة... وعلي بن عماد الدين الدمشقي».

خزانة كوبريلي، رقم ٩٨٣: جامع مفردات الأدوية لابن البيطار. «تشرف بمطالعته بطريق التملك الفقير... عوض بن يوسف الشامي المدرس بقسطنطنية».

خزانة كوبريلي، رقم ١١١٥: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب. «ملكه وطالعه وأسفر من فوائده إبراهيم بن مفلح الحنبلي. استوعبه وانتقى ما فيه من المفسرين محمد بن علي بن أحمد الداودي. طالعه وانتقى من فوائده عبد الوهاب».

خزانة كوبريلي، رقم ١١٦١ – ١١٦٥: معجم البلدان لياقوت الحموي. «فرغ منه وما قبله مطالعة ومنتقيا خليل بن أيبك الصفدي.

خزانة كوبريلي، رقم ١٢٠٠: كتاب آداب السياسة للمبارك بن خليل الخازنداري الموصلي. «نظر في هذا المجلد... إبراهيم الجاوش الماردي الملكي... وكتبه في أربع عشر من شهر رمضان... سنة تسع مائة».

خزانة كوبريلي، رقم ١٢٠١: كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة. «نظر في هذا الجزء... محمد بن عالي... المحرم من يوم ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمان مائة.

نظر في هذا الكتاب... محمد بن عبد العزيز».

خزانة كوبريلي، رقم ١٢٧٣: رسالة الغفران لأبي العلاء المعري. «قد نظر في هذا الكتاب محمد بن عبد الرحيم الغفيراوي وكان ذلك في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر صفر سنة ٩٧٩».

٦ – قيود التملك:

ومما نرى كثيرا في صفحة العنوان قيود التملك، وهي تكتب بأشكال مختلفة نفهم منها كيف انتقلت النسخة من مالك إلى آخر. أو كيف دخلت النسخة تحت ملك صاحبها. ولهذا فقد أعطينا أهمية خاصة لتثبيتها أثناء دراسة مخطوطات مكتبة كوبريلي التي سيجد المطالعون في فهرسها نماذج كثيرة يستفاد منها في معرفة أسماء كثير من أصحاب خزائن الكتب ومحبيها في تاريخ الإسلام مثل ياقوت الحموي وتاج الدين أبي اليمن الكندي وصلاح الدين الصفدي وأبي بكر بن رستم بن أحمد الشرواني وحسين چلبي ونوعي

زاده عطاء الله والويسي. وقد اشتمل الناسخون الكلمات التالية كلها بمعنى التملك:

تملكه، انتقل، ملكه الفقير من عواري الزمان، مما ساقه التقدير، ملك الفقير، انتظم في ملك الفقير، لأحمد بن مباركشاه الحنفي، ثم استصحبه نوعي زاده عطاء الله، تملكه بالاستكتاب، من ملك، صاحبه، ثم انتقل، ثم بعد ذلك دخل في ملك، دخل في ملك، تشرف بملكه أو بتملكه، في نوبة، من ودائع الدهر، مالكه، اشتراه، ثم استودعه الله، انتقل هذا الكتاب بالشراء الشرعي، ثم آل في نوبة الفقير، صار في نوبة، انسلك في سلك، في سلك ملك، ثم استسلك في سلك، مما سلطه التقدير، ثم شرف الله عبده بتملك هذا السفر، من كتب خليل بن آبيك الصفدي، لياقوت الحموي، هذا المجموع المبارك أهداه إليّ المولى الفاضل... عبد الحي بن عبد الكريم بن علي بن المؤيد بآمد، انتقل بالبيع، من متحصلات الفقير، استصحبه عماد الدين رشيد الطبيب. هذه نماذج لبعض قيود التملك:

خزانة كوبريلي، رقم ٩٢٦: الدر المنظم في السر الأعظم لمحمد بن طلحة. «تشرف باستصحاب هذا الكتاب العبد الفقير... عطاء الله بن نوعي القاضي بأسكوب خلال سنة ١٠٠٣».

خزانة كوبريلي، رقم ٩٦٦: شرح الأسباب والعلامات لنفيس بن عوض. «استعاره من الزمان العبد شمس الدين محمد بن المولى يحيى بن محمد البستاني في غرة صفر الخير لسنة تسع عشرة وألف بمدينة أدرنه».

كوبريلي، رقم ١٠٩٤: تهذيب سيرة رسول الله لابن هشام. «من كتب محمد بن محمد بن العمري اللقطماوي بحلب المحروسة اشتراه من فخر الدين عثمان بن الصلف المقري المؤذن بالجامع الأموي بدمشق بتاريخ خمس وعشرين من المحرم عام عشرين وثمان مائة».

خزانة كوبريلي، رقم ١٠٩٦: بساتين الفضلاء ورياحين العقلاء للنجاتي النيسابوري. «اشتريت هذا الشرح من مؤلفه الإمام حميد الملة والدين النجاتي... بالربع المبارك الرشيدي من مدينة تبريز في الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة. وهذا خط مالكه العبد... محمد الظهيري المدعو بعلاء الأبيوردي».

ثم نرى في المخطوطات قيود وقف لواقفي الخزانات بخطوطهم أو بخواتمهم. وقد ألف كوناي قوط Gunay Kut ونعمت بيراقدار Nimet Bayraktar كتابا في خواتم مخطوطات إستانبول نرى فيه نماذج كثيرة من الخواتم. وتشير أيضا قيود الوقف إلى أصحاب النسخة وخزائن المخطوطات أو بأي طريق وصلت النسخة إلينا كما في قيود التملك. هذه نماذج لبعض قيود الوقف:

«وقفت وقفا صحيحا وأنا الفقير أحمد سعيد أفندي محمد اغا زاده».

«وقف هذا الكتاب الحاج مصطفى عاطف بشروط أن لا يخرج من خزانته».

«وقف شيخ الإسلام فيض الله أفندي غفر الله له ولوالديه بشروط أن لا يخرج من المدرسة التي أنشأها بقسطنطينة».

«وقف مدرسة محمود باشا في بلدة قسطنطنية».

ونرى في صفحة العنوان من كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري تحت رقم ١٣٣٤– ١٣٣٢ في مكتبة كوبريلي القيد التالي:

«وقف وحبس سيد المقر الأشرف العالي الجمالي محمود الأستادار العالية الملكي الظاهري... إذ صار جميع هذا المجلد والذي قبله كلاهما كتاب الصناعتين العسكري وقفا شرعيا... العلم الشريف... بالخزانة... بمدرسة... أنشأها بخط الموازين بالشارع الأعظم بالقاهرة... بتاريخ خامس عشر شعبان سنة... تسعين وسبع مائة».

٧ – نحن نرى أيضا على صفحة العنوان قيودا تشير إلى كاتب النسخة كما ورد في المخطوطات الآتية:

خزانة كوبريلي، رقم ١٥٠٧–١٥٠٨: كتاب المقتضب للمبرد. «كتبه مهلهل بن أحمد».

خزانة كوبريلي، رقم ١٢٣٨: كتاب الحماسة لأبي تمام. «بخط العبد الفقير منصور بن أبي علي الكاتب المعروف بابن المنجنيقي».

خزانة كوبريلي، رقم ٥٤: تقريب التفسير لقطب الدين الفالي. «النسخة بخط المولى الفاضل الكامل يحيى بن القاسم العلوي المشهور في الآفاق بالفاضل اليمني».

خزانة كوبريلي، رقم ٦٠٨: مختصر غنية المتملي لإبراهيم الحلبي. «هذا بخط علي القارىء».

خزانة كوبريلي، رقم ٤٨٧: شرح الشرح العضدي على مختصر المنتهى للعلامة التفتازاني. «بخط الفاضل ملا خسرو وهو تلميذ الفاضل حيدر الهروي تلميذ الشارح العلامة».

خزانة كوبريلي، رقم ٨٣٩: شرح المواقف للسيد الشريف. «هذه النسخة بخط خواجه زاده البروسوي صاحب التهافت وما في هوامشه بخط المزبور أيضا».

خـزانة كـوبريلي، رقم ٨٨٠: كـتـاب التنقـيـحـات في شـرح التلويحـات الشهرزوري.
«والكتاب كله بخط المصنف رحمه الله».

خزانة كوبريلي، رقم ٨٨٩: المنصص في شرح الملخص للكاتبي. «والنسخة بخط المصنف الكاتبي القزويني».

خزانة كوبريلي، رقم ١٣٣٥: كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري. «هذه النسخة مؤلفها العلامة أبي هلال كتبها قبل وفاته بسنة واحدة».

خزانة كوبريلي، رقم ٨٣١: كاشف الأسرار عن معاني طوالع الأنوار لبدر التستري. «هذا شرح الطوالع لليمني المحقق مولانا بدر التستري وبخطه والحواشي بخط المحقق المرتضى العلامة الشهير بالسيد الشريف».

٨ – ونرى أيضا في صفحة العنوان قيوداً تشير إلى كيفية تأليف الكتاب وصيرورة النسخة مأخذا للكتب الأخرى كما ورد في النماذج الآتية:

خزانة كوبريلي، رقم ٤٩٩: شرح مختصر المنتهى لقطب الدين الشيرازي. «وهذا الشرح الجليل مأخذ شرح الفاضل المحقق عضد الملة والدين الإيجي وجملة شروح المختصر يزيد على العشرة أدقها شرح العضد وأبسطها هذا الشرح اللطيف».

خزانة كوبريلي، رقم ٥٢٠: النصف الأول من الكافي شرح أصول البردوي حسام الدين السغُناقي. «كتاب الكافي شرح البردوي لإمام الفاضل

السغنافي... بخط مؤلفه لكن العبد الفقير أبا عبد الله لما طالعه فوجده منخرطا في سلك اللآلي لكن خفي على الطالبين... لكونه مشوبا بشرحه أملى عليه يراعة القاضي ليتميز أصله عن فرعه. ثم شاهدت أنه كبير الحجم جعلته جلدين وهذا الجلد الأول. صاحب هذا الكتاب حمزة بن مولانا حسن بن مولانا حاجي إلياس. بلغ تصحيحا ومقابلة».

خزانة كوبريلي، رقم ٥٥٦: تعليقات على صدر الشريعة لقنالي زاده. «هذه تعليقات، قنالي زاده علي أفندي كتبها بعد مطالعة الكتاب استعرناها من أحد الإخوان وجردنا تعليقاته من الأصل».

خزانة كوبريلي، رقم ٥٥٨: حواش على شرح الهداية لأكمل الدين البابرتي. «بخط محمد أفندي الشهير بطرابزوني. ألفها المؤلف بعد الحاشية علي البيضاوي ورتبها أحد تلاميذه ثم بيضها».

خزانة كوبريلي، رقم ١٤٢٨: شرح التلخيص للزوزني. «شرح التلخيص للمولى محمد بن عثمان الزوزني وهو مقدم على مطول مولانا سعد الدين وعلى مختصره. أول شارحي التلخيص المولى الخلخالي ثم الزوزني ثم المولى سعد الدين».

٩ – ونجد أيضا قيودا تدلنا على أهمية الكتاب أو ندرته. نحو:

خزانة كوبريلي، رقم ١٤٣: تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان. «هذا كتاب لا يوجد ثانيه».

خزانة كوبريلي، رقم ١٢٠٠: كتاب آداب السياسة للمبارك بن خليل الخازندار الموصلي. «هذا الكتاب الميمون الاتفاق الذي ينبغي أن يكتب في سويداء القلب وسواد الآماق... كتبه علاء الدين عطاملك».

١٠ – ونرى أيضا قيودا تشير إلى النسخة المنقولة نحو:

خزانة كوبريلي، رقم ١٢٠٨: «كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت نقلت من نسخة برواية علي بن الحارث البياري عن أبي سعيد السيرافي عن أبي بكر بن الأزهر عن بندار المنصف».

خزانة كوبريلي، رقم ٢/١٢٠٩: نوادر أبي مسحل. «نسخت هذه النسخة من نسخة بخط أبي عبد الله بن بلبل وكان على ظهرها: قرأت هذا الكتاب على أبي عبد الله بن خالويه».

١١ – وقد نرى أيضا على صفحة العنوان في بعض المخطوطات أبياتا نادرة وضروب أمثال وكلام كبار وترجمة المؤلف مختصرة وقيود ولادة ووفاة وقيودا لحوادث مهمة، كما نرى قيودا لما يتضمنه المجلد من مؤلفات إذا كانت المخطوطة مجموعة. وكل القيود المذكورة ذات أهمية من الناحية الأدبية والتاريخ. وكان يقول الأستاذ الدكتور سهيل أونور رحمه الله:

لو كتب أحد كتابا عن الأبيات النادرة وضروب الأمثال وكلام الكبار المكتوبة على صفحات العنوان في المخطوطات فإنه سيكون مؤلفا ذا قيمة كبيرة.

كتب النماذج والوثائق القانونية: تطور مخطوطات العدول في المغرب

ليون بسكنز

يتمحور هذا البحث التمهيدي[1] الموجز على موضوع العلاقة بين علم المخطوطات من ناحية وبين دراسة المجتمع والثقافة من ناحية أخرى، ذلك أن المظهر العيني للكتب والوثائق يمثل مصدراً هاماً من مصادر المعرفة للمجتمع ولثقافته، بينما تمثل دراسة المجتمع والثقافة سبيلاً هاماً إلى فهم آليات إنتاج الكتاب في مجتمع ما.

ولسوف أستهدف في بحثي هذا – وقد وضعت نصب عيني هذا المنطلق العام– تحليل التغيرات التي طرأت على آليات إنتاج الكتاب لدى العدول أي الشهود المحترفين، أو كتّاب العدل، في المغرب منذ العصور الوسطى (بالمعنى العريض للكلمة) وحتى يومنا هذا، ولسوف أركز على ثلاثة أنواع من الكتب، هي كتب النماذج أوالصيغ formularies، والسجلات، والوثائق القانونية.

ملاحظات عامة حول الشهادات المكتوبة وكتّاب العدل في الشريعة الإسلامية

على الرغم من أن المذاهب التشريعية الرسمية لم تعتمد استخدام الشهادات المكتوبة دليلاً على الحقوق والالتزامات القانونية، إلا أن هذه الوثائق لعبت دوراً هاماً في الممارسات القانونية الإسلامية منذ تاريخ مبكر. وقد أدى استخدام الوثائق إلى ظهور فئة من الشهود أو العدول المحترفين المؤهلين، كما أدى أيضاً إلى نشوء ما يعرف بعلم الشروط أو علم الوثائق.[٢]

ازدهرت دراسة فن صياغة الوثائق القانونية بصفة خاصة في الأندلس وبلاد المغرب العربي. وعلى حين أن هذه الدراسة وما يتعلق بها من ممارسات كتّاب العدل قد اندثرت مع مرور الزمن من عامة البلدان الإسلامية، إلا أنها ما زالت في حال ازدهار في المغرب حتى يومنا هذا ولا شك أن شيوع استخدام الوثائق القانونية يجعل منها مصدراً تاريخياً قيماً، وهو ما كشفت عنه الدراسات التي قام بها محمد المنوني[٣] وغيره.

العدول والوثائق في المغرب في العصور الوسطى وحتى ١٩١٢

الوضع القانوني

كانت كتب الفقه التي وضعها فقهاء المالكية تعّد من الناحية النظرية مصدر القانون، وكان استخدام الشهادات المكتوبة أمراً مقبولاً لدى فقهاء القانون المغاربة، وهو ما يدلل عليه مناقشاتهم حول استخدام الوثائق، وقد شارك عدد من الفقهاء البارزين والمشهورين بتقواهم في استخدام الشهادات المكتوبة عن طريق تحبير الرسائل العلمية في تبريرها إلى جانب قيامهم بأداء وظيفة كاتب العدل أنفسهم. ويمكننا أن نستدل من جهة أخرى على الصلة بين القضاة وبين العدول من كون مكاتب هؤلاء قريبة الموقع من قاعات المحاكم.

ومما يبين أهمية الوثائق القانونية في الحياة اليومية قيام أوجه للشبه بين الوثائق الخاصة بكتّاب العدل اليهود المعروفين بالسُفْرِيم وبين الوثائق الإسلامية، وذلك من حيث المظهر الخارجي.

كتب النماذج

تتميز الفترة القروسطية السابقة على عهد الاستعمار بالتنوع الشديد في الكتب الإرشادية التي كان يستخدمها العدول لاستقاء النماذج للوثائق التي يكتبونها. وكان هذا التنوع تنوعاً زمانياً ومكانياً معاً، بمعنى أن كتب النماذج أو الصيغ تلك كانت تختلف من فترة لفترة ومن منطقة لمنطقة حسب الاحتياجات والظروف المحلية. وقد توفر على كتابة هذه الكتب الأنموذجية بعض من الأساتذة ذائعي الصيت والمحترمين من أمثال الونشريسي.

يمكن التدليل على التنوع الزماني إذا ما نظرنا إلى كتاب النماذج المعنون «الوثائق الفاسية»، والذي كان يستخدم كدليل لصياغة الوثائق من قبل العدول في مدينة فاس، فهذا العنوان يشير إلى ما لا يقل عن ثلاثة من كتب النماذج كتبت في فترات متعاقبة.[٤] أما التنوع المكاني فيظهر من خلال وجود كتب للنماذج تحمل اسم بلدة من البلدان أو منطقة من المناطق، مثل تردوانت أو سُوس. ومن الأمثلة الغريبة على هذا التنوع الإقليمي وجود قاموس مفردات بالعربية والبربرية معّد خصيصاً لاستخدام العدول في منطقة سوس، جنوبي مراكش، الناطقة بالبربرية.[٥]

وقد أمكن عن طريق استخدام الوثائق المعدة بما يوائم الظروف المحلية دمج الممارسات الإقليمية في الفقه المالكي على نحو ما تطور على أيدي الفقهاء المغاربة. ونعتقد أن المزيد من البحث في هذا المجال قد يطرح ثماراً طيبة، وخاصة فيما يتعلق بإقامة الصلة بين دراسة الكتب الجامعة للفتاوى والكتب الإرشادية حول موضوع العمل من ناحية، وبين كتب النماذج أو الصيغ المنتمية لنفس الفترة ونفس المنطقة. ولعل النموذج المعروف بشهادة اللفيف أو الشهادة الجماعية يصلح مثالاً على إدماج الممارسات المحلية في الفقه المالكي المغربي عن طريق الوثائق القانونية.[٦]

كانت كتب النماذج تتداول في شكل نسخ مكتوبة بخط اليد قبل دخول الطباعة الحجرية في المغرب في الستينات من القرن التاسع عشر، والتي بدأ في أعقابها تداول بعض النسخ الهامة مطبوعة طباعة حجرية. والجدير بالإشارة أن دراسة تطور علم الوثائق في المغرب قد حظت في السنوات الأخيرة بدفعة

قوية يرجع الفضل فيها إلى نشاط الأستاذ مصطفى ناجي في مركز إحياء التراث المغربي الذي قام بتحقيق ونشر عدد من كتب النماذج المنتمية إلي العصور الوسطى.[٧]

السجلات

كانت الوثائق عادة تدّون من نسخة واحدة أصلية، ولم يكن يُحتفظ بنسخ منها ولا كانت تُدّون في سجل، أو أن ذلك لم يكن إجبارياً على الأقل، غير أن بعض العدول كانوا يحتفظون بملاحظاتهم لاستعمالهم الخاص، وهو ما نلمسه من تلك الكراسات الخاصة التي انحدرت إلينا.

الوثائق

اتسمت المواد المستخدمة في تدوين الوثائق بالتنوع، فكانت تتراوح بين الرق والورق والخشب، ويبدو أن التصميم الشكلي للوثائق قد استقر على نحو معين منذ فترة مبكرة، فكان ثمة هامش عريض على الجانب الأيمن للوثيقة ولا هامش على الجانب الأيسر لتجنب الإقحامات على النص فيما بعد كتابته. ولا يبدو أن هذه الوثائق في تلك المرحلة كانت تتمتع بأي درجة من توحيد المواصفات، إن باستخدام صنف معين من الورق أو بالإحالة على السجلات. ومن أهم ملحقات الوثيقة ما يعرف بالخطاب وهو نص الاعتماد أو الإجازة الذي يبين أن القاضي قد أقرّ الوثيقة باعتبارها دليلاً أو شهادة قانونية.

فترة الحماية الفرنسية والإسبانية ١٩١٢ - ١٩٥٦

الوضع القانوني

كان أحد أهم التطورات المبكرة في المجال القانوني في أعقاب قيام المحمية الفرنسية في المغرب سنة ١٩١٢ هو إعادة تنظيم أجزاء كبيرة من القانون المغربي وفقاً للنموذج الفرنسي. وكانت نتيجة ذلك قيام نظام ثنائي يتعايش فيه جنباً إلى جنب القانون الفرنسي والشريعة الإسلامية في صورتها المغربية. وكان معنى هذا في الوقت ذاته بداية دمج نظام الشهود المحترفين أو

العدول في نظام قانوني جديد من وضع الدولة على الطراز الفرنسي. وهو ما يبدو بوضوح في دمج قانون العقود لعام ١٩١٣ في قانون الالتزامات والعقود *Dahir formant code des Obligations et Contrats*، إذ أن المادة ٤١٨ من ذلك القانون تنص على قبول الوثائق التي يحررها العدول طبقاً للإجراء القديم القائم على إجازة القاضي للوثيقة كسند قانوني. وفي سنة ١٩٢٥ أدخل نظام الموثق العام notaire public الفرنسي ليأخذ محله إلى جانب نظام كاتب العدل الإسلامي.

أدى الدمج التدريجي لنظام العدول في التنظيم القانوني الجديد للدولة إلى تغيرات هامة في الوضع القانوني للعدول في ظروف أدائهم لمهامهم. ومن ذلك تزايد الإشراف والتنظيم القانوني من قبل الدولة، وهو ما نتج خاصة عن أن ممارسات العدول في المجال العقاري كانت تستخدم في فرض الضرائب. ومع مرور الزمن أصبح تعيين العدول من صلاحيات وزارة العدل وليس القضاة المحليين كما كان آنفاً.

كتب النماذج

لم يتدخل الفرنسيون بشكل مباشر في ما يتعلق بتنوع الصيغ أو النماذج المستخدمة في تحرير الوثائق في ذلك الوقت، على أن وزارة العدل قامت بتعميم التنظيمات الجديدة فيما يتعلق باستخدام الورق المدموغ وغيره من التغييرات عن طريق منشورات مطبوعة. كذلك تعرف العدول إلى عالم الطباعة وأثرها في تصميم الوثائق من خلال بواكير ما طبع من كتب النماذج في المغرب باستخدام حروف الطباعة المتحركة. كما تلقت الطباعة دفعة أخرى إلى الأمام عن طريق دخول عالم المجلات القانونية المتخصصة، والتي قامت بنشر النصوص القانونية باللغة العربية وفي ترجمات فرنسية مستخدمة تصميمات جديدة تماماً.[٨]

السجلات

استحدث الفرنسيون سلسلة من القوانين جعلت استخدام السجلات فيما يحرره العدول من وثائق أمراً إجبارياً، وتم توحيد مواصفات هذه السجلات بحيث تتكون من دفاتر تقسم صفحاتها إلى أعمدة مطبوعة ويتحتم ملء جميع

الخانات بالبيانات المطلوبة. وكان من نتائج هذه الإجراءات الموحدة والسجلات القياسية أن يسرت للحكومة المركزية إحكام قبضتها على الحياة اليومية لرعاياها وعلى الممارسات القانونية المحلية.

الوثائق

يظهر أثر التنظيمات الجديدة، التي استهدفت تحقيق السيطرة المركزية، واضحاً في السمة الشكلية للوثائق التي حررها العدول في ذلك الوقت، إذ أصبح الورق المدموغ إلزامياً، كما تظهر في هوامش الوثائق الإشارات الرقمية الدالة على تقييدها في السجلات. وفي بعض الحالات ثمة أختام تشير إلى تسجيل إضافي يفيد نقل ملكية عقارية، كما أن القضاة يستخدمون أختاماً بتوقيعاتهم على نطاق أوسع.

فترة ما بعد الاستقلال (من ١٩٥٦ فصاعدا)

الوضع القانوني

حوفظ على الإصلاحات القانونية الفرنسية في فترة ما بعد الاستقلال بصفة عامة، وتم على نحو تدريجي توحيد النظام المزدوج القائم على القانون الفرنسي والشريعة الإسلامية في نظام واحد تأثر تأثراً قوياً بالتشريع الفرنسي. وثمة مجالان اثنان فقط تحولت فيهما الشريعة الإسلامية إلى مبادئ قانونية هما قانون الأسرة والقواعد المنظمة للإدلاء بالشهادة.

وفي التنظيم القانوني لعام ١٩٥٨ الذي تناول قانون الأسرة طبقاً للمذهب المالكي، والتنظيم الذي عرف بالمدوّنة، جُعل للعدول دور حيوي في مسائل الزواج والطلاق والبُنوّة والميراث، وقد عُزز هذا الدور في التعديلات التي أدخلت على المدونة مؤخراً في عام ١٩٩٣.

أما في مجال الإدلاء بالشهادة فقد تم تطوير التنظيمات العامة التي أدخلت في فترة الحماية بحيث يتعايش الآن جنباً إلى جنب نظام كاتب العدل الفرنسي والإسلامي. على أن صلاحية العدول في نقل ملكية العقارات قد زيدت. كذلك عُززت إجراءات توحيد الممارسات والتنظيمات وتعميم نفوذ السلطة

المركزية للدولة. وتجدر الإشارة أن القواعد السارية حالياً والتي سُنت في قانون صدر عام ١٩٨٢ وفي مرسوم صادر عن رئيس الوزراء عام ١٩٨٣ تضمن قدراً كبيراً من السيطرة على العدول عن طريق تقرير ضوابط محددة تحكم اختيارهم وتعليمهم وتعيينهم، إلى جانب الإشراف المتصل على نشاطهم وعلى استخدامهم للسجلات.[٩]

كتب النماذج

قام العراقي عام ١٩٦١ بصياغة كتاب نموذجي رسمي للوثائق المتصلة بقانون الأحوال الشخصية، وذلك كإجراء تكميلي لعملية التنظيم القانوني للأسرة حسب الشريعة الإسلامية. وكان الهدف السافر لهذا الكتاب هو أن يقدم للعدول نموذجاً قياسياً واضحاً لصياغة الوثائق القانونية وأن يفرض صيغة موحدة على الممارسات المحلية تتفق مع التنظيمات القانونية التي أدخلت حديثاً على المستوى القومي. وعلى حسب علمي فإن الكتاب، والذي حاز على الموافقة الرسمية لوزير العدل، ما زال متداولاً منذ سنة ١٩٦١، ولم يعتوره أي تغيير منذ ذلك الوقت إلا في غلافه الذي أعيد تصميمه بما يوائم الذوق العصري.[١٠]

السجلات

تم التوسع في القاعدة الملزمة باستخدام السجلات عن طريق المزيد من التشريع في عامي ١٩٨٢ و١٩٨٣، فنجد اليوم أن العدول يستخدمون سجلاً شخصياً إلى جانب دفتر يحفظ في المحكمة. أما آخر التعديلات في الأحكام المنظمة لأحوال العدول فتضيف تفصيلات مطولة فيما يتعلق بحفظ السجلات. ويعتقد بعض العدول أن هذا قد أدى إلى تعقيد الإجراءات في غير ضرورة علاوة على حرمانه بعض الكتبة الذين كانوا يعاونون العدول بنسخ نصوص الوثائق يدوياً من وظائفهم. وبلغ من شدة مقاومة العدول لهذه التعديلات في مدينة مكنس المحافظة أنهم أضربوا عن العمل لمدة يوم في شهر نوفمبر من سنة ١٩٩٣.

الوثائق

يظهر أثر القوانين الجديدة في الوثائق التي يحررها العدول، وكذلك أثر انتشار فنون الطباعة الغربية الطابع. فقد انتشر استخدام الصيغ المطبوعة بالتدريج، وهي صيغ تتصدرها عبارات من قبيل «المملكة المغربية» إلى جانب اسم ومحل المحكمة التي يعمل فيها العدل، كما نجد مطبوعاً في الهامش الأيمن خانات مخصصة لملء بيانات السجلات. وتجدر ملاحظة أن بعض العدول قد عزفوا تدريجياً عن استخدام خط اليد واتجهوا إلى استعمال الآلة الكاتبة، وكذلك فإن الكثير من القضاة اليوم قد انصرفوا عن عادة كتابة الإجازة بخط اليد وأصبحوا أميل إلى استعمال الأختام.

الخلاصـــة

تظهر الدراسة الشكلية للكتب الأنموذجية، والسجلات، والثائق القانونية التي يستخدمها ويقوم على تحريرها العدول ميلاً متزايداً إلى التماثل والتوحيد القياسي للمارسات والإجراءات. أما في الكتب الأنموذجية فيتجلى هذا الميل في التحول من المخطوط إلى الطباعة الحجرية إلى الطباعة الحديثة. ويظهر الميل إلى التوحيد القياسي في إدخال الاستخدام الإجباري للسجلات والتي أصبحت أميل إلى التماثل في تصميماتها مع مرور الزمن. كما تغير المظهر الشكلي للوثائق القانونية تغيراً جذرياً خلال القرن الحالي. وفوق هذا وذاك، فإن استخدام الأختام والورق المدموغ والإشارات المشفرة للسجلات، بل واستخدام الاستمارات المطبوعة مؤخراً يشير كله إلى ذلك النزوع نحو المماثلة والتوحيد القياسي على نحو ما أسلفنا.

وليس من سبيل إلى فهم هذه التغيرات في البيئة الوظيفية للعدول إلا بدراسة وثائقهم الكتابية في سياق تطورات سياسية واسعة النطاق، هي تكوين دولة حديثة في المغرب. ذلك أن عملية المماثلة والتوحيد القياسي لممارساتهم إنما هي وثيقة الصلة بسعي الحكومة المركزية إلى السيطرة على الأداة القانونية في البلاد. إن عملية تكوين الدولة تنطوي في جزء منها على احتياج الحكومة المركزية إلى توجيه الحياة اليومية لرعاياها. وليس النظام القانوني، خاصة من جهة قيامه بإثبات الأدلة في الحقوق والواجبات، إلا وسيلة هامة من الوسائل المتاحة للدولة لتوجيه الحياة الخصوصية لرعاياها. وهكذا فقد تم خلال القرن

العشرين دمج النظام الإسلامي القائم على الشهود المحترفين والمؤهلين في قانون الدولة الجديد، والذي تأثر أيما تأثر بالقانون الفرنسي. علاوة على ذلك فإن إدخال الطباعة الأحرف المتحركة، والتصميمات غربية الطراز في مجال كتابة النصوص القانونية إنما هو وثيق الارتباط بنهضة الدولة المركزية الحديثة.

لقد حاولت عبر تناولي لتاريخ العدول في المغرب أن أدلل على فكرتي التي طرحتها ابتداء من أن دراسة الجوانب المادية للكتب والوثائق تمثل مصدراً هاماً لدراسة التاريخ الاجتماعي، وأن علم المخطوطات قمين أن ينتفع من الالتفات إلى السياق الذي تم فيه انتاج المخطوطة موضع الدراسة واستخدامها. إن دراسة الكتب والمخطوطات تقودنا حتماً إلى دراسة الرجال والنساء الذين كتبوا تلك الكتب والمخطوطات أو قرأوها أو استخدموها على نحو من الأنحاء.

الحواشي

(١) عاقني ضيق الوقت عن الاسترسال في هذا البحث فيما وراء الخطوط العريضة التي تناولتها هنا، وفي نيتي معالجة الموضوع بمزيد من التفصيل في وقت لاحق.

(٢) لمزيد من المعلومات، راجع: Emile Tyan, *Le notariat et le régime de la preuve par écrit dans dans la pratique du droit musulman* (Beirut, 1945); Emile Tyan, "'adl", in *Encyclopaedia of Islam*, second ed. I (1960), 209–210; J. Lapanne-Joinville, "Les actes adoulaires marocains sont-ils authentiques", *Revue marocaine de droit*, 9 (1957), 337–384; Wilhelm Hoenerbach, *Spanisch-islamische Urkunden aus der Zeit der Naṣriden und Moriscos* (Bonn, 1965); Jeanette A. Wakin, *The Function of Documents in Islamic Law. The Chapters on Sales from Ṭaḥāwī's Kitāb al-shurūṭ al-kabīr* (Albany, 1972); Wael B. Hallaq, "Model *Shurūṭ* Works and the Dialectic of Doctrine and Practice", *Islamic Law and Society*, 2 (1995), 109–134.

(٣) محمد المنوني، «وثائق ونصوص عن أبي حسن علي بن منون وذريته»، الرباط، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

(٤) انظر محمد بن أحمد بنّاني، «الوثائق الفاسية»، تحقيق عبد الكريم مسرور، الرباط ١٩٨٨.

(٥) انظر: Jacques Berque, "Un glossaire notarial arabo-chleuh du Deren (XVIIIe s.), *Revue africaine*, 94 (1950), 357–398.

(٦) انظر: أبوجامد محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري، «شهادة اللفيف»، الرباط ١٩٨٨.

(٧) انظر على سبيل المثال: القاضي أبواسحاق الغرناطي، «الوثائق المختصرة»، تحقيق مصطفى ناجي، الرباط ١٩٨٨، وأبو عبد الله محمد المصمودي، «والثائق السجلماسية»، تحقيق مصطفي ناجي، الرباط ١٩٨٨، وأيضاً الأعمال المذكورة في ٣ و٤ أعلاه.

(٨) انظر: Léon Buskens, "Islamic Commentaries and French Codes. The Confrontation and Accommodation of Two Forms of Textualization of Family Law in Morocco", in Henk Driessen (ed.) *The Politics of Ethnographic Reading and Writing. Confrontations of Western and Indigneous Views* (Saarbrücken & Fort Lauderdale, 1993), 65–100.

(٩) "De 'udūl en hun rol in het Marokkaanse huwelijks- en echtscheidingsrecht", in S.W.E. Rutten (ed.), *Recht van de Islam 9. Teksten van het op 7 juni 1991 te Leiden gehouden 9e RIMO-symposium* (Maastricht, 1992), 9–37.

(١٠) انظر: حمّاد العراقي، «الوثائق العدلية وفق مدونة الأحوال الشخصية»، الرباط ١٩٦١.

ظاهرة المخطوطات مجهولة المؤلف: المخطوطات التاريخية والجغرافية مثالا

محمد بن شريفة

من المعروف أن المخطوطات الإسلامية ابتليت خلال تاريخها الطويل بمحن عديدة في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وضاع منها بسبب ذلك الشيء الكثير، ولعل المحن التي ابتليت بها المخطوطات الإسلامية الأندلسية من أشهر الأمثلة التي تذكر في هذا الصدد. فقد ألف أهل العلم بالأندلس عددا ضخما من التآليف يصعب حصرها، ولكن معظمها قد ضاع.

ولَكون الظاهرة التي سأتحدث عنها – وهي ظاهرة التآليف مجهولة المؤلف – تلحظ أكثرما تلحظ عندنا في كتب التاريخ والجغرافيا – فإني سأقتصر في التمثيل لما ضاع من التراث الأندلسي على ما يتصل بهذين العلمين: لقد حاول مستعرب إسباني – وهو بونس بويجس Pons Boigues – منذ قرن تقريبا إحصاء المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين فتوصل إلى أكثر من ثلاثمائة من المؤلفين في التاريخ والجغرافيا أما تآليفهم فتكاد تصل إلى ضعف هذا العدد،(١) فما الذي وصل إلينا من كل ذلك؟ إنه قليل، فقد ضاع على سبيل المثال «كتاب المتين» لابن حيان، وكان يقع في ستين مجلدة، وضاع كتاب «المآثر

العامرية»، وكتاب «البطشة الكبرى» له أيضا[٢] وضاع «التاريخ الكبير» لابن شهيد وكان أزيد من مائة سفر،[٣] وضاعت المدونات التاريخية التي ألفها آل الرازي والحكيم وابن النظام وابن سعدان وخالد بن سعيد وعريب وإسحاق بن سلمة القيني والأقشتين وابن عبد الرؤوف والشبانسي والقبشي وعبادة ابن ماء السماء وابن مزين وابن أبي الفياض وغيرهم[٤] وقد سحب النسيان أذياله على بعض هؤلاء، فلم يذكروا أصلا بين المؤرخين مثل الحكيم الذي انفرد ابن عبد الملك بالنقل عن تاريخه، ولا يوجد لهذا التاريخ ذكر في مكان آخر، ولم تسجله البليوغرافيات التاريخية، ولهذا قمت بالتعريف به وبتاريخه.[٥] إن من القليل الذي وصل إلينا من المدونات التاريخية تآليف كانت تقع في أسفار متعددة لم يصل إلينا منها أحيانا إلا سفر واحد، ونضرب مثلا لهذا جغرافية العذري المسماة بـ«نظام المرجان» فإنه لا يوجد منها إلا بقايا من السفر السابع،[٦] وتاريخ ابن القطان الموسوم بـ«نظم الجمان» الذي عثر على السفر الثالث عشر منه فقط،[٧] ومن التآليف التاريخية التي وصل إلينا بعض أسفارها وما زلنا نفتقد أسفارها الأخرى «كتاب المقتبس» لابن حيان، و«كتاب الذيل والتكملة» لابن عبد الملك على سبيل المثال، فليس لدينا من الكتاب الأول إلا أربعة[٨] من أسفاره العشرة، وكل ما وجدناه من الكتاب الثاني هو خمسة أو أقل[٩] من تجزئة كانت تقع في تسعة أسفار، كما أن هناك عددا من التآليف التاريخية والجغرافية وصلت خالية من أسماء مؤلفيها، وهي التي ستكون موضوع هذا الحديث المتواضع، وسوف نعرضها حسب التسلسل الزمني بشيء من الاختصار ثم نحاول بعد ذلك تعليل الظاهرة وتحليل أسبابها.

«أخبار مجموعة»

ونذكر في أولها مدونة تاريخية توجد ضمن مخطوط وحيد محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٢/١٨٦٧ وعنوان هذه المدونة بعد البسملة والتصلية كما يلي: «أخبار مجموعة في افتتاح الأندلس وذكر من وليها من الأمراء إلى دخول عبد الرحمن بن معاوية وتغلبه عليها وملكه فيها هو وولده والحروب الكائنة في ذلك بينهم». وقد نشرت هذه المدونة مع ترجمة إسبانية عام ١٨٦٧ بعناية المستعرب Lafuente y Alcántara وأصبحت مصدرا لا يستغنى عنه في تاريخ الأندلس من الفتح إلى عهد عبد الرحمن الناصر، وقد اختلف

الدارسون في تاريخ تأليف هذه المدونة Crónica فناشرها ومترجمها لا فوينتي ألكانترا وكذلك دوزي يريان أنها ألفت في القرن الخامس الهجري، وذهب خوليان ريبيرا Ribera إلى أن تدوينها تم في آخر عهد عبد الرحمن الناصر،[١٠] والواقع أنه لا يوجد في هذه المدونة ولا في غيرها من المصادر المعروفة ما يهدي إلى معرفة مؤلفها.

«*Una Crónica Anónima*»

ونذكر بعد هذه مدونة ثانية تعاون على تحقيقها مع ترجمتها ليفي بروفنسال وغرسية غومث، وقد طبعت في سنة ١٩٥٠ تحت العنوان التالي: *Una Crónica Anónima de ʿAbd al-Raḥmān III al-Nāṣir*, وهي في الواقع قطعة صغيرة من مدونة تاريخية ألفت في القرن الرابع الهجري أو الخامس على الأقل حسب رأي المحققين، وقد اشتريت هذه القطعة التي تتألف من ٢٢ ورقة من مدينة فاس، وذهب المحققان المذكوران استنادا إلى خطها الأندلسي ونوع ورقها إلى أنها انتسخت في القرن الثامن الهجري بفاس المرينية أو بغرناطة النصرية، وأما مؤلف المدونة التي منها هذه القطعة فقد افترض فيه المحققان عدة افتراضات فذكرا أسماء عريب والرازي وابن حيان والشبانسي والقبشي ولكنهما وقفا عند حد الافتراضات[١١] إذ ليس في نصوص القطعة ما يساعد على الوصول إلى أي رأي في هذه النقطة.

وقد قارنا نحن بين السنوات والأحداث في هذه القطعة وبين ما يقابلها في الجزء الخامس من «المقتبس» الذي عثر عليه في المغرب ونشر منذ بضع سنين فتبين لنا أن القطعة هي من مدونة تاريخية كان مؤلفها يعتمد على كلام ابن حيان ويختصره ويحتفظ ببعض لفظه، ومن أمثلة ذلك الخبر الوارد في مدونة الناصر المجهولة كما يلي:

«وفي سنة تسعٍ وثلاثمائة استنزل الناصر لدين الله من أهل الخلاف بالموسطة بني سعيد وبني ناصح المعروفين ببني مستنه من حصونهم ربرش وعاليه من كورة باغه واستنزل بني مهلب من حصونهم قرديرة واشبرغيره».[١٢]

وهذا نص الخبر كما جاء في «المقتبس»:

«وفيها استنزل الناصر لدين الله من أهل الخلاف بالموسطة بني سعيد بن ناصح المعروفين ببني مستنة من حصونهم بكورة باغة المعروفة بربرش وعاليه وبنياتها، واستنزل بني مهلب من حصونهم فيها أيضا المعروفة بقرديرة واشبرغيره وغيرهما».[١٣]

وتحسن الإشارة هنا إلى أن الاختصار والتذييل والتتميم من السمات الغالبة في المدونات الجغرافية والتاريخية التي شاعت بعد القرن الخامس في الأندلس والمغرب، ونرى ذلك على سبيل المثال في ما وقع لـ«اقتباس الأنوار» للرشاطي و«المسالك والممالك» للبكري فقد اختصر الأول غير واحد في القرن السابع الهجري وما بعده[١٤] وتصرف في الثاني ثلاثة من الأندلسيين: أولهم لا نعرفه إلا بنسبته البلدية وهو الإشبيلي، والثاني هو الأديب الطبيب أبو الحكم عبيد الله ابن غلنده، وقد وقف ابن الشباط على نسخة متممة من «المسالك والممالك» للبكري من عمله، ونقل عنها فقرات في وصف صقلية لا توجد في النسخ العادية من «المسالك والممالك»،[١٥] ويبدو أن صاحب «الروض المعطار» وقف على هذه النسخة أيضا، ويدل على ذلك نقوله التي هي أتم وأوسع من النسخ الموجودة من المسالك والممالك.[١٦] أما الأندلسي الثالث الذي اختصر «مسالك» البكري فمؤلف «الاستبصار»، ونرى أنه هو ابن عبد ربه الحفيد كاتب الموحدين، ونستند في هذا إلى عدد من القرائن، أبرزها نقول التمجروتي عنه وتسميته إياه في رحلته النفحة المسكية، وقد بسطنا القرائن في الكتاب الذي خصصناه لحفيد صاحب «العقد».[١٧]

ولم تسلم بعض المدونات الجغرافية الأندلسية والمغربية الأخرى من اللبس والغموض، فقد اختلف الدارسون المستشرقون حول اسم الزهري مؤلف كتاب الجغرافيا ولهذا دعاه بعضهم كدوزي بالمريني المجهول[١٨] L'Anonyme d' Almerie ولم تظهر معالم هذا المؤلف نسبيا إلا بعد المجهود الذي بذله الحاج صادق محقق الكتاب.

وقد اختلف الدارسون أيضا في تحديد هوية ابن عبد المنعم الحميري مؤلف الروض المعطار، وهل هو سبتي أم أندلسي أم تونسي، كما أنهم اختلفوا في تاريخ وفاته.[١٩]

«ذكر بلاد الأندلس»

ومن هذا الصنف المجهول المؤلف كتاب له عنوان طويل ولكنه يعرف ببدايته وهي: «ذكر بلاد الأندلس» مثلما يعرف التأليف الذي ذكرناه أولا ببداية عنوانه وهي «أخبار مجموعة» وإذا كانت «أخبار مجموعة» خلت تماما من النقول والروايات التاريخية فإن «ذكر بلاد الأندلس» يكاد يكون كشكولا من كلام المؤرخين والجغرافيين في صفة الأندلس، «ومن ملكها من ملوك المرابطين والموحدين وبني هود وبني مرين وبني نصر وبني اشقيلولة»، وهذا المجموع توجد منه نسختان فقط وقد ظهرتا بالمغرب في عهد الاستقلال: إحداهما كانت في ملك الباشا الجلاوي، وهي اليوم في الخزانة العامة تحت رقم ٨٥ج والثانية كانت مما عثر عليه في القصور الملكية، وتوجد الآن في الخزانة الحسنية تحت رقم ٥٥٨. وقد قام لويس مولينا – وهو مستعرب إسباني شاب – بتحقيق الكتاب وترجمته إلى الإسبانية اعتمادا على النسختين المذكورتين.

ومؤلف هذا المجموع يتحدث عن نفسه بعبارة: قال صاحب التاريخ.[٢٠] وقد نقل المقري في نفح الطيب مرارا من هذا «التاريخ»، ولكنه كان يجهل مؤلفه، لأن النسخة التي وقف عليها كانت هي أيضا خالية من اسم المؤلف، وهو يصدر نقله بعبارات مختلفة، ومنها قوله: «قال بعض المؤرخين من أهل المغرب» وقوله في موضع آخر: «والذي رأيته لبعض مؤرخي المغرب» وقوله أيضا: «وقال بعض المتأخرين»،[٢١] ونحن لا نفهم كيف عرف أن المؤلف من أهل المغرب وأنه من زمن متأخر.

أما محقق الكتاب ومترجمه فقد بذل مجهودا طيبا في البحث عن تاريخ تأليفه، وهو يقدر أن يكون مما ألف في العصر الغرناطي،[٢٢] ويستند في هذا إلى قول المؤلف عند الكلام على غرناطة: «وهي اليوم دار مملكة المسلمين بالأندلس ودار الإمارة» كما يستند إلى دعائه للمرية بقوله: «والمرية كلأها الله»، وهو دعاء يشعر بأنها كانت ما تزال وقتئذ بيد المسلمين، بدليل أن دعاءه لكثير من المدن الأندلسية هو: «أعادها الله للاسلام بمنّه»[٢٣] أما افتراض المحقق المذكور أن المؤلف من أهل فاس، وأنه قد يكون هو مؤلف «روض القرطاس»[٢٤] فلا يوجد في الكتاب ولا في غيره ما يؤيده، ثم إن مؤلف «روض القرطاس» نفسه مختلف فيه فثمة نسخ خطية من الكتاب منسوبة إلى صالح بن عبد الحليم

وهو مؤرخ هيلاني مراكشي، وثمة نقول في بعض التآليف تنسبه إلى هذا المؤرخ لا إلى ابن زرع الفاسي.

«مفاخر البربر»

ومن التآليف التاريخية الغفل التي دونت في هذا العصر المريني كتاب «مفاخر البربر»، وهو مجموع مبتور الأول، ويتألف من ثلاثة أقسام: الأول مبتور من أوله، وهو عبارة عن أبواب تشتمل على نقول في التاريخ والجغرافيا والأنساب، وكلها تتعلق ببلاد المغرب، وهذا القسم هو بلا شك من جمع المؤرخ أبي علي صالح بن عبد الحليم، ويؤكد ذلك عبارات ترد في أثناء الكتاب وفي أواخر أبوابه، ونقتصر منها على هذه العبارة:

«قال عبيد الله صالح بن عبد الحليم: فهذا مبلغ علمنا في سكان أنساب المغرب الأوسط، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما وجدنا لذكره سبيلا في أنساب أهل المغرب الأقصى».[٢٥]

ويدل على ذلك أيضا نقول من هذا القسم توجد في «البيان» لابن عذاري منسوبة لابن عبد الحليم فقد جاء في الجزء الأول منه ما نصه:

«أخبرني الشيخ الصالح أبو علي صالح بن أبي صالح أنه لم يصح عنده أن عقبة رضي الله عنه حضر بنيان شيء من المساجد بالمغرب إلا مسجد القيروان ومسجد بدرعة بالسوس الأقصى، وأما غير ذلك من المساجد المسماة باسمه فإن الناس والله أعلم بنوها بموضع نزوله»،[٢٦]

وأصل هذا الخبر موجود في القسم الأول من مجموع «مفاخر البربر» وهو كما يلي:

«قال أصحاب المسالك البكري والإشبيلي: بنى مسجده بنفيس المشهور باسمه إلى الآن، والله أعلم بحقيقة ذلك، والذي صح أنه حضر لبنيانه عقبة مسجد القيروان ومسجد بدرعة ومسجد بوادي سوس وأما غير ذلك فالله أعلم بحقيقته»،[٢٧]

ويدل عليه كذلك فقرات من الكتاب موجودة في «دلائل القبلة» للمؤلف نفسه فقد ورد في هذه الرسالة ما يلي:

«حدثنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بن مخلد قال حدثنا الفقيه المحقق المتقن أبو علي الحسن بن علي بن حسون الماكري المعروف بالكفيف أن منبر أغمات هيلانة صنع سنة ثمانين من الهجرة، قال: وأظنه كتب ذلك عليه»،[٢٨]

وهذا الكلام موجود أيضا في القسم الأول من المفاخر وهذا نصه:

«قال عبيد الله حدثني أبو عبد الله محمد بن عمر بن مخلد بتاوريرت قال حدثني أبو علي الكفيف بأسفي أن منبر أغمات هيلانة استعمل في سنة خمس وثمانين من الهجرة»، قال وأظنه كتب عليه »،[٢٩]

ومن عادة ابن عبد الحليم أن يبدأ أخباره بهذه العبارة: «قال عبيد الله» وقد فهم المستعرب المشهور ل. بروفنسال وتبعه بعضهم أن عبيد الله اسم لولد المؤرخ المذكور،[٣٠] ويبدو لنا أنها مجرد نعت يستعمله هذا المؤرخ الذي كان معروفا بصلاحه وتواضعه، بدليل صيغة النص الأول في هذا الخبر.

والقسم الثاني من هذا المجموع يبدأ بالبسمله والتصلية والحمدلة، وبعدها ديباجة تتضمن اسم المجموع وهو «مفاخر البربر» وموضوعه والباعث على تأليفه، وقد جاء في آخر هذه الديباجة بعد الإشارة إلى مكاتبة الغزالي ويوسف بن تاشفين ما يلي: «وسأورد كتاب الشيخ أبي حامد إليه في موضعه من هذا المجموع مع رسائل تتضمن ما يتعلق بهذا الفن».[٣١] وهذا ما نجده في القسم الثالث من المجموع الذي يفتتح أيضا بالبسملة والتصلية قبل إثبات نبذ من رحلة أبي بكر ابن العربي ورسالة الغزالي المشار إليها مع فصول أخرى. وينبغي أن يعتبر هذان القسمان أيضا من جمع ابن عبد الحليم المذكور لشبههما بالقسم الأول، ولو أن فقرة وردت في القسم الثاني تعترض ذلك، فقد جاء في آخر مسرد الفقهاء الأعلام من البربر ما يلي:

«ومنهم الشيخ الفقيه الصالح العالم التاريخي أبو علي صالح بن الشيخ الصالح الولي الزاهد الورع أبي صالح عبد الحليم نزيل نفيس وهو يعيش إلى وقتنا هذا وهو سنة ٧١٢هـ وقد جمع الله له بين العلم والعبادة، وخصه بالفضل والديانة واشتهر بالعفاف، واقتصر من الدنيا على الكفاف، مع

الانقباض عن أهل الدنيا، والحلول من الورع في الدرجة العليا، إلى ما يتميز به من الكرم والسخاء والطهارة والتقى، وتلك أوصاف السلف الصالح رضي الله عنهم:

ولولا أن يظن بنا غلو لزدنا في المقال من استزادا

وقد سألته عن قبيلته فذكر لي أنه أيلاني النسب».[٣٢]

ونحن نظن أن هذه الفقرة مقحمة من ابن عبد الحليم أو من أحد تلاميذه رأى أن يضيفها ويختم به الفقهاء الذين ذكروا في المسرد فهو ليس دونهم، وقد يدل على هذا، البيت المستشهد به. ونظن كذلك أن المقارنة الدقيقة بين أقسام هذا المجموع من جهة وبينها وبين كتاب «دلائل القبلة» – وهو ثابت النسبة لابن عبد الحليم – قد تشهد لما ذكرناه، ونشير في الأخير إلى أن ليفي بروفنسال نشر القسم الثاني من هذا المجموع عام ١٩٣٤ وقال إنه «لمؤرخ مجهول الاسم ألفه سنة ٧١٢هـ» وهذه كما رأينا هي السنة المذكورة في الفقرة السابقة كما أنه نشر نبذة من القسم الأول في صحيفة المعهد المصري بمدريد وهو لا يستبعد أن يكون الكتاب كله من تأليف ابن عذاري،[٣٣] ولكن هذا يتناقض تماما مع القرائن والدلائل المتعددة التي ترجح نسبة الكتاب إلى المؤرخ ابن عبد الحليم وقد أشرنا إلى بعضها.

«الحلل الموشية»

ننتقل بعد هذا إلى مدونة تاريخية أخرى ألفت في أواسط العصر الغرناطي ونعني بها «الحلل الموشية في الأخبار المراكشية»، والمخطوطات الموجودة اليوم من هذه المدونة خالية من اسم المؤلف، وقد طبع الكتاب أول مرة في تونس سنة ١٩١٠ منسوبا إلى ابن الخطيب ولم ينتبه الناشر إلى تاريخ تأليفه المذكور في آخره[٣٤] وهو سنة ٧٨٣هـ ومن المعروف أن ابن الخطيب توفي سنة ٧٧٦هـ فالكتاب ألف بعد وفاته بنحو سبع سنوات. وقد أعيد نشر الكتاب في المغرب مرتين: إحداهما في الرباط سنة ١٩٣٦ بعناية المستعرب علوش Allouche والثانية في الدار البيضاء سنة ١٩٧٩ بتحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة وقال الأخيران إنه «لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري»، ولست أدري لماذا لم يأخذ هذان المحققان بقول مؤلف «البدور الضاوية» ومن

جاء بعده، وهو أن «الحلل» من تأليف ابن سماك العاملي،[٣٥] ونظن أن مؤلف «البدور» لم يقل هذا جزافا فلعله وقف على نسخة منسوبة إلى مؤلفها المذكور، كما أن المحققين المذكورين لم يرجعا إلى دراسات حول نسبة الكتاب كتبها برونشفيغ Brunschvig وبوسك فيلا Bosh Vilá وماريا خيسوس روبييرا Rubiera ، وقد عالج هذا الموضوع أخيرا أيضا محمود مكي في تقديمه لكتاب «الزهرات المنثورة» ويميل هؤلاء جميعا إلى أن مؤلف «الحلل» هو ابن سماك اعتمادا على مؤلف «البدور الضاوية» واستنادا إلى شيء من التشابه بين «الحلل» و«الزهرات».

وقد وقفنا في المدة الأخيرة على كتاب جديد عنوانه: «رونق التحبير، في حكم السياسة والتدبير» لابي القاسم محمد بن ابي العلاء بن سماك، وهو تأليف رفعه إلى المستعين بالله محمد بن يوسف بن محمد الغني بالله، وذكر في مقدمته أنه ثمرة ٣٣ سنة في خدمة الدولة النصرية، وأنه سبق له أن رفع إلى والد هذا السلطان وجده موضوعات ومصنفات في فنون مختلفات،[٣٦] وقد وجدنا في هذا الكتاب دليلا قويا على أن «الحلل الموشية» هي من تأليف أبي القاسم المذكور، ويتمثل هذا الدليل في وجود عبارات واحدة في كلا الكتابين، فمنها أننا نجد في ديباجة «الحلل» بعد الحمدلة والتصلية والترضية هذه الصيغة: «والدعاء لهذا المقام العلي المحمدي النصري السلطاني المجاهدي..»[٣٧] وهي نفسها في «رونق التحبير» هكذا: «والدعاء لهذا المقام العلي المحمدي النصري السلطاني المستعيني»[٣٨] فالصيغة واحدة ولكن المدعو له في الكتاب الأول هو محمد الغني بالله والمدعو له في الكتاب الثاني هو محمد المستعين بالله، ونجد مثل هذا في صيغة أخرى في خاتمة الكتابين، وهي صيغة الدعاء التالي:

«اللهم احرس بعينك التي لا تنام دولته التي كرم منتهاها، واشكر سعيه عن حوزة الإسلام التي دافع عنها وحماها، اللهم أحط بحسن سيرته جميع الأرجاء، وبلغه بفضلك أقصى الأماني وغاية الرجاء، اللهم أبقه يحيى في هذه الجزيرة رسوم طارق بن زياد، وأدم لنا أيامه التي هي كالمواسم والأعياد، إنك القدير على التمام، الملي بالدوام، وهذا ما حضر والسلام».[٣٩]

ونظن أن وجود هذه الصيغة في خاتمة الكتابين معا مما يرفع الإشكال ويقطع النزاع حول نسبة الكتاب.

وثمة صيغة أخرى نجدها في الكتابين معا، جاء في «الحلل»: «قال كاتب هذا: إن تتبع هذا النوع يخرج بنا عن الغرض المقصود من الاختصار»[٤٠] وفي رونق التحبير مثل هذا: «قال كاتب هذا: إن تتبع هذا النوع يطول به الكلام».[٤١] ومن هذه الصيغ التي نستأنس بها كذلك قول ابن سماك آخر ديباجة «الزهرات المنثورة»: «وهذا حين الابتداء بالزهرات».[٤٢] وجاء في آخر ديباجة «الحلل»: «وهذا حين الابتداء، بما أشرت إليه من الأنباء».[٤٣]

ومما هو مشترك بين الكتابين أيضا قصيدة ابن الصيرفي «العينية» في نصح الأمير تاشفين، ويهمنا بالخصوص ما ورد في تقديم هذه القصيدة في الكتابين، فهو أيضا متقارب في بعض لفظه ومتفق في بعضه الآخر، وهذا نصه في «الحلل»:

«وقد كانت له هزيمة على النصارى من بعد مناجزة جرت بين الفريقين أسلمه فيها جل من كان معه... وعند احتدام [كذا في النص] القتال هنأه الفقيه الكاتب أبو زكرياء بالسلامة.. وحذره من خدع الحرب ونبهه على أحكامها وما ينبغي أن يفعل فيها».[٤٤]

وجاء في تقديم القصيدة في «الرونق» أن الشاعر خاطب بها الأمير:

«إثر هزيمة كانت له على النصارى بعد انحياز ومدافعة بين الفريقين أسلمه فيها كل من كان معه فهنأه بالسلامة وحذره فيها من خدع الحرب ونبهه على أحكامها وما ينبغي أن يفعل فيها».[٤٥]

فهذه الوحدة في الأسلوب تدل على أن «الحلل الموشية» هي لمؤلف «رونق التحبير». ومما هو مشترك بين الكتابين أيضا الحكاية المتعلقة بالترتيب العسكري الذي لجأ إليه عبد المؤمن في مواجهة تاشفين بأحواز تلمسان فلفظ الحكاية واحد في «الحلل الموشية» و«رونق التحبير»،[٤٦] مما يدل على أن مؤلّفهما واحد.

«أخبار العصر»

وإذا كنا قد استطعنا الاستدلال على مؤلف «الحلل» بواسطة المقارنة النصية فإننا نقف عاجزين أمام آخر مدونة في تاريخ الأندلس وهي «أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر»، وذلك لأن جميع النسخ الخطية التي وقفنا عليها حتى الآن خالية من ذكر المؤلف، وهو يستعمل من حين إلى حين عبارة «قال المؤرخ عفا الله عنه» أو «قال المؤلف عفا الله عنه»،[٤٧] وهذا مثل ما نجد في كتاب «ذكر بلاد الأندلس» الذي تتكرر فيه عبارة «قال صاحب التاريخ» أو «قال صاحب التأليف» أو قال المؤلف عفا الله عنه»[٤٨] وهذه تكررت أيضا في «القرطاس» مرارا عديدة،[٤٩] ولو أن هؤلاء المؤرخين صنعوا ما كان يصنعه المؤرخون الأقدمون الذين كانوا يستعملون عبارة قال فلان ويذكرون أسماءهم لكفوا الناس مشقة البحث عنهم بدون جدوى، ومهما يكن الأمر فإن كل ما نعرفه عن مؤلف «أخبار العصر» هو أن حظه من العلم قليل فهو يقول في مقدمة كتابه. «وعَوّلتُ في ذلك على الاختصار، وتركت التطويل والإكثار، لأن باعي في التأليف قصير، وبضاعتي في الفصاحة مزجاة».[٥٠]

ونعرف عن المؤلف أيضا أنه كان شاهد عيان للأحداث التي أرخها، وأنه شارك في بعض الغزوات التي وصفها، جاء في كلامه على غزوة المكلين ما يلي:

«قال المؤلف عفا الله عنه: فلقد حدثني بعض الفرسان النجباء من أهل الشجاعة والإقدام في ذلك اليوم ونحن في الطريق راجعين إلى غرناطة».[٥١]

ونظن أن هذا المؤلف كان من الذين انتقلوا إلى العدوة المغربية إثر تسليم غرناطة، وأنه دون بالمغرب أخبار محنة المسلمين في آخر أيامهم بمملكة غرناطة لتكون عبرة لمن يعتبر، ولعل وجود نسخ خطية متعددة من «أخبار العصر» في المغرب فقط[٥٢] دليل على ما قلناه، وقد كتب عنوان نسخة تقع ضمن مجموع كما يلي: «أخبار العصر، في انقضاء دولة بني نصر. تأليف الشيخ الإمام العالم الهمام فريد مصره، ووحيد عصره، سيدي محمد الغمري الشافعي الفلكي». كما أن أحدهم كتب عند نهاية الكتاب طرة هذا نصها:

«هو للغمري الشافعي حسبما رقم بأول ورقة من هذا المجموع المبارك، وهو غلط لكون المنسوب له هو المذكور بعد هذا إلا أن يكونا له معاً فلا أدري»[٥٣]

والمذكور بعد هو «المقتطفات الفكرية على الدائرة التاريخية»، وهو توليف للغمري المذكور، وقد طمعنا – رغم نسبة الشافعي المذكورة – أن يكون وراء هذا الكلام شيء، ولكن تبين لنا بعد البحث أن الأمر مجرد خلط من ناسخ المجموع، فالمذكور مشرقي عاش بعد سقوط غرناطة بمدة طويلة، وهكذا يبقى هذا الكتاب الذي طبع عدة طبعات مجهول المؤلف.[٥٤]

إن ما أصاب المخطوطات التاريخية والجغرافية من الضياع والبتر والجهل بمؤلفيها هو شيء عام في تراث الغرب الإسلامي وليس خاصا بالأندلس، بسبب ما مر بها من ظروف معروفة، ومما يدل على هذا أن المصادر الموجودة تشير إلى عدد كبير من التآليف المغربية في تاريخ الدول والحواضر والأعلام ولكنها تعتبر اليوم في عداد المفقودات، فأين هو الديوان الضخم الذي ألفه محمد بن يوسف القيرواني في مسالك إفريقية وممالكها؟ وأين هي الكتب الجمة التي ألفها في أخبار ملوك إفريقية وحروبهم والقائمين عليهم؟ وأين هي الكتب الحسان التي ألفها في أخبار تاهرت ووهران وسجلماسة والنكور والبصرة المغربية وغيرها؟[٥٥] وأين هي كتب النوفلي والزليجي وابن الودون وأبي القاسم بن جنون وعبد الملك الوراق وابن عبد الكريم في تاريخ مدينة فاس؟[٥٦] وأين هو تاريخ ابن الأصفر وتاريخ ابن هدية لمدينة تلمسان؟ وأين هو تاريخ سبتة للقاضي عياض وأين هي الكتب التي ألّفت في تاريخ مدينة مراكش وغيرها؟[٥٧] وأين هو كتاب النبذ المحتاجة، في أخبار صنهاجة بإفريقية وباجة لابن حمادو؟[٥٨] وأين هو كتاب الافتخار في مناقب فقهاء القيروان لأبي بكر عتيق ابن خلف التجيبي؟[٥٩]

فهذه الكتب وغيرها كلها من التراث التاريخي المغاربي الذي ضاع. أما الذي وصل إلينا من هذا التراث فإن فيه الناقص والمبتور والمجهول والمختلف في مؤلفه، فمن النوع الأول تاريخ ابن القطان وتاريخ ابن صاحب الصلاة وتاريخ الرقيق القيرواني و«مناهل الصفا» للفشتالي إذ لم يصلنا إلا جزء واحد من كل كتاب من هذه الكتب ذوات الأجزاء العديدة.

ولدينا من النوع الثاني كراريس مختلفة مبتورة من كتب تاريخية، ويوجد عدد من مثل هذه الكراريس في خزانة القرويين وغيرها.

ومن النوع الثالث كتاب «الخبر عن الدولة السعدية» فجميع النسخ الخطية من هذه المدونة التاريخية المهمة لم يذكر فيها اسم صاحبها، ويبدو أن المؤلف ترك ذلك قصدا لخوفه من العواقب، فقد اشتملت المدونة على ذم الدولة السعدية والحط من قدرها، وهذا المؤلف الذي أدرك أوائل الدولة العلوية لم يكن معروفا لدى معاصره المؤرخ الإفراني ولم يعرفه المؤرخ الزياني كذلك، وكلاهما وقفا على الكتاب ونقلا منه.[٦٠] ولعل في هذا دليلا على تداول الكتاب إذ وصل إلينا منه أزيد من خمس نسخ خطية، وقد طبع بالرباط سنة ١٩٣٤ ونشر مترجما إلى الفرنسية قبل هذا التاريخ.[٦١]

ومن هذا النوع الثالث أيضا، كتاب «الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية» فهو مجهول المؤلف إذ لم يذكر فيه أوله في النسخ الخطية، ولم يرد للكتاب ذكر في المصادر المعروفة وغاية ما يستفاد من الكتاب أنه ألف برسم السلطان المريني أبي سعيد الأول، وقد قام بعض الدارسين بالمقارنة بينه وبين «القرطاس» وذهب آخرون إلى أن مؤلف الكتابين واحد، وهو ابن أبي زرع في اجتهاد بعضهم.[٦٢]

أما النوع الرابع والأخير فهو الذي وقع الخلاف في مؤلفه ومن هذا النوع كتاب «القرطاس»، ويرجع سبب الخلاف إلى أن الكتاب نسب في بعض النسخ الخطية إلى صالح بن عبد الحليم ونسب في بعضها الآخر إلى ابن أبي زرع، ومن هنا اختلف الناس قديما وحديثا في المؤلف بيد أن الأمر جرى على نسبة الكتاب إلى ابن أبي زرع، وبهذه النسبة طبع مرارا.[٦٣] ومن هذا النوع أيضا كتاب «بيوتات فاس الكبرى»، فقد نسبه بعض المؤرخين إلى الأديب إسماعيل ابن الأحمر ونسبه آخرون إلى بعض تلاميذ الفقيه القوري. أما نسبة الكتاب كله لابن الأحمر فيردها أنه يشتمل على تواريخ متأخرة عن وفاة المذكور بمائة سنة تقريبا، ويبدو أن أكثر من واحد اشترك في تأليف هذا الكتاب الذي طبع مرتين.[٦٤]

وبعد فإن هذه البلية التي ذكرت أمثلة منها ليست خاصة بمخطوطات التاريخ والجغرافيا، فهي توجد في مخطوطات العلوم الأخرى أيضا، ولكنها تبدو في مخطوطات العلمين المذكورين أكثر من غيرهما، فما أسباب ذلك؟ وهل ثمة حلول أو حظوظ في التوصل إلى معرفة هؤلاء المؤلفين المجهولين وأمثالهم؟ فأما الأسباب فإنها متعددة، ولعل أولها في ما يبدو أن تآليف التاريخ

والجغرافية لم تكن من التآليف التي تروي عن أصحابها وتدون في كتب البرامج والفهارس، وقد كان لهذه الكتب كما هو معروف دور كبير في توثيق المؤلفات، إذ كانت بمثابة الببليوغرافيات في وقتنا.

ومن الأسباب أيضا أن التاريخ والجغرافيا لم يكن لهما قبول في بعض البيئات العلمية، فقد قيل في التاريخ إنه علم لا ينفع، وجهالة لا تضر، وشاع هذا القول في عصور الانحطاط، وكان من أثر ذلك انصراف الناس عن انتساخ كتب التاريخ، ولهذا انبرى عدد من العلماء المتنورين كالسخاوي وغيرهم للدفاع عن هذا العلم والرد على الذين كانوا يهملونه أو يذمونه.

ومن الأسباب كذلك أن بعض تلك المؤلفات المجاهيل لم تكن إلا تلاخيص من مطولات منسوبة إلى أصحابها فكأن الملخصين رأوا أنه لا حق لهم في ادعاء تأليفها ونسبتها إلى أنفسهم، ومهما يكن الأمر فإن التلاخيص المذكورة التي وضعها مجهولون كانت من أسباب ضياع الأصول الملخصة إذ أنها حلت محلها. ومما يمكن ذكره من الأسباب أيضا زهد بعض المؤلفين من ذوي الورع، وعدم حرصهم على أن تنسب مثل الكتب المذكورة إليهم.

ونشير بعد هذا إلى سبب قوي في هذا المجال ألا وهو الخوف والتقية، وبهذا السبب نفسر جملة من الأدبيات الانتقادية التي وصلت إلينا غير منسوبة مثل الكتاب الذي ذكرناه في آخر أيام بني نصر والكتاب الآخر في تاريخ الدولة السعدية، فإن مؤلفي هذين الكتابين تعمدا عدم ذكر اسميهما خوفا وتقية، ومن المعروف أن عددا من المؤرخين امتحنوا بسبب كتاباتهم التاريخية، وثمة طائفة من الأشعار الأندلسية الانتقادية يجهل قائلها لهذا السبب.[٦٥]

ويضاف إلى ما ذكرناه سبب آخر ألا وهو البتر الذي يحدث في أول المخطوط – ولا سيما ورقة الغلاف – وكذلك في آخره أحيانا، فإذا حدث هذا في نسخة أم أو وحيدة فإن التهدي إلى معرفة المؤلف يصبح عسيراً، وللمشتغلين بالمخطوطات تجارب مختلفة في هذا الموضوع لن اتحدث عنها فهي معروفة لدى المتخصصين ولكني سأختم هذا العرض الموجز بالإشارة إلى محاولات كانت لي مع بعض الحالات من هذا النوع.

فالحالة الأولى كانت مع مخطوط في الإسكوريال تنقصه الورقة الأولى وجاء في آخره ما يلي: «تم كتاب التنبيه، على المغالطة والتصويه، وإقامة الممال، عن طريق الاعتدال بالبرهان الكافي، والبيان الشافي» وهو كتاب يرد فيه من

كنيته أبو حاتم علي شروح للأشعار الجاهلية وضعها من كنيته أبو المطرف. وقد كانت نسبة هذا الكتاب إلى أبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ضربا من الجهل الفظيع، ويمكن الرجوع إلى ما كتبته في توثيق هذا الكتاب وتحقيق نسبته إلى رسالتي الجامعية المطبوعة حول أبي المطرف ابن عميرة.[٦٦]

والحالة الثانية التي عنيت بها في هذا المجال هي حالة «كتاب الاستبصار» الجغرافي الذي أظن أني توصلت إلى مؤلفه وهو ابن عبد ربه الحفيد، وقد فصلت القول في هذا في كتابي الذي عرفت فيه بهذا الأديب.[٦٧]

والحالة الثالثة تتعلق بشرح أندلسي لشعر المتنبي لا يوجد منه الآن إلا نصفه الأخير، وليس فيه ذكر لاسم الشارح ولكن البحث أدّاني إلى التوصل إلى صاحبه وهو ابن عبد ربه الحفيد أيضا، وقصة هذا الكشف مسرودة بتفصيل في الكتاب المذكور آنفا.[٦٨]

والحالة الرابعة واجهتها في ديوان غرناطي كتب في طرة نسخته الوحيدة أنه لابن الخطيب فكشفت قراءته أنه القسم الثاني من ديوان لأبي الحسين ابن فركون. وهو شاعر غرناطي لم يكن معروفا قبل هذا.[٦٩]

وثمة حالة خامسة عالجتها في نص نشر في أول عدد من مجلة كلّية الآداب (يناير ١٩٧٧) ونعني به «طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف» وقد وصلتنا نسخة وحيدة أثراني بها مشكورا العلامة الصديق السيد محمد المنوني جزاه الله خيرا، وهذه النسخة مبتورة الأول ولكن يرد فيها ذكر مؤلفها باسم عبد العزيز فقط، وقد توصلت إلى أن المقصود به هو الشاعر المؤرخ عبد العزيز الملزوزي.[٧٠]

ومن الحالات الأخيرة التي وفقت فيها بحمد الله في هذا الباب تحقيق نسبة النسخة الغفل الموجودة بالإسكوريال من كتاب «مختصر المستصفى» إلى صاحبها ابن رشد الحفيد، وقد كان تلميذي وصديقي المرحوم الدكتور جمال الدين العلوي أطلعني على الكتاب وأعطاني صورة منه، واستطلع رأيي في مؤلفه، وكان فحصه للكتاب قد أداه إلى أنه لابن رشد، ولكنه لم يقف على دليل نقلي، ثم توفي رحمه الله وترك الكتاب في المطبعة وبينما كنت أقرأ مخطوطة «روضة الأعلام» لابن الأزرق وقفت على ما يلي:

«لما اختصر ابن رشد الحكيم مستصفى الغزالي في أصول الفقه أسقط منه المقدمة المنطقية قائلا: ونحن فلنترك كل شيء إلى موضعه، فإن من رام أن يتعلم أشياء أكثر من واحد في وقت واحد لم يمكنه أن يتعلم ولا واحدا منها»

ولما وقفت على هذا الكلام رجعت إلى صورة المستصفى المذكورة فوجدت فيها الكلام نفسه، وهكذا وجد الدليل النقلي لنسبة الكتاب إلى صاحبه، وقد اتصلت بالقائمين على مراجعة التجارب وأخبرتهم بالأمر فأثبتوه في إحدى حواشي الكتاب.(٧١)

والواقع أن الذين يشتغلون بالمخطوطات يجدون متعة وفائدة ومغامرة أحيانا في تتبع هذه الأمور، وإني لأذكر كيف غامرت في أول زيارة لي إلى انجلترا بتكليف من وزارة الثقافة المغربية من أجل الوقوف على كتاب في التاريخ نسب إلى الشاعر ابن زيدون وقيل إنه موجود في المتحف البريطاني، ولكم شعرت بالخيبة عندما وجدت أن الرقم الذي أحالني عليه بونس بويجس وبروكلمان ليس الكتاب المنشود وإنما هو شرح الصفدي لرسالة ابن زيدون الجدية، ولكن المغامرة كانت باعثا لي على كتابة بحث في الموضوع عنوانه: «حول نسبة كتاب في التاريخ إلى الشاعر ابن زيدون»(٧٢) وهو عمل قمت بما يشبهه بعد ذلك في تعريفي بالحكيم المؤرخ الأندلسي المجهول.(٧٣) وفي ضبطي لاسم ابن غمر الكاتب المؤرخ الإشبيلي المنسي(٧٤) وغير ذلك.

وثمة إشكال آخر يعانيه المشتغلون بمعالجة المخطوطات ونعني به إشكال المؤلفين المجهولين أي الذين لا توجد لهم تراجم في كتب الطبقات، ولي تجربة متواضعة في هذا المجال يمكن الرجوع إليها فيما كتبته عن البسطي والحُكيّم والكفيف الزرهوني(٧٥) وغيرهم.

إن الذين يشتغلون بخدمة المخطوطات يقفون على مؤلفات لا يعرف لها مؤلف، ولا ذكر لها في المظان أو على مؤلفات منسوبة إلى غير أصحابها أو على مؤلفين غير معروفين أو على ما يشبه هذه الحالات وهم يحتاجون في مواجهة هذه الحالات إلى الصبر الطويل والبحث الدقيق والوقت الكثير والمثابرة المستمرة، وهي صفات من شأنها أن تقود إلى الظفر بالمطلوب إن شاء الله.

الحواشي

(١) انظر: F. Pons Boigues, *Los Historiadores y Geógrafos Arábigo-Españoles* (Madrid, 1898; reprint Amsterdam, 1972).

(٢) راجع في كتب ابن حيان:ابن حيان، «المقتبس»، بيروت ١٩٧٣، مقدمة الدكتور محمود علي مكي، ص ٦٥-٨٥.

(٣) ابن بشكوال، «كتاب الصلة»، ed. F. Codera, Bibliotheca Arabico-Hispana I-II (Madrid, 1882-3), 349, no. 756, (= تحقيق العطار [١٩٥٥]، ٣٣٨).

(٤) تراجع تراجم المذكورين في كتب الطبقات الأندلسية.

(٥) تراجع مقالتنا: حول مؤرخ أندلسي مجهول، مجلة الأكاديمية المملكة المغربية، الرباط، العدد ٢ فبراير ١٩٨٥.

(٦) عثر على بقايا هذا السفر السابع من كتاب العذري في مكتبة خاصة بالقدس، وقد نشرت تحت عنوان «نصوص عن الأندلس» بتحقيق الأستاذ المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد. وأصل البقايا المذكورة من نسخة تامة كانت في ملك عبد العزيز ابن المَلْجوم الفاسي صاحب المكتبة الشهيرة التي لم يكن لأحد من أهل عصره مثلها، ولما مات سنة ٦٠٥هـ باعتها ابنته الوحيدة بأربعة آلاف دينار، ويعلم الله متى نقلت مخطوطة العذري هذه من المغرب إلى المشرق.

(٧) كان السفر المذكور في ملك الشيخ عبد الحي الكتاني ثم أعاره للمستعرب ل. بروفنسال، ولما مات هذا بيع السفر إلى المعهد المصري في مدريد، وقد قام بتحقيقه الدكتور محمود علي مكي ونشرته كلية الآداب بالرباط وأعيد نشره أخيرا في بيروت.

(٨) الأسفار أو الأجزاء المذكورة هي التي أخرجها على التوالي ملتشور أنطونيا Le P. Melchor M. Antuña وعبد الرحمن الحجي ومحمود علي مكي وشالميتا P. Chalmeta ومن معه.

(٩) الإشارة إلى بقية السفر الرابع والسفر الخامس والسفر السادس التي نشرت بتحقيق الدكتور إحسان عباس والسفر الأول والسفر الثامن اللذين نشرا بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة.

(١٠) راجع تاريخ الفكر الأندلسي لأنخل جُنثالث بالنثيا، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، ص ١٩٨ وما بعدها.

(١١) *Una Crónica Anónima de ʿAbd al-Raḥmān III al-Nāṣir*, ed. E Lévi-Provençal y E. García Gómez (Madrid/Granada, 1950),pp. 15-22.

(١٢) المصدر نفسه ص ٦٥ من النص العربي وص ١٣٦ من الترجمة الأسبانية.

(١٣) «المقتبس»، س. ٥ ص ١٧٣.

(١٤) انظر: «الذيل والتكملة»، ١، ٢٧٤. ح.١.

(١٥) انظر النص الذي نشره الدكتور أحمد مختار العبادي في:

Revista del Instituto de Estudios Islámicos en Madrid, XIV (1967-8), 155-7.

(١٦) انظر على سبيل المثال مواد مالطة وصقلية وسردينية في «الروض المعطار»، وراجع أيضا مقدمة «المسالك والممالك»، ج ١ ص ٢٩ (١٩٩٢).

(١٧) انظر تآليفنا: «ابن عبد ربه الحفيد»، بيروت ١٩٩٢، ١٥٩-١٩٤.

(١٨) راجع كراتشكوفسكي، «تاريخ الأدب الجغرافي»، بيروت ١٩٨٧، ص ٣٠٣.

(١٩) راجع مقدمة ل. بروفنسال

E. Lévi-Provençal, *La péninsule ibérique au moyen-âge* (Leiden, 1938), ix-xviii;

ومقدمة إحسان عباس ومقالة محمد المنوني في مجلة المناهل، ع١٠ ص ٣٦٧-٣٧٢.

(٢٠) Luis Molina, *Una Descriptión Anónima de Al-Andalus* (Madrid, 1983), vol. I:

«ذكر بلاد الأندلس» ١: ٣٥، ٩١، ١٠٧، ١٧٥، ١٨٢ الخ وتستعمل أحيانا عبارة «قال صاحب التأليف»

(٢١) راجع «نفح الطيب» ١: ١٩٧ ولويس مولينا (١٩٨٣) ٢:٣٠٣.

(٢٢) لويس مولينا (١: المقدمة الأسبانية).

(٢٣) نفسه: (١: المقدمة الأسبانية).

(٢٤) نفسه: (٢:٣٠٤).

(٢٥) كتاب «مفاخر البربر»، مخطوط الخزانة العامة بالرباط (١٠٢٠ د) ورقة ٨ .

(٢٦) «البيان المغرب» ١: ٢٧.

(٢٧) «مفاخر البربر»، ١٤ظ. (مخطوط).

(٢٨) ابن عبد الحليم، «دلائل القبلة»، ١٥ مخطوط الخزانة العامة.

(٢٩) «مفاخر البربر»، ١٥ظ. (مخطوط) وفي صحيفة المعهد المصري:

Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid, II (1373/1954), 223.

(٣٠) نفسه: ص ٢٠٢.

(٣١) «مفاخر البربر»، ٢١ظ. (مخطوط).

(٣٢) «مفاخر البربر»، ٣٧ظ (مخطوط)، وتحقيق ل. بروفنسال، الرباط، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، ص ٧٥.

(٣٣) *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid*, II (1373/1954), 201.

(٣٤) «الحلل الموشية»، ١٩٧٩، ص ١٨١.

(٣٥) «البدور الضاوية»، ٣ (مخطوط). وقد تحرفت العاملي إلى العامري، وهكذا نقلت في كتاب «المصادر العربية لتاريخ المغرب»، ١٠٥.

(٣٦) «رونق التحبير»، (مخطوط الخزانة العامة رقم ٢٩٥ق)، ١-٢.

(٣٧) «الحلل الموشية»، الديباجة.

(٣٨) «رونق التحبير»، الديباجة.

(٣٩) «الحلل الموشية»، ١٩٠؛ و«رونق التحبير»، ٤٩.

(٤٠) «الحلل الموشية»، ٣٠، ٣٢.

(٤١) «رونق التحبير»، ١٥و.

(٤٢) ابن سماك، «الزهرات المنثورة»، ٥٤. تحقيق محمود علي مكي (مدريد ١٩٨٤).

(٤٣) «الحلل الموشية»، ١٤.

(٤٤) نفسه: ١٢٤.

(٤٥) «رونق التحبير»، ٢٨ظ.

(٤٦) «الحلل الموشية»، ١٣٢؛ و«رونق التحبير»، ٢٨ظ.

(٤٧) «أخبار العصر»، تحقيق موللر M. J. Müller، مونيخ، ١٨٦٣، ص ٢، ٦، ١٧.

(٤٨) «ذكر بلاد الأندلس» ١ (Molina, *Descriptión Anónima*, I): ٢٩، ٤٧-٨٤، ٨٧، ٩١، ١٠٧، ١٧٥.

(٤٩) لـ«روض القرطاس» أو «الأنيس المطرب» طبعات متعددة، ولذلك لم أر هنا فائدة لتعداد أرقام الصفحات التي ترد فيها العبارة المذكورة.

(٥٠) «أخبار العصر»، ٢.

(٥١) نفسه: ١٧.

(٥٢) وقفنا على خمس نسخ في الخزانة العامة بالرباط وبعض الخزائن الخاصة، وقد افترض المرحوم عنان أن المؤلف من الذين بقوا في غرناطة وأخفى اسمه تقية ولكن هذا الافتراض لا أساس له إذ أن في الكتاب إشارة إلى أنه كان في المغرب.

(٥٣) مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم ١١٧٧ ك، ص ٢٢٩.

(٥٤) طبع أول مرة في مونيخ سنة ١٨٦٣ بعناية مارك جوزيف مولار ونشره بعد ذلك شكيب أرسلان ثم طبع نصه العربي مع ترجمة إسبانية في مدينة العرائش ١٩٤٠ ثم ظهرت طبعة جديدة بعناية د. محمد رضوان الداية عام ١٩٨٤ ولعل آخر طبعة للكتاب فيما أعرف هي التي أخرجها د. حسين مؤنس عام ١٩٩١.

(٥٥) «الذيل والتكملة»، ٨: ٣٦٥ (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٤).

(٥٦) جميع المذكورين لهم تآليف في تاريخ مدينة فاس ويوجد النقل عنهم في بعض المصادر.

(٥٧) ذكره ابن الخطيب في مقدمة «الإحاطة في أخبار غرناطة»، القاهرة، ط. ث. ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ١: ٨٣.

(٥٨) «الذيل والتكملة»، ٨: ٣٢٤.

(٥٩) «مفاخر البربر» (انظر فهرس القسم المطبوع).

(٦٠) «تاريخ الدولة السعدية»

Chronique anonyme de la dynastie sa'dienne, ed. G. S. Colin (Rabat 1353/1934)

(٦١) أعلنت المطبعة الملكية بالرباط عن قرب ظهور طبعة جديدة لهذا الكتاب.

(٦٢) راجع مقالة المرحوم عبد الله كنون في مجلة تطوان (ع. ٢) ص ١٤٥.

(٦٣) راجع مقدمة الطبعة التي أخرجها الأستاذ عبد الوهاب بن منصور.

(٦٤) راجع أيضا مقدمة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور لهذا الكتاب.

(٦٥) نذكر على سبيل المثال من المؤرخين الذين امتحنوا ابن الابار وعبد العزيز الملزوزي، وراجع في الاشعار الانتقادية المجهولة القائل كتاب «البيان المعرب» لابن عذاري ٢: ٢٨٠، ٤: ٢٥١ وكتابنا «البسطي آخر شعراء الأندلس»، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٧٦؛ وفي «نفح الطيب» قصائد في رثاء الأندلس غير منسوبة السبب نفسه.

(٦٦) «أبو المطرف أحمد بن عميرة – حياته وآثاره»، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط ١٩٦٦، من ص ٢٦٩ إلى ص ٢٨٤.

(٦٧) «ابن عبد ربه الحفيد – فصول من سيرة منسية»، ط. دار الغرب الإسلامية، بيروت ١٩٩٢، من ص ١٥٩ إلى ص ١٩٤.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ١١٠–١٣٩.

(٦٩) «ديوان ابن فركون»، (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٧)، ٥

(٧٠) مجلة كلية الآداب – جامعة محمد الخامس – العدد الأول (يناير ١٩٧٧)، ١٤–١٦.

(٧١) «مختصر المستصفى»، (ط. دار الغرب الإسلامي ١٩٩٣)، ٢١.

(٧٢) وزع مرقونا بمناسبة الذكرى الألفية لابن زيدون (الرباط ١٥–٢٢ أكتوبر ١٩٧٥).

(٧٣) نشر في مجلة أكاديمية المملكة المغربية ع ٢ (١٩٨٥).

(٧٤) يوجد تحت الطبع.

(٧٥) راجع مقدمة ملعبة الكفيف الزرهوني – المطبعة الملكية بالرباط (١٩٨٧).

ISBN 1 873992 15 7

THE CODICOLOGY OF ISLAMIC MANUSCRIPTS

THE CODICOLOGY OF ISLAMIC MANUSCRIPTS

PROCEEDINGS OF
THE SECOND CONFERENCE OF
AL-FURQĀN ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION

PROCEEDINGS OF
THE SECOND CONFERENCE OF
AL-FURQĀN ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION
1993

Publication Number: 15

Al-Furqān Islamic Heritage Foundation,
Eagle House, High Street, Wimbledon,
London SW19 5EF
United Kingdom

THE CODICOLOGY OF ISLAMIC MANUSCRIPTS

PROCEEDINGS OF
THE SECOND CONFERENCE OF
AL-FURQĀN ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION
4-5 December 1993

General Editor: YASIN DUTTON
Oxford University

Al-Furqān
Islamic Heritage Foundation

London

1995

© Al-Furqān Islamic Heritage Foundation, 1995
All rights reserved. No part of this book may be reproduced or translated in any form, by print, photoprint, microfilm, or any other means without written permission from the publisher

British Library Cataloguing-in-Publication Data
A catalogue record for this book is available from the British Library

ISBN 1 873992 15 7

Published by Al-Furqān Islamic Heritage Foundation, London, UK
Printed by The Alden Press Ltd, Oxford, UK

CONTENTS

Foreword vii

Preface ix

PART ONE: THE PHYSICAL ASPECT

Arabic Papyri
Geoffrey Khan 1

L'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques: quelques remarques liminaires
François Déroche 17

Two New Sources on the Art of Mixing Ink
Ibrahim Chabbouh 59

The Use of Paper in Islamic Manuscripts as Documented in Classical Persian Texts
Īraj Afshār 77

PART TWO: THE HUMAN ASPECT

Early Methods of Book Composition: al-Maqrīzī's Draft of the Kitāb al-Khiṭaṭ
Ayman Fu'ād Sayyid 93

Problems of Attribution in Historical and Geographical Works
Mohamed Bencherifa 103

The Human Element Between Text and Reader: the Ijāza *in Arabic Manuscripts*
Jan Just Witkam 123

Mālikī Formularies and Legal Documents: Changes in the Manuscript Culture of the ʿUdūl *(Professional Witnesses) in Morocco*
Léon Buskens 137

FOREWORD

Since its establishment in 1989, Al-Furqān Islamic Heritage Foundation has been involved in activities to encourage research and study into the field of Islamic manuscripts, including surveying Islamic manuscripts throughout the world, handlisting, cataloguing and the publication of significant Islamic manuscripts. In addition the Foundation holds a bi-annual conference on a topic related to Islamic manuscripts. The first conference which coincided with the inauguration of the Foundation in 1991 highlighted the significance of Islamic manuscripts in a general sense (see *The Significance of Islamic Manuscripts, Proceedings of the Inaugural Conference of Al-Furqān Islamic Heritage Foundation, 1991*, ed. J. Cooper, London, 1992 & *Ahammiyyat al-Makhṭūṭāt, A'māl al-mu'tamar al-iftitāḥī li-mu'assasat al-Furqān lil turāth al-islāmī*, London, 1992).

The second conference was technical and concentrated on the science of manuscript production in the Islamic world. At this conference the technical aspect of the science of manuscript production known as "codicology" was dealt with by distinguished scholars at the conference held on 4-5 December 1993. This volume contains a selection of the papers from this conference .

Since this second conference, Al-Furqān Foundation has organised three training courses for cataloguers of Islamic manuscripts, in Cairo (January 1994), Istanbul (September 1994), and London (June 1995). The notes from the lectures given at these courses by prominent scholars will eventually be published as a handbook for the cataloguing of Islamic manuscripts.

We hope that the present volume and the handbook for cataloguing will offer a major contribution to the promotion of Islamic studies in general and Islamic manuscripts in particular.

No doubt these humble steps which have been taken by Al-Furqān Foundation would have not led to any success had we not enjoyed the Almighty God's grace and support in the first place.

Ahmed Zaki Yamani

PREFACE

The articles presented here constitute a selection of the many scholarly papers delivered at the conference. The final choice of contents has attempted to portray the wide-ranging nature of the material presented while remaining true to the specific theme of the conference, namely codicology and the study of manuscripts primarily *qua* manuscripts.

The material divides naturally into two sections. The first covers the purely physical aspect of Islamic manuscripts, including the materials from which they are made, how these materials are put together in manuscript form, and how the ink is made that is used for writing on them. The second section concerns the more human aspect of the transmission of manuscripts and how this aspect makes itself evident in the material form of the manuscripts.

Thus the first three papers deal predominantly with different physical aspects of the manuscript. The paper by Geoffrey Khan (Lecturer in Hebrew and Aramaic, Cambridge University) gives us a masterly summary of our current knowledge on what is probably the oldest form of Islamic manuscript, namely the papyri written in Arabic which date from as early as the 1st/7th century. After papyrus comes parchment: the paper by François Déroche (Director of Studies, École Pratique des Hautes Études, Paris) on parchment as a material for manuscripts — particularly the Qur'ān — goes into great detail in explaining the hitherto little understood intricacies of parchment manuscript production in the first few centuries of Islamic culture. The paper by Ibrahim Chabbouh (General Secretary, al-Majmaʿ al-Malakī al-Urdunī, Amman) looks at another highly technical aspect of manuscript production: the techniques of making the ink that is used to write the text.

The paper by Īraj Afshār (former Director, Tehran University Library) is in a sense a bridge between the two aspects mentioned above. His paper explores the references to paper in classical Persian literature and thus allows us to build up a picture of the history of paper, its different types, and the different methods used to manufacture it, as seen by the writers who actually used it.

The last four papers, i.e. those of the second section, take us away from the more technical aspects of manuscript production into the realm of the interaction between manuscript and author, or manuscript and reader, or even manuscript and society. The paper by Ayman Fu'ād Sayyid (Executive Director, Dār al-Kutub, Cairo) suggests something of what can be learned about an individual author's actual method of composition by studying earlier and later drafts of a text written by him, in this case the *Kitāb al-Khiṭaṭ* of al-Maqrīzī. The paper by Mohamed Bencherifa (Curator, Bibliothèque Générale, Rabat) addresses another problem commonly facing those dealing with manuscripts, namely how to identify the author of a text when key portions of it — particularly the title page(s) and/or the colophon — have been lost or damaged. The paper by Jan Just Witkam (Curator of Oriental Manuscripts, Leiden University Library) suggests how a detailed study of *ijāza*s in manuscripts — that is, testimonials to the right to transmit or teach a certain text that are often added to the manuscript itself — can help to build up a picture of the social and educational environment in which these manuscripts were produced. This theme of the interaction between manuscript and human environment is further developed in the paper by Léon Buskens (Lecturer in Islamic Law, Leiden University) on the changes in manuscript culture in Morocco which shows, as he himself points out, that "the study of books and manuscripts leads us inevitably to the study of the men and women who wrote, read and used those books and manuscripts."

These, then, are the papers that have been chosen as representative of the Second Conference of Al-Furqān Islamic Heritage Foundation. We trust that they will not only stand as important contributions in themselves to the still nascent discipline of Islamic codicology, but also provide impetus and direction for future studies in the field.

Yasin Dutton
Oxford
May, 1995

ARABIC PAPYRI

GEOFFREY KHAN

For 4,000 years the main type of writing material used in Egypt was papyrus. This was usually referred to in Arabic as *qirṭās*, which was derived from the Greek *khartēs* via the Aramaic *qarṭīs*.[1] Papyrus was manufactured from the plant *Cyperus papyrus* L, which is native to Egypt. It was easier to handle than the available alternatives, such as wood, skins and clay tablets, and could be made in a range of thicknesses and qualities. These factors no doubt contributed to its success.[2] It is deceptive to judge the physical nature of papyrus by the brittle remains that have been preserved down to modern times. When manufactured, papyrus was light coloured, smooth, strong and flexible.[3]

Papyrus was in use as early as 3,000 BC and played a crucial role in the development of ancient Egyptian civilisation; indeed the papyrus plant became the symbol of Lower Egypt as far back as the predynastic period, in the 4th millennium BC.[4] From at least the 1st millennium BC, papyrus had a rival in parchment, which was an excellent writing material. Papyrus, however, was easier to manufacture than parchment.[5] Although parchment was widely used in other parts of the Classical world, papyrus retained its importance in Egypt throughout the Greek and Roman periods.[6] The use of papyrus was taken over by the Arabs when they conquered Egypt in the 7th century AD, and it continued as

---

1 S. Fraenkel, *Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen* (Leiden, 1886), 245. As a writing material papyrus was occasionally referred to as *waraq al-bardī* or *waraq al-qaṣab*; cf. R. Sellheim, s.v. "Ḳirṭās", *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed (Leiden and London, 1960-), V, 173.

2 A. Grohmann, *From the World of Arabic Papyri* (Cairo, 1952), 1.

3 N. Lewis, *Papyrus in Classical Antiquity* (Oxford, 1974), 57-61.

4 *The Cambridge Ancient History*, ed. I. A. S. Edwards, C. J. Gadd and N. G. L. Hammond, 3rd ed, I/2 (Cambridge, 1971), 7.

5 C. H. Roberts and T. C. Skeat, *The Birth of the Codex* (Oxford, 1987), 10.

6 Lewis, *Papyrus in Classical Antiquity*.

the main writing material of the country until the 10th century AD. By this time it could no longer compete with paper, which was cheaper to produce.

Unlike papyrus, the manufacture of paper was not dependent on raw material that was, for the most part, exclusive to Egypt. Paper was first manufactured in the Islamic world in Samarqand, having been introduced there from China in the 2nd/8th century, and came into general use in the Eastern Islamic lands earlier than in the Western lands. In the reign of the caliph Hārūn al-Rashīd (170/786–193/809) paper began to be used in government offices.[7] Writing in the 9th century AD, al-Jāḥiẓ tells us that "the papyri of Egypt are for the West what the papers of Samarqand are for the East (*qarāṭīs Miṣr li-l-maghrib ka-kawāghid Samarqand li-l-mashriq*)".[8] Paper was used sporadically in Egypt in the 9th century but did not constitute a rival to papyrus until the 10th century. By the middle of the 10th century paper had supplanted papyrus in Egypt and the manufacture of papyrus had almost completely ceased.[9] Ibn Ḥawqal, who visited Egypt in 359/969, mentions the papyrus plant but makes no reference to the use of papyrus in Egypt as a writing material.[10] Writing in 375/985-6, al-Maqdisī mentions paper as one of the products of Egypt but does not refer to the manufacture of papyrus.[11] From al-Masʿūdī writing in 956 AD, however, we learn that papyrus manufacture was not completely defunct in Egypt in the 10th century,[12] and it also appears that papyrus still had some marginal

[7] Ibn Khaldūn, *Kitāb al-ʿIbar* (Būlāq, 1284 [1867]), I, 352; al-Maqrīzī, *Kitāb al-Mawāʿiẓ wa-l-iʿtibār bi-dhikr al-khiṭaṭ wa-l-āthār*, (Būlāq, 1270 [1853]), I, 91; al-Qalqashandī, *Ṣubḥ al-aʿshā* (Būlāq, 1903), I, 578; ibid (Cairo, 1331-8/1913-18), II, 475.

[8] al-Thaʿālibī, *Laṭāʾif al-maʿārif*, ed. P. de Jong (Leiden, 1867), 97; cf. al-Suyūṭī, *Ḥusn al-muḥāḍara* (Būlāq, 1299 [1882]), II, 238. It is worth noting, however, that a document in the Khalili collection from northern Mesopotamia which is datable to *c.* 240/854-5 is written on papyrus (see G. Khan, *Arabic Papyri. Selected Material from the Khalili Collection*, Studies in the Khalili Collection, I [London and Oxford, 1992], no. 6).

[9] J. von Karabacek, "Das arabische Papier. Eine historisch-antiquarische Untersuchung", *Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer*, II-III (Vienna, 1887), 98; *Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung*, ed. Karabacek et al. (Vienna, 1894), 245.

[10] Ibn Ḥawqal, *Kitāb al-Masālik wa-l-mamālik*, ed. M. J. de Goeje (Leiden, 1873), 86.

[11] al-Maqdisī (or al-Muqaddasī), *Kitāb Aḥsan al-taqāsīm fī maʿrifat al-aqālīm*, ed. M. J. de Goeje (Leiden, 1877), 32ff., 193ff., 202ff.

[12] al-Masʿūdī, *Kitāb al-Tanbīh wa-l-ishrāf*, Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale, VIII (Paris, 1810), 146.

uses at this period, such as for amulets,[13] or for medical treatment,[14] although it was not the common writing material.

Further west in the Maghreb the transition to paper was even later. In this region parchment was the predominant writing material until the 11th century AD.[15]

We learn from Ibn Ḥawqal that in the second half of the 10th century papyrus was still used by the Arabs in Sicily for chancery correspondence,[16] and some papyri found in Egypt were originally written elsewhere.[17]

During the long period of Egyptian history when papyrus was in use, the languages current in the country changed so that the surviving materials fall into the sphere of specialists in ancient Egyptian, Greek, Coptic and Arabic. By the time of the Arab conquest Egyptian had long been replaced by Greek and Coptic, which were soon replaced by Arabic in most contexts. Coptic continued to be used by the Egyptian Christians of the Monophysite rite, but Greek had fallen out of use by the 8th century AD; one vestige of its former importance was the use of Greek numerals in early accounts in Arabic.

Extant Arabic papyri

Grohmann estimated that there were approximately 16,000 Arabic papyri in the various collections that he was familiar with in Europe, North America and Cairo.[18] This figure apparently refers only to moderately well-preserved documents. The total number of extant papyrus fragments containing Arabic writing is far higher.[19] The vast majority are documents of some sort, while the minority contain literary texts. The first category includes accounts, legal deeds, administrative documents drawn up by government officials, and private letters. Some of the letters offer

[13] Karabacek, "Das arabische Papier", 100-1.

[14] Ibn al-Bayṭār, *al-Jāmiʿ li-mufradāt al-adwiya wa-l-aghdhiya* (Būlāq, 1291 [1875]), I, 86-7.

[15] S. D. Goitein, *A Mediterranean Society*, I (Berkeley and Los Angeles, 1967), 112.

[16] Ibn Ḥawqal, *al-Masālik wa-l-mamālik*, 86.

[17] e.g. Khan, *Arabic Papyri*, no. 6, an account which was drawn up in a Nestorian monastery in Mesopotamia *c.* 240/854-5.

[18] Grohmann, *From the World of Arabic Papyri*, 2.

[19] See S. A. Hopkins, *Studies in the Grammar of Early Arabic, Based upon Papyri Datable to Before 300 AH/912 AD* (Oxford, 1984), xli, n. 3.

intimate glimpses of everyday life in early Islamic Egypt. Others were written by merchants as part of their commercial activities and tell us a great deal about trade in the early Islamic period. As well as providing evidence for social and economic history, many of these documents supply material for other areas of study: hundreds of place names mentioned in the papyri add coniderably to our knowledge of the topography of Egypt at this period, and papyrus letters and legal deeds furnish abundant primary source material for the study of Arabic diplomatics. In addition, both the literary and the documentary papyri are important sources for the study of the Arabic script and of the development of the Arabic language.

The literary papyri include the earliest known fragments of many works in Arabic, such as the biography of the Prophet Muḥammad by Ibn Hishām, the *Muwaṭṭa'* of Mālik b. Anas, the tales of the *Arabian Nights* and Arabic poetry.[20] They also include parts of other works that were previously thought to have been lost, such as the compilation of traditions about the Prophet Muḥammad and King David attributed to Wahb b. Munabbih and the collections of legal precedents of ʿAbd Allāh b. Wahb and ʿAbd Allāh b. Lahīʿa.[21]

Many medieval European papyri have been preserved in church and papal archives,[22] but no archives containing such material in Arabic have survived. As a result, the only Arabic papyri that are now extant have been recovered from the ground, either as the result of chance finds or of official archaeological excavations. Many of them have been found in rubbish heaps on the edges of towns, where the residents have been discarding all sorts of waste, including papyri for which they no longer had any use, since antiquity. Other papyri were found in the ruins of

[20] For these and other works, see N. Abbott, "A Ninth-century Fragment of the Thousand Nights. New Light on the Early History of the Arabian Nights", *Journal of Near Eastern Studies*, VIII (1949), 129-64; idem, *Studies in Arabic Literary Papyri*, I-III (Chicago, 1957-72).

[21] See R. G. Khoury, *Wahb ibn Munabbih* (Wiesbaden, 1972); J. David-Weill, *Le Djāmiʿ d'Ibn Wahb* (Cairo, 1939-48); R. G. Khoury, *ʿAbdallāh ibn Lahīʿa (97-174/115–790). Juge et grand maître de l'école égyptienne* (Wiesbaden, 1986).

[22] H. Bresslau, *Handbuch der Urkundenlehre für Deutschland und Italien* (Leipzig, 1931), 479-92. Many of the papyrus documents in the European archives have been reproduced in a series published by A. Bruckner and R. Marichal, *Chartae Latinae Antiquiores. Fascimile Edition of the Latin Charters Prior to the Ninth Century* (Olten and Lausanne, 1954-).

ancient buildings, often preserved in sealed jars.[23] It was in a jar of this type that Egyptian peasants discovered two Arabic papyri at Saqqārah in 1824; the discipline of Arabic papyrology was founded by the publication of these documents by the French scholar Silvestre de Sacy in 1825 and 1831.[24]

In the second half of the 19th century large numbers of Arabic papyri were found at various sites in the Fayyūm, as well as at sites lying further south, including al-Bahnasā (Oxyrhynchus), al-Ushmūnayn (Hermopolis Magna), Kom Eshqaw (Aphrodito), Ikhmīm (Panopolis), al-Gabalayn (Pathyris), Edfū (Apollinopolis), Dandara and Aswan. Lower Egypt has proved far less productive, no doubt because the soil conditions are less conducive to the preservation of organic material. Nevertheless, several thousand pieces have been found in the ruins of Fusṭāṭ.[25]

Most of the major collections of Arabic papyri consist of material originating from the sites in Upper Egypt. This applies to the collections in the National Library in Cairo, the Oriental Institute in Chicago, the Staatliche Museen in Berlin, the Staats- und Universitäts-Bibliothek in Hamburg, the Institut für Papyrologie at Heidelberg University, the Louvre and the Bibliothèque Nationale in Paris, the British Library in London, the John Rylands University Library in Manchester, the Bodleian Library and Ashmolean Museum in Oxford, the former collection of the Archduke Rainer in Vienna, and the Wessely Collection in Prague.[26] Only a few collections contain material that originated predominantly from Fusṭāṭ. These include the collections of Arabic papyri in the Museum of Islamic Art, Cairo,[27] the collection formerly in the possession of G. Michaelides of Cairo and now in Cambridge University Library, and the Khalili collection in London.

[23] Grohmann, *From the World of Arabic Papyri*, 8.

[24] A. Silvestre de Sacy, "Mémoire sur quelques papyrus écrits en arabe et récemment découverts en Egypte", *Journal des Savans* (1825), 462–73; idem, "Mémoire sur quelques papyrus écrits en arabe et récemment trouvés en Egypte", *Histoire et Mémoires de l'Institut Royal de France, Académie des Inscriptions et Belle-lettres*, IX (1931), *Mémoires*, 66-85. The papyri are now in the Bibliothèque Nationale, Paris (MSS arabes 4633-4).

[25] For more details of these discoveries, see Grohmann, *From the World of Arabic Papyri*, 11, 214-7; idem, *Einführung und Chrestomathie zur arabischen Papyruskunde*, I, *Einführung* (Prague, 1954), 7-35.

[26] Grohmann, *Einführung und Chrestomathie*, 36-62.

[27] ibid, 27.

Published papyri

Publication of the important pieces in the collections from Upper Egyptian sites began at the end of the last century. Two Arabic papyri, one of which is now in the Staatliche Museen in Berlin (P. Berol. 8505) and the other in the Universitätsbibliothek in Leipzig, were published in 1880 by Loth,while they were still in the possession of the author.[28] These were the first Arabic papyrus documents to be made available since the appearance of the documents from Saqqāra published by Silvestre de Sacy in the first half of the century and subsequently republished on a number of occasions.[29] It should be noted, however, that a few Arabic protocol texts on papyrus (for which see below) were published before the appearance of Loth's article, e.g. an Arabic protocol at the beginning of a scroll containing a bull of Pope John VIII of 876 AD in the Bibliothèque Nationale, Paris,[30] and three Arabic protocols at the beginning of Coptic documents from the Egyptian Museum, Cairo.[31]

The nascent discipline of Arabic papyrology was given a sound foundation by a series of masterly studies of selected papyri and paper documents from the Erzherzog Rainer collection by Karabacek.[32] He also made short descriptions of 366 Arabic

[28] O. Loth, "Zwei arabische Papyrus", *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, XXXIV (1880), 685-91.

[29] The Saqqāra documents were republished in the following places: J. B. Silvestre, *Paléographie universelle*, I, Peuples orientaux (Paris, 1839), 190-2, pl. 1; idem, *Universal Palaeography* (tr. into English with corrections and notes by F. Madden, London, 1850), 84ff, pl. xxix; W. Wright (ed), *The Palaeographical Society. Facsimiles. Manuscripts and Inscriptions (Oriental Series)* (London, 1875-83), pl. 5.

[30] M. Champollion-Figeac, *Chartes latines sur papyrus, du VIe siècle de l'ère chrétienne, appartenant à la Bibliothèque Royale* (Paris, 1835), pl. 1.

[31] F. Lenormant, *Essai sur la propogation de l'alphabet phénicien dans l'ancien monde* (Paris, 1872), pls. 19-21; E. Revillout, *Mélanges d'épigraphie et de linguistique égyptienne*, Mélanges d'Archéologie Égyptienne et Assyrienne, II (Paris, 1875), pl. 1ff, 194; idem, *Actes et contracts des Musées égyptiens de Boulaq et du Louvre*, I, Études Égyptologiques, V (Paris, 1876), 1, 90, 94.

[32] J. von Karabacek: "Der Papyrusfund von El-Faijûm", *Denkschriften der kaiserlichen Akademie der Wissenschaften: philosophisch-historische Classe* [Vienna], XXXIII (1883), Erste Abtheilung, 207-42; "Eine merkwürdige arabische Namensunterschrift", *Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer*, I (Vienna, 1886), 126; "Das arabische Papier" [see n. 9 above], 87-178; "Neue Quellen zur Papiergeschichte", *Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer*, IV (Vienna, 1888), 75-122; "Die Involutio im arabischen Schriftwesen", *Sitzungsberichte der kaiserlichen Akademie der Wissenschaften: philosophisch-historische Classe* [Vienna], CXXXV, (1896), Abhandlung no. 5, 1-26.

papyri from the Vienna collection in the exhibition catalogue *Führer durch die Ausstellung* (PERF 550-916).[33] Grohmann published the Arabic and bilingual (Arabic-Greek) papyrus protocol texts from the Erzherzog Rainer collection[34] and had planned to publish a subsequent volume of administrative documents, but due to the economic depression in Austria the volume could not be printed. Many of these documents were eventually published in a series of articles.[35] Grohmann, whose manifold publications dominate the field of Arabic papyrology, also edited corpora of documents from other collections, the largest of which include his editions of papyri from the Egyptian Library,[36] the Staatlichen Museen in Berlin,[37] and the Wessely collection in Prague.[38] In each case he culled from the collection miscellaneous documents that were suitable for publication. (A

[33] *Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung*, ed. Karabacek *et al.* (Vienna, 1894), 137-243. Karabacek had prepared a full edition of 350 documents which was to appear as a volume in the series Corpus Papyrorum Raineri but this work was never completed (see Grohmann, *Einführung und Chrestomathie*, 57).

[34] A. Grohmannn, *Protokolle*, Corpus Papyrorum Raineri Archiducis Austriae, III, Series Arabica, I/2 (Vienna, 1924).

[35] Grohmann: "Aperçu de papyrologie arabe", *Études de Papyrologie*, I (1932), 23-95; "Ein Qorra-Brief vom Jahre 90 d.H", *Aus fünf Jahrtausenden morgenländischer Kultur. Festschrift Max Freiherrn von Oppenheim zum 70. Geburtstage* (Berlin, 1933), 37-40; "Eine arabischer Grundsteuerquittung vom Jahre 297 d.H. (909/10 n. Chr.) aus dem Amtsbereich eines 'Abbasidenprinzen", *Mémoires publiées par les membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire*, LXVIII (1935-40) (*Mélanges Maspéro*, III), 9-13; "Texte zur Wirtschaftsgeschichte Ägyptens in arabischer Zeit", *Archiv Orientální*, VII (1935), 437-72; "Ein arabischer Steuerpapyrus aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer", *Zeitschrift für die neutestamentliche Wissenschaft und die Kunde der älteren Kirche*, XXXVII (1938), 52-3; "Einige bemerkenswerte Urkunden aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer an der Nationalbibliothek zu Wien", *Archiv Orientální*, XVII/3 (1950), 80-119.

[36] Grohmann, *Arabic Papyri in the Egyptian Library* (6 vols, Cairo, 1935-62).

[37] Grohmann, "Arabische Papyri aus den Staatlichen Museen zu Berlin", *Der Islam*, XXII (1935), 1-68.

[38] Grohmann, "Arabische Papyri aus der Sammlung Carl Wessely im orientalischen Institut (Orientální Ustav) zu Prag", *Archiv Orientální* X (1938), 149-62 (nos 1-8); XI (1939), 242-89 (nos 9-28); XII (1941), 1-112 (nos 29-49); XIV (1943) 161-260 (nos 50-96).

small corpus of the papyri from Berlin had been published earlier by Abel.)[39] Other monograph publications of miscellaneous documents from a single collection include those of Dietrich (Hamburg),[40] Margoliouth (Manchester)[41] and Khan (London),[42] while Dietrich and, more recently, Diem have published volumes devoted to Arabic papyrus letters from the collections of Hamburg[43] and Heidelberg[44] respectively.

In 1901 a cache of papyrus letters written by Qurra b. Sharīk, the Umayyad governor of Egypt from 90-96/709–714, was discovered in the Upper Egyptian village of Kom Eshqaw, 7 km south-west of Ṭimā, formerly known as Aphrodito in the Greek sources. Some of these letters are written in Arabic, some in Greek, and some are bilingual (Arabic and Greek). They subsequently found their way into various papyrus collections. The Arabic and bilingual letters in the Heidelberg collection were published by Becker, who also brought together Arabic letters of Qurra b. Sharīk from several different collections.[45] Abbott edited the Arabic letters of this governor in the Oriental Institute of Chicago.[46] Those in the Egyptian Library were included in Grohmann's publication of papyri from that collection.[47] A fragment of a letter from Qurra in St Petersburg was published by

[39] L. Abel (ed), *Aegyptische Urkunden aus den königlichen Museen zu Berlin. Arabische Urkunden* (2 parts, Berlin, 1896-1900).

[40] A. Dietrich, *Arabische Papyri aus der Hamburger Staats- und Universtitäts-Bibliothek*, Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes, XXII/3 (Leipzig, 1937).

[41] D. S. Margoliouth, *Catalogue of Arabic Papyri in the John Rylands Library, Manchester* (Manchester, 1933).

[42] G. Khan, *Arabic Papyri* [see n. 8 above]; idem, *Bills, Letters and Deeds. Arabic Papyri of the 7th to 11th Centuries*, The Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art, VI (London and Oxford, 1993).

[43] A. Dietrich, *Arabische Briefe aus der Papyrussamlung der Hamburger Staats- und Universtitäts-Bibliothek*, Veröffentlichungen aus der Hamburger Staats- und Universitäts-Bibliothek, V (Hamburg, 1955).

[44] W. Diem, *Arabische Briefe auf Papyrus und Papier aus der Heidelberger papyrus-Sammlung* (Wiesbaden, 1991).

[45] C. H. Becker: *Papyri Schott-Reinhardt*, I, Veröffentlichungen aus der Heidelberger Papyrus-Sammlung, III/1 (Heidelberg, 1906); "Arabische Papyri des Aphroditofundes", *Zeitschrift für Assyrologie und verwandte Gebiete*, XX (1907), 68-104; "Neue arabische Papyri des Aphroditofundes", *Der Islam*, II (1911), 245-68.

[46] N. Abbott, *The Kurrah Papyri from Aphrodito in the Oriental Institute* (Chicago, 1938).

[47] Grohmann, *Arabic Papyri in the Egyptian Library*, 146-163.

Jernstedt.[48] More recently Rāghib has published Qurra letters that have been discovered in the Sorbonne.[49] These letters of Qurra b. Sharīk cast a great deal of light on the otherwise poorly documented Umayyad administration of Egypt.

Becker's works on the Qurra papyri[50] were the first publications to gather together papyri of the same type from various collections. The same approach was taken by Grohmann in his volume on protocol texts[51] which, in addition to the material in the Rainer collection, also contains all the Arabic and bilingual protocols in other collections that were known to the author at the time of writing. Jahn made a study of formulae in Arabic letters and published a short corpus of Arabic papyrus letters from the collections in Vienna and Heidelberg.[52] Rāghib has gathered together from various papyrus collections letters and documents from the archives of a family of merchants.[53] Most recently a chrestomathy of Arabic papyri, based on material compiled by Grohmann and containing samples of many types of documents from various collections, has been published by Khoury.[54] Furthermore, all known papyri written in Judaeo-Arabic (i.e. Arabic in Hebrew script) have been assembled from various collections and published together by Blau and Hopkins.[55]

The analysis of the Arabic papyrus documents in most of the aforementioned publications concentrates on details of their socio-economic setting, the background of personal names, the

[48] P. Jernstedt, "Die Kome-Aphrodito Papyri der Sammlung Lichačov", in G. Zereteli, (ed.), *Papyri Russicher und Georgischer Sammlungen*, IV (Tiflis, 1927), 92-3.

[49] Y. Rāghib, "Lettres nouvelles de Qurra b. Sharīk", *Journal of Near Eastern Studies*, XL (1981), 173-87.

[50] Becker, *Papyri Schott-Reinhardt.*

[51] Grohmann, *Protokolle.*

[52] K. Jahn, "Vom frühislamischen Briefwesen. Studien zur islamischen Epistolographie der ersten drei Jahrhunderte der HIğra auf Grund der arabischen Papyri", *Archiv Orientální*, IX (1937), 153-200.

[53] Y. Rāghib, *Marchands d'étoffe du Fayyoum au III^{e}/IX^{e} siècle, d'après leurs archives (actes et lettres)*, I-II, Suppléments aux Annales Islamologiques, II, V (Cairo, 1982-5).

[54] R. G. Khoury, *Chrestomathie de papyrologie arabe, préparée par Adolf Grohmann; retravaillée et élargie par Raif Georges Khoury* (Leiden, New York and Cologne, 1993).

[55] J. Blau and S. Hopkins, "Judaeo-Arabic Papyri - Collected, Edited, Translated and Analysed", *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, IX (1987), 87-160.

identification of place names and comparisons with other extant documents with regard to certain words and phrases. The grammar of Arabic papyri has now been systematically examined by Hopkins,[56] while Diem, in his recent volume of Arabic letters from Heidelberg, has contributed both to the study of the grammar and the formulaic phraseology employed.[57]

Several Arabic papyri have been discovered at sites outside Egypt: two Arabic papyri from Damascus are now in the Oriental Institute, Chicago;[58] a small number were unearthed at Sāmarrā' by the German excavations of 1911;[59] thirteen Arabic papyri from the period 52/672-70/689 were discovered at 'Awjā' al-Ḥafīr (Nessana), near Be'ersheva, by the H. Dunscombe Colt expedition of 1936-7;[60] and a large number of papyri, most of which date from the first two centuries AH and nearly all of which are in a very fragmentary condition, were discovered in Khirbat al-Mird in the Judaean desert in the 1950s.[61]

The papyrus roll and its manufacture

Evidence concerning the cultivation of papyrus in antiquity comes from the accounts of Classical authors, who recorded that the plant was grown in plantations, many of which were located in the swampy areas of the Delta.[62] Moreover, two extant Greek papyri from the early Roman period — one of 13-14 BC and the

56 Hopkins, *Studies in the Grammar of Early Arabic* [see n. 19 above].

57 Diem, *Arabische Briefe*.

58 N. Abbot, "Arabic Papyri of the Reign of Ǧa'far al-Mutawakkil 'alā-allāh (AH 232-47/AD 847-61)", *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, XCII (1938), 88-135.

59 E. Herzfeld, *Erster vorläufiger Bericht über die Ausgragungen von Samarra* (Berlin, 1912), pl. xxxvi b.

60 C. J. Kraemer, "The Colt Papyri from Palestine", *Actes du v^e congrès international de papyrologie* (Brussels, 1938), 238-44; idem, *Excavations at Nessana*, III (Princeton, 1958).

61 A selection was published by Grohmann, *Arabic Papyri from Khirbet el-Mird* (Louvain, 1963). For the literary papyri, see the publications of Abbott and Khoury referred to above (nn. 20 and 21).

62 e.g. Theophrastus, *Historia Plantarum*, ed. F. Wimmer (Leipzig, 1854), IV. xviii. 3; Strabo, *Geographica*, ed. G. Kramer (Berlin, 1852), XVII. i. 15; Pliny, *Naturalis Historia*, ed. C. Mayhoff (Leipzig, 1875), XIII. xxii. 71.

other of 5 BC — contain leases of papyrus plantations.[63] It is presumed that this type of cultivation in plantations was continued during the first few centuries after the Arab conquest of Egypt in 640 AD, although we have no direct evidence for this. We also know from Classical sources that papyrus grew in Mesopotamia, along the Euphrates,[64] and this was apparently still the case in the early Arab period. Papyrus plants were also cultivated in Sicily well into the Middles Ages, but according to Ibn Ḥawqal most of the papyrus grown there was used to make cordage for ships, and the small amount of writing material that was produced was for the exclusive use of the sultan.[65]

Arabic sources, such as Abū Ṣāliḥ and al-Ya'qūbī, mention numerous papyrus mills that were active in Egypt in the early Islamic period,[66] as well as one in Sāmarrā' which was established by the caliph al-Mu'taṣim in 221/836.[67] Egyptian papyrus mills were also mentioned in the Arabic protocols placed at the beginning of papyrus rolls.[68]

A systematic description of the manufacture of papyrus in Classical antiquity was given by Pliny the Elder,[69] who reported that the strips were laid on boards moistened with water from the Nile, whose mud content served as a binder.[70] Modern analysis of ancient papyri has revealed that the strips were held together by the natural gummy substance contained in the cell sap of the papyrus pith and released when the plant cells were crushed, and the Nile water appears to have had no agglutinative function at all.[71] The papyrus was dried and then rubbed smooth with a piece of ivory or a shell, and, as the final stage in the process, a

63 *Aegyptische Urkunden aus den königlichen Museen zu Berlin. Griechische Urkunden*, IV (Berlin, 1904-12), nos. 1121, 1180.

64 Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxii. 73. The papyrus plant seems to have been introduced into Mesopotamia by the Seleucids in the 3rd century BC, probably because of the interruptions in the supply from Ptolemaic Egypt; see Lewis, *Papyrus in Classical Antiquity*, 11.

65 Ibn Ḥawqal, *al-Masālik wa-l-mamālik*, 86.

66 Abū Ṣāliḥ, *The Churches and Monasteries of Egypt and Some Neighbouring Countries Attributed to Abu Salih, the Armenian*, ed. and tr. B. T. A. Evetts (Oxford, 1895), 66; al-Ya'qūbī, *Kitāb al-Buldān*, ed. M. J. de Goeje (Leiden, 1892), 126, 127.

67 al-Ya'qūbī, *al-Buldān*, 39; idem, *Tārīkh*, ed. M. T. Houtsma (Leiden, 1883), II, 577.

68 e.g. Grohmann, *Protokolle*, nos. 116, 140, 162, 204.

69 Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxiii. 74 - xxvi. 82.

70 ibid, XIII. xxiii. 77.

71 Lewis, *Papyrus in Classical Antiquity*, 47-9.

mallet was used to beat flat any remaining puckers, ridges or similar imperfections in the surface.[72]

The only description of the manufacture of papyrus in the Arabic sources is by Abū al-'Abbās al-Nabātī, who died in 637/1239 and, therefore, lived in a period long after papyrus had ceased to be produced.[73] According to al-Nabātī, the Eyptians of former times split the stalk of the papyrus into two halves and cut the pith vertically into strips. The strips were laid out side by side on a smooth piece of wood, and a second row of strips was laid over them at right angles. Unlike Pliny, al-Nabātī referred explicity to the use of an artificial adhesive (*luzūja*). He recorded that the two layers of papyrus were pressed together and stuck with an agglutinative substance produced by dissolving seeds of the blue lotus (*Nymphaea coerulea* Sav.) in water. When dry, the sheet was beaten with a wooden beetle until all roughness was removed from it.

The size of papyrus sheets varied considerably in the Arab period. Grohmann has found that they ranged in width from 12.7 cm to 37 cm, and in height from 30 m to 58 cm.[74] Similar variations were found in the width and height of papyri in antiquity.[75]

In the Arab period, as in the Classical period, different qualitites of papyrus were produced. The Romans had terms for these - *charta emporitica* (commercial papyrus) for rough sheets not suitable for writing and used for wrapping merchandise, and *Augusta* and *Liviana* for extremely thin varieties.[76] An inferior type of papyrus corresponding to *charta emporitica* appears to have been used in the Arab period, for there are a number of references in Arabic papyri to the use of papyrus sheets for wrapping items such as jewels, medicine and garments.[77] Some

[72] Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxv. 81.

[73] The description was included by al-Nabātī's pupil Ibn al-Bayṭār in his *Jāmi'*, (I, 87).

[74] Grohmann, *Allgemeine Einführung in die arabischen Papyri, nebst Grundzügen der arabischen Diplomatik*, Corpus Papyrorum Raineri Archiducis Austriae, III, Series Arabica, I/1 (Vienna, 1924), 40-1.

[75] Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxiv. 78; Lewis, *Papyrus in Classical Antiquity*, 56.

[76] See Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxiii. 74, 76. Isidore of Seville (*Origines*, ed. W. M. Lindsay [Oxford, 1911], VI, 10) reports slightly different names for these grades of papyrus: *emporetica*, *Augustea* and *Libyana*.

[77] Khan, *Arabic Papyri*, 149.

Arabic official documents are written on particularly fine papyrus.[78]

Papyrus was not sold by the manufacturer as separate sheets but the sheets were pasted together to form a roll. One reason for this may have been that papyrus tended to fray at the edges. The vertical edges of sheets are particularly liable to damage by handling. In a roll these edges were eliminated. The sheets overlapped at the joins by varying amounts, usually about 2 cm in both the Greek and the Arab period.[79] The right edge of each sheet covered the left edge of the following sheet. Any roughness in the joins was smoothed down with the result that they did not offer any obstacle to the pen and were barely visible. On the inside surface facing inwards the papyrus fibres ran parallel to the length of the roll (i.e. its long axis). This arrangement was designed to minimise the chance of fibres coming apart. The vertical fibres on the outside are bent away from each other when rolled. If they were on the inside they would be pushed against one another and liable to spring loose. Moreover, if the horizontal fibres were on the outside the sheet joins would be subjected to strain when the roll was rolled up and the ends of the fibres liable to fray.

The scribe wrote on the protected inside of the roll. If there was cause to write on both sides, the inside of the roll was always written on first. We may, therefore, refer to the inward facing side as the recto and the outward facing side as the verso. When a piece was cut off the roll for a document or letter the scribe likewise wrote on the side that was originally inside the roll. In the Arab period nearly all the extant documents on the recto of the papyrus were written perpendicular to the fibres. That the side in question was the inside of the roll is shown by the fact that any joins of sheets that occur in the extant documents are parallel with the lines of writing. The practice of writing documents across the fibres is found in papyri since antiquity.

Lengthy documents had the form of *rotuli*, i.e. rolls that are unrolled vertically. Literary texts, on the other hand, were usually written on the roll in columns, with the lines running parallel with the fibres and perpendicular to the joins of the sheets. This type of roll was read horizontally. In the Byzantine period there was an increasing use of the codex for literary texts, and in the Arab period most of the extant papyri containing Arabic literary texts

[78] Khan, *Arabic Papyri*, nos. 1 and 2.

[79] Grohmann, *Allgemeine Einführung*, 42.

are also leaves from codices. However, the papyrus roll in Heidelberg containing the collection of traditions of ʿAbd Allāh b. Lahīʿa[80] is written in the form of a *rotulus.*

The reason why documents were written across the fibres may have been to economise on papyrus. If the scribe wrote a short document along the fibres and cut it from the roll he would be likely to leave an awkward shape at the end of the roll.[81]

In both the Greek and Arab periods the first sheet of the roll was preceded by a preliminary sheet (*protokollon*) which, when attached, was turned back to front so that its fibres were vertical on the inside surface of the roll. In other words the fibres of the preliminary sheet were perpendicular to the fibres of the sheets in the rest of the roll. The purpose of this was to prevent the fibres of the first sheet from fraying.[82]

The inner side of this preliminary sheet bore a text known as the protocol. This was written in Greek, following the Byzantine tradition, until 74/693–4 or 75/694–5, when, at the instance of the caliph ʿAbd al-Malik, bilingual (Greek and Arabic) protocols were introduced, and from the time of the caliph Hishām (*reg.* 724–43 AD) texts in Arabic alone were placed in this position. The Arabic protocols contained the *basmala*; various religious formulae, including the Quranic verses 3:173, 9:33 and 9:61, and a prayer for the Prophet (*taṣliya*); the names of the current caliph, the governor of Egypt or the head of the provincial treasury or both, and sometimes those of other high-ranking officials; and the name of the place where the papyrus was produced and often also the name of the supervisor of the papyrus mill. It appears that the manufacture of papyrus was a state monopoly in the Arab period, as it was in pre-Islamic Egypt, and the function of the protocol texts was to certify that a roll was produced by a state papyrus mill and so to protect the monopoly.[83]

All the extant protocol texts in Arabic were written with thick strokes, possibly produced by a brush, and in some of the later protocols coloured inks were used for parts of the text. The

80 See references cited in note 21, p. 4 of this article.

81 For details concerning papyrus rolls, see E. G. Turner, "The Terms Recto and Verso. The Anatomy of the Papyrus Roll", *Actes du XVe Congrès International de Papyrologie*, première partie (Brussels, 1978), 15–53.

82 ibid, 21.

83 Grohmann, *From the World of Arabic Papyri*, 39–42.

protocol sheet was sometimes cut off the roll, and the reverse reused for other texts.

The protocol sheet, which was, of course, wrapped around the outside of the papyrus roll, was generally made of thicker papyrus than the other sheets. Sometimes rolls were given the additional protection of parchment wrappers or were stored in receptacles of a hard material such as glass or clay. We learn from Pliny that in the Roman period a papyrus roll consisted of 20 sheets,[84] and this also appears to have been the case in the Arab period. Papyrus was sold either in complete rolls or in sections constituting one sixth of the roll. Such sections were known in Arabic as *ṭūmār*, from Greek *tomarion.* The length of segments of papyrus shorter than a 20-sheet roll were usually expressed as multiples or fractions of a *ṭūmār.*[85] Sometimes a small segment was referred to simply as *qiṭʿat qirṭās* ("a piece of papyrus").

Most Arabic papyri were written with a split reed pen (*qalam*). This had the same form as the Roman *calamus*, from which it derived its name. In some papyri the split reed has left a double line in the strokes of the letters. Occasionally the papyri bear an exceedingly thick script which must have been written with another type of instrument, possibly a bulrush cut on a slant or a brush. The ink was usually made from soot and is black in colour, but one sometimes finds a rusty-brown ink, which was presumably made from gallnuts.[86]

Papyrus was relatively expensive. A roll could cost as much as one and a half *dīnār*s in the 9th century AD, a time when one *dīnār* was the annual rent of a *faddān* of arable land or of a shop, for example. As a result, most people took pains to use papyrus economically, and the blank verso of a sheet was frequently used to write another text. Sometimes this second text had no relationship to the text on the recto, but on occasion the addressee of a letter used the blank verso to write his reply, although this was considered to be impolite. When the caliph al-Muʿtaṣim received a letter from the Byzantine emperor, for example, he had his reply written on the reverse, clearly with the intention of expressing his contempt for the emperor. The authors of replies written on the verso of the original letter often felt obliged to

84 Pliny, *Naturalis Historia*, XIII. xxiii. 77.

85 Grohmann, *From the World of Arabic Papyri*, 43–4.

86 ibid, 62–8.

apologise, and in doing so they usually employed the formula *i'dhirnī fī al-qirṭās* ("forgive me concerning the papyrus").

In this paper I have given a brief survey of the growth of the discipline of Arabic papyrology and a description of various codicological aspects of Arabic papyri. I have made only fleeting reference to the importance of such papyri for the study of Arabic script, language and history.

In most respects Arabic papyrology is still relatively undeveloped. Its potential has certainly not been realised to the same extent as Greek papyrology. Thousands of Arabic papyri that have been preserved in the various collections remain unpublished. It is clearly a desideratum for these texts to be made available in published editions and for them to be granted the scholarly attention they deserve.

L'EMPLOI DU PARCHEMIN DANS LES MANUSCRITS ISLAMIQUES

Quelques remarques liminaires

FRANÇOIS DÉROCHE

Jusqu'au moment où le papier s'imposa de manière absolue, le parchemin (en arabe: *raqq, riqq*; également: *jild*) occupa aux côtés du papyrus une position privilégiée dans la fabrication des manuscrits; on ne le cantonna certes pas dans ce seul emploi, comme le montrent les nombreux documents sur parchemin que l'on inclut traditionnellement dans le domaine de la papyrologie arabe — mais dont nous ne parlerons pas dans le cadre de cet exposé, consacré au livre. En dépit de son ancienne suprématie, il reste comparativement peu de vestiges de cette production, ce qui explique peut-être notre relative ignorance quant à la façon dont ce matériau fut mis en œuvre par les copistes, mais aussi par les relieurs musulmans. Afin de pouvoir un jour écrire l'histoire du parchemin dans le monde islamique, les codicologues devront explorer le matériau conservé dans les bibliothèques afin d'étudier ses divers emplois: l'observation des pratiques liées à l'utilisation de ce matériau au cours des âges et dans l'ensemble du monde musulman permettra de jeter les bases de cette histoire. Le cas échéant, on combinera ces résultats avec les données textuelles — dont l'interprétation demeure bien souvent délicate — et avec les informations que pourraient fournir les analyses physico-chimiques de parchemins anciens. Enfin la comparaison avec ce que l'on sait de la fabrication et de l'utilisation de ce matériau par d'autres communautés (en Espagne ou au Moyen-Orient par exemple) permettra éventuellement de mieux comprendre certains processus ou de mieux poser les problèmes. Il importe en tout cas de prendre conscience que l'examen minutieux des manuscrits

eux-mêmes constitue une étape indispensable pour appréhender la façon dont le parchemin fut utilisé dans le domaine du livre.[1]

Les exigences de ce vaste programme de recherches sont actuellement loin d'être satisfaites et les lignes qui suivent posent sans doute plus de questions qu'elles n'en résolvent: l'expérience que nous avons est en effet limitée à quelques centaines de manuscrits ou fragments de manuscrits, principalement des Corans, dont la provenance fait l'objet de discussions. Aussi, sauf exception, les implications géographiques de certaines de nos observations restent-elles obscures. On tentera donc plutôt de présenter une série d'études de cas à travers lesquelles on pourra analyser les emplois du parchemin dans une perspective chronologique, après un court rappel sur l'histoire et la technique de fabrication de ce matériau subjectile.

LE PARCHEMIN: ORIGINES, PRÉPARATION ET CARACTÉRISTIQUES

En dépit du nom qu'il porte dans plusieurs langues,[2] le parchemin n'a pas été "inventé" au IIe s. avant JC à Pergame.[3] Il semble qu'il ait été connu et utilisé en Orient de longue date, peut-être dès le début du Ier millénaire avant JC.[4] En dépit de son apparente

[1] On trouvera des indications utiles, bien que davantage orientées vers le domaine de la "papyrologie" arabe, dans A. Grohmann, s.v. "Djild", *EI²*, II, 533–54; idem, *Arabische Paläographie*, I, Denkschriften der Österreichischen Akademie der Wissenschaften, philosophisch-historische Klasse, XCIV (1967), 108-11; également chez J. Pedersen, *The Arabic book*, tr. by G. French, ed. with an introduction by R. Hillenbrand (Princeton, 1984), 55–7; G. Endress, "Pergament in der Codicologie des islamisch-arabischen Mittelalters", *Pergament, Geschichte - Struktur - Restaurierung - Herstellung*, P. Rück éd. (Sigmaringen, 1991), 45–6.

[2] Voir l'anglais *parchment*, l'allemand *Pergament*, le français *parchemin*, l'italien *pergameno*, etc. Le mot grec désignant le parchemin, *diphthera*, est à l'origine de l'arabe *daftar* (cf. B. Lewis, s.v. "Daftar", *EI²*, II, 78).

[3] Cf. F. Bilabel, s.v. "Membrana", *Paulys Real-Encyclopädie der classischen Altertumswissenschaft*, XV/1 (Stuttgart, 1931), col. 596–601; Pline l'Ancien serait responsable, selon Ryder, de la perpétuation de cette explication (M.L. Ryder, "The Biology and History of Parchment", *Pergament, Geschichte - Struktur - Restaurierung - Herstellung*, P. Rück éd. [Sigmaringen, 1991], 25).

[4] R. Reed, *Ancient Skins, Parchments and Leathers* (London and New York, 1972), 277; Ryder, "Biology and History", 25. Il convient toutefois d'être prudent dans l'emploi du mot *parchemin*: d'une part, la présence

simplicité, la technique de fabrication du parchemin pose des problèmes si l'on en juge par les divergences d'interprétation que l'on constate dans la littérature spécialisée; il nous paraît cependant indispensable d'évoquer ce processus pour mieux comprendre l'utilisation de ce matériau. Qu'est-ce que le parchemin? Selon la définition d'un lexique de codicologie élaboré principalement à partir de données relatives à l'Europe, c'est une "peau d'animal épilée et effleurée ayant subi un traitement non tannant (ou très peu tannant) puis un séchage sous tension la rendant propre à recevoir l'écriture sur ses deux faces".[5]

La matière première est donc d'origine animale: le mouton, la chèvre, le veau, peut-être l'âne et, selon une tradition fortement enracinée, la gazelle.[6] Comme on le verra plus loin, les textes paraissent indiquer que la peau de mouton était celle que l'on

d'écriture sur les deux côtés de la peau n'est pas un critère suffisant; de l'autre, des produits d'apparence voisine peuvent être le résultat de procédés de fabrication très différents (voir ci-dessous, n. 16).

[5] D. Muzerelle, *Vocabulaire codicologique* (Paris, 1985), 39; Ryder ("Biology and History", 25) insiste sur le fait qu'il n'y a pas de tannage, alors que Haran, qui, il est vrai, parle de *skins*, soutient qu'un traitement légèrement tannant était appliqué aux peaux au cours du processus en usage au Moyen-Orient (M. Haran, "Technological Heritage in the Preparation of Skins for Biblical Texts in Medieval Oriental Jewry", *Pergament, Geschichte - Struktur - Restaurierung - Herstellung*, P. Rück éd. [Sigmaringen, 1991], 35 et 37). Reed était également de cet avis (*Ancient Skins*, 122–3). Beit-Arié, qui distingue également entre l'Orient et l'Europe — Espagne incluse, parle cependant de *parchemin* dans les deux cas (M. Beit-Arié, *Hebrew Codicology* [Paris, 1976], 22, n. 25).

[6] Il n'y a pas eu, à notre connaissance, d'enquête sur les espèces animales utilisées. Dans l'Antiquité, les sources ne fournissent aucune indication à ce sujet (cf. Bilabel, "Membrana", col. 597). Pour le monde islamique, les auteurs qui ont parlé de l'emploi du parchemin mentionnent mouton, chèvre et veau (cf. Grohmann, *Arabische Paläographie*, I, 108; Endress, "Pergament", 45; U. Dreibholz, "Der Fund von Sanaa. Frühislamische Handschriften auf Pergament", *Pergament, Geschichte - Struktur - Restaurierung - Herstellung*, P. Rück éd. [Sigmaringen, 1991], 301). Dans les catalogues ou les albums, la peau de gazelle est fréquemment mentionnée (cf. — à titre d'exemple — A. Mousa, *Islamische Buchmalerei* [Cairo, 1931], 46 et pl. XVIII [29]; M. Ülker, *Başlangıçtan günümüze Türk hat sanatı/The Art of Turkish Calligraphy from the Beginning up to the Present* [Ankara, 1987], 110); Grohmann consacre quelques lignes à la question (*Arabische Paläographie*, I, 110). Des recettes arméniennes énumèrent en revanche les espèces utilisées: chèvre, chevreau, mouton — domestique ou sauvage, mais aussi cerf, lièvre, veau et ânon (P. Schreiner, "Zur Pergamentherstellung im byzantinischen Osten", *Codices Manuscripti*, IX [1983], 126).

employait le plus communément. Pour le IV^e/X^e s., le *Calendrier de Cordoue* donne cependant une indication intéressante: au mois de mai, lit-on, "on fait du parchemin avec de la peau de faon et de gazelle jusqu'à la fin du mois de juillet".[7] La peau des animaux sauvages passe pour être de meilleure qualité que celle des animaux domestiques;[8] ce critère technique pourrait expliquer ce choix qui ne va pas toutefois sans poser de sérieux problèmes économiques si l'on réfléchit à la quantité de peaux nécessaires à la confection de manuscrits un peu épais. On pourrait également penser que la dénomination "peau de gazelle" fait plutôt référence à une certaine qualité de parchemin, comme le français *vélin*; une indication rencontrée dans le *Supplément aux dictionnaires arabes* de Dozy (2^e éd, Leiden/Paris, 1927) nous y invite: on y apprend en effet que *raqq ghazāl* signifie "*parchemin vierge*, la peau préparée des petits chevreaux ou agneaux morts nés".[9] Parmi les traités de *ḥisba* qui nous donnent quelques indications fugitives sur les techniques employées, celui d'Ibn ʿAbdūn, rédigé en Espagne vers la fin du V^e/XI^e s. ou au début du VI^e/XII^e, recommande de ne pas utiliser pour la préparation du parchemin "des peaux de moutons maigres";[10] on en déduira que le mouton était l'animal le plus employé et que les parcheminiers savaient que l'état de santé de l'animal déterminait la qualité du parchemin: une bête sous-alimentée fournit une peau fine et faible au grain inégal, avec éventuellement des marques laissées par les os.[11] Pourtant, certains artisans devaient être moins scrupuleux — ce qui justifiait ce rappel à l'ordre. Il est en principe possible d'identifier l'animal dont la peau a été utilisée pour faire du parchemin d'après la disposition de la racine des poils observable sur le produit fini; mais bien souvent le traitement, s'il est un peu énergique, a fait disparaître ces traces. Faute d'identification

[7] *Le calendrier de Cordoue*, R. Dozy éd., nouvelle éd. accompagnée d'une traduction française annotée par Ch. Pellat (Leiden, 1961), 90–1; nous remercions M. G. Guesdon d'avoir attiré notre attention sur ce passage.

[8] Reed, *Ancient Skins*, 37; également 106, à propos de peaux de daim employées pour confectionner du parchemin.

[9] T. I, p. 545, s.v. "Raqq". Il faut également tenir compte des réalités zoologiques: une gazelle de variété orientale doit donner une peau de 40 x 50 cm environ.

[10] E. Lévi-Provençal, *Séville musulmane au début du* XII^e *s., Le traité d'Ibn ʿAbdun sur la vie urbaine et les corps de métier* (Paris, 1947), 133, no. 219 (= traduction); idem, *Documents arabes inédits sur la vie sociale et économique en Occident musulman au moyen-âge*, Première série, *Trois traités hispaniques de ḥisba (texte arabe)* (Cairo, 1955), 59 (= texte arabe).

[11] Reed, *Ancient Skins*, 37.

précise, on parlera de *parchemin*; le terme *vélin* doit être réservé au parchemin fabriqué à partir de la peau d'un jeune veau.

Le parcheminier commençait par éliminer le poil: des recettes médiévales de l'Occident nous apprennent que la peau de l'animal était plongée dans un bain de chaux afin d'arracher plus facilement la toison. Au IV^e/X^e s., cette technique est connue de l'auteur du *Fihrist* qui mentionne une pâte épilatoire, *nūra*, composée de chaux et d'arsenic[12]; elle présente, dit-il, l'inconvénient de rendre la peau sèche. Une autre technique, en usage à Kūfa, permettait d'obtenir une peau souple grâce à l'emploi d'une préparation à base de dattes.[13] L'emploi de la chaux, qui est attesté au Moyen-Orient au III^e/IX^e s.,[14] est indiqué dans une recette de préparation du parchemin qui figure dans un manuscrit latin copié au VIII^e s. en Italie, le MS Lucques, Biblioteca capitolare 490; deux hypothèses s'affrontent: dans l'une, le traitement des peaux dans un bain de chaux aurait été, sinon inventé par les Arabes, du moins transmis par eux aux Européens,[15] alors que dans l'autre la diffusion de cette technique aurait eu lieu dans le sens inverse.[16] L'utilisation de dattes est

[12] Cette composition ne figure pas dans le texte; elle est indiquée dans différents dictionnaires — qu'il s'agisse d'arabe, de turc ou de persan — et par B. Dodge, *The Fihrist of al-Nadīm* (New York and London, 1970), I, 40, n. 92.

[13] Ibn al-Nadīm, *al-Fihrist*, G. Flügel éd. (Leipzig, 1871-2), 21; B. Dodge, *The Fihrist*, 40.

[14] Il est mentionné par R. Hay Gaon (Iraq, fin IX^e s.), cf. A. Harkavy, *Studien und Mittheilungen aus der kaiserlichen öffentlichen Bibliothek zu St Petersburg*, I/4 (Berlin, 1887), 28. Nous avons une dette particulière vis à vis de M. Garel qui a été un guide précieux dans ces passages délicats.

[15] Reed, *Ancient Skins*, 135–6; Ryder, "Biology and History", 27.

[16] Pour Schreiner, la méthode était connue dans l'Antiquité ("Zur Pergamentherstellung", 126); également Haran, "Technological Heritage", 42. Ces divergences, dues en partie à la difficulté d'interprétation des sources textuelles, ne retirent rien à l'intérêt d'une démarche comparatiste en codicologie. La confrontation des différentes traditions manuscrites dans des régions comme le Moyen-Orient ou l'Espagne peut compléter une information souvent indigente. Nous en voulons pour preuve la question du sciage des peaux dans le sens de l'épaisseur — il s'agit en somme de tirer deux feuilles d'une seule peau. M. Haran, qui considère qu'il existe deux traditions, l'une en Occident qui produit le parchemin proprement dit, la seconde en Orient donnant un produit analogue mais pas identique, estime que les parcheminiers musulmans maîtrisaient la technique de "sciage" que nous avons signalée et tiraient d'une peau le *raqq* (*raq* en hébreu) — qui correspond à la couche épaisse proche de la chair — et le *qasht*, la partie plus fine du côte poil ("Bible Scrolls in Eastern and Western Jewish Communities from Qumran to the High Middle Ages", *Hebrew Union*

quant à elle connue dans les communautés juives médiévales du Moyen-Orient.[17] La craie était-elle employée pour éliminer la graisse? Nous n'avons pas d'indication à ce sujet dans les textes. On a observé en revanche sur des feuillets de Corans copiés en écriture *ḥijāzī* (et donc datables de la fin du I^er^/VII^e^ ou du début du II^e^/VIII^e^ s.) la présence d'une couche crayeuse qui pourrait correspondre à cette opération, à moins que ce procédé n'ait visé à donner une apparence plus homogène que deux côtés des feuillets.[18] Reed mentionne l'emploi de craie ou de plâtre pour contrôler le séchage de la peau mise sous tension.[19]

Du côté chair de la peau, l'écharnage permettait d'éliminier avec un outil (une lame, par ex.) les résidus de chair et de graisse; le texte d'Ibn ʿAbdūn semble insister sur ce point: "on ne doit apprêter que du parchemin raclé" — à moins qu'il ne mette l'accent sur la phase suivante, celle de la finition.[20] Après lui, ʿUmar al-Garsīfī (début du VII^e^/XIII^e^ s.?) reviendra sur ce sujet:

College Annual, LVI [1985], 47–50). Outre un texte souvent invoqué de Maïmonide (*Mishne Tora*, II Hilkhot tephillin 6–7), M. Haran cite un *responsum* du même Maïmonide où figurent les noms de ces produits, mais il lit *qsht*, là où l'on trouve *qnṭ* dans le texte édité par Blau (J. Blau, *R. Moses ben Maimon Responsa* (Jerusalem, 1957-60), I, 268, 1.7, pour les textes arabe et hébreu). La littérature arabe ne paraît pas avoir conservé de trace de cette technique, et si la racine *qsht* offre un sens raisonnable, il n'existe pas d'attestation d'un mot *qashṭ* désignant une variété de parchemin dans les dictionnaires consultés (on retrouvera en revanche cette racine à propos du palimpseste: voir n. 94). La technique serait pourtant ancienne: avant Maïmonide, qui vécut en Egypte au XII^e^ s., elle est visée par un *responsum* antérieur, daté du IX^e^ s., à une époque où le parchemin était encore produit couramment. Au terme de son étude, M. Haran reconstitue ainsi le procédé arabe de fabrication du *raqq* et du *qashṭ*: (i) la peau était salée pendant 2 ou 3 jours; (ii) elle était alors plongée dans un bain d'eau et de chaux; (iii) après cela, on la séchait sous tension sur des cadres de bois et le poil qui subsistait était alors éliminé; c'est également au cours de cette étape que *raqq* et *qashṭ* étaient séparés ("Bible Scrolls ", 48–9). Comme on le voit, à l'exception de la dernière étape, le processus est en fait très voisin de celui que l'on connaissait en Europe. Ajoutons que nous n'avons pas pu vérifier l'existence, dans nos manuscrits, de parchemin obtenu par division de la peau.

17 Haran, "Technological Heritage", 36; idem, "Bible Scrolls", 36–7.

18 Dreibholz, "Der Fund von Sanaa", 301. Un examen microscopique réalisé récemment sur le ms Paris, BN Arabe 5935 semble indiquer la présence d'un traitement de la surface du parchemin par application d'un produit dont la nature reste à déterminer.

19 Reed, *Ancient Skins*, 147.

20 Lévi-Provençal, *Documents arabes*, 59 (texte arabe) = *Séville musulmane*, 133, n° 219 (traduction).

"le *muḥtasib* surveillera particulièrement les papetiers; … il en sera de même pour les parcheminiers quant au choix de la peau: celle-ci sera uniformément raclée et nettoyée".[21] Il n'est pourtant pas sûr que, dans le monde islamique, on ait ensuite procédé à un ponçage méthodique de la peau, de manière à faire disparaître la différence entre les deux côtés. La phase essentielle du traitement consistait à laisser sécher la peau tendue sur des cadres; il fallait de l'espace que des parcheminiers andalous trouvaient dans les allées des cimetières, si bien qu'Ibn ʿAbdūn doit rappeler qu' "il ne faut pas qu'on étende sur le sol même des allées (*sc.* du cimetière) des objets malpropres, tels que les peaux des tanneurs et des parcheminiers".[22]

A en juger par les manuscrits sur parchemin qui ont été conservés, la plus grande diversité existe en ce qui concerne la qualité du parchemin. Celle-ci dépend de plusieurs facteurs que nous énumérerons brièvement. Comme on peut l'imaginer, les différentes espèces animales utilisées ne donnent pas des peaux de qualité identique; deux bêtes de la même espèce et de la même race ne donneront pas forcément des peaux de même qualité puisque, comme on l'a déjà observé, l'état de l'animal — et plus particulièrement de sa peau — a une incidence sur le produit fini. Des blessures, des piqûres ou des coups reçus antérieurement à l'abattage ont laissé leurs marques sur la peau qui peut avoir été également abîmée par endroits au cours de la préparation: ces diverses lésions laisseront des traces sur le parchemin, généralement sous forme de trous de forme circulaire ou ovale. A l'occasion, on a tenté de remédier à cela en cousant les deux lèvres du trou. Dans le MS Paris, Bibliothèque Nationale (BN) Arabe 6095, une fine membrane parcheminée a été collée sur les trous qu'il fallait dissimuler, par ex. aux ff. 3, 5, 28.[23] Lors de la préparation de la peau, les tensions auxquelles elle est soumise

21 Lévi-Provençal, *Documents arabes*, 124 (texte arabe); R. Arié, "Traduction annotée et commentée des traités de ḥisba d'Ibn ʿAbd al-Raʾūf et de ʿUmar al-Garsīfī", *Hespéris Tamuda*, I (1960), 371.

22 Lévi-Provençal, *Documents arabes*, 27, 1. 17–8 (texte arabe) = *Séville musulmane*, 60, n° 54 (traduction).

23 F. Déroche, *FiMMOD* [= *Fichiers des manuscrits moyen-orientaux datés*, Nouvelles des Manuscrits du Moyen-Orient, I- (Paris, 1992-)], n° 16; également dans le MS BN Arabe 6499, (G. Humbert, *FiMMOD*, n° 65; voir également plus bas) au f. 164. Le Moyen-Age connaissait le parchemin transparent (cf. Reed, *Ancient Skins*, 143–5, ainsi que ce qui est dit du *goldbeaters' parchment* p. 131).

peuvent faire apparaître des zones translucides que l'on appelle *yeux*, comme c'est le cas au f. 47 du MS BN Arabe 6090.[24]

Indépendamment de ces accidents, un autre facteur dont il faut tenir compte est la qualité du travail de préparation du parchemin lui-même: l'artisan peut en effet avoir travaillé avec plus ou moins de soin ou de vigueur. Comme on l'a déjà vu, les parcheminiers ne semblent pas avoir veillé à éliminer la différence d'aspect entre les côtés *poil* (ou *fleur*) et *chair*: le second est plus blanc que le premier, qui laisse au toucher une impression de "velouté". L'encre accroche plus facilement le côté poil: on le remarque particulièrement bien dans des exemplaires du Coran copiés dans l'une ou l'autre des écritures abbassides anciennes de grand module.[25] En tenant le manuscrit ouvert de manière à rendre simultanément apparentes les marges de plusieurs feuillets consécutifs, la différence apparaît d'ordinaire aisément.[26] Le côté fleur a parfois conservé des indices plus explicites: les poils se maintiennent plus facilement sur le pourtour des trous dont nous avons signalé l'existence précédemment et sur les bords de la peau; on en voit un exemple dans le MS Paris, BN Arabe 6095, au f. 39 v°.[27] Il arrive que le travail d'épilation ait été mené de manière imparfaite et que des poils subsistent en des endroits en principe moins difficiles à traiter que ceux qui viennent d'être mentionnés. Sur plusieurs manuscrits maghrébins, comme les MSS Paris, BN Arabe 5935[28] ou 6090,[29] la racine des poils est encore apparente, affleurant la surface du parchemin. Du côté chair, l'outil utilisé au cours de l'opération d'écharnage a pu laisser

[24] E. Blochet, *Catalogue des manuscrits arabes des nouvelles acquisition (1884–1924)* (Paris, 1925), 184; Déroche, *FiMMOD*, n° 68.

[25] F. Déroche, *Les manuscrits du Coran, aux origines de la calligraphie coranique*, Bibliothèque Nationale, Catalogue des manuscrits arabes, 2e partie, Manuscrits musulmans, I/1 (Paris, 1983) [= *Catalogue*, I/1], 20; Dreibholz, "Der Fund von Sanaa", 301. On trouvera un exemple significatif dans F. Déroche, *The Abbasid Tradition, Qur'āns of the 8th to the 10th Centuries AD*, The Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art, I (London and Oxford, 1992), 62–3, n° 15.

[26] Il faut, pour que l'expérience soit probante, éviter le milieu des cahiers ou encore les premier et dernier feuillets de deux cahiers contigus (voir plus bas)

[27] Voir n. 23.

[28] F. Déroche, *Les manuscrits du Coran, du Maghreb à l'Insulinde*, Bibliothèque Nationale, Catalogue des manuscrits arabes, 2e partie, Manuscrits musulmans, I/2 (Paris, 1985) [= *Catalogue*, I/2], 34–5, n° 302 et pl. XIV a.

[29] Voir n. 24.

des traces, par ex. au f. 17 du MS Paris, BN Arabe 6095.[30] S'il existe des parchemins de qualité médiocre, il en est d'autres qui sont remarquablement finis: le MS Istanbul, Nuruosmaniye 27,[31] a été copié sur un parchemin dont les deux côtés ont été très soigneusement préparés, si bien qu'ils ne présentent pratiquement pas de différence. La façon dont la peau est utilisée pour former les cahiers du manuscrit donne également lieu à des variations dont on verra plus loin quelques exemples.

Les dimensions du parchemin sont naturellement déterminées par celles de l'animal dont la peau a été utilisée; comme on le comprend bien, il existe des différences entre les espèces utilisées, mais aussi entre les individus d'une même espèce. Plus que des dimensions minimales, qui ne présentent guère d'intérêt,[32] nous signalerons, à titre d'exemple, un manuscrit et un document qui paraissent indiquer les limites supérieures de la taille des parchemins. Les fragments du Coran, MS Paris, BN Arabe 324 comportent des feuillets abondamment rognés qui mesurent 537 x 620 mm.[33] Un document conservé à Londres, British Library Or. 4684/III, atteint 850 x 820 mm.[34]

[30] Voir n. 23.

[31] M. Lings, *The Qur'anic Art of Calligraphy and Illumination* (London, 1976), pl. 3 et 4; Ülker, *Türk hat sanatı/Turkish Calligraphy*, 105, 107; Déroche, *The Abbasid Tradition*, 90–1, n° 41; tout ou partie du premier volume de ce Coran semble être conservé à Princeton (cf. P. K. Hitti, N. A. Faris et B. 'Abd al-Malik, *Descriptive Catalogue of the Garrett Collection of Arabic Manuscripts in the Princeton University Library* [Princeton, 1938], 359, n° 1156 = 35G).

[32] Grohmann, *Arabische Paläographie*, I, 111.

[33] E. Tisserant, *Specimina codicum orientalium* (Bonn, 1914), xxxii, pl. 42; R. Blachère, *Introduction au Coran* (2e éd., Paris, 1959), 96, 99, 100; G. Bergsträsser et O. Pretzl, *Die Geschichte des Korantexts*, dans Th. Nöldeke, *Geschichte des Qorans*, III (2e éd., Leipzig, 1938), 254; Déroche, *Catalogue*, I/1, 75–7. D'autres feuillets figurent dans d'autres collections: Cairo, Dār al-Kutub (cf. B. Moritz, *Arabic palaeography* [Cairo, 1905], pl. 1–12) et Gotha, Forschungsbibliothek (cf. J. H. Möller, *Paläographische Beiträge aus den herzoglichen Sammlungen in Gotha*, 1. Heft [Erfurt, 1844], pl. XIV). Il existe d'autres manuscrits de dimensions voisines et de style comparable; selon une source non scientifique (F. Neema, "Restaurado, el Coran mas antiguo", *Excelsior*, Mexico, D.F., suppl, du dimanche 25/07/1993), le Coran de la mosquée Sayyidnā al-Ḥusayn au Caire mesurerait 700 x 600 mm (cf. S. al-Munajjid, *Dirāsāt fī ta'rīkh al-khaṭṭ al-'arabī mundhu bidāyatihi ilā nihāyat al-'aṣr al-umawī*, Beirut, s.d. [1971], p. 53–4). Selon Reed (*Ancient Skins*, 130), ces dimensions correspondraient à un parchemin préparé à partir de peau de chèvre.

[34] Grohmann, *Arabische Paläographie*, I, 111.

Avant d'être utilisé par le copiste, le parchemin pouvait être teint; comme on sait, cette pratique était bien connue dans le bassin de la Méditerranée.[35] Il est inutile de revenir sur le plus célèbre manuscrit islamique copié sur du parchemin teint, le fameux Coran bleu[36]; les artisans musulmans avaient à leur disposition d'autres coloris, comme le jaune safran ou l'orange.[37] La spécificité du parchemin explique que l'on ait également connu des encres de couleur d'un emploi réservé au parchemin: Ibn Bādīs en signale une dorée, mais aussi une autre, bleue.[38]

A la différence du papyrus dont la production est circonscrite aux quelques régions bien définies où le *Cyperus papyrus* L. peut pousser, le parchemin peut en principe être fabriqué en n'importe quel endroit, puisque la matière première est pratiquement disponible en tout lieu et que la technique est relativement simple. C'était là un avantage important: les utilisateurs ne dépendaient pas d'un approvisionnement venu d'une contrée éloignée par des routes que les circonstances politiques ou économiques pouvaient interrompre. Il est vrai que certaines villes étaient réputées pour la qualité du parchemin qu'on y fabriquait et il est permis de penser que ces produits étaient recherchés: Kūfa ou Edesse (al-Ruhā') jouissaient d'une réputation flatteuse en ce domaine,[39]

[35] Selon Bilabel, "Membrana", col. 598, l'Antiquité connaissait le parchemin teint en jaune: il cite à cet effet Isidore de Séville, "*fiebant autem coloris lutei*", qui mentionne en outre du parchemin teint en pourpre: "*membrana autem aut candida aut lutea aut pupurea sunt*" (San Isidoro de Sevilla, *Etimologías*, texto latino, version española y notas por J. Oroz Reta y M.-A. Marcos Casquero, Introduccion general por M. C. Diaz y Diaz (Madrid, 1982-3), I, 586–9 (= VI. xi. 2–5). Bilabel a remarqué dans la collection des fragments coptes sur parchemin de la bibliothèque de l'Université d'Heidelberg des exemples de coloration en jaune. Les exemples byzantins — qui ont pu influencer la production en Terre d'Islam — sont mieux connus (voir par ex. l'anecdote rapportée par Grohmann, *Arabische Paläographie*, I, 111).

[36] Deux études lui ont été consacrées par J. Bloom: "Al-Ma'mun's Blue Koran?" *Revue des Etudes Islamiques (REI)*, LIV (1986), 59–65; "The Blue Koran. An Early Fatimid Kufic Manuscript from the Maghrib", *Les manuscrits du Moyen-Orient*, F. Déroche éd., Varia Turcica VIII (Istanbul and Paris, 1989), 95–9. Une bibliographie figure dans Déroche, *The Abbasid Tradition*, 92.

[37] Pour un exemple de teinture orangée, voir *ibid*, 58, n° 11.

[38] M. Levey, *Medieval Arabic Bookmaking and its Relation to Early Chemistry and Pharmacology*, Transactions of the American Philosophical Society, New Series, LII/4 (Philadelphia, 1962), 22–3.

[39] Selon Grohmann, *Arabische Paläographie*, I, 110, qui renvoie à al-Rāghib al-Iṣfahānī et al-Bakrī; on ajoutera le passage du *Fihrist* déjà mentionné (voir n. 13).

mais les raisons — techniques,[40] climatiques?[41] — de cette excellence de nous sont malheureusement pas précisées.

SA MISE EN ŒUVRE DANS LES MANUSCRITS ISLAMIQUES

Quand on parle de manuscrits islamiques, la forme familière du *codex* s'impose spontanément à l'esprit; et s'il est vrai qu'elle est majoritaire — et de très loin — dans la production qui nous est parvenue, elle ne fut pas la seule. En ce qui concerne le parchemin, nous connaissons au moins un cas où il servit à confectionner des manuscrits qui n'étaient pas des *codices*: nous voulons parler de ces rouleaux (*rotuli* selon la terminologie en usage, et non pas *volumina*)[42] dont un petit nombre nous a été conservé. On sait que cette forme était familière au monde islamique ancien, mais peu de témoins subsistent.[43] Dans la collection du Musée des arts turc et islamique d'Istanbul,[44] on peut voir des fragments du texte coranique copiés sur des

[40] Dans le cas de Kūfa, il est permis de penser que l'emploi de la préparation à base de dattes que nous avons signalée plus haut avait une incidence sur la renommée des parchemins qui y étaient produits. Il pourrait y avoir là une relative analogie avec le cas de Pergame où, selon certains, la technique de production du parchemin aurait fait de sensibles progrès au point de valoir à la ville de passer pour le berceau du parchemin (cf. Ryder, "Biology and History", 25).

[41] Reed souligne l'importance de l'eau dans le processus de fabrication et les problèmes liés au séchage en pays chaud (*Ancient Skins*, 132, 147).

[42] *Rotulus* désigne un rouleau sur lequel les lignes d'écriture sont perpendiculaires au sens de déroulement: sur le *volumen*, les lignes sont groupées en colonnes et sont parallèles au sens de déroulement.

[43] Des rouleaux de cuir étaient utilisés par l'administration sassanide (cf. Grohmann, *Arabische Paläographie*, I, 107, et réf). La chancellerie abbasside aurait abandonné le rouleau pour le codex (ibid, 108); toutefois des *codices* documentaires de l'administration de l'Egypte omeyyade ont été conservés (voir la liste dans J. Gascou, "Les codices documentaires égyptiens", *Les débuts du codex*, A. Blanchard éd. (Turnhout, 1989), 100). Le rouleau — vraisemblablement *rotulus* — est également connu dans le domaine littéraire (cf. N. Abbott, *Studies in Arabic literary papyri*, II, *Qur'anic commentary and tradition* [Chicago, 1967], 57–8).

[44] S. Ory, "Un nouveau type de muṣḥaf, inventaire des Corans en rouleaux de provenance damascaine, conservés à Istanbul", *REI*, XXXIII (1965), 87–149.

rouleaux qui pouvaient être constitués de plusieurs morceaux cousus[45] ou collés[46] bout à bout.

La confection des cahiers: les manuscrits coraniques anciens

Comme le papyrus, le parchemin est un matériau dont l'emploi est anciennement attesté dans le domaine arabe.[47] Dans les premiers temps de l'islam, il est utilisé en concurrence avec le papyrus aussi bien dans l'administration que pour la copie des manuscrits. Il est assez onéreux; aussi n'hésite-t-on pas à le réemployer, ainsi qu'on le verra plus loin, et ce dès une époque ancienne. L'apparition du papier remettra en cause l'emploi du parchemin, ce malgré les qualités de ce dernier et particulièrement sa résistance; du IV^{e}/X^{e} s. jusqu'au VIII^{e}/XIV^{e} s. — peut-être même jusqu'au IX^{e}/XV^{e} s.,[48] son utilisation se restreint et les formules pour le mettre en œuvre évoluent. Nous n'avons pas d'estimation du nombre des manuscrits arabes musulmans copiés sur parchemin; au cours de notre enquête, il est apparu que la proportion des Corans dans notre échantillon était particulièrement importante, soit que l'on ait préféré ce support pour la copie de ce texte, soit qu'on ait apporté plus de soin à sa conservation — ces deux facteurs pouvant d'ailleurs se combiner. Nous n'avons pas mis en évidence de techniques particulières dans l'emploi du parchemin

[45] S. Ory, "Un nouveau type de muṣḥaf", 97, 101, 102. On trouve aussi bien du fil — éventuellement en soie — qu'un cordon en cuir (ibid, 116).

[46] *ibid*, 114.

[47] Le parchemin est mentionné dans le Coran (S. LII, v. 3); comme le papyrus — et pour les mêmes raisons, le parchemin était connu en Arabie préislamique ainsi que le rappelle Grohmann (*Arabische Paläographie*, I, 109).

[48] Grohmann déclare que l'emploi le plus récent — daté — de parchemin est de 498/1105 (*Arabische Paläographie*, I, 111; repris par Endress, "Pergament", 45, avec une erreur dans la date): cela ne peut s'appliquer qu'aux "papyrus" (voir notre n. 1). Pour des manuscrits, et tout particulièrement pour ceux du Coran, les choses sont différentes: au cours de nos recherches, nous avons trouvé jusque dans la première moitié du IV^{e}/X^{e} s. des exemples d'emploi du parchemin pour des copies du Coran réalisées en Orient (cf. par ex., F. Déroche, "Collections de manuscrits anciens du Coran à Istanbul: Rapport préliminaire", *Etudes médiévales et partrimoine turc*, J. Sourdel-Thomine éd. (Paris, 1983), 155: un Coran copié à Fusṭāṭ en 325/936–7). D'autres manuscrits pourraient être postérieurs. On tiendra compte également du MS BN Arabe 2547 daté de 980/1572–3 et que nous présentons plus loin.

selon qu'il s'agissait ou non de Corans; au plus pourrait-on noter que la matière première est en moyenne d'une meilleure qualité dans le premier cas, mais il serait indispensable d'examiner un nombre plus important de manuscrits non coraniques sur parchemin pour aboutir à une conclusion sérieuse en ce domaine.

Avant d'étudier la façon dont les copistes musulmans constituaient les cahiers de parchemin, il ne nous paraît pas inutile de rappeler comment procédaient les copistes de l'Occident médiéval: ceux-ci pliaient généralement une, deux, trois ou quatre fois la peau en deux, ce qui avait pour conséquence de produire des cahiers constitués de 2 (*in folio*), 4 (*in quarto*), 8 (*in octavo*) ou 16 (*in 12*) feuillets ...[49] Ce mode de pliage avait une autre conséquence: elle est formulée par la règle de Gregory, ainsi appelée du nom du savant allemand qui fit observer le premier que, dans un cahier, les deux côtés des feuillets qui se faisaient face étaient de même nature. Ainsi, si le f° *x* v° est le côté fleur de parchemin, le recto qui lui fait face (f° *x* +1 r°) sera également le côté fleur (*cf.* fig. 2).

Au début de notre recherche sur les Corans sur parchemin conservés à la Bibliothèque Nationale, nous avions mis à part les quelques manuscrits qui comportaient des séquences textuelles suffisantes pour qu'il fût possible d'en tirer des enseignements sur la façon dont les cahiers étaient constitués. Parmi ces copies, le MS Smith-Lesouëf 193 était de ceux dont la composition avait valeur d'exemple:[50] malgré la perte, çà et là, de quelques feuillets (voir par ex. le cahier III, fig. 3), il apparut très vite que les cahiers comportaient *dix feuillets* qui présentaient la séquence suivante:[51]

p/c, p/c, p/c, p/c, p/c + c/p, c/p, c/p, c/p, c/p (fig. 3).

Ces observations trouvèrent leur confirmation dans l'étude de deux grandes collections de Corans copiés sur parchemin entre la

[49] L. Gilissen, *Prolégomènes à la codicologie, Recherches sur la construction des cahiers et la mise en page des manuscrits médiévaux* (Ghent, 1977), 26–35; J. Lemaire, *Introduction à la codicologie* (Louvain-la-Neuve, 1989), 69–94.

[50] Déroche, *Catalogue*, I/1, 96, no. 110; on rencontre la même structure dans le fragment BN Arabe 358 b, datable d'avant 300/913–4 (cf. *FiMMOD*, n° 19).

[51] Un feuillet correspond à un ensemble "p/c" ou "c/p" (c = côté chair; p = côté poil); le passage de la couture au centre du cahier est indiqué par "+".

fin du Ier/VIIe s. et le courant du IVe/Xe s., celle de Paris d'abord, celle du Musée des arts turc et islamique d'Istanbul par la suite. On remarque que l'écrasante majorité des manuscrits est constituée de cahiers de 10 feuillets — des *quinions*; l'implication immédiate de cette observation est que ce type de cahier ne peut être obtenu par un pliage simple, ce que confirme la suite de l'analyse. La façon dont le parchemin est utilisé pour former chaque cahier montre une même cohérence dans les habitudes des artisans du livre: le recto du f° 1 (ou *côté de première*) est pratiquement toujours le côté poil du parchemin;[52] les recto des feuillets suivants, soit les ff° 2, 3, 4 et 5 du cahier, sont également des côtés poil (cf. fig. 1). La règle de Gregory ne s'applique donc pas; lorsque le manuscrit est ouvert, un contraste apparaît entre les deux moitiés d'une double page,[53] sauf au point de rencontre de deux cahiers — où l'on trouvera deux côtés poil l'un en face de l'autre — et au milieu de chaque cahier — où, tout naturellement, on trouvera deux côtés chair. Il arrive que, par accident, cette disposition soit enfreinte à l'intérieur d'un cahier dans un manuscrit dans lequel, par ailleurs, la séquence que nous venons de décrire est rigoureusement observée. On est conduit à supposer que les copistes — ou les *warrāq*s — du monde islamique ne pliaient pas les peaux, mais débitaient préalablement le parchemin en morceaux selon la dimension qu'ils souhaitaient donner au manuscrit; de ce fait, une peau pouvait le cas échéant être employée dans différents cahiers, voire dans différents manuscrits.[54] Puis des morceaux de même taille, en principe au nombre de cinq, étaient empilés dans la même position et pliés en deux en leur milieu de manière à former un cahier.

Nous avons déjà souligné à quel point cette façon de faire s'écartait de celle qui était communément employée en Occident. S'agissait-il d'une innovation ou existait-t-il dans le domaine du livre une tradition qui avait pu être reprise par les artisans musulmans? La fabrication du codex de papyrus pourrait constituer un élément de réponse: on a en effet observé que, pour fabriquer un cahier, on débitait le rouleau de papyrus en feuilles

[52] Les "papyrus" de parchemin sont en revanche d'abord utilisés du côté chair (cf. Grohmann, *Arabische Paläographie*, I, 111); selon M. Haran ("Bible Scrolls", 48), les copistes arabes auraient agi de même dans le cas du *raqq* obtenu par "sciage" de la peau dans le sens de l'épaisseur, alors qu'ils préféraient employer d'abord le côté poil du *qasht*.

[53] Muzerelle, *Vocabulaire codicologique*, 92: "ensemble de deux pages se faisant vis-à-vis, constitué par le verso d'un feuillet et le recto du suivant".

[54] Voir le cas du MS BN Arabe 5935.

qu'on empilait au fur et à mesure, les fibres horizontales au-dessus; le nombre voulu de feuilles ayant été ainsi assemblé, on pliait le tas en deux par le milieu et on obtenait un cahier où, systématiquement, une page avec les fibres verticales faisait face à une page avec les fibres horizontales — à l'exception, naturelle, de la double page située au milieu du cahier.[55] Il est tentant d'expliquer la séquence des côtés fleur à l'intérieur des cahiers des manuscrits que nous venons de décrire par référence à l'empilement des bifeuillets de papyrus au cours du débitage du rouleau; la formule du quinion, que l'on rencontre parfois dans les cahiers de papyrus, peut s'expliquer par la commodité qu'elle représente du point de vue des comptes.[56] On notera enfin que cette façon de composer les cahiers semble avoir été connue dans les plus anciens manuscrits syriaques.[57]

La séquence des côtés du parchemin dans les quinions ne constitue pas l'unique originalité des manuscrits du Coran de ces deux collections. L'utilisation des peaux y est également très particulière: en observant les cahiers, nous avions remarqué la présence assez fréquente de talons, ce dès une date assez ancienne puisqu'un fragment coranique *ḥijāzī*, le MS Paris, BN Arabe 328 a, comporte un feuillet (f. 17) qui s'achève par un talon. Vérification faite, la présence de ces talons ne correspondait pas à des pertes de texte. Une recherche plus approfondie a permis de découvrir que des feuillets isolés, pourvus de talon, ont été systématiquement intégrés dans les cahiers en "remplacement" de bifeuillets authentiques. A l'intérieur de quinions, leur nombre varie de 2 à 8 (cf. fig. 4 et 5), voire 10! Une étude plus

[55] Voir par ex. J. Robinson, "Codicological Analysis of Nag Hammadi Codices V and VI and Papyrus Berolinensis 8502", *Nag Hammadi Studies* X (Leiden, 1979), 14–15; A. Wouters, "From Papyrus Roll to Papyrus Codex, Some Technical Aspects of the Ancient Book Fabrication", *Manuscripts of the Middle East (MME)*, V (1990–1), 12.

[56] Il n'est pas sûr qu'il y ait eu unanimité dans la composition des rouleaux de papyrus: le nombre de 20 feuilles collées bout à bout est parfois mentionné à la suite de Pline, mais ne constitue pas une règle; il ne nous paraît pas nécessaire de chercher dans cette direction l'origine de nos quinions puisque, de toute façon, le débitage du rouleau se faisait indépendamment des "joints" (grec *kollesis*, au sg.) entre les feuilles (grec *kollema*, au sg.).

[57] Par ex. le MS Paris, BN Syriaque 27 qui est antérieur à 720. Avant 640, les cahiers de 8 ou 10 ff. coexistent, mais également au-delà de cette date (cf W. H. P. Hatch, *An Album of Dated Syriac Manuscripts* [Boston, 1946], 23; M. Mundell Mango, "The Production of Syriac Manuscripts, 400–700 AD", *Scrittura, libri e testi nelle aree provinciali de Bisanzio*, G. Cavallo, G. de Gregorio et M. Maniaci éd., I [Spoleto, 1991], 163).

approfondie d'une série de manuscrits formant un groupe homogène tant du point de vue de la paléographie que de celui de la codicologie a permis d'établir que seul le quart des quinions était composé de cinq bifeuillets[58]; dans les autres cas, des feuillets isolés avaient été enchâssés de manière symétrique dans les cahiers de manière à remplacer le ou les bifeuillets qui auraient dû se trouver à leur place (cf. fig. 6). La formule la plus commune, d'une fréquence analogue à celle des cahiers de cinq bifeuillets, voit l'insertion de deux feuillets isolés qui constituent les ff° 3 et 8 dans le quinion. Au total, c'est dans 40% des cas que l'on trouve deux feuillets isolés intercalés symétriquement en des positions variables parmi les bifeuillets. Assez fréquente également (environ 10% de cas) était la formule dans laquelle six feuillets isolés (soit trois groupes de deux feuillets) étaient insérés entre deux bifeuillets. Il semble que, dans la mesure du possible, on ait veillé à ne pas mettre en danger la solidité du cahier — et donc du manuscrit.[59]

Il convient d'ajouter qu'il existe des exceptions à cette façon de faire; il arrive, rarement, que le total des feuillets d'un cahier soit inférieur ou supérieur à dix: neuf ou onze, par exemple, sans qu'il y ait de lacune dans le texte. Il arrive, un peu plus souvent, que la position des feuillets isolés ne soit pas symétrique: ainsi, ils occuperont la position des ff° 3 et 7 dans le cahier, au lieu de 3 et 8. Mais on constate que la répartition dans les deux moitiés du cahier subsiste et que la séquence des côtés du parchemin est respectée.

La confection des cahiers: cas particuliers à l'époque ancienne

Ce que nous venons de décrire est particulièrement caractéristique de manuscrits coraniques qui datent principalement du III^{e}/IX^{e} s.[60] En fut-il toujours ainsi? Pour répondre à cette

[58] F. Déroche, "A propos d'une série de manuscrits coraniques anciens", *Les manuscrits du Moyen-Orient*, Déroche éd., Varia Turcica VIII (Istanbul and Paris, 1989), 107–8.

[59] Il faudrait pouvoir déterminer si la présence d'un nombre plus ou moins élevé de feuillets indépendants avait une incidence sur le prix des manuscrits; comme on sait, cette question reste obscure et risque fort, faute de données fiables, de le rester.

[60] La période couverte par cette production va en fait de la fin du II^{e}/VIII^{e} s. au milieu du IV^{e}/X^{e} s., mais la majorité des exemplaires étudiés appartiennent au III^{e}/IX^{e} s.

question de manière satisfaisante, il serait nécessaire de travailler sur des séries numériquement importantes, comme cela fut le cas pour les manuscrits dont il vient d'être question; or le nombre des manuscrits antérieurs au III^{e}/IX^{e} s. est plus réduit, ce qui ne peut que compliquer l'interprétation de l'image constrastée qu'on retire de leur examen. Le fragment de Coran Paris, BN Arabe 328a — déjà mentionné — aurait été copié au début du II^{e}/VIII^{e} s., peut-être même à la fin du I^{er}/VII^{e} s.;[61] cette datation s'appuie sur la paléographie: l'écriture appartient au groupe *ḥijāzī*. Ces feuillets épars acquis au Caire par J. L. Asselin de Cherville entrèrent au cours du XIX^{e} s. dans la collection de la bibliothèque; à cette occasion, on les relia et, pour mieux les protéger, on inséra entre eux des feuilles de papier qui présentent l'inconvénient de gêner l'observation codicologique. Plusieurs groupes de feuillets portent un texte continu: les ff° 4 à 22, 23 à 40 et 41 à 48; on peut y ajouter les ff° 57 à 64 — autrement dit le fragment Arabe 328b — que nous avions considéré comme distinct d'un point de vue paléographique, mais qui doit avoir fait partie du même Coran.[62] Faute d'avoir pu pousser très loin l'analyse codicologique, pour les raisons que nous venons d'exposer, nous proposons avec les réserves qui s'imposent l'analyse suivante: le fragment comporte quatre quaternions, les ff° 7–14, 24–31, 32–39 et 57–64; on peut ajouter le cahier des ff° 42–48 (soit 7 ff°), dont le feuillet ultime a disparu. Aux ff° 15–21, il s'agit en revanche d'une irrégularité. La séquence des côtés du parchemin, par exemple aux ff° 7–14, est intéressante:[63]

c/p, p/c, c/p, p/c + c/p, p/c, c/p, p/c (cf. fig. 7).

Comme cette disposition est observable ailleurs, on pourrait penser que ce manuscrit constitue un exemple de l'obtention de cahiers par pliage. Mais deux des quarternions nous invitent à écarter cette hypothèse: les bifeuillets des ff° 43–48 et 44–47 de

[61] M. Amari, "Bibliographie primitive du Coran", *Centenario della nascità di M. Amari*, H. Derenbourg éd. (Palermo, 1910), I, 18–19; Tisserant, *Specimina*, xxxii et pl. 41a; Bergsträsser et Pretzl, *Die Geschichte des Korantexts*, 225 et fig. 9; N. Abbott, *The Rise of the North Arabic Script and its Qur'anic Development, with a Full Description of the Qur'ān Manuscripts in the Oriental Institute* (Chicago, 1938), 24; A. Grohmann, "The problem of dating early Qur'āns", *Der Islam*, XXXIII (1958), 216, 222, 226 et n. 48; Déroche, *Catalogue*, I/1, 59–60, n° 2.

[62] Voir n. 61; aussi Déroche, *Catalogue*, I/1, 60, n° 3.

[63] Voir n. 51.

même que ceux des ff° 59–62 et 60–61 opposent des côtés chair à des côtés poil. C'est un argument très fort contre le pliage; en revanche, on notera que le côté chair est systématiquement côté de première des différents cahiers.

Il ne faut pourtant pas conclure que le quaternion du type décrit est le seul modèle connu à l'époque; un autre manuscrit en caractères *ḥijāzī*, Paris, BN Arabe 328c, est formé de quinions de composition habituelle (c'est à dire avec le côté poil formant le recto de tous les feuillets dans la première moitié). Il faudra attendre que les Corans *ḥijāzī* soient mieux connus pour distinguer des orientations d'ensemble. Pour le moment, nous constaterons qu'une relative diversité dans l'emploi du parchemin prévaut pour cette période — fin I^er^/VII^e^ et début II^e^/VIII^e^ s. Elle ne présente pas un caractère exceptionnel en ce qui concerne le nombre des feuillets par cahier; la place du côté chair comme côté de première nous semble en revanche plus inhabituelle.

Nous avons évoqué plus haut le MS Paris, BN Arabe 324 qui peut être daté de la seconde moitié du II^e^/VIII^e^ s.: un premier examen permet de constater qu'une majorité des feuillets a pour recto le côté chair. Deux séries de feuillets — les ff° 18 à 27 puis 30 à 37 — présentent un texte continu, sur dix feuillets dans le premier cas, sur huit dans le second; comme nous l'avons indiqué, le côté chair du parchemin est le recto des feuillets, à l'exception du f° 23, inversé. On pourrait penser qu'il s'agit de vestiges de cahiers de 16 ou 20; une autre explication nous paraît préférable, à la lumière de l'étude des 122 feuillets de texte coranique rassemblés dans les MSS Istanbul, TIEM 51 et 52, dont l'écriture est analogue à celle des fragments parisiens et qui présente une suite continue de côtés chair comme recto.[64] Dans les deux cas, il s'agit de manuscrits *in plano*, c'est à dire que chacun de leurs feuillets correspond à une peau entière;[65] le cahier cesse d'être le fondement du livre. Les feuillets sont tous placés de la même façon, autrement dit: tous les recto sont des côtés chair du parchemin, tous les verso étant des côtés poil. Aucun de ces manuscrits ne nous est malheureusement parvenu avec sa reliure originelle, si bien qu'il n'est pas possible de savoir

[64] Il est difficile de juger sur les photos du Coran de la mosquée Sayyidnā al-Ḥusayn du Caire (voir n. 33) si la même disposition est observée.

[65] Il n'y a donc pas eu de *pliage* comme c'est habituellement le cas — depuis l'*in folio*, formé par pliage en deux d'une feuille de parchemin, jusqu'à des formules où la peau est pliée successivement à plusieurs reprises.

comment les feuillets étaient tenus ensemble; étaient-ils cousus à plat[66] ou montés sur onglet? Leur état de conservation ne permet pas de décider quelle solution leur fut appliquée. Le MS Ṣan'ā', Dār al-Makhṭūṭāt 20–33.1 semble également composé de cette façon, mais il n'est pas précisé si tous les feuillets ont la même orientation.[67]

D'autres formules de composition des cahiers de parchemin apparaissent occasionnellement. Le quaternion intervient parfois dans des manuscrits de format oblong du III^e^/IX^e^ s. et dans des Corans de format vertical du IV^e^/X^e^ s.: curieusement, cela n'a pas d'incidence sur la séquence des côtés du parchemin qui reste conforme à ce qui a été dit précédemment, le côté poil étant côté de première. Quelques cas sont déconcertants. Ainsi les MSS Istanbul, TIEM 552 et 553 (III^e^/IX^e^ s.) sont-ils formés de quaternions, à l'intérieur desquels le recto des ff° 1, 2 et 4 est le côté poil, tandis que le f° 3 est à l'envers — son recto est le côté chair. Un autre manuscrit fragmentaire de cette collection, ŞE 148, semble constitué de quinions qui tendent à respecter la règle de Gregory, mais dont le côté de première est tantôt poil, tantôt chair; par ailleurs, un "incident" affecte fréquemment les bifeuillets n° 2 et/ou 4.

La confection des cahiers: le cas du Maghreb

Dans la partie occidentale du monde musulman, le parchemin est resté plus longtemps en usage — surtout pour la copie du Coran: c'est en effet jusqu'au VIII^e^/XIV^e^ s., peut-être même jusqu'au IX^e^/XV^e^ s., que ce matériau s'y maintient, aux côtés du papier. Cette manifestation de conservatisme ne doit pas laisser penser que la mise en œuvre du parchemin se conforme aux usages que nous venons de décrire. Au contraire, on note que, dans l'ensemble, la succession des côtés du parchemin est conforme à la règle de Gregory et qu'il n'y a pas à proprement parler de préférence marquée pour telle ou telle formule de composition des cahiers. Le quinion n'est pas inconnu: deux manuscrits de la

[66] C'est à dire en piquant à travers toute l'épaisseur d'un groupe de feuillets, le long de la marge intérieure, à courte distance du pli (cf. Muzerelle, *Vocabulaire codicologique*, 179).

[67] Dreibholz, "Der Fund von Sanaa", 301, n. 9.

collection parisienne, les MSS Arabe 6090[68] et 6499[69] comportent des quinions — bien que cette formule ne soit pas la seule qu'on y rencontre. Le cas échéant, les cahiers de parchemin peuvent être plus importants: ceux de MS Arabe 6095 ont ainsi jusqu'à 14 ff.[70] Les copistes ont également employé des quaternions, par exemple dans les MSS Paris, Bibliothèque Nationale Arabe 385[71] ou Vatican, Biblioteca Vaticana, Arab. 881.[72] Comme le remarque P. Orsatti,[73] le ternion semble avoir été une particularité maghrébine liée à l'emploi du parchemin. C'est là une divergence notable par rapport aux habitudes que l'on a pu dégager pour les Corans de la période ancienne. Dans les copies du Coran sur parchemin provenant de l'Occident musulman, les ternions sont fréquents: ainsi huit des manuscrits coraniques conservés à la Bibliothèque Nationale sont-ils composés de ternions, soit exclusivement, soit en forte proportion.[74] A la Bibliothèque Vaticane, deux manuscrits non coraniques sur parchemin sont formés de cahiers de ce type, de même que six des sept Corans de la collection.[75] Dans tous ces manuscrits, qu'il s'agisse de ceux de la Bibliothèque Nationale ou de ceux du Vatican, la règle de Gregory est respectée comme on le voit, par exemple, dans les ternions du MS Arabe 395 — qui

68 Voir n. 24.

69 Voir ci-dessous.

70 Voir n. 23; chaque *juz'* est formé de deux cahiers: le premier comporte toujours 14 ff, alors que le second compte de 8 à 12 ff.

71 E. Blochet *Les enluminures des manuscrits orientaux de la Bibliothèque Nationale* (Paris, 1926), 62–4; *Les arts de l'Iran, l'ancienne Perse et Bagdad* [exposition, Bibliothèque Nationale, Paris], (Paris, 1938), 172–3, n° 109; G. Vajda ,*Album de paléographie arabe* (Paris, 1958), pl. 46; *Trésors d'Orient* [exposition, Bibliothèque Nationale, Paris] (Paris, 1972), 64, n° 172; Lings, *The Qur'anic Art of Calligraphy*, 205 et pl. 104–5; M. Lings et Y. H. Safadi, *The Qur'ān* [exposition, The British Library, Londres] (London, 1976), 40, n° 48 et pl. VI; *L'islam dans les collections nationales* [exposition, Grand Palais, Paris] (Paris, 1977), 118, n° 212 et fig; Déroche, *Catalogue*, I/2, 31–2, pl. XIV b (cf. *FiMMOD*, n. 102).

72 P. Orsatti "Le manuscrit islamique: caractéristiques matérielles et typologie", *Ancient and Medieval Book Materials and Techniques*, M. Maniaci and P. Munafò, ed. (Vatican, 1993), II, 297.

73 *ibid*, 297–298. Nous avions esquissé une remarque dans ce sens (Déroche, *Catalogue*, I/2, 14). Il existe sur ce point une convergence avec les manuscrits hébraïques espagnols: selon Beit-Arié (*Hebrew Codicology*, 43), 8 manuscrits copiés entre 1197 et 1300, essentiellement à Tolède, sont formés de ternions .

74 MSS Arabe 386, 388, 395, 423, 5935; Smith-Lesouëf 194 et 202.

75 Vat. arab. 310 et Barb. or. 46, et les Corans Vat. arab. 210, 211, 212, 213, 215 et Borg. arab. 51; voir P. Orsatti *loc. cit.*.

sont mêlés à des binions; les uns et les autres ont un côté poil pour côté de première (cf. fig. 7).[76] Le MS Arabe 5935 présente les mêmes caractéristiques;[77] il est beaucoup plus régulier que le manuscrit précédent puisque la seule anomalie est constituée par le cahier final, un quinion où la séquence des côtés du parchemin se conforme toutefois à la règle de Gregory. Cette particularité ne paraît pas être le fruit d'une innovation tardive: comme le montre le MS Vatican, BAV Vat. arab. 310, elle est attestée dès le IV^{e}/X^{e} s.[78]

Les quinions de deux autres manuscrits de la collection parisienne, Arabe 6090[79] et 6499[80], tous deux copiés en Andalousie, respectent dans l'ensemble cette règle et présentent en majorité des doubles pages où se font face des côtés de même nature. Cela n'implique pourtant pas que les cahiers aient été obtenus par pliage comme ces cahiers des manuscrits occidentaux que nous évoquions au début. Les "incidents" — par exemple pour les deux premiers bifeuillets du cahier I du MS Arabe 6090, ou encore au début du cahier XIII (ff. 130–132) du MS Arabe 6499 — le laissent penser. Cela nous paraît confirmé par le caractère hétéroclite des bifeuillets entrant dans la composition d'un même cahier: nous avions signalé plus haut que des racines des poils subsistaient sur un certain nombre des feuillets de deux manuscrits de Paris — BN Arabe 5935 et 6090; la répartition erratique de ces feuillets et l'impossibilité de trouver deux bifeuillets provenant de la même peau nous confirment dans l'idée que le parchemin était pré-découpé et que les morceaux obtenus étaient empilés pour former les cahiers, sans égard pour leur origine.[81]

76 Déroche, *Catalogue*, I/2, 32–3, n° 298. La séquence des recto est d'ordinaire p/c, c/p, p/c; mais elle est p/c, p/c, c/p dans le cahier IV. En ce qui concerne les binions, l'un d'eux est irrégulier (XIII) alors que les trois autres sont réguliers.

77 Voir n. 28.

78 Tisserant, *Specimina*, xxxvii et pl. 51a; G. Levi della Vida, *Elenco dei manoscritti arabi islamici della Biblioteca Vaticana*, Studi e testi [Vatican], LXVII (1935), 26; P. Orsatti, "Manuscrit islamique", 294, 298.

79 Voir n. 24.

80 Voir ci-dessous.

81 Il est regrettable que les manuscrits sur parchemin de Kairouan — et plus particulièrement ceux à caractère juridique — n'aient pas fait l'objet d'une étude codicologique; celle-ci permettrait peut-être de mettre en lumière des particularités régionales. En ce qui concerne l'emploi du parchemin au Maghreb, on complètera ce qui vient d'être dit par les quelques indications

La confection des cahiers: solutions mixtes

Plusieurs éléments concourent à suggérer que les qualités de résistance du parchemin étaient fort appréciées. Quand le papier commença à concurrencer fortement le parchemin, deux attitudes se firent jour chez ceux des copistes — ou des commanditaires — qui souhaitaient garantir la durabilité des manuscrits. La première fut de sélectionner les textes auxquels on réservait l'emploi d'un matériau subjectile devenu comparativement plus cher: ce fut le plus souvent le Coran à qui échut ce privilège. Une autre approche consistait à associer papier et parchemin de manière à conserver la résistance du second là où elle était le plus utile et de tirer avantage du prix plus bas du papier en l'employant là où il était moins exposé. Ainsi apparurent les cahiers *mixtes* composés de papier *et* de parchemin, ce dernier étant placé à l'extérieur (et éventuellement au centre) du cahier (cf. fig. 9), tandis que le papier occupait l'espace intermédiaire.

Avant d'étudier deux manuscrits où le papier et le parchemin sont utilisés conjointement, signalons une technique dont nous n'avons à ce jour recensé qu'un unique exemple dans le domaine des manuscrits islamiques — mais que des manuscrits copiés sur papyrus attestent antérieurement à l'apparition de l'Islam.[82] On sait que le fil de couture passe dans le pli du bifeuillet central de chaque cahier; à la suite des efforts qui s'exercent sur le manuscrit lorsqu'il est consulté, ce fil peut couper le papier, avec comme conséquence ultime la dispersion des feuillets. Dans le manuscrit Berlin, Staatsbibliothek Spr. 517, au lieu d'employer tout un bifeuillet central de parchemin pour prévenir cette déchirure, le relieur a piqué à chacun de ses passages dans le pli de fond des cahiers un petit morceau rectangulaire de parchemin dont la longueur est légèrement supérieure à l'espace qui sépare les deux points par lesquels passe le fil;[83] l'interposition de ce *préservateur* devait éviter tout accident.

Les cahiers mixtes que nous évoquions offrent un autre témoignage sur la façon dont les artisans du livre ont envisagé

de M. al-Manūnī, "Taqniyyāt i'dād al-makhṭūṭ al-maghribī", *Le manuscrit arabe et la codicologie*, A. C. Binebine éd. (Rabat, 1994) 20–21.

[82] Reed signale fugitivement cette utilisation (*Ancient Skins*, 5); on en trouvera un exemple dans V. Scheil, *Deux traités de Philon*, Mémoires publiés par les membres de la mission archéologique française au Caire, IX/2 (Paris, 1893), 7.

[83] W. Ahlwardt, *Verzeichnis des arabischen Handschriften der königlichen Bibliothek zu Berlin* (Berlin, 1887-99), II, 249, n° 1557.

d'améliorer la durabilité des manuscrits tout en intégrant à leur fabrication le papier qui permettait d'en abaisser le prix:[84] le MS Paris, BN Arabe 6499, qui fut copié en Andalousie — peut-être à Séville — en 562/1166 par le grammairien ʿAlī b. Muḥammad b. Kharūf nous fournit un exemple remarquable.[85] Il s'agit en effet de la plus ancienne attestation de l'association du papier et du parchemin, la résistance de ce dernier venant protéger le premier, jugé plus fragile. Cette quête de la solidité est poursuivie dans deux directions: les trois premiers cahiers du manuscrit (ff. 1–25), de même que les trois derniers (ff. 130–165), sont intégralement composés de parchemin parce qu'ils se situent aux points les plus exposés du livre. Les autres cahiers sont formés d'un bifeuillet de parchemin à l'extérieur; puis viennent de trois à quatre bifeuillets de papier que recouvre un dernier bifeuillet de parchemin qui occupera donc la position centrale. Ainsi les cahiers placés entre les ff. 26 et 129 bénéficient-ils d'une double protection, celle que leur offrent les cahiers de parchemin des ff. 1 à 25 et 130 à 165 d'une part, et de l'autre celle que leur assurent les deux bifeuillets qui enserrent le bloc des feuillets de papier.[86]

Un autre manuscrit de la Bibliothèque Nationale associe également parchemin et papier; il s'agit du MS Paris, BN Arabe 2547, un recueil d'opuscules d'astronomie copié pour l'essentiel en 980/1572–3 à Damas.[87] Au XIX[e] s., le manuscrit fut pourvu d'une reliure occidentale au chiffre de Louis-Philippe. Les cahiers sont principalement des quinions; cinq d'entre eux comportent des feuillets de parchemin, mêlés à des feuillets de papier parfois teint. Le premier de ces cahiers (XII, ff. 92 à 99) est irrégulier et

[84] Comme nous le soulignions en n. 59, nous ne disposons malheureusement pas d'éléments pour apprécier les coûts de fabrication des manuscrits; on aimerait en particulier connaître l'incidence de l'utilisation du papier — et si elle fut significative ou marginale — sur ces prix.

[85] Cf. Humbert, *FiMMOD*, n° 65, et "Remarques sur les éditions du *Kitāb* de Sîbawayhi et leur base manuscrite", K. Versteegh et M. G. Carter éd., *Studies in the History of Arabic Grammar*, II (Amsterdam and Philadelphia, 1990), 185. Pour les manuscrits hébraïques, la plus ancienne attestation de ce type de cahier date de 1212; cette façon de faire se rencontre principalement dans la péninsule ibérique, en Italie et dans l'empire byzantin (Beit-Arié, *Hebrew Codicology*, 37–9).

[86] Il existe des irrégularités vers la fin: le 11[e] cahier (ff. 106–115) est intégralement en parchemin; le 12[e] comprend deux bifeuillets de parchemin en position centrale (ff. 121–124).

[87] W. de Slane, *Catalogue des manuscrits arabes* (Paris, 1883–5), 457–8. Certains opuscules sont légèrement plus anciens: *muḥarram* 977/juin-juillet 1569 (f. 183); *shawwāl* 979/février-mars 1572 (f. 12).

incomplet; il inclut deux feuillets dépareillés de parchemin (ff. 97 et 99), placés dans la seconde moitié du cahier dans une position identique, le côté poil étant le recto. Le deuxième cahier (XIII, ff. 100 à 115; voir fig. 10) comporte quatre feuillets de parchemin (ff. 104, 106, 109 et 111): il s'agit de deux bifeuillets disposés de manière différente (le côté poil est le recto du f. 104 alors que pour le f. 106, c'est le côté chair). Le troisième cahier (XV, ff. 128 à 134; voir fig. 10) est mutilé: il inclut trois feuillets de parchemin dont le premier est dépareillé (f. 128; recto: côté poil) alors que les deux autres constituent le bifeuillet "central" (ff. 133–134) dont le premier recto est le côté chair. Le quatrième cahier (XXI, ff. 187–196; voir fig. 10) est régulier: le bifeuillet extérieur est en parchemin, avec le côte poil comme côté de première. Le dernier des cahiers (XXIII, ff. 207–216; voir fig. 10) est intégralement composé de parchemin: la séquence des recto est la suivante:

p/c, p/c, c/p, c/p, p/c + c/p, p/c, p/c, c/p, c/p[88]

Comme on le voit, l'utilisation manque de cohérence: à l'exception des cahiers XXI et peut-être XV (dans son état originel), le parchemin ne sert pas de protection extérieure et la façon dont il est placé, en dépit de ce qui peut apparaître comme une préférence relative pour le côté poil au recto, semble aléatoire. Le parchemin lui-même est d'une qualité très différente de celle des parchemins anciens qui sont dans l'ensemble plus épais: où a-t-il été fabriqué? est-ce une réutilisation? autant de questions qui restent sans réponse. En tout état de cause, il ne s'agit pas de cahiers mixtes sur le modèle de ceux du MS Arabe 6499, mais d'un mélange. Le manuscrit relève plutôt du domaine des *curiosa* et nous pensons que le copiste a employé le parchemin parce qu'il s'agissait d'une rareté, un peu comme les papiers teints qu'il affectionne, mais en aucun cas parce qu'il souhaitait tirer parti de la meilleure résistance du parchemin. Jusqu'à plus ample informé, le MS BN Arabe 2547 est le codex islamique le plus récent dans lequel du parchemin a été utilisé.

[88] Voir n. 51.

Quelques remarques sur l'utilisation des peaux

Etant donné l'importance que revêt la fabrication des cahiers pour la confection du codex, il était naturel qu'on lui réservât une place importante dans cette étude et la série d'exemples que nous avons proposée illustre diverses modalités de cette opération. Le codicologue ne saurait cependant arrêter là son enquête: l'utilisation du parchemin comporte en effet des particularités qu'il est utile de signaler. Encore une fois, il est prématuré d'espérer établir un catalogue exhaustif et nous nous limiterons à quelques exemples qui pourraient éventuellement autoriser des inférences d'ordre économique. On remarque ainsi que le MS Paris, BN Arabe 6095 incorpore des feuillets qui correspondent au bord naturel du parchemin (par ex. le f. 17), ou d'autres sur lesquels subsistent des poils (par ex. au f. 39v°); cela paraît indiquer que cette copie a été réalisée à moindres frais. Le MS Arabe 6499 de la même collection, bien que plus soigné, contient un feuillet dont le bord, du côté de la marge de gouttière, est oblique: en dépit d'une volonté affichée de réaliser une belle copie, Ibn Kharūf n'a pu se résoudre à écarter un morceau qui lui donnait presque un bifeuillet complet. Même un manuscrit princier, comme le MS Arabe 6090, contient quelques feuillets où un petit trou placé à l'intérieur de la justification a contraint le copiste à adapter son écriture au support. Dans les Corans du III^{e}/IX^{e} s., l'emploi systématique de feuillets dépareillés pour recomposer des bifeuillets, tel que nous l'avons présenté plus haut (cf. également les fig. 3–5), doit fort vraisemblablement être compris comme un effort de rationalisation de l'utilisation des peaux: leur débitage devait produire d'abondantes chutes qu'il était hors de question de jeter.

La réglure sur parchemin

Le parchemin impose également des techniques particulières de réglure — principalement en raison de sa rigidité. Au lieu de la *mistara*, familière à ceux qui s'occupent de manuscrits islamiques plus récents, on a recours à la pointe sèche, à la mine de plomb ou à l'encre. La typologie des réglures serait ici sans intérêt; il est en revanche opportun d'évoquer la façon dont on réglait le parchemin. La pointe sèche permet en principe de régler plusieurs feuillets à la fois — à condition d'appuyer un peu; or

nous n'avons pas encore trouvé à ce jour d'exemple de cette technique. On savait en revanche régler le parchemin par bifeuillet, c'est à dire à un moment où, le cahier n'étant pas cousu, on pouvait prendre un à un chaque bifeuillet.[89] Il semble que, dans la pratique commune, la réglure était tracée feuillet par feuillet. C'est ainsi que procédaient les copistes qui employaient l'encre ou la mine de plomb.

Certains des manuscrits en caractère *ḥijāzī* ont conservé les traces d'une réglure, preuve que dès les origines les copistes étaient conscients des problèmes de mise en page.[90] Il n'en est dès lors que plus curieux de constater l'écrasante absence de traces de réglure sur la majorité des Corans en écriture abbasside ancienne:[91] la régularité de l'écriture laisse pourtant supposer que les copistes utilisaient un système pour guider les lignes, mais il n'en subsiste aucun vestige.[92]

[89] Voir par ex. le MS Istanbul, TIEM, ŞE 362.

[90] Voir par ex. les fragments Paris, BN Arabe 328a (voir n. 58) et e (Tisserant, *Specimina*, pl. 41b; Bergsträsser et Pretzl, *Die Geschichte des Korantexts*, fig. 8; Abbott, *The Rise of the North Arabic Script*, 24; Déroche, *Catalogue*, I/1, 61, n° 7).

[91] Deux phénomènes en contradiction avec cette situation prévalente doivent être signalés ici: (1) les manuscrits copiés sur du parchemin teint (c'est en particulier le cas du Coran bleu) présentent les traces d'un système très complet de réglure; (2) les enlumineurs ont souvent laissé subsister la réglure préparatoire des décors sur des manuscrits qui n'en ont pas par ailleurs.

[92] Selon E. Whelan ("Writing the Word of God: Some Early Qur'ān Manuscripts and Their Milieux, Part I", *Ars Orientalis*, XX (1990), 115), la présence de réglure pour les décors et plus encore les infimes irrégularités de la ligne de base des lettres seraient la preuve qu'il n'y eut jamais de réglure, mais que le copiste se fiait à son coup d'oeil. Cela ne nous paraît pas dirimant: qui dit réglure ne dit pas règle et la ligne tracée sur le parchemin (ou le papier) n'est qu'un guide qui n'empêchera pas la main de bouger peu ou prou par rapport à elle. Il nous semble par ailleurs qu'une comparaison entre les techniques de l'enlumineur et du copiste n'est pas pertinente pour trancher la question.

RÉEMPLOIS

Nous avons cité plus haut le traité de *ḥisba* publié par Lévi-Provençal: "on ne doit apprêter que du parchemin raclé".[93] L'éditeur commente ainsi cette recommandation d'Ibn ʿAbdūn: "il semble s'agir ici aussi aussi bien du parchemin neuf que l'on racle avant la vente, que du parchemin déjà couvert d'écriture et que l'on gratte pour qu'il puisse resservir (palimpseste)."[94] Il n'est pas sûr qu'il s'agisse de palimpseste dans ce cas précis dans la mesure où il paraît superflu de conseiller de gratter l'écriture pour se resservir d'un parchemin usagé. En raison du prix du parchemin, les copistes n'hésitaient pas à réutiliser des feuillets déjà couverts par un texte que l'on savait effacer par lavage ou grattage. La littérature ne manque d'ailleurs pas d'allusions à cette pratique connue de longue date. Pour éliminer des portions plus limitées de texte, des recettes appropriées ont été conservées dans le traité d'Ibn Bādīs.[95]

Indépendamment de ces occurrences littéraires, plusieurs palimpsestes arabes nous ont été conservés qui confirment la réalité de ces pratiques. L'un des plus anciens exemples pourrait être ce fragment coranique récemment mis en vente à Londres.[96] Si l'on est en droit de douter de l'attribution chronologique très haute qui a été avancée, il paraît néanmoins vraisemblable que ce feuillet a été utilisé au cours du I^er^/VII^e^ s. On lui connaît d'ailleurs un parallèle découvert au Yémen et signalé par l'équipe allemande chargée de la restauration des manuscrits coraniques de Ṣanʿā'.[97] On ne se contentait pas de réutiliser le parchemin dans le cadre d'une tradition manuscrite donnée: à côté de textes arabes musulmans superposés à des textes de même provenance, mais plus anciens, comme dans les exemples précédents, il existe des palimpsestes où des textes dans d'autres langues sont recouverts

[93] *Documents arabes*, 59 (texte arabe) = *Séville musulmane*, 133, n° 219 (traduction).

[94] *Séville musulmane*, 160, note a, où il renvoie à R. Dozy qui a longuement commenté l'expression *raqq mabshūr*, qu'il rapproche de *ṭirs makshūṭ*, dans le sens de *palimpseste (Lettre à M. Fleischer contenant des remarques critiques et explicatives sur le texte d'al-Makkari* [Leiden, 1871], 78–81).

[95] Levey, *Medieval Arabic Bookmaking*, 36–7.

[96] Sotheby's, vente du 22 octobre 1992, lot n° 551.

[97] G.-R. Puin, *Maṣāḥif Ṣanʿā'* [exposition, Dār al-Āthār al-Islamiyya, Kuwait] (Kuwait, 1985), 14 et n° 6.

par de l'arabe.[98] Le cas inverse se présente également: sur les palimpsestes Lewis-Mingana, des textes chrétiens en arabe qui dateraient du X^e, voire du IX^e s., recouvrent une page de la Septante en grec, des fragments en syriaque et trois passages coraniques en caractères *ḥijāzī*.[99] Le laps de temps qui s'écoulait entre la copie des deux textes successifs n'était pas nécessairement très long: le copiste pouvait en effet utiliser cette procédure pour rectifier un texte après s'être avisé qu'il avait fait une erreur.[100]

Pour être le plus connu, le réemploi que nous venons de décrire n'est pas le seul que l'on puisse rencontrer. L'étude des reliures anciennes montre que les relieurs réutilisaient volontiers de vieux parchemins. Dans le cas des reliures à ais de bois, il leur arrivait fréquemment, semble-t-il, de coller en guise de doublure de la face intérieure de l'ais un feuillet provenant d'un vieux manuscrit.[101] Il n'était pas rare non plus que l'on débitât les feuillets en bandes pour renforcer les dos des blocs de cahiers[102] ou encore pour servir *d'âme* à l'emboîtage caractéristique des reliures coraniques anciennes.[103] Un feuillet de parchemin pouvait également être converti en reliure, si ses dimensions le permettaient.[104] Il serait cependant erroné de cantonner les relieurs dans un rôle de récupérateurs de parchemin usagé: sans jamais spécifier s'il s'agit ou non de parchemin neuf, Bakr al-Ishbīlī mentionne à plusieurs reprises ce matériau dans son traité

[98] Grohmann en signale deux exemples (*Arabische Paläographie*, I, 109 et n. 6).

[99] A. Mingana et A. Lewis, *Leaves from Three Ancient Qur'āns Possibly Pre-ʿUthmānic, with a List of Their Variants* (Cambridge, 1914), p. v-vi.

[100] Voir par ex. H. Loebenstein, *Koranfragmente auf Pergament aus der Papyrussammlung der Österreichischen Nationalbibliothek*, Mitteilungen aus der Papyrussammlung der Österreichischen Nationalbibliothek (Papyrus Erzherzog Rainer), Neue Serie, XIV (Vienna, 1982), 24-5 (n° 1 = A Perg. 2). Le fragment coranique cité plus haut correspond peut-être à une démarche similaire.

[101] G. Marçais et L. Poinssot, *Objets kairouanais, IXe au XIIIe siècle, reliures, verreries, cuivres et bronzes, bijoux*, fasc. 1 (Tunis, 1948), 16, 65–7, etc ...; F. Déroche, "Quelques reliures médiévales de provenance damascaine", *REI*, LIV (1986), 89.

[102] On doit distinguer cette utilisation de celle des préservateurs que nous avons évoqués précédemment.

[103] Marçais et Poinssot, *Objets kairouanais*, 19 et 72; Déroche, "Quelques reliures médiévales", 89.

[104] La collection des manuscrits de la grande mosquée de Damas nous en a livré un exemple.

de reliure, le *Kitāb al-Taysīr fī ṣināʿat al-tasfīr*, et l'on peut supposer que ses propos concernent également le parchemin neuf.[105] On y retrouve les emplois que nous avons pu constater sur des reliures anciennes, comme la doublure,[106] ou encore l'emploi de bandes de parchemin à la jonction entre l'ais de bois et le bloc des cahiers.[107] On notera l'existence d'un type de couvrure appelé *shidq* qui consiste à coller sur un morceau de cuir deux à trois feuilles de papier, puis du parchemin: on obtient ainsi une sorte de cartonnage.[108] Signalons enfin que l'auteur recommande l'emploi d'une colle particulière pour le parchemin.[109]

CONCLUSION

Si, comme on l'a vu, l'étendue des connaissances techniques des parcheminiers arabes peut faire l'objet de discussions, l'analyse de l'utilisation des peaux dans les manuscrits nous amène sur un terrain plus ferme: elle permet de constater que, parmi les héritiers du codex antique, les Musulmans occupent une place à part. Reprenant peut-être des techniques qui s'étaient antérieurement imposées — au Moyen-Orient? — pour la confection du codex de papyrus, la tradition qui apparaît en position dominante aux III^e–IV^e/IX^e–X^e s. se distingue en effet par des règles originales: prédécoupage systématique des peaux, préférence quasi exclusive pour les quinions, séquence uniforme des côtés du parchemin, reconstitution de "faux bifeuillets" par combinaison de deux feuillets dépareillés. D'autres façons de faire sont cependant connues: les plus anciennes sont pour le moment trop isolées pour autoriser une interprétation; celles qui distinguent l'Occident

[105] Bakr b. Ibrāhīm al-Ishbīlī, *Kitāb al-Taysīr fī ṣināʿat al-tasfīr*, éd. ʿAbdallāh Kannūn, *Revista del Instituto de Estudios Islámicos en Madrid*, VII-VIII (1959–60), 1–42 (texte arabe) et 197–9 (résumé en espagnol); A. Gacek, "Arabic Bookmaking and Terminology as Portrayed by Bakr al-Ishbīlī in his *Kitāb al-taysīr fī ṣināʿat al-tasfīr*", *MME*, V (1990–1), 106–113.

[106] al-Ishbīlī, *al-Taysīr*, 27; Gacek, "Arabic Bookmaking", 107.

[107] al-Ishbīlī, *al-Taysīr*, 27; Gacek, "Arabic Bookmaking", 109.

[108] al-Ishbīlī, *al-Taysīr*, 27; Gacek, "Arabic Bookmaking", 109. On pourrait rapprocher cette technique de celle qui est fréquemment utilisée pour les emboîtages (voir plus haut) et qui consiste en un collage de parchemin et de cuir.

[109] al-Ishbīlī, *al-Taysīr*, 13; Gacek, "Arabic Bookmaking", 107.

musulman soulignent le particularisme de cette région sans qu'il soit possible d'en expliquer la cause.

La chronologie de l'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques commence à se laisser cerner plus précisément. La date de 980/1572–3 — celle du MS BN Arabe 2547 — peut difficilement être considérée comme un réel *terminus ad quem* pour l'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques. Ce matériau est utilisé dès le Ier/VIIe s., dans des proportions qu'il est impossible de fixer par rapport au papyrus; bien qu'aucun manuscrit sûrement daté et localisé ne nous ait été conservé pour la période antérieure au IIIe/IXe s.,[110] il est permis de penser que, dans toutes les provinces du monde musulman, le parchemin a servi à la fabrication des manuscrits au cours d'un âge d'or qui va des origines jusqu'au IVe/Xe s. Deux témoins de la fin du IIIe/IXe s. pourraient indiquer, s'ils ont bien été copiés en Iran, que le parchemin était encore en usage dans cette région alors que le papier était en passe de s'imposer sans partage.[111] Pour la même époque, dans la partie centrale du monde musulman, les vestiges sont plus importants et plus précis, surtout si on les conjugue avec ceux que nous ont laissés d'autres communautés de cette même région — par exemple les manuscrits du Mont Sinaï.[112] Au IVe/Xe s. et au delà, l'emploi du parchemin se restreint progressivement à l'Occident musulman, indépendamment de quelques cas isolés dont la portée exacte ne peut être exactement évaluée à l'heure actuelle. Dans son ultime bastion à l'Ouest, le parchemin continue à être employé dans la fabrication du codex, soit seul, soit en association avec le papier, jusqu'au VIIIe/XIVe s., et même jusqu'au IXe/XVe s.

[110] Pour les manuscrits anciens datés, on peut se reporter à: K. ʿAwwād, *Aqdam al-makhṭūṭāt al-ʿarabiyya fī maktabāt al-ʿālam al-maktūba mundhu ṣadr al-islām ḥattā sanat 500h (1106m)* (Baghdad, 1982); G. Endress, "Handschriftenkunde", *Grundriß der arabischen Philologie*, W. Fischer éd., I (Wiesbaden, 1982), 281; et F. Déroche, "Les manuscrits arabes datés du IIIe/IXe s.", *REI*, LV–LVII (1987–9), 343–79.

[111] MSS Dublin, Chester Beatty Library 1417 (A. J. Arberry, *The Koran Illuminated, a Handlist of Korans in the Chester Beatty Library* [Dublin, 1967], nº 260; D. James, *Qur'āns and Bindings from the Chester Beatty Library, a Facsimile Exhibition* [London, 1980], 26) et Istanbul, Topkapı Sarayı Library, A 1 (Déroche, "Collections de manuscrits anciens du Coran à Istanbul", 153–4).

[112] Voir par exemple A. S. ʿAtiya, *al-Fahāris al-takhlīliyya li-makhṭūṭāt Ṭūr Sīnā' al-ʿarabiyya*, I (Alexandria, 1970); I. E. Meïmari, *Katalogos tôn neôn arabikôn cheirographôn tês Ieras Monês Agias Aikaterinês tou Orou Sina* (Athens, 1985).

Une meilleure connaissance de la production des manuscrits sur parchemin — en particulier leur publication systématique dans des recueils de manuscrits datés — devrait permettre d'affiner ce tableau; la confrontation de ces résultats avec les diverses sources textuelles ou encore avec les données de toponymie urbaine[113] nous permettra peut-être d'envisager une géographie historique de l'emploi du parchemin dans le monde islamique.

[113] Si, dans les diverses régions du monde musulman, les parcheminiers ont laissé leur trace dans la toponymie urbaine, l'étude de celle-ci permettrait peut-être d'affiner la chronologie et de dresser une carte de l'industrie parcheminière en Terre d'Islam (voir le "Faubourg des Parcheminiers" à Cordoue: *Le calendrier de Cordoue*, Dozy éd., 166, n. 6).

Fig. 1

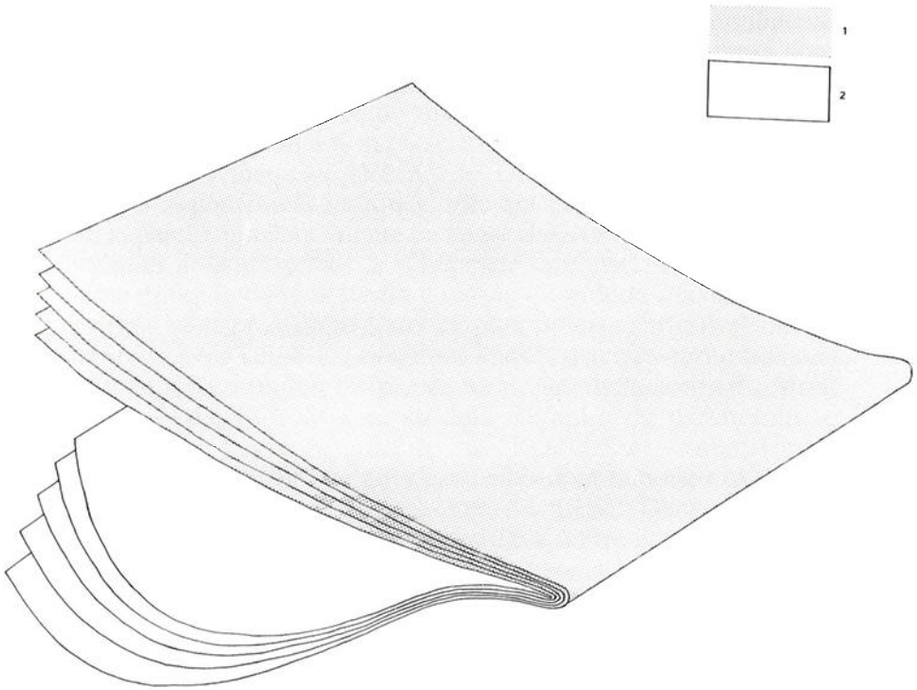

Quinion de type classique (III^{e}/IX^{e} s.). 1: côté poil; 2: côté chair.

Fig. 2

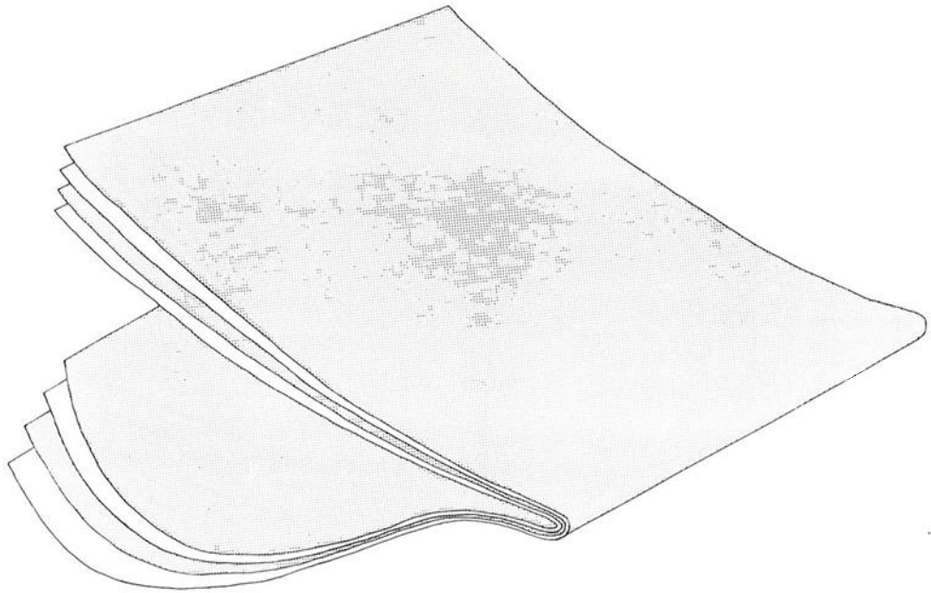

Quaternion de type occidental (voir légende de la fig. 1).

Fig. 3

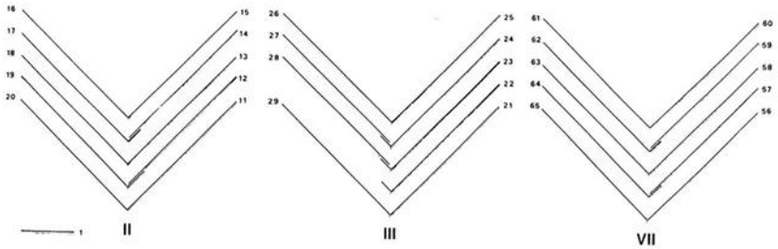

Cahiers II, III et VII du MS Paris, BN Smith-Lesouëf 193. 1: parchemin (le trait fin signale l'emplacement du côté poil). [N.B.: à la suite d'une restauration ancienne — peut-être ottomane, les feuillets dépareillés symétriques ont été collés sur l'un des deux talons de la paire (par ex., ff. 14 et 17) tandis que l'autre était supprimé.]

Fig. 4

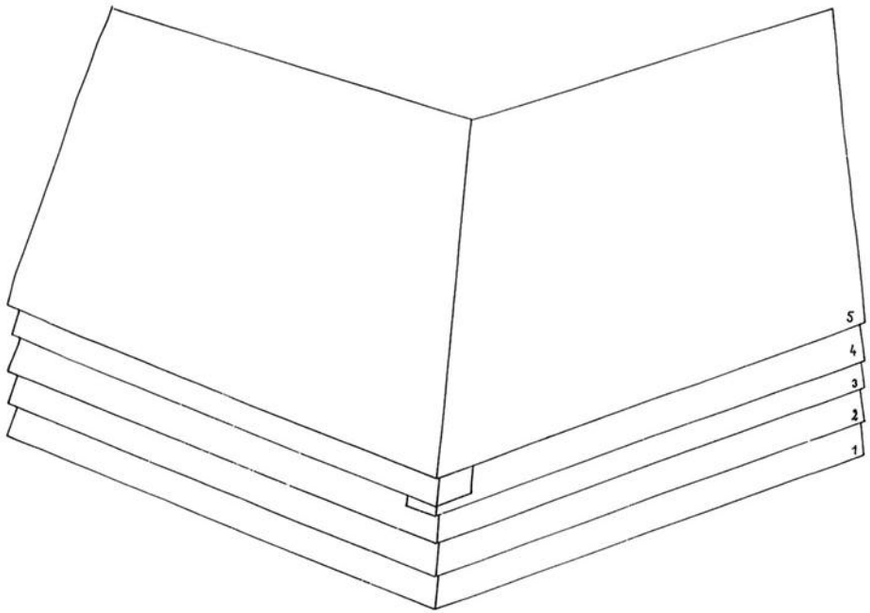

Quinion incorporant deux feuillets dépareillés pourvus d'un talon (ff. 4 et 7) et disposés symétriquement.

Fig. 5

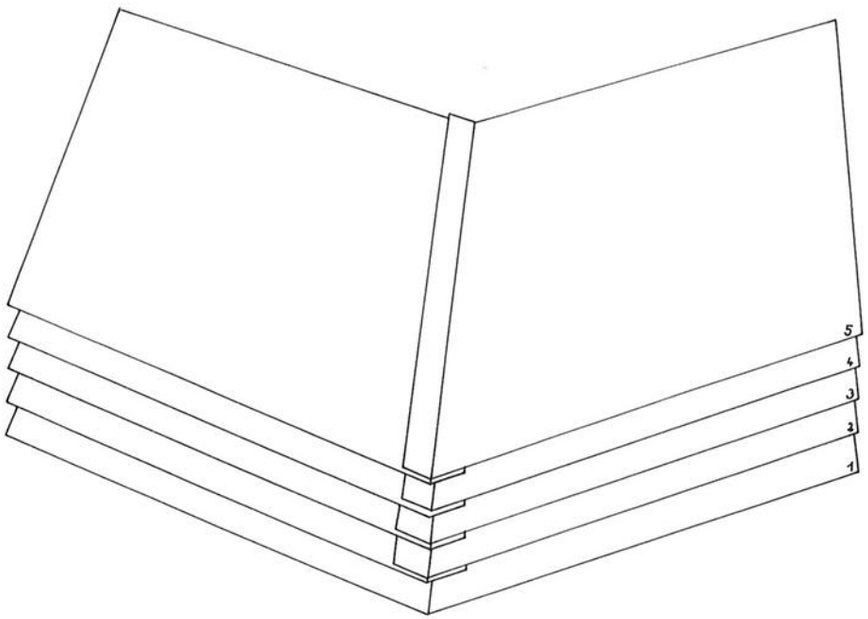

Quinion incorporant huit feuillets dépareillés pourvus d'un talon (ff. 2 à 9) et disposés symétriquement.

Fig. 6

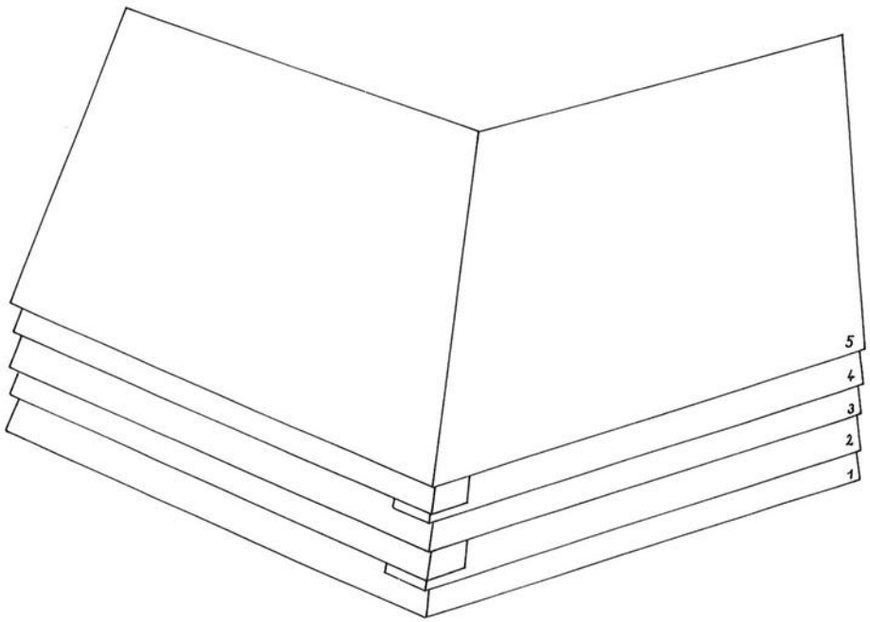

Quinion incorporant quatre feuillets dépareillés pourvus d'un talon (ff. 2, 4 7 et 9) et disposés symétriquement.

Fig. 7

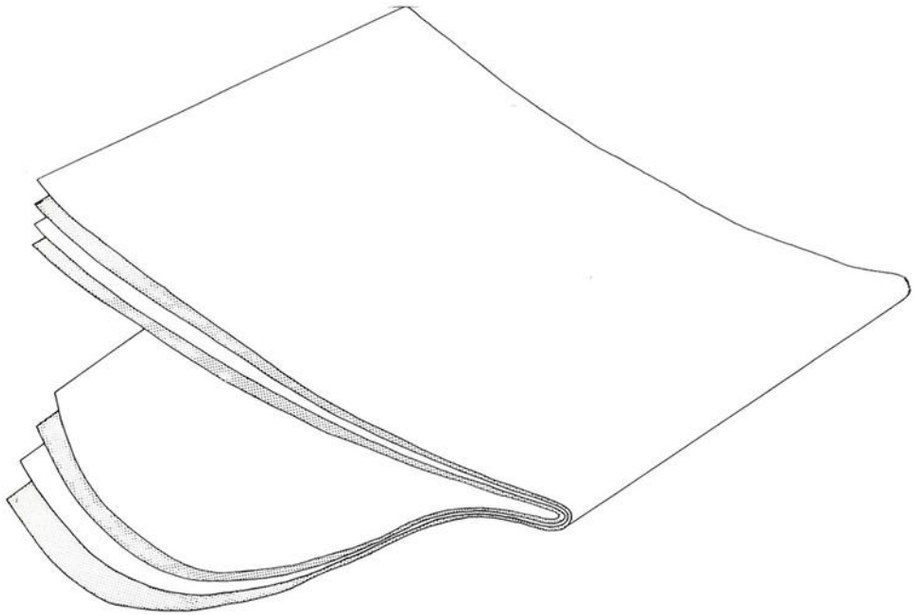

Quaternion dy MS Paris, BN Arabe 328a (fin I^er–début II^e/fin VII^e–début VIII^e s.); voir légende de la fig. 1.

Fig. 8

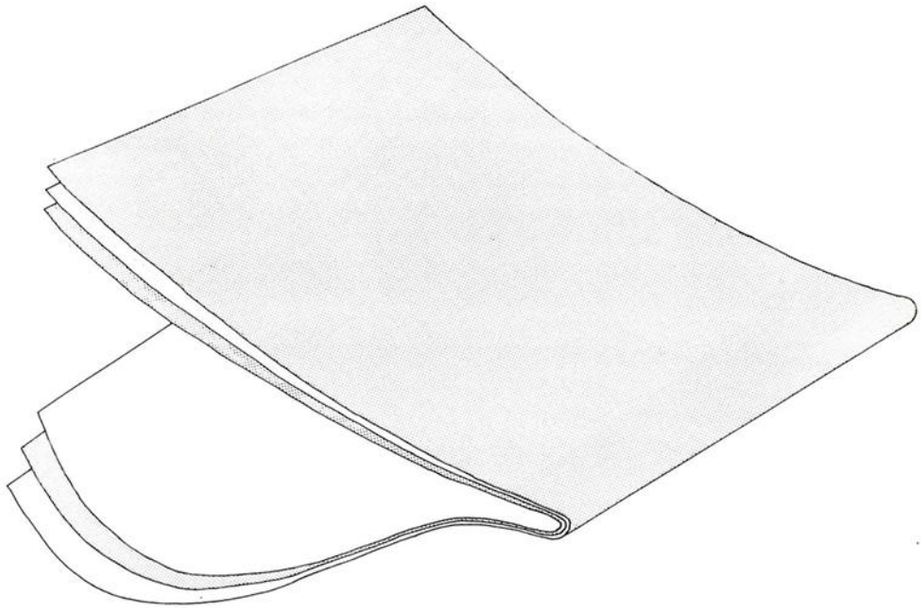

Ternion de type maghrébin; voir légende de la fig. 1

Fig. 9

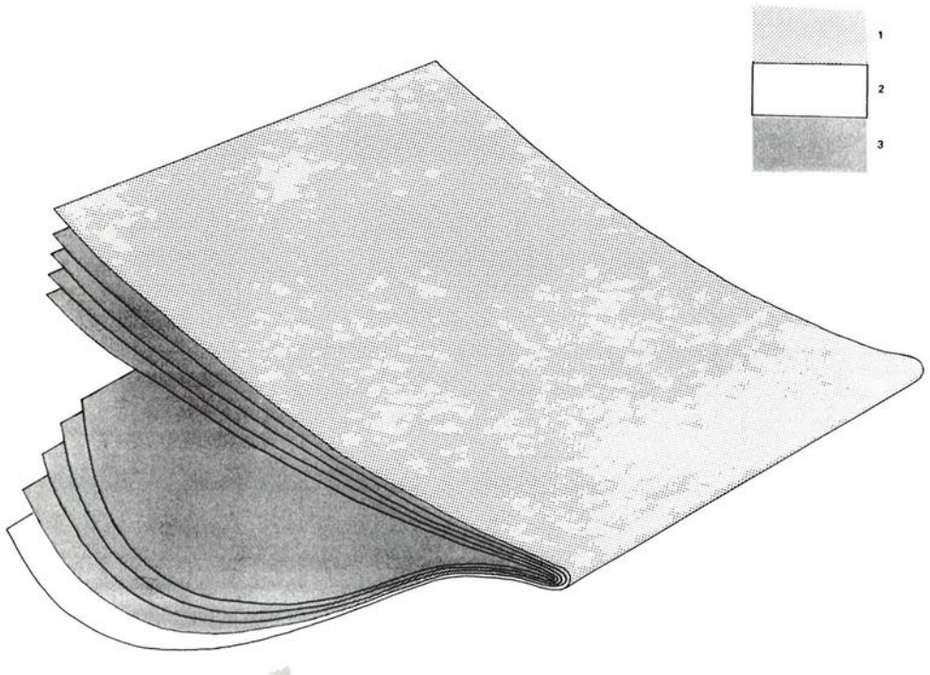

Quinion mixte. 1: côté poil du parchemin; 2: côté chair du parchemin; 3: papier.

Fig. 10

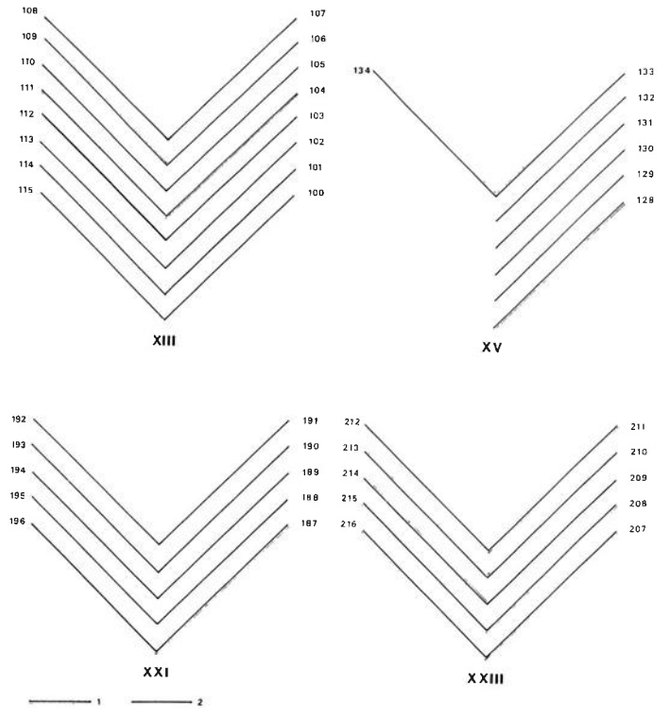

Ar. 2547

Cahiers XIII, XV, XXI et XXIII du MS Paris, BN Arabe 2547. 1: parchemin (le trait fin signale l'emplacement du côté poil); 2: papier.

TWO NEW SOURCES ON THE ART OF MIXING INK

IBRAHIM CHABBOUH

Despite its brevity, the book *ʿUmdat al-kuttāb wa-ʿuddat dhawī al-albāb*,[1] written in all probability for al-Amīr al-Ṣanhājī Tamīm b. al-Muʿizz b. Bādīs, is one of the most comprehensive sources for the codicology of Islamic manuscripts. Its unknown author gives a concise and balanced account of the selection of suitable pens and the ways in which they should be trimmed in preparation for writing particular scripts. He also describes inkwells and their accessories, the preparation of different types of black and coloured ink, the mixing of dyes, writing in gold, erasing, gilding, silvering and polishing, the manufacturing, glazing and ageing of paper, and the materials and tools of bookbinding.

This unique early source has had a considerable and lengthy influence on codicological literature, as is clearly shown by the presence of copies of the work in centres of Islamic culture from Rampur in India to Fez in Morocco. A direct echo of this book was heard a century and a half later, in the work of the Yemeni king Yūsuf b. ʿUmar b. ʿAlī b. Rasūl (694/1294), *al-*

---

1 *ʿUmdat al-kuttāb wa-ʿuddat dhawī al-albāb*, ed. ʿAbd al-Sattār al-Ḥalwajī and ʿAlī ʿAbd al-Muḥsin Zakī, *Majallat Maʿhad al-Makhṭūṭāt al-ʿArabiyya* [Cairo], XVII (1391/1971), 45-172. See also C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur (GAL)*, 1st ed, I (Weimar, 1898), 268, 525, and Supplement, I (Leiden, 1937), 473, 963; ʿUthmān al-Kaʿʿāk, "Ṣināʿat al-kutub fī al-Qayrawān", *Majallat al-Mabāḥith* [Tunis], XXV (1946), 13 (introducing an old copy discovered in Qayrawān). The Bibliothèque Nationale in Tunis has a good recent copy (no. 3634; see Ibrahim Chabbouh, *al-Makhṭūṭ* [Tunis, 1989], 48). The *ʿUmda* has also been translated by Martin Levey in his *Medieval Arabic Bookmaking and Its Relation to Early Chemistry and Pharmacology*, Transactions of the American Philosophical Society, New Series, LII/4 (Philadelphia, 1962); see also M. Zerdoun Bat-Yehouda, *Les encres noires au moyen âge jusqu'à 1600* (Paris, 1983), 123ff.

Mukhtaraʿ fī funūn min al-ṣunʿ,[2] in which he reproduces the first ten chapters of the earlier work almost exactly, although with a degree of selectivity.

Early scholars divided the subject of codicology into four main areas: paper, ink, pens (or, sometimes, scripts) and binding. Each of these became associated with a particular guild, with the various practitioners of each differing in their scholarly credentials and social status. These guilds were usually mutually exclusive, which militated against a comprehensive and unified study of their various crafts until the appearance of the *ʿUmda*.

Our information about these four different areas is far from equal. This is because those who have been qualified enough to write with discernment about the experience of past generations in this art have been concerned first and foremost with penmanship and calligraphy.[3] For this reason, this field has been studied in rich detail and its development, rules and famous practitioners have been fully documented.

The aesthetic principles of calligraphy are without limit, since they belong to the realm of creativity, sense and aesthetics. As for the remaining three main categories, i.e. paper, ink and binding, the extant literature does not do justice to the skills involved in transmitting the huge amount of Islamic scholarship which has come down to us. We scarcely know anything about early paper-making, save a few disjointed descriptions which help us little in our understanding of how the many different types of paper used in Islamic manuscripts were made, not to mention the differences in the ingredients of various papers and the techniques used for their immersion,

[2] I have used a photographed copy of the Ambrosiana MS and also examined a good published edition of the work by Muḥammad ʿĪsā Ṣāliḥiyya (Kuwait, 1989). There is another copy, not used for this edition, in the Asafiya Library, India (MS no. 221), considered by ʿAwwād to be of anonymous authorship (see K. Awwād, "al-Khaṭṭ al-ʿarabī fī āthār al-dārisīn qadīman wa ḥadīthan", *al-Mawrid* [Baghdad], XV [November 1986], 393).

[3] This is also the way in which the subject is treated in *ʿUmdat al-kuttāb*. See also al-Qalqashandī, *Ṣubḥ al-aʿshā* (Cairo, 1331-8/1913-18), II, 463, where, instead of the category of binding, the author refers to "competence in the writers' craft." "Ink", he says, "is one of the four foundations of writing, for, as they say:

A quarter of writing is in the blackness of the ink,
and a quarter is competance in the writers' craft
A quarter is in the fine trimming of the pen,
and on [the quality of] the paper rests the fourth of these."

glazing, colouring and the reduction of their acid content. Nor can we identify examples of the old and not so old papers referred to by specific names from the time of Ibn al-Nadīm[4] until that of al-Qalqashandī.[5] For example, the author of the *ʿUmda* gives a description of the manufacture of a paper which he names after the governor of Khurāsān Ṭalḥa b. Ṭāhir (207-213/822-828), which is made of good-quality white hemp. He also describes a paper which is made of old straw, and mentions the procedure for its immersion and ageing.[6]

By contrast, we find that the art of binding has been studied in a more useful and integrated fashion, despite a certain paucity of material. This art effectively completes the effort made by the writer by containing his ideas physically between the covers of a book. It requires a knowledge of the correct use of particular materials such as leather, silk, wood, cardboard, thread and glue. The author of the *ʿUmda* lists the technical and personal qualities which should be combined in a practitioner of this art as "quick wittedness, sharpsightedness, a light touch, a lack of hastiness, attention to detail, a good sitting posture, an amiable mien and good moral character."[7] (We refer particularly to the twelfth chapter of the *ʿUmda*,[8] which may be considered the oldest complete and clear text to list and describe the tools of the bookbinder. It also explains the method of binding, the selection and preparation of types of leather, and how to clean, stretch and strengthen them.)

One of most important later works devoted to the art of binding is that entitled *Kitāb al-Taysīr fī ṣināʿat al-tasfīr* by the jurist Bakr b. Ibrāhīm al-Ishbīlī (d. 628/1231), which he wrote at the request of the caliph Yaʿqūb b. Manṣūr.[9] This work is the most accurate, comprehensive and descriptive study of the art of

[4] Ibn al-Nadīm, *al-Fihrist*, ed. G. Flügel (Leipzig, 1871-2), 21.

[5] Al-Qalqashandī ranks the paper available in his time by quality: the best was Baghdādī, followed by Ḥamawī, Shāmī, Miṣrī (available in two sizes, Manṣūrī and "ordinary") and, lastly, the paper of "the people of the West and the Europeans (*firanja*)" (*Ṣubḥ al-aʿshā*, II, 476-7). This text, despite its brevity, is of great importance.

[6] *ʿUmdat al-kuttāb*, 147-9.

[7] ibid, 157.

[8] ibid, 153ff.

[9] Bakr b. Ibrāhīm al-Ishbīlī, *Kitāb al-Taysīr fī ṣināʿat al-tasfīr*, ed. ʿAbdallāh Kannūn, *Revista del Instituto de Estudios Islamicos en Madrid*, VII-VIII (1959–60), 1–42 (Arabic text), 197-9 (summary in Spanish); see also Muḥammad al-Manūnī, *Tārīkh al-wirāqa al-maghribiyya* (Rabat, 1991), 29.

binding in Almohad Morocco and Andalusia. Apart from this work, there is also the treatise by Abū al-ʿAbbās Aḥmad b. Muḥammad al-Sufyānī, written in 1029/1620, on the art of bookbinding and the dissolving of gold.[10]

Early historical examples of bindings provide us with information about their salient artistic and technical features, successive studies of which have enabled us to distinguish the characteristics, styles and preferred materials of the main schools. Of these, particular mention should be made of the work of Sarre, Gratzl, Poinssot and Marçais.[11]

The wealth of artistic features in the preparation of Islamic manuscripts after the 5th/11th century is reflected in the great variety of colours with which copyists, illuminators and gilders adorned their work. The experiments of the inkmakers (*ḥabbārūn*) soon went beyond their limited beginnings as their expertise came to encompass the blending of various shades of colours. Nor was the blending of a coloured ink confined to a single recorded experiment; rather we find different ways of arriving at the same colour being recorded in widely separated parts of the Muslim world, each arrived at using the substances available in that particular region.

Of these inkmakers, who occupied an important position in the world of bookmaking, some were also scholars. These would record the experiments with which they had become acquainted in books and in the manuals which were written to teach prospective secretaries in government service the essential features of their art. Examples of these are the works of Abū Bakr al-Ṣūlī, Qudāma b. Jaʿfar, Ibn Durustawayh, al-Nuwayrī and al-Qalqashandī. Only occasionally, as far as I know, were these arts treated comprehensively chapter by chapter, as was the case in *ʿUmdat al-kuttāb*.

In view of this, I wish to present here two new texts on the preparation of ink. These are of the utmost historical and technical importance, as they offer a new perspective on the early history of the subject and help us to clarify a number of

[10] This was published by Prosper Ricard under the title *Ṣināʿat tasfīr al-kutub wa-ḥall al-dhahab* (Paris, 1919), republished by the same publisher in 1925, and translated by Levey as a supplement to his translation of *ʿUmdat al-kuttāb* (see n.1 above). See also al-Manūnī, *Tārīkh al-wirāqa*, 86.

[11] For titles by these authors, see K. Creswell, *A Bibliography of the Architecture, Arts and Crafts of Islam* (Oxford, 1961), index.

obscure points in our understanding of the technical aspects of writing in our manuscript heritage.[12]

Al-MARRĀKUSHĪ'S *AL-AZHĀR FĪ ʿAMAL AL-AḤBĀR*

The first text is a unique manuscript entitled *al-Azhār fī ʿamal al-aḥbār*, written by a Moroccan called Muḥammad b. Maymūn b. ʿImrān al-Marrākushī al-Ḥimyarī. We know nothing about his life, save what can be gleaned from the work itself to the effect that he wrote the book whilst living in Baghdad in the Mustanṣiriyya *madrasa* in 649/1241.[13] It is an autograph manuscript, written on contemporary paper in a confident hand, observing the Andalusian-Moroccan conventions of letter curvature whilst adopting the Eastern convention of marking the letters *fā'* and *qāf* with one and two dots above each respectively, as well as marking final *bā'*, *tā'*, *fā'* and *kāf* with what resembles a trefoil. However, although the author was able to record and explain his technical experimental work, his knowledge of Arabic is limited. In parts of the text, the meaning is obscure, the grammar is incorrect and the vowelling erroneous and inconsistent.

In the title and introduction, the author tells us that this work follows on from *Mafātīḥ al-asrār fī kashf ʿulūm al-abrār*, of which he tells us in more than one place that he is the author. He also mentions that he is concerned with philosophy (*ḥikma*) and alchemy and the intellectual legacy of Jābir b. Ḥayyān, a number of whose scattered works he claims to have collected in a work entitled *al-Tadābīr al-kabīr*.

It is clear from the introduction to *al-Azhār fī ʿamal al-aḥbār* that a group of the author's colleagues asked him "to compose a work on the art and knowledge of ink[making] and the exposition of what may be compounded of the five metallic

[12] See Zerdoun Bat-Yehouda, *Les encres noires*, 124ff, where she states that the first mention of ink in the Muslim world dates from the 3rd/9th century.

[13] This *madrasa* was founded by the Abbasid caliph al-Mustanṣir billāh, on the eastern side of Baghdad beside the Tigris. Building work began in 625/1227 and was completed in 631/1234. Valuable collections of books were deposited there (see Ibn al-Fūṭī, *al-Ḥawādith al-jāmiʿa* [Baghdad, 1932], 53), catering for all the *madhāhib*. The building was completely restored in the present century, starting in 1945.

substances (*ajsād*)[14] and silver and gold dust, the way in which colours may be blended, and their use in combination to make beautiful tints for use in writing." He also speaks more generally of the special significance of ink in giving fixed form to the lessons of human experience, especially the Qur'ān and *Ḥadīth* and the histories of past nations, and enabling the preservation of knowledge and genealogies.

The author acknowledges that in this work he has proceeded on the basis of accepting information transmitted from early scholars, and that time has not permitted him to repeat all their experiments in their entirety, save in a few areas in which he has come to be knowledgeable "by means of scientific surmise and cautious consideration."

The introduction to the book concludes with a detailed list of twenty-seven essays (*maqālāt*), each of which is subdivided into chapters (*abwāb*). As this is the most detailed exposition of the art of ink-making, we list the contents as they are given:

First Essay: On the preparation of liquid black ink (four chapters)
Second Essay: On the various types of solid (dry) ink, (two chapters)
Third Essay: On the preparation of inks of different colours (eleven chapters)
Fourth Essay: On the preparation of liquid compound ink (two chapters)
Fifth Essay: On the preparation of ordinary dry ink (nine chapters)
Sixth Essay: On the use of inks of different colours (ten chapters)
Seventh Essay: On writing substances prepared from gold and silver and the rest of the five metallic substances (four chapters)
Eighth Essay: On that which is made to resemble gold and silver and the other five metallic substances (four chapters)
Ninth Essay: On that which is written on gold and silver vessels and on implements made of iron, copper and brass (seven chapters)
Tenth Essay: On plating with alloys of the seven [*sic*] metallic substances, including the production of the plating alloy from its constituent elements and the removal of extraneous substances from the alloy (five chapters)
Eleventh Essay: Remarks on how to write on glass (ten chapters)
Twelfth Essay: On decorating the fingertips with colours, and writing in gold and silver on the palm of the hand (eleven chapters)

[14] The author lists the "five metallic substances" when he mentions the sub-sections of Chapter Seven as: gold, silver, brass, black lead (*usrub*) and white lead (*raṣāṣ*, i.e. pewter and/or tin). For these terms, see also the translation and comments of H. Renaud and G. Colin in their edition of *Tuḥfat al-aḥbāb fī māhiyyat al-nabāt wa-l-a'shāb* (Paris, 1934), 20, no. 39.

Thirteenth Essay: On the use of other colours omitted in the varieties which we have discussed so far (ten chapters)
Fourteenth Essay: On the mixing and blending of the colours mentioned so far and the compounds thus produced (four chapters)
Fifteenth Essay: On colour variations in writing according to time and place, how to write on water, which is one of the special skills of the most accomplished scribes (nine chapters)
Sixteenth Essay: On that which disappears [?] entirely whilst the writer writes quickly with it (two chapters)
Seventeenth Essay: On the writing of secrets and the subtle ways of keeping them from the unworthy (two chapters)
Eighteenth Essay: On the means at the writer's disposal for erasing with a knife (seven chapters)
Nineteenth Essay: On making distinctions by rational means, and the distinction between the possible and the impossible concerning that which has been discussed beforehand (seven sections)
Twentieth Essay: On the method of breaking and resealing seals and how to read the books contained therein and fold them (two chapters)
Twenty-first Essay: On the moistening of paper [in the manufacturing process] and how to keep flies off it, as well as [the best methods] arrived at through experimentation for polishing and ageing it (five chapters)
Twenty-second Essay: On how to draw with pens using soot, what the *līq*s for them are like and the *līq*s for drawing and writing before paint is applied [?] (three chapters)
Twenty-third Essay: A description of the undercoat applied with a pen beneath writing and illumination, as well as the overlay applied to preserve it from the ravages of time (five chapters)
Twenty-fourth Essay: A description of the paints which can be applied to vessels, and drawing on inkwells, pens and pencases and the like (seven chapters)
Twenty-fifth Essay: A description of the correct way to work various kinds of iron (five chapters)
Twenty-sixth Essay: On the tempering of swords, craftsmen's tools and pen-knives, and how to keep them from rusting (six chapters)
Twenty-seventh Essay: On how to erase all of the other colours and inks hitherto discussed (four chapters).

This table of contents certainly arouses the reader's interest to find out important details about how different types of ink were made, how the colours were blended, and the different ways in which texts were decorated, as well as details about the how paper was made, how pens were prepared, and how decoration was permanently fixed on them. It also promises information on how different colours were composed, how

metals were plated, how iron in its various forms, and how it was kept from rusting, as well as how to remove traces of various colours.

However, of this great work planned by al-Marrākushī in 27 essays and their constituent chapters, only the first six essays and the title of the seventh have survived. Nor is there anything missing from the copy, as might be supposed; rather the author, in a manner which I have never come across before, deliberately stops at that point, indicating both indirectly and explicitly that he was undergoing — as we would say in the language of today — an emotional crisis which prevented him from completing the work. He goes on to say that he thought about completing the work, [but instead] compiled *al-Tadābīr al-kabīr* from the works of Jābir b. Ḥayyān, considering this to be a sufficient substitute for, and completion of, the earlier work. However, he recognises that the final work is "closer to the [level of the] scholar than the student" because of the difficulty of its symbolism - in the manner of Jābir - and that it thus needs a commentary to explain it, but he excuses himself from this task on the grounds that life is too short.

So ends the book, but the six surviving essays are rich in themselves, containing one hundred and fourteen recipes for mixing ink, which are, as far as I know, the clearest, most concise and numerous collection extant.

The most distinguishing feature of the book is that it contains recipes for ink attributed to some of the great figures of the Islamic cultural heritage, including those for the inks used by the following scholars and litterateurs: Īsā b. ʿUmar al-Naḥwī (d. 149/766), Muslim b. al-Walīd (d. 208/823), Abū ʿUthmān ʿAmr b. Baḥr al-Jāḥiẓ (d. 255/968), Muḥammad b. Ismāʿīl al-Bukhārī (d. 256/870), Bakhtyashūʿ al-Ṭabīb (d. 256/870), Muslim b. Ḥajjāj al-Qushayrī (d. 261/875), ʿAbd Allāh b. Muslim b. Qutayba (d. 276/889), Muḥammad b. Zakariyyā' al-Rāzī (d. 313/925), Muḥammad b. ʿAlī b. Muqla (238/940), Abū al-Faraj ʿAlī b. al-Ḥusayn al-Iṣbahānī (d. 326/967), Abū Ḥayyān ʿAlī b. Muḥammad al-Tawḥīdī (d. *ca.* 400/1010), ʿAlī b. Hilāl al-Kātib, known as Ibn al-Bawwāb (d. 423/1032), ʿAlī b. Hibat Allāh b. Mākūlā (d. 475/1082) and others. (The author even adds, having described the ink that the *wazīr* Ibn Muqla used, that it was an Indian recipe, according to what he was told when he was at the Mustanṣiriyya *madrasa* in Baghdad!) Thus for the first time we come to know about the various types of ink attributed to scholars in the Muslim world.

We may observe that the inks of these scholars have a number of ingredients in common. These are: gallnut,[15] vitriol,[16] gum arabic[17] and fresh water. Some recipes leave out gum arabic, relying on the natural brilliance and permanence of the resultant black compound which needs no additive to make it adhere to paper or parchment. This is the type of ink that was used by Muslim b. al-Walīd, al-Jāḥiẓ and al-Bukhārī.

Despite these inks having these four ingredients in common, there are important differences between them in how they are prepared, the proportions of their ingredients, how they are fire-treated or sun-dried, and how they are pressed and macerated, all of which are quite clearly recorded.

As gallnuts are one of the more or less fixed ingredients on the manufacture of ink, al-Marrākushī gives possible alternatives if they are not available, mentioning decoctions of fresh myrtle, walnut (*jauz*), pomegranate rind, carob and tamarisk, adding that "they are more effective when added to one another, and even more so if all are used in combination, with the overall strength of the mixture depending on the proportions of the various ingredients."

The author mentions the usefulness of soot in the manufacture of compound inks and describes a device for producing it, whilst pointing out that the best soot is derived from sesame oil, walnut (*jawz*), hazelnut, seeds or naphtha. In this way, he clarifies what Aḥmad b. Yūsuf al-Kātib[18] relates about the production of the powdered ink which he used to

---

15 See *Tuḥfat al-albāb*, 137, no. 309.

16 ibid, 65, no. 144.

17 ibid, 132, no. 296.

18 Known as Abū Jaʿfar b. al-Dāya al-Baghdādī al-Miṣrī, he exercised a ministerial function in the Ṭūlūnid state. He died *ca.* 340/950 (see al-Ziriklī, *al-Aʿlām* [n. pl., n. d.], I, 258; also al-Qalqashandī, *Ṣubḥ al-aʿshā*, II, 464). It is worth noting that efforts to refine ink were concentrated on maximising the smoothness of the ink on the pen in order to make it run more easily. One worthy attempt in this regard, now lost, was made by the fourth Fāṭimid caliph al-Muʿizz li-Dīni-llāh, who devised a fountain pen that could be turned in any direction without leaking, and would write in the best manner when put to use and then retain the ink when lifted from the book (see al-Qāḍī al-Nuʿmān b. Ḥayyūn, *al-Majālis wa-l-musāyarāt*, ed. I. Chabbouh et al. [Tunis 1978], 319).

supply during the time of Khumārawayh b. Aḥmad b. Ṭūlūn,[19] and confirms the view of the *wazīr* Ibn Muqla that the best ink was made from naphtha soot.[20]

It is worth pointing out here that in the first six essays the term used changes from *ḥibr* (first, second and third) to *midād* (fourth, fifth and sixth), although a close reading of the text reveals no difference between the use of the two terms. Al-Marrākushī lists the ingredients of ink (*ḥibr*) as follows: gallnut, vitriol, gum arabic and water, with the possible addition of saffron, musk, Socotra aloes and rosewater (first essay, chapter one). He also describes the contents of white ink as being made up of ceruse, decoction of white gallnut and gum arabic, whilst listing litharge, saffron and gum arabic for red ink. He then describes a compound of *midād* and *ḥibr* (*sic*) as being made up of gallnut, gum arabic, vitriol and water, with the addition of seed soot and a decoction of pomegranate blossom.

This wavering between the two terms begs the question as to whether there is a difference between them. Aḥmad al-Maghribī, a scholar of the 11th/17th century, wrote a work entitled *Qaṭf al-azhār fī khaṣā'iṣ al-ma'ādin wa-l-aḥjār*,[21] in which he differentiates between the ingredients of the two. According to this work, *ḥibr* is what derives its colour from vegetable substances whilst *midād* is what is made from mineral substances.[22] However, the editor of al-Maghribī's text has arrived at this through a deduction which I cannot support, for vitriol, which is a mineral, is contained in all types of *ḥibr* whilst gallnut, gum arabic and saffron, which are vegetable substances, are included in most types of *midād*. It appears, then, that this is no more than a lexical confusion between words which had a subtle difference of meaning for the early scholars. For them, the word *ḥibr* derived from the idea of colour. If it was said of someone, for example, that he was *nāṣi'*

[19] Khumārawayh b. Aḥmad b. Ṭūlūn assumed rule of Egypt after his father in 270/883 and died in 282/896 (see al-Kindī, *The Governors and Judges of Egypt (Kitab el-Wulāt wa-Kitāb al-Quḍāt)*, ed. R. Guest [Leiden and London, 1912], 233).

[20] See al-Qalqashandī, *Ṣubḥ al-a'shā*, II, 465.

[21] See 'Imād 'Abd al-Salām Ma'rūf, "Mulāḥaẓāt ḥawl makhṭūṭat *Qaṭf al-azhār* li-l-Maghribī", *al-Majalla al-Tārīkhiyya al-Maghribiyya* [Tunis], 8th year, XXII-XXIII (1981).

[22] See Barwīn Badrī Tawfīq, "Ṣinā'at al-aḥbār wa-l-liyaq wa-l-aṣbāgh: fuṣūl min makhṭūṭat *Qaṭf al-azhār* li-l-Maghribī", *al-Mawrid* [Baghdad], XII (1983), 252.

al-ḥibr, it meant that he was of a pure colour. Another meaning of *ḥibr* is a mark left on leather; likewise the verb *ḥabbara* can mean "to beautify".

As for the term *midād*, it comes from the idea of it "extending" (*yamuddu*), in the sense of "helping" (*yu'īnu*), the pen, and anything by which something else is extended or helped can be termed *midād*. For example, oil can be termed thus because the lamp is extended or helped by it. Similarly, any writing substance moistening the inkwell pad (*līqa*) can be called *midād*.[23] In the light of this, then, al-Marrākushī has used the two terms interchangeably, with *ḥibr* signifying "ink" in a generic sense and *midād* meaning the same thing by reference to one of the qualities it has.

Al-Marrākushī's work is notable for its coverage of the characteristics of substances used in the manufacture of ink, given the author's practical experience of chemistry. For example, he says of deep black ink with a high vitriol content: "It burns paper because of its high vitriol content, and eats away at the areas which have been written on, cutting right through the paper." Elsewhere he says about gum arabic: "The only benefit of gum arabic in ink is that it protects the script, should it fall into water, from blurring and smudging"; and that "Gum arabic repels vitriol."

As mentioned above, the first six essays deal with ink in all its various aspects. Had the author gone on to discuss the issues which he listed as forthcoming in the remaining essays, such as the plating of metals, the tempering of iron and swords and the removal of stains from clothing, one wonders whether the book would have retained the title of *al-Azhār fī 'amal al-aḥbār*!

AL-QALALŪSĪ'S *TUḤAF AL-KHAWĀṢṢ*

The second text is rare, and of unusual arrangement, clarity and content. Its author is Muḥammad b. Muḥammad b. Idrīs al-Quḍā'ī al-Qalalūsī,[24] from Estepona in Andalusia. He was born

[23] See al-Qalqashandī, *Ṣubḥ al-a'shā*, II, 460-1.

[24] This is how his name is given at the beginning of the manuscript, with two vocalised *lāms*. In his biographical notice on al-Qalalūsī, Ibn al-Khaṭīb also spells the name with two *lams*, but does not vocalise them (see Ibn al-Khaṭīb, *al-Iḥāṭa fī akhbār Gharnāṭa* [Cairo, 1393-7/1973-7], III, 75ff), whereas Brockelmann (*GAL*, 2nd ed [Leiden, 1943-9], II, 336) has "al-Qallūsī", i.e. one *lām* with a *shadda*.

in 607/1210 and died in 707/1307. This author had a particular advantage over his contemporaries in that he entered the field of history by unusual means. He was originally a teacher of Arabic, and was famous for his detailed knowledge of Sībawayhi's manual of grammar, and was also an authority on poetry and prosody. He put this knowledge to use in his composition of didactic poems, in the Andalusian manner, on inheritance (*farā'iḍ*) and prosody, as well as a commentary in the same form on the *Malāḥin* of Ibn Durayd, and another on the book of al-Faṣīḥ.

The work which we shall present here is entitled *Tuḥaf al-khawāṣṣ fī ṭuraf al-khawāṣṣ*,[25] which is mentioned by Ibn al-Khaṭīb as follows:[26] "The *wazīr* Ibn al-Ḥakīm[27] was presented with a curious book about the properties [of substances], the manufacture of ink and the [removal of] stains from clothes (*ṭab' al-thiyāb*)."[28]

The manuscript, of which we have a photographed copy,[29] is written in a mediocre *maghribī* hand, in the Granadan style, with its letter curvature, elongation and contraction. It contains many orthographic errors and interpolations, and the copyist has missed out a few lines. The first half of the work has been affected by damp, rendering some of the manuscript illegible, while parts have been eaten by worms. It was copied in Jumādā I 936 (January 1530). The manuscript is enriched by useful

[25] It is clear that the author is fond of assonance in the titles of his works, such as *Zahrat al-ẓurf wa-zuhrat al-ẓarf*. In the title under consideration here, the first *khawāṣṣ* in the title is the opposite of "the common people" (*'awāmm*), whilst the second denotes a physical and chemical characteristic.

[26] Ibn al-Khaṭīb, *al-Iḥāṭa*, III, 76.

[27] His full name is Abū 'Abdallāh Muḥammad b. 'Abd al-Raḥmān b. al-Ḥakīm al-Lakhmī. He was born in Seville and grew up in Ronda, and was descended from the Banū Ḥajjāj and Banū 'Abbād. He was the secretary of the Sultan of Granada Muḥammad b. Muḥammad b. Naṣr, to whom he had his son Abū 'Abdallāh al-Makhlū' appointed as minister. When his son died, he was granted this post and became known as "the minister twice over" (*dhū al-wizāratayn*). He had good handwriting, held knowledge and scholars in high regard, and was keen on collecting books. He was killed in Granada in 708/1309. For biographical notices, see: Ibn al-Khaṭīb, *al-Iḥāṭa*, II, 444ff; Ibn Ḥajar, *al-Durar al-kāmina* (Hyderabad, 1347-50 [1928-31]), III, 495f; al-Maqqarī, *Azhār al-Riyāḍ* (Cairo, 1358-61/1939-42), II, 340ff.

[28] The editor of the *Iḥāṭa* reads this as *wa-l-taṭabbu' al-shābb!*

[29] The manuscript is from the Royal Library in Morocco. I am grateful to Muḥammad al-Manūnī for drawing my attention to it and to Mohamed Bencherifa for providing me with a copy.

marginal notes and formulae, some of which have been obliterated or are illegible due to the poor quality of the handwriting. They appear to have been added in from other, similar works.

In a short introduction, the author says that he has compiled in this work "an exposition of everything that the writer needs to know, and a corpus of material, ignorance of which would damage the reputation of any student." He also mentions, as stated by Ibn al-Khaṭīb, that he has dedicated the work to the illustrious *wazīr* Abū 'Abdallāh b. Abī al-Ḥakīm, and that he has divided the work into three chapters, as follows:

Chapter One: On the prerequisites of scribes, not [normally] appreciated by students
Chapter Two: On matters which are of great benefit but are not easily[30] acquired in full
Chapter Three: Miscellaneous points of interest

This terse division gives little or no impression of the wealth of material contained in the work, for the text itself contains discussions of principles, experiments and prescriptions and gives details of the properties of various types of ink, highlighting the best of them. It also examines materials such as gallnut, gum arabic and vitriol, blotting dust, clay teaching-slates, and inks prepared without gallnut.

In order to clarify the contents of the work further, we shall give a preliminary sketch of the contents to show the author's balanced approach in dealing with inks, colours, dyes, and the removal of stains from clothing. (As close examination reveals, all of these are logically connected, although they may not appear so at first.)

Chapter One: On the manufacture of inks, the first of which is black (*akḥal*) [p.2]

Section: On materials used in writing, such as ink which cannot be seen [on the page] until treated [p. 10]
Section: On the containers used for carrying ink, inkpads, ammonia and the clay for teaching-slates [p. 12]
Section: On inks containing no gallnut [p. 14]

[30] The text is not clear. I have read this word as *i'tāṣa*, as a synonym for *ishtadda*, *imtana'a* and *iltātha*, although it could also be *iḥtāṣa*, meaning "to take firmly in hand".

in 607/1210 and died in 707/1307. This author had a particular advantage over his contemporaries in that he entered the field of history by unusual means. He was originally a teacher of Arabic, and was famous for his detailed knowledge of Sībawayhi's manual of grammar, and was also an authority on poetry and prosody. He put this knowledge to use in his composition of didactic poems, in the Andalusian manner, on inheritance (*farā'iḍ*) and prosody, as well as a commentary in the same form on the *Malāḥin* of Ibn Durayd, and another on the book of al-Faṣīḥ.

The work which we shall present here is entitled *Tuḥaf al-khawāṣṣ fī ṭuraf al-khawāṣṣ*,[25] which is mentioned by Ibn al-Khaṭīb as follows:[26] "The *wazīr* Ibn al-Ḥakīm[27] was presented with a curious book about the properties [of substances], the manufacture of ink and the [removal of] stains from clothes (*ṭab' al-thiyāb*)."[28]

The manuscript, of which we have a photographed copy,[29] is written in a mediocre *maghribī* hand, in the Granadan style, with its letter curvature, elongation and contraction. It contains many orthographic errors and interpolations, and the copyist has missed out a few lines. The first half of the work has been affected by damp, rendering some of the manuscript illegible, while parts have been eaten by worms. It was copied in Jumādā I 936 (January 1530). The manuscript is enriched by useful

[25] It is clear that the author is fond of assonance in the titles of his works, such as *Zahrat al-ẓurf wa-zuhrat al-ẓarf*. In the title under consideration here, the first *khawāṣṣ* in the title is the opposite of "the common people" (*'awāmm*), whilst the second denotes a physical and chemical characteristic.

[26] Ibn al-Khaṭīb, *al-Iḥāṭa*, III, 76.

[27] His full name is Abū 'Abdallāh Muḥammad b. 'Abd al-Raḥmān b. al-Ḥakīm al-Lakhmī. He was born in Seville and grew up in Ronda, and was descended from the Banū Ḥajjāj and Banū 'Abbād. He was the secretary of the Sultan of Granada Muḥammad b. Muḥammad b. Naṣr, to whom he had his son Abū 'Abdallāh al-Makhlū' appointed as minister. When his son died, he was granted this post and became known as "the minister twice over" (*dhū al-wizāratayn*). He had good handwriting, held knowledge and scholars in high regard, and was keen on collecting books. He was killed in Granada in 708/1309. For biographical notices, see: Ibn al-Khaṭīb, *al-Iḥāṭa*, II, 444ff; Ibn Ḥajar, *al-Durar al-kāmina* (Hyderabad, 1347-50 [1928-31]), III, 495f; al-Maqqarī, *Azhār al-Riyāḍ* (Cairo, 1358-61/1939-42), II, 340ff.

[28] The editor of the *Iḥāṭa* reads this as *wa-l-taṭabbu' al-shābb!*

[29] The manuscript is from the Royal Library in Morocco. I am grateful to Muḥammad al-Manūnī for drawing my attention to it and to Mohamed Bencherifa for providing me with a copy.

marginal notes and formulae, some of which have been obliterated or are illegible due to the poor quality of the handwriting. They appear to have been added in from other, similar works.

In a short introduction, the author says that he has compiled in this work "an exposition of everything that the writer needs to know, and a corpus of material, ignorance of which would damage the reputation of any student." He also mentions, as stated by Ibn al-Khaṭīb, that he has dedicated the work to the illustrious *wazīr* Abū 'Abdallāh b. Abī al-Ḥakīm, and that he has divided the work into three chapters, as follows:

Chapter One: On the prerequisites of scribes, not [normally] appreciated by students
Chapter Two: On matters which are of great benefit but are not easily[30] acquired in full
Chapter Three: Miscellaneous points of interest

This terse division gives little or no impression of the wealth of material contained in the work, for the text itself contains discussions of principles, experiments and prescriptions and gives details of the properties of various types of ink, highlighting the best of them. It also examines materials such as gallnut, gum arabic and vitriol, blotting dust, clay teaching-slates, and inks prepared without gallnut.

In order to clarify the contents of the work further, we shall give a preliminary sketch of the contents to show the author's balanced approach in dealing with inks, colours, dyes, and the removal of stains from clothing. (As close examination reveals, all of these are logically connected, although they may not appear so at first.)

Chapter One: On the manufacture of inks, the first of which is black (*akḥal*) [p.2]

Section: On materials used in writing, such as ink which cannot be seen [on the page] until treated [p. 10]
Section: On the containers used for carrying ink, inkpads, ammonia and the clay for teaching-slates [p. 12]
Section: On inks containing no gallnut [p. 14]

[30] The text is not clear. I have read this word as *i'tāṣa*, as a synonym for *ishtadda*, *imtana'a* and *iltātha*, although it could also be *iḥtāṣa*, meaning "to take firmly in hand".

Section: On how to write with gold, silver, tin, brass, copper, iron and talc [p. 23]
Section: On the types of ink used for writing on gold, silver, brass and lead [p. 27]

Chapter Two: On erasing ink from ledgers and books and removing dye from clothes [p. 28]

Section: On drinks and wines [p. 35]
Section: On the whitening of yarn [p. 38]
Section: On the production of dye for linen garments [p. 40]
Section: On the production of dye for silk garments [p. 41]

Third Essay,[31] containing useful discussions

Section: On the effect and use of verdigris [p. 46]
Section: On the use of whitewash (*bayāḍ al-wajh*) [p. 46]
On the use of red lead (*zarqūn*) [p. 47]
On the use of cinnabar [p. 49]
Section: On the production of dyes for wood, bone and brass [p. 50]
Section: On dyes and colours [p. 53]
Section: On substitutes [p. 54]
Section: On those of these dyes which are used in painting and drawing [p. 54]
A mention of those substances which may be used as a base for mixing, and those combinations which go together [p. 54]
A mention of the procedure for grinding dyes [p. 55]
A section on the limitations of dyes after their being ground [p. 56]
A mention of gilding fluid [p. 56]

The material contained in the first chapter all pertains to inks, which are carefully named. The second chapter contains a great deal of information about the ways in which traces of ink can be removed from ledgers, books and clothes. The third chapter, or essay, as the copyist calls it, describes the ingredients of dyes, the ways in which they should be prepared, those which can or cannot be blended, those which are suitable for paper and parchment, and those which are to be used only on wood and on walls.

This interlinking of subject-matter is a rich source of clarification for many aspects of Islamic culture, whether it be

[31] The author calls them chapters in his introduction. This change could have been introduced by the copyist.

codicology or any other related art such as painting, patterning, colouring and gilding. Indeed, al-Qalalūsī's work is of unique importance in that scarcely any of its contents have been reproduced from the work of his predecessors or contemporaries who wrote in the field, such as the author of *'Umdat al-kuttāb*, or Ibn Maymūn al-Marrākushī, or Ibn Rasūl.

In order to give a clearer idea of the form of al-Qalalūsī's book, we shall quote here a few sample passages from the Royal Library (Morocco) manuscript:

(i) p. 7:

(*from* Chapter One: On the manufacture of inks ...)

This is the procedure for making ink using gallnut, vitriol and gum arabic as described in this blessed table which sets out the contents of each variety of ink and the proportions of their ingredients, as well as the way in which each one is made, God willing:

Heat-treated	*Pressed*
Gallnut: one part	Gallnut: two parts parts
Vitriol: one quarter part	Gum arabic: one part
Gum arabic: one part	Vitriol: one tenth part
Water: three parts	Water: two parts

Macerated	*Powdered*
Gallnut: two parts	Gallnut: one part
Gum arabic: half part	Gum arabic: one part
Vitriol: one quarter part	Vitriol: half part
Water: three parts	Water: one part and a half

These are the combinations for the preparation of each one.

We shall now mention their various potencies and effects. The first thing to know is that if the gallnut content exceeds the stated proportions it will quickly hole the paper in writing. If the gum arabic content exceeds the stated proportions [the pages will stick together and] the book will tear. If the vitriol content is too high it will burn right through and ruin the book.

The most important ingredient of ink is gallnut, after which comes gum arabic and then vitriol. The gum is for binding [? - *word unclear in original*] [the ink] with its strength, and the vitriol is to allow it to

maintain its strength until it reaches the place where it is needed. The following is a list of the effects of these ingredients and their strengths:

The uses of each type of ink

Heat-treated ink is fit for use only with paper
Pressed ink is fit for use with paper and parchment
Macerated ink is particularly suited to parchment
Powdered ink ... is for immediate use on slates

These then are the main features [of the use] of inks.

(ii) p. 53:

Section: On dyes and colours

There are twelve substances which can be used for dyeing: cinnabar, red lead, *mughra* (russet), white-wash (*bayāḍ al-wajh*), indigo, lapis lazulae (*lāzaward*), lac, verdigris, rust/earth (*ʿakār*), arsenic, charcoal, and *ṭaranshūl* [?].

These are all the substances which can be used for dyeing. Each colour may be broken down into two, making [a total of] twenty-four.[32]

[For example], if cinnabar is ground with whitewash, a pink colour results. The same holds for red lead and *mughra*.

If whitewash is ground with indigo, the result is sky-blue.

If arsenic is ground with indigo, the result is pistachio.

If lac is ground with whitewash, the result is violet.

If saffron is ground with whitewash, the result is *lawbānī* [?].

If *ʿakār* is ground with whitewash, the result is ...

If arsenic is ground with saffron, the result is the colour of old gold.

If indigo, arsenic and cinnabar are ground together, the result is the colour of wild thyme.

These then are the basic substances and what can be derived from them.

[32] This is the number given in the text, although the actual number of combinations listed is only eight. The remainder may have been omitted by the copyist.

(iii) p. 54:

Section: On those of these dyes which are used in painting and drawing

Cinnabar, red lead, *mughra*, lac, *ʿakār*, whitewash, charcoal, lapis lazulae, and no others. These can be mixed with oil.

(iv) [pp. 54-5]:

A mention of those substances which may be used a base for mixing, and those combinations which go together

There are four substances which can be used as a base for mixing. If one is not available, another may be used. They are: whitewash, glue, flax water, and acacia pod, which is gum arabic.

Whitewash is used [as a base] when decorating walls and wood.

Glue is used when decorating painted surfaces or wood.

Flax water is a mixing base when decorating paper or painted surfaces.

I have mastered these mixing bases. When glue is put into cinnabar, lac, *ʿakār* or sapan wood it holds [it] together, as it does with other things.

When gum arabic is put into red lead it always clogs it up and ruins it. It goes with all [other] dyes, and is used to good effect, in quantity, in the colouring of paper.

As for whitewash, when it is put into ... lac, verdigris, sapanwood or *ʿakār* it completely ruins them, but it does go with other things.

(v) pp. 53-4:

Section on substitutes

If indigo is not available, use charcoal instead, using it for all [cases in which] you would need indigo

Whitewash may be used as a substitute for dyeing paper and decorating walls. If it is not available, use finely ground gypsum instead. When it comes to painting, however, there is no substitute for it.

Pomegranate blossom may be used as a substitute for red lead for papaer and parchment. It is of no use, however, in giving colour to paint.

There is no substitute for yellow arsenic.

Red arsenic may be replaced by powdered earth and a little [yellow] arsenic: this can be used instead of it in books and painting.

Mughra may be replaced by ink mixed with cinnabar.

Cinnabar may be replaced by a mixture of red lead and *mughra*.

Lapis lazulae may be replaced by a mixture of antimony (*kuḥl al-ithmid*) and dye slag.

ʿAkār may be used instead of lac, if some alum is put into it and it is then left in the sun until it coagulates; it is [particularly] suitable for paper, parchment and painting. Sapanwood may also be used as a substitute for it if it is heated in water until soft — if it protrudes [from the water] immerse it — with the addition of a little alum and gum arabic. This mixture may be used for writing on paper, parchment and also for painting, but if it is used for painting, it is best added to cinnabar.

This is what I wish to present. I believe that all the texts pertaining to codicology should be compiled and arranged chronologically. The technical terms used should be clearly defined, and some of the procedures described should be tested in the laboratory. All of this will then facilitate the writing of the history of Islamic manuscripts, help us to understand the basic materials from which they are constituted, and enable us to proceed with their preservation in the most appropriate manner.

THE USE OF PAPER IN ISLAMIC MANUSCRIPTS AS DOCUMENTED IN CLASSICAL PERSIAN TEXTS

ĪRAJ AFSHĀR

The most important studies in European languages on the history and manufacture of paper (*kāghaz*)[1] and its use in Islamic manuscripts are those made by von Karabacek, Huart, Babinger, Pedersen, Grohmann, Levey and Sellheim, to which we should add the excellent article in Arabic by Kurkīs ʿAwwād.[2] These have generally been based on Arabic sources, except for the recent research of Porter which has supplied useful information for Western scholars of Persian, particularly in the field of Persian manuscripts in India.[3]

---

[1] We have preferred to reproduce the Persian pronunciation of this word instead of the more technically correct *kāghidh*.

[2] See J. von Karabacek, "Das arabische Papier. Eine historisch-antiquarische Untersuchung", *Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer*, II-III (Vienna, 1887), 87-178; idem, "Neue Quellen zur Papiergeschichte", *Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer*, IV (Vienna, 1888), 75-122; Cl. Huart, *Les Calligraphes et les miniaturistes de l'orient musulman* (Paris, 1908), 8-11; F. Babinger, *Zur Geschichte der Papier-erzeugung im osmanischen Reiche* (Berlin, 1931); J. P. E. Pedersen, *Den arabiske bog* (Copenhagen, 1946) [= *The Arabic Book*, tr. G. French, ed. with an introduction by R. Hillenbrand (Princeton, 1984)]; A. Grohmann, *From the World of Arabic Papyri* (Cairo, 1952), 49-57; idem, *Arabische Paläographie*, I, Denkschriften der österreichischen Akademie der Wissenschaften, philosophisch-historische Klasse, XCIV (1967), 98-105; M. Levey, *Medieval Arabic Bookmaking and Its Relation to Early Chemistry and Pharmacology*, Transactions of the American Philosophical Society, New Series, LII/4 (Philadelphia, 1962); R. Sellheim, *Materialien zur arabischen Literaturgeschichte*, I (Wiesbaden, 1976) and II (Stuttgart, 1987); Kurkīs ʿAwwād, "Al-waraq aw al-kāghid", *Majallat al-Majmaʿ al-ʿIlmī al-ʿArabī*, XXIII (1948), 409-38.

[3] Y. Porter, *Peinture et arts du livre: essai sur la littérature technique indo-persane* (Paris, 1992).

The present article is part of a larger project on the use of paper in Islamic lands based on the study of some forty thousand Arabic and Persian texts in libraries and private collections in Iran and elsewhere over the past forty years. The aim of this article is to draw attention to the importance of references to paper in classical Persian texts in identifying the different types of paper used in Islamic manuscripts.

Terminology

From the time that paper-making became widespread amongst Muslims, starting, as we know, in the city of Samarqand, there were always persons and families in many Islamic cities who were called Kāghazī. This *nisba,* as Samʿānī has explained, was due to their families' present or past involvement in paper-making or dealing. Many such people came from Nīshāpūr, Samarqand, Iṣfahān, Qazvīn, Jurjān and Shūshtar, and are mentioned in the histories of the cities concerned. This *nisba* first came into vogue before the beginning of the 6th/12th century, while the latest mention of this name that I have come across in classical Persian texts is of al-Ḥājj Ṣāliḥ Kāghazī, a wealthy inhabitant of Shūshtar in the 12th/18th century who is mentioned in ʿAbd al-Laṭīf Shūshtarī's *Taʾrīkh-i Shūshtar.*

Amongst Iranian cities we find the names Kāghaz Kunān (formerly Khānaj, renamed in the 8th/14th century) and Kāghazī, near Kāshān. The name Pul-i Kāghazgarān, which was a bridge near Quhistān, is mentioned by the early 9th/15th century poet, Niẓārī Quhistānī, in his versified travelogue.

Concerning paper itself and its manufacture, we find terms like *kāghaz-bur* (paper-cutter, paper-knife) and *kāghaz-burī* (cutting paper, cutting-machine, guillotine). *Kāghaz-khāna* is the term used by Rashīd al-Dīn Faḍlallāh Hamadānī (8th/14th century) in *al-Waqfiyya al-Rashīdiyya* for the paper-making factory of Rabʿ-i Rashīdī, which he himself founded in Tabrīz. Other terms include *kāghaz ḥall kārī* (gilded paper), *kāghaz do pūst kardan* (slicing the paper in two parts by halving its thickness), *kāghaz-sāz* (paper manufacturer), *kāghaz-sāzī* (paper manufacturing), *kāghaz shikastan/burīdan* (paper-cutting), *kāghaz-gar* (a paper-maker or dealer), *kāghaz-gīr* (paper-clip or paperweight), *kāghazī* (a paper-maker, stationer; anything covered with a thin skin).

With regard to the quality of the paper, we find terms such as *kāghaz-i pāzahrī* (reddish-yellow paper), *kāghaz-i daftarī* (common paper), *kāghaz-i khām* (raw or unrefined paper), and *kāghaz-i kāhī* (strawpaper or newsprint). Similarly, we find terms describing the way the paper has been prepared or the use for which it is intended, such as *kāghaz-i āhār muhra* (glazed paper), *kāghaz-i abrī, kāghaz-i barqī* (glossy paper), *kāghaz-i taḥrīr* (writing paper), *kāghaz-i charb* (smooth paper), and *kāghaz-i mashq* (exercise or calligraphy paper).

There are also many other uses of the word *kāghaz* in classical texts to describe other uses of paper but, since they do not relate to manuscripts, they need not concern us here.

Methods of paper manufacture

As far as I know, the first literary mention of paper-making occurs in a poem by Manuchīrī Dāmghānī (6th/12th century). In a *qaṣīda* in which the poet wants to describe a snow-covered desert, he likens it to a *kārgāh-i kāghaz-garī* (paper-workshop):

> The land from Balkh to Khāvarān has become like the workshop of Samarqand. The doors, roof and walls of that workshop are like those of painters or paper makers.

This simile derives from the fact that wet sheets of paper were hung on walls or spread on the ground to dry, and a spacious area was needed for this purpose.

A *kāghaz-gar* was someone who manufactured paper and, as we have seen, these people were also called *kāghaz-sāz* and *kāghazī* in different centuries. (These terms are to be found in a literary genre known as *shahr āshūb*, a satire on the various social classes of a town.)

Our information about the cities where paper was made is limited. Only hints and allusions are to be found in classical poetry and texts, but they do at least give us the names of those Iranian cities apart from Samarqand where paper was made. The earliest of these sources dates from the early 7th/13th century.

Paper from Samarqand was highly sought after and enjoyed wide renown from the 4th/10th to the 13th/19th centuries. The oldest information that we have about paper-making in this city is found in the geographical work *Ḥudūd al-ʿālam min al-mashriq ilā al-maghrib,* written in 371/981-2, in which we find the

following important reference to this aspect of Samarqand's economic actvity:

> And from it comes paper which is taken all over the world.[4]

Paper was also made in Iṣfahān until 70 years ago. We also know from *Maḥāsin-i Iṣfahān,* written by Māfarrūkhī early in the 8th/14th century and translated into Persian by a scholar of Āveh, that at that time paper was manufactured in Iṣfahān in the *kāghaz-i Rashīdī* (Rashīdī paper) style. The translator adds:

> He wrote the praise of his favours on sheets of Rashīdī paper which he manufactured for his literary works and to revive the books of the great scholars of the past. From the point of view of clarity of sheet, size and format, softness and cleanliness, firmness, evenness and varnishing, paper of such quality does not, and did not, exist in any kingdom after Iṣfahān.[5]

Iṣfahānī paper was distributed to every city and was of consistently good quality. One of the good quality papers of this city in the 7th/13th century was *chahār baghal* (large-size paper), which sold for six *Abbāsī*s (a type of coin named after Shāh ʿAbbās Ṣafavī) per sheet. Ḥusayn Taḥwīldār, the writer of *Jughrāfiya-i Iṣfahān,* mentions this with astonishment, saying "However, some prefer the paper of Khānbāligh (Peking) to this paper." This indicates that these two papers were almost similar in quality. Another famous paper of that city was *kāghaz-i fustuqī,* being pistachio-coloured.

As we have seen above, there were workshops for the manufacture of paper mixed with water near the town known as Rabʿ-i Rashīdī. We have also seen that Rashīd al-Dīn Faḍlallāh mentioned this place in the deed of endowment known as *al-Waqfiyya al-Rashīdiyya.* He also mentions the paper of this place in his *Sawāniḥ al-afkār,* which is a collection of his correspondence with the rulers of his day, and also in the preface to his *Laṭā'if al-ḥaqā'iq.* The paper made in this city was of large size and of the *Baghdādī* type.

Qazvīn was another centre for the manufacture of paper in Iran. We read in *Tadhkira-i shuʿarā-i Kashmīr* that the Sultan of

4 *Ḥudūd al-ʿālam,* ed. M. Sotude (Tehran, 1340/1961), 107-8.

5 Māfarrūkhī, *Maḥāsin-i Iṣfahān,* tr. into Persian and amplified by Ḥusayn b. Muḥammad b. Abī al-Riḍā' al-Ḥusaynī al-ʿAlawī, ed. ʿAbbās Iqbāl (Tehran, 1328/1949).

Kashmir, Zayn al-ʿĀbidīn (823-75/1420-70), brought some paper-manufacturers from Qazvīn to Kashmir. Thus established, paper replaced *tūz* (a kind of bark) as a writing material, an event which is mentioned by Mullā Nadīmī Kashmīrī in the following verse:

> Paper became a booklet and was bound, when time threw away the *tūz* from the book.

Kāghaz Kunān, near Zanjān, was for a short while a renowned centre of paper-making. Ḥamdallāh Mustawfī mentions in *Nuzhat al-qulūb* (9th/15th century) that the place became known as Kāghaz Kunān because good paper was made there. This town, which was ruined during the period of the Mongols, was, according to the same source and also *Muʿjam al-buldān,* previously known as Khānaj. The new name still survives.

According to Miḥrābī's *Tadhkirat al-awliyā'* (10th/16th century), paper mills also existed in Kirmān, near the town's *khandaq* (ditch). We also find references in two 10th/16th century histories of Yazd to the *ṭāḥūna-i kāghaz-garī* (paper-mill) and the *ḥānūt-i kāghazī* (paper shop) of Faraj-i Yahūdī. There is still a lane named Kūcha-i Kāghazgarī in the oldest part of the city.

Concerning the manufacture of paper in Khurāsān, the most reliable document is the *Fihrist* of Ibn al-Nadīm. This tells us that paper was made in Khurāsān from the very beginning of paper-making in Iran and also mentions the names of the types of paper produced. Although for the purposes of this article I have restricted myself to Persian sources, I feel this last point deserves some amplification.

Ibn al-Nadīm mentions six kinds of paper. The names of five of them are connected with Khurāsān and Transoxiana, while the remaining one relates to Egypt. The Egyptian one is known as *kāghaz-i Firʿaunī* ("Firʿawnī paper"). The other five are: Sulaymānī (from Sulaymān b. Rashīd, a minister of financial affairs in Khurāsān), Jaʿfarī (from Jaʿfar al-Barmakī), Ṭalḥī (from Ṭalḥa b. Ṭāhir of the Ṭāhirids), Ṭāhirī (from Ṭāhir II of the same dynasty, which ruled in Khurāsān) and Nūḥī (from Nūḥ b. Naṣr of the Sāmānids). It is therefore clear that paper was manufactured in Khurāsān, to which we can add that different types of good Khurāsānī paper appear to have been named after high government officials who liked them.

From these references and other indications that *kāghazī* families lived in Bayhaq and Nīshāpūr, and the mention of *Pul-i Kāghazgarān* in the poetry of Nizāri Quhistānī, as well as the information which Porter derives from the text of *Bāburnāma* regarding papermills in Herat,[6] we can be sure that paper-making spread over the whole region having first started in Samarqand.

The latest reference we have to paper-making in Khurāsān dates from the period of Nāṣir al-Dīn Shāh (13th/19th century). This occurs in the census of the area prepared by Zayn al-ʿĀbidīn from which we learn that one of the local trade associations was the paper-makers' guild.

Our technical information regarding the tools and machinery used in paper manufacture is very limited, being based on a few textual allusions. We know that Rashīd al-Dīn Faḍlallāh brought a group of Chinese artisans to his *kāghaz-khāna* in Rabʿ-i Rashīdī and he wrote down the information he obtained regarding Chinese paper in his *Āthār va aḥyā'*.[7] Referring to the differences between Chinese and Tabrīzī paper, he mentions that in China paper was made from the bark of the mulberry tree and also sometimes from silk, whilst in Iran it was made from rags and cotton.

Fortunately, we have more information about the Ṣafavid period, especially from references in the works of *Sabk-i Hindī* (Indian style) poets who appeared in this era, and who often took inspiration from mundane affairs. Paper featured in their poetic images, such as in Ṭughrā-i Mashhadī's mention of *qālib-i kāghaz* (paper-making mould):

> So many of my love letters to the youth have been rejected that cracks appear in the paper like the cracks of the paper-mould (*qālib-i kāghaz*).

Of the many verses in which paper is mentioned, I shall quote just three couplets by the 10th/16th century poet ʿAbdī Bīk Shīrāzī, otherwise known as Navīdī, taken from his *mathnavī Jawhar-i fard*, composed in praise of cotton:

> Paper derives its existence from it, as if revelation had descended on it. Indian paper is angry with Chinese paper and has informed Wāsiṭ[8] about Byzantium and Zanzibar. Sometimes it manifests itself from the land of Cathay, and sometimes it brings news from Samarqand.

6 Porter, *Peinture*, 25.

7 Rashīd al-Dīn Faḍlallāh Hamadānī, *Āthār va-aḥyā'*, ed. M. Sotoodeh and I. Afshār (Tehran, 1368/1989).

Muḥammad Shāfiʿī Hamadānī (12th/18th century) conveys similar meanings in his *shahr āshūb*. He mentions the terms *kāghaz-i Khaṭā'ī va Kashmīrī* (Chinese and Kashmīri papers), *ṣaḥḥāf* (bookbinder), *muhra kashīdan* (paper-glazing), *nishasta* (starch) and *āhār dādan* (to starch), all of which are connected to the manufacturing of paper. Hamadānī also refers implicitly to the method of making paper from cotton wool.

The author of *Gulzār-i Kashmīr* (13th/19th century), who supplies information about the manufacture of paper in Kashmir, says that linen rags were first turned into dough with sal ammoniac and that this dough was then cast into a *panjara-i chahār khāna* (frame divided into four parts) and a *dām* (trap), after which the paper was then glazed or smoothed.

During the Ṣafavid period, paper-makers were considered to constitute their own guild, which explains why they are mentioned by most writers of *shahr āshūb*. In the earliest *shahr āshūb*, composed by Masʿūd Salmān (6th/12th century), there is of course no mention of any *kāghaz-gar* (paper manufacturer) although painters and calligraphers are mentioned. However, Ṣafavid examples of the genre, such as the *shahr āshūbs* by Lisānī Shīrāzī (10th/16th century) and Ṭāhir Waḥīd Qazvīnī (11th/17th century) include interesting couplets on paper manufacture. The following is an example from the work of Lisānī Shīrāzī:

> I shall buy paper to make a garment for seeking justice from you; wearing it, I shall make my petition of complaint.

Fortunately, Ṭāhir Waḥīd makes metaphorical mention of the paper mill and workshop in his poetry. He likens the paper-maker to a baker who makes paper sheets instead of bread, and who has water instead of fire in his oven (the word for a baker's oven is *tannūr*, while the place in a paper mill where the water is poured is called a *tannūra*):

> As this bread is baked by water instead of fire, the book fills its belly with this bread.

8 A city in Iraq once famous for its reed pens.

The colour of paper

Our information about the colouring and glazing of paper is more complete because of specialised treatises and monographs that exist on the subject.[9]

The oldest Persian work containing references to the dyeing of paper is *Bayān al-ṣināʿāt*, by Ḥubaysh Tiflīsī (d. *ca.* 600/1203-4),[10] which means that this process is at least eight centuries old. Dawlat Shāh Samarqandī (9th/15th century), in his *Tadhkira*, mentions the art and mastery of Sīmī Nīshābūrī, the author of an important treatise on paper-dyeing known as the *Jawhar-i Sīmī* which has recently been edited and published by Porter.[11]

There was much variety in paper-dyeing, and, although his claim seems exaggerated, Qaḍī Aḥmad says in *Gulistān-i hunar* that Mawlānā Muḥammad Amīn Jadvalkash ("paper-ruler") "used to colour paper in seventy colours."

To mention all the names of the colours used to describe paper in poetry and prose would make this paper unnecessarily lengthy. The list prepared by Porter[12] is based on *Jawhar-i Sīmī, Khushnavisī, Majmūʿat al-ṣanāʾiʿ* and *Bayāḍ-i Khūshbuy*. In the list in my forthcoming monograph on the subject, I have also used *Gulzār-i Kashmīr*, early librarians' or owners' authentications (*ʿarḍ*) of title pages of manuscripts, and *Ganjīna-i Shaykh Ṣafī* (Ardabīl catalogue), as well as the technical terms taken from catalogues of the Qājār period. I have also highlighted any differences between my list and that of Porter, such as the two colour terms listed by Porter as *khatāʾī* and *zumurrud-i līmūʾī*, which are orthographically incorrect: the first should read *ḥinnāʾī* and the second *zard-i līmūʾī* (lemon-yellow).

Colours used for dyeing paper were either simple or compound. Those which were most in demand were *āl* (reddish-yellow), *ḥinnāʾī* (reddish-orange), *līmūʾī* (lemon-green), *fustuqī* (pistachio) and *nukhūdī* (buff). It was generally believed that pure white paper was harmful to the eyes in bright conditions and that coloured paper was more suitable.

In the Ṣafavid period, *āl* and *ḥinnāʾī* were the colours used for good quality paper. Lisānī Shīrāzī says about *āl*-coloured paper:

> I had rosy *āl* paper in my room, reminding me of flowers and the face of my beloved.

The poets of the period composed many verses in praise of *ḥinnāʾī* paper. The following is but one example, from a couplet by Vāʿiẓ Qazvīnī in which he compares its colour with that of the hand of the beloved:

> Your colour, because of its freshness, is like Chinese satin, and your hand, due to its gentleness, is like *ḥinnāʾī* paper.

At this point, one ought to discuss *kāghaz-i abrī* (a kind of thick, glossy paper) and its importance in calligraphy. However, space does not allow in an article of this sort, and a significant amount of research has already been published on this subject, particularly two recent articles in Persian, one by Muḥammad Ḥasan Simsār in *Dāʾirat al-maʿārif-i buzurg-i islāmī* and one by Yaḥyā Zakāʾ in the journal *Āyandeh*.[13] We shall therefore confine ourselves here to the brief mention that references to *kāghaz-i abrī* can be found in the poetic works of Kalīm Kāshānī, Salīm Tehrānī, Ṣāʾib Tabrīzī, Vāʿiẓ Qazvīnī and dozens of other poets. The following couplet is typical of such poetic references:

> You should know that without you I weep tears in a hundred colours and make the *kāghaz-i abrī* variegated.

References to the technique of polishing paper with a starch glaze go back to the 6th/12th century. One such occurs in *Farrukhnāma-i Jamālī*, written in 580/1184-5 by Jamālī Yazdī, in which the rice-starching method is mentioned.[14] Another is in a verse by Sūzanī Samarqandī (d. 562/1166-7), in which the poet

[9] There is an introductory article on such works by Muḥammad Taqī Dānishpazhūh, who has also published some of them. Others have been published by Aḥmad Guleḥīn Maʿānī, Riḍā Māyel Heravī, Fikrī Saljūqī, Parvīz Azkāʾī and, more recently, Y. Porter.

[10] Ḥubaysh Tiflīsī, *Bayān al-ṣināʿāt*, ed. I. Afshār, *FIZ*, V/4 (Tehran, 1336/1957), 298-457.

[11] Y. Porter, "Un traité de Simi Neyshâpuri, artiste et polygraphe", *Studia Iranica*, XIV/2 (1985), 179-98. For an English translation of this treatise, see W.M. Thackston, "A Treatise on Calligraphic Arts: a Description of Paper, Colours, Inks and Pens by Simi of Nishapur", *Intellectual Studies in Islam*, ed. M.M. Mazzaoui and V.B. Moreen (Salt Lake City, 1990), 219-28.

[12] Porter, *Peinture*, 49-50.

[13] *Dāʾirat al-maʿārif-i buzurg-i islāmī*, II (Tehran, 1368), 570-4; Y. Zakāʾ, "Kāghaz-i abrī", *Āyandeh*, XVI (1369), 371-9.

[14] Jamālī Yazdī, *Farrukhnāma-i Jamālī*, ed. I. Afshār (Tehran, 1346/1967).

compares the bright and waterproof feathers of the stork with polished and glazed paper:

> He saw the feathers of the stork as polished and glazed paper.

Glazed paper was of good quality and was popular with calligraphers because the pen moved softly over it. The famous calligrapher Sulṭān ʿAlī Mashhadī devoted seven couplets of his famous treatise to the method of glazing paper, which was usually done by hand. In 912/1506, however, Muḥammad Ḥāfiẓ Iṣfahānī claimed to have invented a device which facilitated this procedure, the only known reference to which is in his *Natījat al-dawla*.[15]

Varieties of paper

One of the most significant considerations in the codicology of Islamic manuscripts is the recognition of different types of paper. Catalogue references usually deal only with the paper's colour and thickness, whilst I have been able to glean the names of various types of paper from the texts themselves. Furthermore, latter day cataloguers in many eastern countries have generally named the papers on the basis of resemblance and hearsay, sometimes going against the facts of history. For example, having studied the entries in the Catalogue of the Kitābkhāna-i Millī-i Malik, I can say that Qur'ān no. 15, copied by Yāqūt al-Mustaʿṣimī in 680/1281-2, cannot have been written on Dawlatābādī paper because this type of paper is not mentioned in the sources before the 11th/17th century. The paper of another Qur'ān (no. 44), written in early *naskhī* script, has also been incorrectly classified as Dawlatābādī. Qur'ān no. 46, written in Kufic script, is described as having been written on *tirma-i Khatā'ī*, and the term *tirma* is certainly not nine hundred years old. These few examples lead me to believe that in speaking of the types of paper used in manuscripts, relying on the commonly used terms is imprudent.

The only correct criteria by which we can identify types of paper are those instances where librarians or owners of Arabic,

[15] Muḥammad Ḥāfiẓ Iṣfahānī, *Se risāla dar ikhtirāʿāt-i ṣanʿatī: Sāʿat, āsīā, dastgāh-i rawghan-kashī, "Natījat al-dawla"*, ed. T. Bīnesh (Tehran, 1350/1971).

Persian and Turkish manuscripts have written an *ʿarḍ* (authentication and registration) on the manuscript. These include the title and visible features of the manuscript and generally the type of paper used. If the date of the *ʿarḍ* and the date of the calligraphy are close to each other, it can be assumed that the name of the paper is that which was in vogue at the time of writing. Such terms can be found in certain catalogues for early periods, such as the Ardabīl Catalogue, which was compiled in 1172/1758–9 and has been published under the title *Ganjīna-i Shaykh Ṣafī*.[16] I have counted eleven types of paper mentioned in this work.

Fortunately, an inventory of the *Ganjīna*, apparently prepared around 1307/1889-90, has recently been published by Shahriyār Ḍirghām, but this only supplies references to deerskin, *tirmah*, and Khānbālighī and Khaṭā'ī paper. Although a few Qur'āns in both catalogues are almost identical, their specific features are described differently in each. In my monograph I have sought to highlight these differences, as well as listing the terms and types of paper mentioned in the catalogue.

From the point of view of the old sources (including the *Fihrist* of Ibn al-Nadīm and historical and literary works in Persian), the terms used to describe different types of paper fall into three categories:

Terms that refer to the place where the paper was made: e.g. Iṣfahānī, Baghdādī, Dawlatābādī, Samarqandī, Shāmī and Hindī. Of these, Samarqandī and Shāmī paper are worthy of further mention.

Samarqandī was the most famous kind of paper. We find references to it from the 4th/10th century onwards, the earliest being in *Ḥudūd al-ʿālam*, where the author says that Samarqand is the abode of Manicheans and that paper is produced there and from there taken all over the world.[17] The second earliest source is *Safarnāma-i Naṣīr-i Khusraw* (d. 481/1088), in which it is mentioned that the people of Ṭarābulus in Shām (present-day Tripoli in Lebanon) made paper of as good a quality as that of Samarqand or even better. This paper continued to be traded for centuries in Iran. It is mentioned in *Risāla-i muʿarrifī-i kārvānsarāhā-i ʿaṣr-i Ṣafavī* ("The Caravanserais of the Ṣafavid

[16] *Ganjīna-i Shaykh Ṣafī (Ardabīl Catalogue)*, (Tabriz, 1980).
[17] See n. 4 above.

Period", British Museum MS 9024), in which we are told that people from Samarqand sold paper in Maḥmūd Beikī's caravanserai. The poet of that era, Muḥsin Ta'thīrat, praises the high quality of Samarqandī paper in the following way:

> When I write the praise of thy lips the letter becomes a garland.
> If the paper is *daftarī* [low quality] it becomes Samarqandī.

Persian-speaking poets have talked much about Shāmī paper, especially in the 9th-10th/15th-16th centuries. For instance, Amīr-i Khusraw Dihlavī mentions it in his *Ghurrat al-kamāl*, as well as providing useful information about making paper from silk in 20 couplets in his *Qirān al-sa'dayn*. Another poet of the same period, Sirājī Sagzī, implies in one of his verses that Shāmī paper was white. Similarly, Amīr-i Khusraw compares it with morning:

> When your face rose like the morning sun, the colour of my face turned yellow, like Shāmī paper decorated with saffron water.

Terms that relate to specific persons: e.g. Jayhānī, Sa'dī, Rashīdī, Ṭalḥī, 'Ādilshāhī, Manṣūrī and Nūḥī. Here we shall say a little more on Sa'dī and 'Ādilshāhī paper, both of which were of good quality.

Reference to Sa'dī paper occurs in the *dīwāns* of two poets. One is Sūzanī Samarqandī and the other is 'Abd al-Wāsi' Jabalī of Gharjistān (d. 555/1160). From the mention of Sa'dī paper in the poetry of these two poets, both of whom lived in the same region, it is evident that this type of paper was well-known and highly valued in Khurāsān, and perhaps derived its name from a person of high rank such as Sa'd al-Mulk or Sa'd al-Dīn. Sūzanī says:

> I was given two quires of Sa'dī paper by Shihāb al-Dīn Aḥmad, by order of Khwāja Mu'ayyad.

'Abd al-Wāsi' speaks of this type of paper in the following way:

> I have a Zandanījī[18] and paper. Both are good but both have defects: the first is not Bū Isḥāqī [cloth], and the second is not Sa'dī.

The famous calligrapher of the Ṣafavid period, Mīr 'Imād Qazvīnī, preferred this type of paper to Dawlatābādī paper, both being from India. He also praised 'Ādilshāhī paper in his *Ādāb al-mashq*:

> 'Ādilshāhī, having fewer grains, is the best paper.
> So excellent is Ādilshāhī paper that the artist considers it a thornless flower.
> Its value is known to my pen, whose bestowal scatters the most precious pearls.
> After that, Dawlatābādī, also called Sulṭānī, is good.

A manuscript whose paper is 'Ādilshāhī according to its *'arḍ* is *'Ahdnāma-i Ḥaḍrat-i Amīr* [i.e. 'Alī ibn Abī Ṭālib], written for Sulṭān Ibrāhīm, the son of Shārukh (3rd/9th century). In the *arḍ*, dated 1046 AH (1636-7), the paper is described as *qat' wasaṭ-i kāghaz-i 'Ādilshāhī* ("'Ādilshāhī paper in medium format").

Terms that relate to the ingredients, type of usage, and/or size of the paper: e.g. *abrīshamī, chahār baghal, ṭughrā'ī* and, perhaps, Manṣūrī.

As regards Manṣūrī paper, we find paper of such a type mentioned in the *Qābūsnāma* (5th/11th century) in an anecdote concerning Sulṭān Maḥmūd Ghaznavī. (We should note here that in some mauscripts Manṣūrī paper is referred to as *kāghaz-i Manṣūrī* (Manṣūrī paper) while in others it is referred to as *kāghaz-i qat'-i Manṣūrī* (paper in Manṣūrī format).) It is certain that this kind of paper derives its name from either Abū Manṣūr 'Āmir (495-524/1101-30) or to Manṣūr b. Naṣr 'Abd al-Raḥīm Kāghazī, who was himself a paper-manufacturer. Grohmann also considered *durj-i Manṣūrī* (mentioned in Ṣābī's *Tuḥfat al-umarā'*) to have been named, like Manṣūrī paper, after Abu Manṣūr 'Āmir.

In a manuscript of *ḥadīth* (Tāj al-Dīn's *Arba'īn*, written in the 8th/14th century) which I have seen in the Peking Mosque,

---

18 A type of cloak (*khirqa*).

Manṣūrī paper is mentioned as a superior paper in that it was used for writing in gold: "Now they write in gold on Manṣūrī paper."

We should therefore conclude that there were two kinds of Manṣūrī paper in use in Islamic lands, differentiated by format and quality.

Miscellaneous points

The diversity of terms used to describe the quality of paper and its trade and use is amply evident from the references in classical texts.

Amongst the more common terms is *ṭabaq* (leaf), which is seen in texts of prose and poetry from the 6th/12th century onwards. It is mentioned, or example, in *al-Tawassul ilā al-tarassul* by Bahā' al-Dīn Muḥammad, the secretary of 'Alā' al-Dīn Takish Khwārazmshāh, *Mirṣād al-'ibād* by Najm al-Dīn Dāya (d. 654/1256), and *Laṭā'if al-ḥaqā'iq* by Rashīd al-Dīn Faḍlallāh Hamadānī (d. 718/1318). The wording of a remark in the latter work may indicate the size of a *ṭabaq*:

> When he wanted to improve the maps, he thought it necessary to increase the size of the paper on which they were drawn ... so he made big sheets of paper, each one being the size of six sheets, and then he drew those maps on them.

The following is a brief list of decorative techniques mentioned in historical and literary texts:

abrī kardan	variegating the paper
afshān kardan	smearing the paper with splashes of gold and silver water or henna
pāk kardan	removing of earlier writing for re-use, removing of stains from paper
tadhhīb va tash'īr	illumination
jadwal kashī	ruling and marking out columns
do pūst kardan	slicing the paper by halving its thickness
rang kardan	dyeing
qaṭṭā'ī	cutting
kuluft kardan	thickening
kuhna kardan	ageing
majlis kashī	miniature painting
masṭar kashī	making invisible lines for straight writing
muhra kashī	glazing
waṣṣālī	rebinding an old book.

For example, one poet wrote, using the word *masṭar*:

> One who would prescribe the manners of asceticism should rule (*masṭar zadan*) his body with the design of the rush mat.

Mehrebān Aurangābādī mentions the word *afshān* in the following line:

> What is the need to speak of my condition, O messenger?
> The letter has been smeared (*afshān*) with the blood of my heart.

Finally, what we know about the trade of paper and its price in different periods can also assist us sometimes in identifying the type of paper used in manuscripts. For example, paper made in Khurasān and Iṣfahān was often used in India, whilst various types of Indian paper were brought to Iran, and most of these can be identified in Persian manuscripts.

It is my hope that this short article has demonstrated the importance of the Persian literary tradition as a source for the history of paper and the identifcation of its various types.

EARLY METHODS OF BOOK COMPOSITION: AL-MAQRĪZĪ'S DRAFT OF THE *KITĀB AL-KHIṬAṬ*

AYMAN FU'ĀD SAYYID

Topography, a variety of regional geo-history, was known in many parts of the Islamic world. Introductions to historical accounts of Islamic cities, such as al-Khaṭīb al-Baghdādī's *Tārīkh Baghdād*, Ibn ʿAsākir's *Tārīkh Dimashq* and Ibn Shaddād's *al-Aʿlāq al-khaṭīra fī dhikr umarāʾ al-Shām wa-l-Jazīra*, contained topographical descriptions of these cities. However, this art was especially well developed in Islamic Egypt, where, at the hands of al-Kindī, Ibn Zūlāq, al-Quḍāʿī, al-Sharīf al-Jawwānī, Ibn ʿAbd al-Ẓāhir and Ibn al-Mutawwaj, the art of topography reached the maturity shown in Maqrīzī's book, *al-Mawāʿiẓ wa-l-iʿtibār bi-dhikr al-khiṭaṭ wa-l-āthār*, which is considered by far the best example of topographical writing.[1]

By scholarly consensus this book is the most important about the history of Egypt and the topography of her cities in the Islamic period. It is the only book extant that offers us a full account, from original sources, of the history of Egypt and the foundation and growth of her main cities from the Muslim conquest until the middle of the 9th/15th century. It is also considered indispensable for the study of the archaeology of Islamic Egypt. It provides us with a detailed list and accurate description of palaces, mosques, schools, *khānqāh*s, quarters, districts, houses, baths, tradesmen and shopkeepers' estates, inns, hotels, markets and caravanserais in the capital of Egypt over a

---

1 On the subject of topography in general and al-Maqrīzī's *Khiṭaṭ*, see Muḥammad ʿAbd Allāh ʿInān, *Miṣr al-Islāmiyya wa-tārīkh al-khiṭaṭ al-Miṣriyya* (Cairo, 1931, 1969); J. C. Garcin, "Toponymie et topographie urbaines mediévales à Fustat et au Caire", *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, XXVII (1984), 113–55; C. Cahen, s.v. "Khiṭṭa", *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed (Leiden and London, 1960-), V, 23.

period of nine centuries. The list was based in the first place on al-Maqrīzī's personal observations, as well as on other sources which have not survived. Al-Maqrīzī has thus preserved for us important material by ancient authors which would otherwise have been lost.

The author of this book is the illustrious scholar Taqī al-Dīn Abū al-'Abbās Aḥmad b. 'Alī 'Abd al-Qādir b. Muḥammad al-Maqrīzī al-Shāfi'ī (766–845/1364-1442), chief historian of Islamic Egypt and author of extensive works about her history and civilisation such as *Itti'āẓ al-ḥunafā' fī akhbār al-a'imma al-Fāṭimiyyīn al-khulafā'*, *al-Sulūk li-ma'rifat duwal al-mulūk*, *al-Muqaffā al-kabīr*, *Durar al-'uqūd al-farīda* and other works.[2]

Al-Maqrīzī's *al-Mawā'iẓ wa-l-i'tibār*, otherwise known as his *Khiṭaṭ*, is among his most important works and is undoubtedly one of the best examples of the genre of topographical writing. He begins with an account of Egypt's different regions and cities, which occupies about one quarter of the book. He then concentrates his attention on a description of Cairo, which, after the fall of Baghdad and the retreat of Muslim rule in Spain, had become the cultural and political centre of the Islamic world.

In this section al-Maqrīzī gives a detailed account of everything that has to do with Cairo, his birthplace. Every relic and institution is described with extreme accuracy, with the history of their construction and any subsequent changes given at length. Biographies of rulers and notables who built them or lived in them are given, as are the important events, traditions, customs and ceremonies associated with them, so much so that, in the words of Quatremère, "We possess no work on any town of the Orient as complete and as interesting [as is the *Khiṭaṭ* on Cairo]."[3]

The material provided by al-Maqrīzī in the course of his historical account of Cairo and its development draws its importance from the value and variety of his sources. Indeed a great portion of the material which he preserved for us would

2 For more on al-Maqrīzī, see Abū al-Maḥāsin b. al-Taghrībirdī, *al-Manhal al-ṣāfī*, (Cairo, 1984-), I, 415–20; al-Sakhāwī, *al-Ḍaw' al-lāmi'*, (Cairo, 1353-5 [1934-6]), II, 21–5; idem, *al-Tibr al-masbūk fī dhayl al-sulūk*, (Cairo, 1315/1896), 21–4; J. C. Garcin, "Al-Maqrīzī, un historien encyclopédique du monde afro-oriental", *Les Africains*, IX (1978), 197–223.

3 E. Quatremère, "Livre des avis et de la réflexion, concernant les quartiers et les monuments [= al-Maqrīzī, *Kitāb al-Mawā'iẓ wa-l-i'tibār bi-dhikr al-khiṭaṭ wa-l-āthār*]", *Journal des Savants* (1856), 326.

otherwise have been lost and without him a large part of Egypt's history would have remained unknown to us.

The sections in which al-Maqrīzī describes the system of *kharāj*, the collection of taxes and the allocation of fiefs (*iqṭā'*), as well as the entire section dealing with the Fatimids and the foundation of Cairo, are regarded as the most original and valuable sections of the *Khiṭaṭ*. Indeed, he is considered to be the most important Egyptian historian to write about the Fatimids, for he held it impossible to write a history of Egypt without according them their rightful place as the founders of Cairo and the ones who gave Egypt its important strategic position in the area. It is thus not surprising that his account of the Fatimids and the Cairo of their time occupies nearly half his book. In this context it is of interest to note that al-Maqrīzī's description of Qal'at al-Jabal, the capital of the Ayyubids and later their successors the Mamelukes, who ruled Egypt in his day, does not match in its quality and sources his description of Cairo under the Fatimids.

The esteem in which Arab authors and scribes held this book is attested to by the existence of over 170 manuscript copies in libraries throughout the world. Of these, 35 are in libraries in Istanbul, 28 in the Bibliothèque Nationale, Paris, and ten in the British Museum in London. These figures are far in excess of those for any other Arabic book. This is so despite the fact that the editor of the 1852 Būlāq edition of the book, relied on by researchers to date, complains that manuscripts of the book are rarely to be found in Egypt, and that the few that exist are full of "grave alterations, omissions and errors."[4]

Nineteenth century researchers were well aware of the importance of the book. The presence of many manuscript copies in Paris, Leiden and London attracted the attention of orientalists who consulted it and quoted it at length in their writings about the history of Islamic Egypt. They also translated and published certain chapters from it, especially Langlès, Silvestre de Sacy, Quatremère and Wüstenfeld.[5]

4 al-Maqrīzī, *Kitāb al-Mawā'iẓ wa-l-i'tibār bi-dhikr al-khiṭaṭ wa-l-āthār*, (Būlāq, 1270/1852), II, 520. This shows that these copies of the book were taken out of Egypt to the libraries of Turkey and Europe before the Būlāq edition was produced.

5 e.g. L. Langlès, "Histoire du Canal de Messr (vulgairement nommé *Canal de Suez*) tirée de la description géographique et historique de l'AEgypte par Al-Maqryzy", *Magasin Encyclopédique*, V/5 (Paris, 1799), 289-310; idem, "Le livre des avis et sujets de réflexions [= al-Maqrīzī, *K.*

The complete 1852 edition of the book was among the first produced by the Būlāq Press. Unfortunately it is not always reliable as it contains many errors and omissions deriving from the original manuscript sources used. However, it continues, in the absence of any more accurate edition, to be the basis for all studies dealing with the history and topography of the cities of Islamic Egypt. It was this edition that Ravaisse, Salmon, and Casanova used in their studies of the main cities of Islamic Egypt,[6] as also did Van Berchem and Wiet in their description of Arabic inscriptions in Egypt,[7] and Creswell in his description of the Muslim architecture of Egypt.[8]

In view of the importance of the book and the richness and variety of its subject-matter and sources on the one hand, and, on the other hand, the extent of the errors and distortions which plagued the only complete edition of it, Wiet set about producing a complete revised edition of the book. He began the project in 1911, only to give up in 1927 having produced five sections, i.e. the equivalent of pp. 2-322 of volume one of the Būlāq edition.[9]

---

al-Mawāʿiẓ wa-l-iʿtibār], premier extrait", *Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale*, VI (Paris, 1801), 320-86; A. I. Silvestre de Sacy, "Route de la capitale de l'AEgypte à Damas (extrait de la description de l'AEgypte par Makrizi)", *Magasin Encyclopédique*, VII/2 (Paris, 1801), 328-32; idem, *Chrestomathie arabe* (Paris, 1806), I, 74-176 (Arabic text), II, 67-223 (French translation); E. Quatremère, "Livre des avis et de la réflexion" [see n. 3 above], 321-37; F. Wüstenfeld, *Geschichte der Copten*, (Göttingen, 1845).

6 e.g. P. Ravaisse, "Essai sur l'histoire et sur la topographie du Caire d'après Makrizi (Palais des Khalifes Fatimites)", *Mémoires ... de la Mission archéologique française au Caire*, I/3 (Paris, 1887), 409-80, and II/4 (Paris, 1890), 33-115; G. Salmon, *Etudes sur la topographie du Caire, la Kalʿat al-Kabch et la Birkat al-Fîl*, Mémoires ... de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, VII (Cairo, 1902); P. Casanova, "Histoire et description de la Citadelle du Caire", *Mémoires ... de la Mission archéologique française au Caire*, VI/4-5 (Paris, 1894 and 1897), 509-781; idem, *Essai de reconstitution topographique de la ville d'al-Fousṭāṭ ou Miṣr*, Mémoires ... de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, XXXV (Cairo, 1913-19).

7 M. van Berchem, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Première partie, Egypte, Le Caire*, I, Mémoires ... de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, XIX/1-5 (Paris, 1894-1903); G. Wiet, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Première partie, Egypte*, II, Mémoires ... de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, LII (Cairo, 1929-30).

8 K. A. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt* (Oxford, 1952-9; reprint, New York, 1978).

9 al-Maqrīzī, *K. al-Mawāʿiẓ*, ed. G. Wiet (Cairo, 1911-1927).

He must have been daunted by the enormous number of manuscripts he was able to collect, all of which also contained numerous errors and omissions.

The draft of al-Maqrīzī's Khiṭaṭ

Luckily the Khazīna library, attached to the Museum of the Topkapı Palace, Istanbul, is in possession of the first draft (no. 1472) of al-Maqrīzī's *Khiṭaṭ*. This draft represents al-Maqrīzī's first conception of the book and differs greatly in its arrangement, sources and extent of information from the final version of the *Khiṭaṭ* as represented by the Būlāq edition. Indeed, only a relatively small part of it is the same.

This draft is one of the few extant texts which give us a glimpse into earlier scholars' methods of book composition. We have a number of works in their own authors' hand but it is very rare that we come across their draft copies. A draft is usually undertaken by the author during his collection of material for the book. It is like a skeleton of the book in which he can make changes by adding, omitting or changing the sequence of material. In this way it falls well short of the complete version that the author finally achieves.

It is well-known that the quality of long-hand copies of a given book varies considerably, some of them being of no value whatsoever for the correction of the text, while others may be invaluable in this respect. The function of an editor is to evaluate and compare copies in accordance with the accepted rules of editing and publishing early books. Among these are that a copy in the author's own hand is the most valuable of all; then copies that have been read out to the author or marked by him; then copies that have been checked against other copies and have then circulated among scholars and been authorised by them; finally, old copies take precedence over new copies.

There are exceptions, however, to this last rule. When, in 1914, Nicholson published the book of *al-Lumaʿ fī al-taṣawwuf*, by Abī Naṣr ʿAbd Allāh b. ʿAlī b. Muḥammad b. Yaḥyā al-Sarrāj al-Ṭūsī (d. 378/988), he relied on two manuscripts, one written in 548/1153 and the other in 683/1284, using the later version as his main source. This was because it was complete whereas the older one was defective in almost one-third of the book, with the rest being arranged in an incomprehensible way.

Nicholson only used the older version for purposes of comparison in his editing of the later text.[10]

Some books are written over two stages. The first consists of a draft which the author writes in the course of his gathering of the material for his book, while the second consists of the fair copy in which the author revises what he wrote in the draft, correcting mistakes, re-ordering chapters and making various insertions in the text.

The draft of al-Maqrīzī's *Khiṭaṭ* in the Khazīna library is a unique specimen of an author's draft, and invaluable for acquainting us with the way in which early scholars composed books. The manuscript contains a great deal of deletion, scraping off and crossing out as well as numerous long additions in the margins and on scraps (*ṭayyārat*) inserted between the sheets of the book. It also shows alterations of some texts and notes to remind the author to move certain sections to a more appropriate place in the text. We also find reminders for the author to finish the copying of certain texts left incomplete, or to refer to new sources that he came across after finishing the draft.

Did al-Maqrīzī plagiarise al-Awḥadī?

This particular draft is also of use in settling an issue that has vexed scholars interested in al-Maqrīzī's *Khiṭaṭ*. By this I mean al-Sakhāwī's accusation that al-Maqrīzī plagiarised the draft by his neighbour al-Awḥadī on the same subject, correcting it and enlarging upon it and then attributing it to himself.[11] The draft of al-Maqrīzī's *Khiṭaṭ* as well as what he himself wrote about al-Awḥadī can help us to arrive at a sound judgement as to whether al-Sakhāwī's accusation is true or not.

Although in his introduction to the *Khiṭaṭ*, in which he lists all those predecessors of his who wrote topographical descriptions of Egypt and Cairo, al-Maqrīzī fails to mention his two contemporaries Ibn Duqmāq and al-Awḥadī, he was full of praise for the latter in his biographical notice about him in his

[10] See Abū Naṣr al-Sarrāj, *Kitāb al-Luma' fī al-taṣawwuf*, ed. R. A. Nicholson (Leiden and London, 1914), xxxiv-xxxvi; also G. Bergsträsser, *Uṣūl naqd al-nuṣūṣ wa-nashr al-kutub*, prepared and introduced by Muḥammad Ḥamdī al-Bakrī (Cairo, 1969), 14–15.

[11] al-Sakhāwī, *al-Ḍaw' al-lāmi'*, I, 358-9, and II, 22; idem, *al-Tibr al-masbūk*, 22; idem, *al-I'lān bi-l-tawbīkh* (Beirut, 1399/1979), 131.

Durar al-'uqūd al-farīda. He also acknowledges his familiarity with the draft of al-Awḥadī's work and the benefit he drew from it. Furthermore, he mentions al-Awḥadī's knowledge of Egypt's history and Cairo's topography and then goes on to say, "I copied from him a number of accounts and learnt much from him on the subject of history and was fortunate to come across drafts written in his own hand dealing with the topography of Cairo which I included in my large book entitled *al-Mawā'iẓ wa-l-i'tibār fī dhikr al-khiṭaṭ wa-l-āthār*. He also gave me a copy of his collected poems in an elegant volume."[12]

This acknowledgement proves the point that is often repeated in al-Sakhāwī's writings, namely that al-Awḥadī was the author of a substantial draft, into which he put a great deal of effort, on Cairo's topography. However, at the same time it acquits al-Maqrīzī of the charge of plagiarism levelled against him by al-Sakhāwī and about which many other scholars have had their doubts. Nevertheless, the inevitable question is, if al-Maqrīzī made use of al-Awḥadī's draft, as he admits, and included material from it in his *Khiṭaṭ*, why does he not cite it among his sources in his introduction? And why does he not refer to it in those places in his book where he has made such use of it?

One possible answer would seem to be that al-Awḥadī wrote a draft of his own *Khiṭaṭ* of Cairo and perhaps revised parts of it at the time when his neighbour al-Maqrīzī was pursuing the same interest. It may also have been that al-Awḥadī was at pains to hide the sources of his information from al-Maqrīzī. However, when al-Awḥadī died young in 811/1408 without having completed or revised his book, al-Maqrīzī obtained it in draft form and was thus able to find out his sources and the libraries he used and to consult them personally. All these borrowings were then incorporated into his own draft, as seen in the many scraps between the sheets of his book as well as the lengthy marginal notes which he added to it, all of which were texts which were attributed to their original sources and which helped him to reclassify his book and provided him with very valuable material. Most of the texts which he took from al-Awḥadī's book are attributed to Ibn Zūlāq, al-Musabbiḥi, Ibn al-Ma'mūn, Ibn al-Ṣayrafī, the *Kitāb al-Dhakhā'ir wa-l-tuḥaf*, and the commentary

[12] al-Maqrīzī, *Durar al-'uqūd al-farīda*, ed. Muḥammad Kamāl al-Dīn 'Izz al-Dīn 'Alī (Beirut, 1992), I, 233.

by al-Qāḍī al-Fāḍil in *al-Mutajaddidāt*, all of which are in the section devoted to the description of Cairo under the Fatimids.

It would seem that al-Awḥadī's draft may have consisted of nothing more than excerpts of texts pieced together without any great consideration and that all that al-Maqrīzī did was to copy these texts, which hitherto he had not known about, into his own book from their original sources. This may be why he did not feel obliged to mention al-Awḥadī, since he had neither revised his book nor made a fair copy of it. Nevertheless, professional ethics would normally have required al-Maqrīzī to include the acknowledgement that he was fortunate to come across drafts in al-Awḥadī's hand — which he mentions in his *Durar al-ʿuqūd al-farīda* — in his introduction to the *Khiṭaṭ*.

Description of the draft

The draft of al-Maqrīzī's *Khiṭaṭ* in the Khazīna Library consists of 180 sheets of quarto size, each of 20 lines. It measures 183 x 145 mm, and was most probably written by al-Maqrīzī during the period 818–827/1415-1424.

The draft appears to have been written on previously used paper and there are many blanks, which suggests that al-Maqrīzī was going to reconsider certain sections and fill them in from other sources. The kind of paper used here is the same as that on which al-Maqrīzī wrote the draft of his book *al-Muqaffā al-kabīr*, now in Paris. This latter draft too, contains corrections and marginal additions by the author which suggest that at the time he had not yet finished the book.

Many of the scraps (*ṭayyarāt*) placed between the sheets of the book are bound back to front. Furthermore, the last sheet in the manuscript (no. 180) is not in the right place but should really be at the beginning of the volume since it is concerned with defining the limits of the area lying between Fusṭāṭ and Cairo.

A study of this manuscript reveals that al-Maqrīzī must have restructured his book after completing it during the last decade of his life. He must also have divided some of the long quotations included in his draft and then moved some of them to more appropriate places in the book.

The date of this draft's authorship can be construed from what al-Maqrīzī mentions in the course of his description of downtown Cairo, or the Great Street, where he demarcates the

street by reference to *Khizānat Shamā'il*, which at that time was the prison of Cairo's governor. This *khizāna* was demolished in the year 818/1415, and so at a later stage al-Maqrīzī added a marginal note to the effect that the *Sūq al-Khilaʿiyyīn* and *Khizānat Shamā'il* had been turned into a mosque built by al-Malik al-Mu'ayyad Abū al-Naṣr Shaykh al-Maḥmūdī.

This draft is indeed unique in what it reveals to us of early scholars' methods of book composition, and for this reason I have prepared an edition of it for publication as a separate volume. I have refrained from comparing it with other complete versions of the text because of the differences of arrangement between them, especially in view of the fact that the present text contains details which do not exist in the final versions, which are also full of errors and distortions. Having said this, however, one should note that al-Maqrīzī's draft has been of great help in ascertaining the correct reading of many technical terms, proper names and place names which have become distorted in other versions of his *Khiṭaṭ*.

PROBLEMS OF ATTRIBUTION IN HISTORICAL AND GEOGRAPHICAL WORKS

MOHAMED BENCHERIFA

It is well known that Islamic manuscripts have suffered much damage during their long history in both the eastern and western parts of the Islamic world. The damage suffered by the manuscripts of Muslim Spain provides perhaps the clearest example of this, for although Andalusian scholars produced a vast number of written works, the majority of them are no longer extant.

The problem of anonymous authorship is most acute in the fields of history and geography, and it is from these two disciplines that I shall illustrate the loss of the Andalusian heritage. Almost a century ago, the Spanish arabist Pons Boigues tried to enumerate the historians and geographers of Muslim Spain and counted more than three hundred writers in the two disciplines, while their works were nearly double that number.[1] Unfortunately, only a small part of this vast corpus survives. The 60 volumes of Ibn Ḥayyān's *Kitāb al-Matīn*, for example, have been lost, as too have his *al-Ma'āthir al-ʿĀmirīya* (or *Akhbār al-dawla al-ʿĀmiriyya*) and his *al-Baṭsha al-kubrā*.[2] Lost too is Ibn Shuhayd's *al-Ta'rīkh al-kabīr*, which consisted of more than a hundred volumes,[3] as are historical works by Āl al-Rāzī, al-Ḥukayyim, Ibn al-Naẓẓām, Ibn Saʿdān, Khālid b. Saʿīd, ʿArīb, Isḥāq b. Salama al-Qaynī, al-Aqushtīn, Ibn ʿAbd al-Ra'ūf, al-Shabānisī, al-Qubbashī, ʿUbāda b. Mā' al-Samā', Ibn Muzayn,

---

1 See F. Pons Boigues, *Los Historiadores y Geógrafos Arábigo-Españoles* (Madrid, 1898; reprint Amsterdam, 1972).

2 For the works of Ibn Ḥayyān, see Ibn Ḥayyān, *al-Muqtabas*, ed. Maḥmūd ʿAlī Makkī (Beirut, 1973), Introduction, 65-85.

3 See Ibn Bashkuwāl, *Kitāb al-Ṣila*; ed. F. Codera, Bibliotheca Arabico-Hispana I-II (Madrid, 1882-3), 349, no. 756 (= ed. al-ʿAṭṭār [1955], 338).

Ibn Abī al-Fayyāḍ, and others.[4] Some of these are all but forgotten, such as al-Ḥukayyim's *Tārīkh*, which is not mentioned in any of the historical bibliographies and which we know about solely through Ibn ʿAbd al-Malik's transmissions from it.[5]

The problem is complicated by the fact that part of the extant historical literature consists of works which were originally in several volumes but of which now we sometimes have only one. An example is al-ʿUdharī's geographical work *Tarṣīʿ al-akhbār* (or *Niẓām al-marjān*) of which only the seventh volume survives.[6] Another example is the historical work of Ibn al-Qaṭṭān, known as *Naẓm al-jumān,* of which only the thirteenth volume is known to exist.[7] Other such works include the *Kitāb al-Muqtabas* of Ibn Ḥayyān, of which only four out of ten volumes are known to have survived,[8] and the *Kitāb al-Dhayl wa-l-takmila* of Ibn ʿAbd al-Malik, of which we have perhaps five of the original nine volumes.[9] There are also a number of historical and geographical works which have reached us without the names of their authors, and it is these which form the subject-matter of this paper. We shall briefly present these works in

4 For these figures, see the Andalusian *ṭabaqāt* literature.

5 For al-Ḥukayyim and his *Tārīkh*, see M. Bencherifa, "*Ḥawl mu'arrikh Andalusī majhūl*" in *Majallat Akādīmiyyat al-Mamlaka al-Maghribiyya*, II (February, 1985).

6 What remains of the seventh volume of al-ʿUdharī's work, discovered in a private library in Jerusalem, was published as *Nuṣūṣ ʿan al-Andalus, min Tarṣīʿ al-akhbār wa-tanwīʿ al-āthār* ..., ed. ʿAbd al-ʿAzīz al-Ahwānī (Madrid, 1965). The manuscript had previously been the property of ʿAbd al-ʿAzīz b. al-Maljūm al-Fāsī, the owner of a unique collection of books which was sold after his death in 605 AH by his only daughter for 4,000 dinars. It is not known when this copy of al-ʿUdharī's work was moved eastwards.

7 This manuscript was in the possession of ʿAbd al-Ḥayy al-Kittānī, and was lent to Lévi-Provençal. After Lévi-Provençal's death it was sold to the Egyptian Institute in Madrid and then edited and published (= Ibn al-Qaṭṭān, *Juzʿ min kitāb Naẓm al-jumān*, ed. Maḥmūd ʿAlī Makkī [Tetouan, n.d.]). It has also been republished in Beirut.

8 Of these volumes the following have been published: vol. II, last part (= 232-267 AH), ed. Maḥmūd ʿAlī Makkī (Beirut, 1393/1973); vol. III (= 275-299 AH), ed. Le P. Melchor M. Antuña (Paris, 1937); vol V (= 300-330 AH), ed. P. Chalmeta (Madrid, 1979); unnumbered vol. (= 360-364 AH), ed. ʿAbd al-Raḥmān ʿAlī Ḥajjī (Beirut, 1965; reprint 1983).

9 i.e. vol I, parts 1 and 2, ed. M. Bencherifa (Beirut, n.d.); vol. IV (incomplete), ed. Iḥsān ʿAbbās (Beirut, 1964); vol. V, parts 1 and 2, ed. Iḥsān ʿAbbās (Beirut, 1964); vol. VI, ed. Iḥsān ʿAbbās (Beirut, 1973); vol. VIII, parts 1 and 2, ed. M. Bencherifa (Rabat, 1984).

chronological order, and then attempt to explain the causes of this phenomenon.

The "Akhbār majmūʿa"

Firstly, there is a work which is part of a unique manuscript in the Bibliothèque Nationale, Paris (MS no. 2/1867). Its title, after the *basmala* and prayers for the Prophet (*taṣkiya*), is given as follows: *Akhbār majmūʿa fī iftitāh al-Andalus wa-dhikr man waliyahā min al-umarā' ilā dukhūl ʿAbd al-Raḥmān b. Muʿāwiya wa taghallubihi ʿalayhā wa-mulkihi fīhā huwa wa-waladuhu wa-l-ḥurūb al-kā'ina fī dhālika baynahum.* This was published with a Spanish translation by Lafuente y Alcántara in 1867,[10] and is an indispensible source for the history of Spain from the conquest to the period of ʿAbd al-Raḥmān al-Nāṣir's reign. Scholars have differed over the date of composition of this work. Both Lafuente y Alcántara and Dozy believe that it was written during the 5th century AH, whilst Ribera holds that it was completed towards the end of the reign of ʿAbd al-Raḥmān al-Nāṣir. However, there is nothing in the work itself, nor in any other well-known source, to indicate who its author might have been.

The "Crónica Anónima"

Secondly, we have a work edited and translated conjointly by Lévi-Provençal and García Gómez and published in 1950 under the title *Una Crónica Anónima de ʿAbd al-Raḥmān III al-Nāṣir.*[11] It is in fact a small section of an historical work written, according to the editors, in the 4th or at the latest the 5th century AH. This fragment, consisting of 22 pages, was bought in the city of Fez. The editors, basing their judgment on the Andalusian script of the copy and the type of paper used, are of the opinion that it was transcribed during the 8th century AH either in Merinid Fez or in Naṣrid Granada. As for the author of the work of which this fragment is a part, the editors suggest a number of

10 *Akhbār Machmua, Crónica Anónima del Siglo XI*, ed. E. Lafuente y Alcántara (Madrid, 1867).

11 *Una Crónica Anónima de ʿAbd al-Raḥmān III al-Nāṣir*, ed. E. Lévi-Provençal and E. García Gómez (Madrid and Granada, 1950).

hypotheses, including ʿArīb, al-Rāzī, Ibn Ḥayyān, al-Shabānisī and al-Qubbashī. However, these remain hypotheses, since there is nothing in the text to enable one to arrive at a firm conclusion on the matter.[12]

If we compare the years and events mentioned in this section with their corresponding entries in the fifth volume of the *Kitāb al-Muqtabas*, it is evident that the author of the fragment in question relied on Ibn Ḥayyān's accounts, summarising them and often retaining his wording. Amongst examples of this is the following passage from the anonymous chronicle on al-Nāṣir:

In the year 309, al-Nāṣir li-Dīni-llāh drove, from among the rebels in the central zone, the Banū Saʿīd and the Banū Nāṣiḥ, collectively known as the Banū Mastana, from their fortresses Riberash and al-ʿĀliya in the district of Priego (Bāghuh). He also drove the Banū Muhallab from their fortresses of Cardela (Qardayra) and Esparraguera (Ishbarraghīra).[13]

The corresponding text in *al-Muqtabas* is as follows:

In the same year al-Nāṣir li-Dīni-llāh drove, from among the rebels in the central zone, the Banū Saʿīd and the Banū Nāṣiḥ, collectively known as the Banū Mastana, driving them from their fortresses in the district of Priego (Bāghuh), namely Riberash, al-ʿĀliya, and her daughters [?]. In the same year he also drove the Banū Muhallab from their fortresses, namely Cardela (Qardayra), Esparraguera (Ishbarraghīra), and others.[14]

Abridgements of al-Bakrī's "Masālik"

We should note here that abridgement, supplementation and completion are among the predominant characteristics of the historical and geographical writings which become common from the 5th/11th century onwards in Andalusia and Morocco. This can be seen, for example, in the adaptations that were made of al-Rushāṭī's *Iqtibās al-anwār* and al-Bakrī's *al-Masālik wa-l-mamālik*. The former was abridged by more than one person during and after the 7th/13th century,[15] whilst three Andalusian

12 ibid, 15-22.
13 ibid, 65 (Arabic text), 136 (Spanish translation).
14 Ibn Ḥayyān, *al-Muqtabas*, V, 173.
15 See Ibn ʿAbd al-Malik, *al-Dhayl wa-l-takmila*, I, 274, n. 1.

scholars made adaptations of the second work. The first of these three we know only by his *nisba*, al-Ishbīlī (the Sevillian). The second is the writer and physician Abū al-Ḥakam ʿUbaydallāh b. Ghalinduh: Ibn al-Shabbāṭ came across a copy of al-Bakrī's *Masālik* which had been completed by him and he quoted some paragraphs from it describing Sicily which do not occur in standard copies of the work.[16] It appears that the author of *al-Rawḍ al-miʿṭār* also had access to this version, since his quotations from the *Masālik* are also much more extensive and complete than their equivalents in existing copies of the work.[17]

The third Andalusian to abridge the *Masālik* of al-Bakrī was the author of *al-Istibṣār*, whom we believe to be Ibn ʿAbd Rabbihi al-Ḥafid, the scribe of the Almohads. We base this claim on various pieces of evidence, the most outstanding of which are al-Tamgrūtī's quotations from al-Ḥafīd and his naming him in his travelogue *al-Nafḥa al-miskiyya*. We have enlarged on the evidence for this in a monograph devoted to al-Ḥafīd.[18]

Miscellaneous works

Other geographical writings from Andalusia and the Maghreb contain similar ambiguities and obscurities. Thus orientalists differ about the name of al-Zuhrī, author of a geographical work, with some, like Dozy, calling him "the unknown Almerian."[19] Few of the distinguishing characteristics of this author came to light until after his book was edited by al-Ḥājj Ṣādiq.

Scholars also differ as to whether Ibn ʿAbd al-Munʿim al-Ḥimyarī, the author of *al-Rawḍ al-miʿṭār*, was from Ceuta, Andalusia or Tunis, and as to the date of his death.[20]

16 See the text published by Aḥmad Mukhtār al-ʿIbādī in *Revista del Instituto de Estudios Islámicos en Madrid*, XIV (1967-8), 155-7.
17 See Ibn ʿAbd al-Munʿim al-Ḥimyarī, *al-Rawḍ al-miʿṭār fī khabar al-aqṭār*, ed. Iḥsān ʿAbbās (Beirut, 1975), 314-15, 366-8, 520-21; also the introduction to al-Bakrī, *al-Masālik wa-l-Mamālik* (1992), I, 29.
18 M. Bencherifa, *Ibn ʿAbd Rabbihi al-Ḥafīd: fuṣūl min sīra mansiyya* (Beirut, 1992), 159-94.
19 See I. Y. Krachkovskii, *Tārīkh al-adab al-jughrāfī* (Beirut, 1972), 303.
20 See E. Lévi-Provençal, *La péninsule ibérique au moyen-âge* (Leiden, 1938), ix-xviii; Ibn ʿAbd al-Munʿim, *al-Rawḍ al-miʿṭār*, ed. Iḥsān ʿAbbās, Introduction, v-xiii; also the article by Muḥammad al-Manūnī in *al-Manāhil*, I, 367-72.

"Dhikr bilād al-Andalus"

Another example of this type of anonymous work is the *Dhikr bilād al-Andalus* - whose full title is given as *Dhikr bilād al-Andalus wa-man malakahā min mulūki al-Murābiṭīn wa-l-Muwaḥḥidīn wa-Banī Hūd wa-Banī Marīn wa-Banī Naṣr wa-Banī Ashqailūla* - which is like a scrapbook of remarks by historians and geographers about Andalusia. The only two known manuscripts of this compilation came to light at the time of Morocco's independence. One was in the possession of al-Glaoui Pasha and is now kept in the National Library (no. 85 *jīm*). The other was discovered in a royal palace and is now kept in the Ḥasaniyya Library (no. 558). A young Spanish orientalist, Luis Molina, has now edited this work and translated it into Spanish, relying on these two copies.[21]

The compiler of this work refers to himself by the phrase *qāl ṣāḥib al-ta'rīkh* ("The author of the history says").[22] Al-Maqqarī, in his *Nafḥ al-ṭīb,* quotes several times from this history but seems not to have known the identity of its author whose name does not appear in the copy which he used. Consequently he prefaces his quotations with various phrases such as "a Maghribi historian has said ...", "what I have read by a Maghribi historian ...", and "a later writer has said ...").[23] We do not know, however, how he knew that the author was from the Maghreb or that he was one of the "later" historians.

The editor is of the opinion that the work was written during the Granadan period. He supports this claim by a remark by the author on the subject of Granada — "And today it is the seat of the Muslim kingdom in Andalusia and the centre of authority" — and the fact that the author's prayer for Almeria ("And Almeria, may God protect it!") indicates that the city was still in the hands of the Muslims at that time, since his prayer for many other Andalusian towns was "May Allāh in His gracious favour return it to Islam!"[24] As for the editor's hypothesis that the author was from Fez and may also have been the author of the *Rawḍ al-*

[21] Luis Molina, *Una Descripción Anónima de Al-Andalus* (Madrid, 1983), vols. I (*Dhikr bilād al-Andalus*, Introduction and Arabic text) and II (Spanish translation and study).

[22] See Molina, *Descripción Anónima*, I, 35, 91, 107, 175, 182, etc. The author also uses the phrase "*qāl ṣāḥib al-ta'līf.*"

[23] See al-Maqqarī, *Nafḥ al-ṭīb*, I, 197; Molina, *Descripción Anónima*, II, 303.

[24] ibid, I, xviii-xix.

qirṭās,[25] no support for these is to be found in the text itself nor anywhere else. Indeed, there is considerable dispute about the author of the *Rawḍ al-qirṭās*, since there are handwritten copies that attribute the work to Ṣāliḥ b. ʿAbd al-Ḥalīm al-Haylānī, a historian from Marrakesh, as well as quotations in other works that attribute it to this man rather than to Ibn Zarʿ al-Fāsī.

"Mafākhir al-Barbar"

Amongst anonymous historical works written during the Merinid period is a book called *Mafākhir al-Barbar* which, apart from the very beginning, is complete. It consists of three sections: the first, from which the beginning is missing, consists of chapters containing quotations on history, geography and genealogy, all of which relate to the Maghreb. Without doubt, this section is by Abū ʿAlī Ṣāliḥ b. ʿAbd al-Ḥalīm. This is confirmed by expressions which recur throughout the book and at the end of its chapters, such as the following:

> ʿUbayd Allāh Ṣāliḥ b. ʿAbd al-Ḥalīm said: "This is the extent of our knowledge of the genealogies of the inhabitants of the central Maghreb. We shall [also] mention, God willing, the genealogies of the people in the lands of the farthest Maghreb as far as we are able." [26]

This claim regarding the identity of the author cited in the first section is also proved by the fact that quotations from this section are also found in the *Bayān* of Ibn ʿIdhārī, where once again they are attributed to Abū ʿAlī Ṣāliḥ b. ʿAbd al-Ḥalīm. Thus in the first part of the *Bayān* we read:

> Abū ʿAlī Ṣāliḥ b. Abī Ṣāliḥ informed me that as far as he knew, it was not true that ʿUqba, may God be pleased with him, was present at the building of any of the mosques in the Maghreb, apart from the mosque of al-Qayrawān and a mosque in Darʿa in the farthest Sūs. The other mosques named after him were, it seems, built by others at places where he stayed, and God knows best.[27]

[25] ibid, II, 304.

[26] *Mafākhir al-Barbar*, MS Rabat, al-Khizāna al-ʿĀmma, 1020 dāl, f. 8.

[27] Ibn al-ʿIdhārī, *al-Bayān al-mughrib*, I, 27.

The original version of this item is presented in the first section of the *Mafākhir al-Barbar* as follows:

The authors of the *Masālik*, al-Bakrī and al-Ishbīlī, say: "He built his mosque, which is known by his name to this day, at Nafīs, and God knows the truth of this best. However, the mosques at the building of which he was known to have been present are the mosque of al-Qayruwān, one in Dar'a and one in the Sūs Valley. As for the others, God knows best the truth of the matter."[28]

Similar proof is furnished by the presence of certain passages from this book in *Dalā'il al-qibla*, written by the same author. The following passage, for instance, occurs in the latter treatise:

Shaykh Abū 'Abdallāh Muḥammad b. 'Umar b. Makhlad told us that the scupulous *faqīh* Abū 'Alī al-Ḥasan b. 'Alī b. Ḥassūn al-Mākiri, known as al-Kafīf, told him that the minbar of Aghmāt Haylāna was constructed in the year 80 AH, and I think that was written on it.[29]

This passage also occurs in the first section of the *Mafākhir* as follows:

'Ubayd Allāh said that Abū Muḥammad b. 'Umar b. Mukhallad told him at Taourirt that Abū 'Alī al-Kafīf had told him at Asafī that the minbar at Aghmāt Haylāna was commissioned in the year 85 AH.[30]

It is the habit of Ibn 'Abd al-Ḥalīm to introduce his items with the phrase "*qāl 'Ubaydallāh*", which Levi-Provençal and others have taken to mean that 'Ubaydallāh was a son of this historian.[31] However, it seems more likely that the name simply describes the historian himself, who was well-known for his piety and modesty, as is shown by the first of the two texts cited.

The second section of this work begins with the *basmala*, *taṣliya* (blessings on the Prophet) and *ḥamdala*. These are followed by an introduction which mentions the name of the work, *Mafākhir al-Barbar*, its contents and the reason it was

28 *Mafākhir al-Barbar*, f. 14v.
29 Ibn 'Abd al-Ḥalīm, *Dalā'il al-qibla*, MS Rabat, al-Khizāna al-'Āmma, f. 15v.
30 *Mafākhir al-Barbar*, f. 15v; see also E. Lévi-Provençal, "Fatḥ al-'arab li-l-Maghrib", *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid*, II (1373/1954), 223.
31 ibid, 202.

written. Towards the end of this introduction, after referring to the correspondence that took place between al-Ghazālī and Yūsuf b. Tāshfīn, comes the following sentence: "And we shall quote the letter of Shaykh Abū Ḥāmid [i.e. al-Ghazālī] to him in its proper place in this work, together with [other] letters that contain material relevant to this discipline."[32] This is indeed what we find in the third section of the work, which also starts with the *basmala* and *taṣliya*, before listing a few entries from the travelogue of Abū Bakr b. al-'Arabī and the above-mentioned letter of al-Ghazālī, along with other material. One would normally assume that these two sections were also part of Ibn 'Abd al-Ḥalīm's work because of their resemblance to the first section, were it not for a paragraph in the second section which contradicts such a conclusion, for at the end of a list of outstanding Berber jurists we read:

And among them is the upright *faqīh* and knowledgeable historian Abū 'Alī Ṣāliḥ, son of the upright, saintly and pious scholar, Abū Ṣāliḥ 'Abd al-Ḥalīm, who settled in Nafīs and who is still alive now, in the year 712 AH. God has combined knowlege and worship in him, and endowed him with discerning judgment and piety. He is renowned for his virtue and his witholding himself from the world, taking from it only that which fulfils his needs, being aloof from its people and manifesting piety in the highest degree. He is also distinguished by his generosity, kindness, purity and God-fearing nature, [all of which] are the qualities of [our] upright forebears (*al-salaf al-ṣāliḥ*). [As the poet said]:

> Were it not that we would be thought excessive,
> We would have outstripped in speech those who strive to outstrip.

I asked him about his tribe and he said that he was of Aylānī lineage.[33]

It seems likely that this paragraph was inserted by the son of 'Abd al-Ḥalīm or by one of his students who thought it appropriate to add it and thus complete the list of jurists mentioned, since, as the line of poetry indicates, he was considered to be of as great a stature as the others.

32 *Mafākhir al-Barbar*, f. 21v.
33 ibid. f. 37v; *Kitāb Mafākhir al-Barbar*, ed. E. Lévi-Provençal (Rabat, 1353/1934), 75.

We thus feel that careful comparison between the different sections of this work on the one hand, and between them and the *Dalā'il al-qibla* on the other (this latter being firmly established as the work of Ibn ʿAbd al-Ḥalīm), will bear out what we have said above.

Finally, we draw the reader's attention to the fact that Lévi-Provençal published the second part of this work in 1934, saying that it was by "an unknown historian who wrote it in the year 712 AH" — this being, as we have seen, the year mentioned in the paragraph quoted above — and he also published part of the first section in the *journal of the Egyptian Institute in Madrid.* Lévi-Provençal in fact considers it well possible that the whole book is the work of Ibn ʿIdhārī.[34] This, however, is contradicted by numerous pieces of evidence, some of which we have mentioned above, which make us prefer to attribute the work to Ibn ʿAbd al-Ḥalīm.

"al-Ḥulal al-mawshiyya"

We now turn to another historical work which was composed during the middle years of the Granadan period, namely *al-Ḥulal al-mawshiyya fī dhikr al-akhbār al-Marrākushiyya.* No extant manuscripts of this work contain the name of the author. When the book was printed for the first time in Tunis in 1911, it was attributed to Ibn al-Khaṭīb.[35] However, the publisher cannot have noticed the date of composition, 783 AH, given towards the end of the work;[36] Ibn al-Khaṭīb died in 776 AH, and this book was therefore written seven years after his death. Two further editions of the book appeared in Morocco: one in Rabat in 1936,[37] and the second in Casablanca in 1979.[38] The editors of this latter edition state on the title page that it is by "an Andalusian writer who lived in the 8th century AH."[39] I do not know why the editors do not accept the word of the author of *al-Budūr al-ḍāwiya* and subsequent authors, namely that the *Ḥulal* is one of

34 Lévi-Provençal, "Fatḥ al-ʿarab li-l-Maghrib", 201.

35 *al-Ḥulal al-mawshiyya fī dhikr al-akhbār al-Marrākushiyya, ta'līf … Ibn al-Khaṭīb*, ed. al-Bashīr al-Fūratī (Tunis, 1329 [1911]).

36 See *al-Ḥulal al-mawshiyya*, ed. Suhayl Zakkār and ʿAbd al-Qādir Zamāma (Casablance, 1399/1979), 181.

37 *al-Ḥulal al-mawshiyya*, ed. I. S. Allouche (Rabat, 1936).

38 See n. 36 above.

39 *al-Ḥulal al-mawshiyya*, ed. Zakkār and Zamāma, 1.

the works of Ibn Simāk al-ʿĀmilī,[40] for it seems unlikely that the author of the *Budūr* would say such a thing rashly. Rather, it is quite possible that he came across a copy attributed to this author. Nor did the editors consult the studies by Brunschvig, Bosch Vilá and Rubiera, or Maḥmūd Makkī's recent treatment of the subject in his introduction to Ibn Simāk's *al-Zahrāt al-manthūra.*[41] All of these scholars, basing their arguments on the evidence of the author of *al-Budūr al-ḍāwiya* and on a resemblance between the *Ḥulal* and the *Zahrāt*, incline to the view that the author of the *Ḥulal* was Ibn Simāk.

I recently came across a new book by Ibn Simāk (whose full name is Abū al-Qāsim Muḥammad b. Abī al-ʿAlā' b. Simāk) entitled *Rawnaq al-taḥbīr fī ḥukm al-siyāsa wa-l-tadbīr*, dedicated to al-Mustaʿīn bi-llāh Muḥammad b. Yūsuf b. Muḥammad al-Ghanī bi-llāh. In the introduction, the author tells us that it was the fruit of 33 years of service to the Naṣrid state, and mentions that he had previously dedicated essays and literary works on various disciplines to the father and grandfather of this sulṭān.[42] In this work we find strong evidence that *al-Ḥulal al-mawshiyya* is by this same Ibn Simāk, namely that the same phrases occur in both works. For example, in the introductory paragraph of the *Ḥulal,* after the *ḥamdala* and the invocation of blessings on the Prophet and the Companions, we find a prayer for "… *hādhā al-maqām al-ʿalī al-Muḥammadī al-Naṣrī al-Sulṭānī al-Mujāhidī.*"[43] The same phrase occurs in the *Rawnaq al-taḥbīr* as follows: "… *hādhā al-maqām al-ʿalī al-Muḥammadī al-Naṣrī al-Sulṭānī al-Mustaʿīnī.*"[44] The phrase is thus the same except that in the first book the prayer is for Muḥammad al-Ghanī bi-llāh, whilst in the second it is for Muḥammad al-Mustaʿīn bi-llāh. Another such example occurs at the end of both works in the following supplication:

"O God, guard with Your unsleeping eye his kingdom, noble as far as it extends, and reward his efforts in protecting and defending the

40 *al-Budūr al-ḍāwiya* (MS), f. 3. Al-ʿĀmilī has been corrupted into al-ʿĀmirī, and is quoted thus in *al-Maṣādir al-ʿarabiyya li-tārīkh al-Maghrib*, 105.

41 Ibn Simāk, *al-Zahrāt al-manthūra*, ed. Maḥmūd ʿAlī Makkī (Madrid, 1984).

42 *Rawnaq al-taḥbīr*, MS Rabat, al-Khizāna al-ʿĀmma, 295 qāf, ff. 1-2.

43 *al-Ḥulal al-mawshiyya*, ed. Zakkār and Zamāma, 12.

44 *Rawnaq al-taḥbīr, dībāja.*

territories of Islam. O God, let all the provinces be encompassed by the goodness of his practice and allow him to attain his greatest wishes and highest hopes. O God, allow him to revivify on this peninsula the ways of Ṭāriq b. Ziyād, and perpetuate his days among us, which are like times of celebration and feast days; for You are all-powerful and enduring. This is all; and peace."[45]

In our opinion, the presence of this text at the end of both books removes any uncertainty regarding the attribution of the work.

There is another form of words that is found in both works. In the *Ḥulal* we find the following expression: "The author of this has said: 'If this format were to be followed we would be straying from our intended goal of brevity'";[46] while in *Rawnaq al-taḥbīr* we find the following: "The writer has said: 'If this format were to be followed [our] speech would become very long.'"[47]

Another familiar formula is Ibn Simāk's phrase, taken here from the end of the *dībāja* of *al-Zahrāt al-manthūra*, *"wa hādhā ḥīn al-ibtidā' bi-l-Zahrāt"* ("And this, at the outset of the *Zahrāt*").[48] At the end of the *dībāja* of the *Ḥulal* we find: *"wa hādhā ḥīn al-ibtidā' bimā ashartu ilayhi min al-anbā'"* ("And this, at the outset of the information to which I allude.")[49]

Ibn al-Ṣayrafī's *Qaṣīda ʿayniyya*, in which he offers counsel to Amīr Tāshfīn, is also common to each work. Of particular interest to us are the words used by way of introduction to this *qaṣīda*, for in each work they contain similar if not identical phrases. This is the text as it appears in the *Ḥulal*:

He defeated the Christians after a battle had ensued between the two groups, during which the majority of those with him deserted him. Whilst battle still raged the jurist Abū Zakariyyā congratulated him on his safety, and warned him of the deceptive nature of war and informed him of its rules and what could correctly be done during it.[50]

In the introduction to the *qaṣīda* in *Rawnaq al-taḥbīr*, we read that the poet addressed the prince with the ode

45 *al-Ḥulal al-mawshiyya*, ed. Zakkār and Zamāma, 190; *Rawnaq al-taḥbīr*, f. 49.
46 *al-Ḥulal al-mawshiyya*, ed. Zakkār and Zamāma 32.
47 *Rawnaq al-taḥbīr*, f. 15b.
48 Ibn Simāk, *al-Zahrāt al-manthūra*, 54.
49 *al-Ḥulal al-mawshiyya*, ed. Zakkār and Zamāma, 14.
50 ibid, 124.

... immediately after he had defeated the Christians after a split and confrontation between the two parties took place, during which all those with him deserted him. Then he congratulated him on his safety, and warned him of the deceptive nature of war and informed him of its rules and what could correctly be done during it.[51]

This unity of style is a clear indication that both works were written by the same author.

Another similarity between the two works is the story connected with ʿAbd al-Mu'min's military organisation in facing Tāshfīn in the region of Tlemcen; the wording of the description is identical in both works,[52] again showing that they are by the same author.

"Akhbār al-ʿaṣr"

If we have been able to assess the identity of the author of *Ḥulal* by analytical textual comparison, we are unable to do so with regard to one of the last chronicles of the history of Andalusia, *Akhbār al-ʿaṣr fī inqiḍā' dawlat Banī Naṣr*. The name of the author is not mentioned in any of the manuscript copies of the work which have been found so far. However, from time to time he does use the expression *qāl al-mu'arrikh* (or *al-mu'allif*) *ʿafā Allāh ʿanhu* ("The historian (or 'the author'), God forgive him, said").[53] This is similar to what is found in *Dhikr bilād al-Andalus* in which the following expressions are reiterated: *qāl ṣāḥib al-ta'līf/al-ta'rīkh* (the author of the work/the history said) or *qāl al-mu'allif ʿafā Allāh ʿanhu* ("The author, God forgive him, said").[54] Such expressions also occur frequently throughout the *Rawḍ al-Qirṭās*.[55] Whatever the case may be, all that we know of the author of *Akhbār al-ʿaṣr* is that his knowledge was limited, for he says in the introduction to his book that

51 *Rawnaq al-taḥbīr*, f. 28v.
52 *al-Ḥulal al-mawshiyya*, ed. Zakkār and Zamāma, 132; *Rawnaq al-taḥbīr*, f. 28v.
53 *Akhbār al-ʿaṣr*, ed. M. J. Müller (Munich, 1863), 2, 6, 17.
54 Molina, *Descripción Anónima*, I, 29, 47-8, 87, 91, 107, 175.
55 Due to the many printed editions of the *Rawḍ al-qirṭās* (or *al-Anīs al-muṭrib*), it has seemed pointless to list all the pages in which these expressions ocur.

I have inclined to brevity, leaving aside lengthiness and prolixity, since my literary talent is weak and my offerings of eloquence are insignificant.[56]

We also know from the author that he was an eye-witness of the events which he records, and that he participated in some of the raids that he describes. In his remarks on the raid of the Muklīn he states:

The author, God forgive him, said: "A courageous and daring horseman related [this] to me on that day when we were on our way back to Granada."[57]

It seems likely that this writer was one of many who moved to the Moroccan shore immediately after the fall of Granada, and that in Morocco he recorded information about the difficulties encountered by the Muslims in the last days of the kingdom of Granada as a warning for others. The presence of several manuscript copies of *Akhbār al-ʿaṣr* only in Morocco[58] is possible support for our theory. The heading of one copy is as follows: "*Akhbār al-ʿaṣr fī inqiḍāʾ dawlat Banī Naṣr, taʾlīf al-al-Shaykh al-imām al-ʿālim al-hammām, farīd miṣrihi wa waḥīd ʿaṣrihi Sayyidī Muḥammad al-Ghamrī al-Falakī.*" Another copyist wrote the following note at the end of the book:

It is by al-Ghamrī the Shāfiʿī according to what is written on the first page of this blessed collection. This, however, is incorrect because the work which is by him is the one following this, unless both are by him. I do not know.[59]

"The one following this" is *al-Muqṭatafāt al-fikriyya ʿalā al-dāʾira al-tārīkhiyya*, a short work by al-Ghamrī. We expected, despite the reference to his being a Shāfiʿī, that there might be something to be read between the lines here. However, after some research, it became clear that the matter was simply a mistake committed by the copyist, for the writer was from the

56 *Akhbār al-ʿaṣr*, 2.
57 ibid, 17.
58 I have studied five copies of this work in the Khizāna ʿĀmma in Rabat and in some private libraries. ʿInān supposed that the author was one of those who remained in Granada and concealed his name as a matter of personal safety; however, this supposition is without foundation, as there is an indication in the text that the author was in the Maghreb.
59 MS Rabat, al-Khizāna al-ʿĀmma, 1177 kāf, f. 229.

East and lived a long time after the fall of Granada. This book, of which a number of editions have been printed, thus remains anonymous.[60]

Loss, fragmentation and the identification of the authors of historical and geographical manuscripts are problems which affect not only the study of Andalusia, for well-known reasons, but also the Muslim West as a whole. This is proved by the fact that the extant sources allude to a large number of works written in the Maghreb on the history of countries, towns and eminent personalities, works that today are reckoned to be lost. Where is the lengthy work written by Muḥammad b. Yūsuf al-Qayrawānī on the history of North Africa; where are the numerous books that he wrote about the kings of North Africa, their wars and their supporters? Where are his descriptive works on Tiaret, Oran, Sijilmāsa, Nakūr, the Moroccan Baṣra, and other towns?[61] And where are the books of al-Nawfalī, al-Zallījī, Ibn al-Waddūn, Abū al-Qāsim b. Jannūn and ʿAbd al-Malik al-Warrāq on the history of Fez?[62] Where is Ibn Hadiyya's history of Tlemcen?[63] Where are Ibn Ḥammād's *al-Dībāja fī akhbār Ṣanhāja*, and *al-Nubadh al-muḥtāja fī akhbār Ṣinhāja bi-Ifrīqiya wa-Bāja*?[64] What has become of the *Kitāb al-Iftikhār fī manāqib fuqahāʾ al-Qayrawān* by Abū Bakr ʿAtīq b. Khalaf al-Tujībī?[65]

All of these books, and others besides, are part of the lost historical heritage of the Islamic West. Those parts which have reached us often consist of manuscripts that are either incomplete, or fragmentary, or anonymous, or of disputed authorship. Of the first type are the histories of Ibn Qaṭṭān, Ibn Ṣāḥib al-Ṣalāt, al-Raqīq al-Qayrawānī and the *Manāhil al-ṣafāʾ* of al-Fashtālī,

60 It was published for the first time by Müller (see no. 49 above), and subsequently by Shakīb Arslān. The Arabic text, with a Spanish translation, was published in Larache in 1940. A new edition was published by Muḥammad Raḍwān al-Dāya in 1984. As far as I know, the most recent publication appeared in 1991.
61 See Ibn ʿAbd al-Malik, *al-Dhayl wa-l-takmila*, VIII, 365.
62 All of these scholars wrote histories of Fez and are quoted in various sources.
63 See Ibn al-Khaṭīb, *al-Iḥāṭa fī akhbār Gharnāṭa*, 2nd ed, ed. M. ʿA. ʿInān, I (Cairo, 1393/1973), 83.
64 See *al-Dhayl wa-l-takmila*, VIII, 324 (where the text reads "Bijāya" rather than "Bāja").
65 See the index of the published edition of *Mafākhir al-Barbar* (see no. 34 above).

which originally consisted of numerous volumes but of which only parts have come down to us.

Of the second type are various fascicles of historical works. A number of examples of such sections are to be found in the Qarawiyyīn and other libraries.

An example of the third type is *al-Khabar ʿan al-dawla al-Saʿdiyya*, since none of the manuscripts of this important historical work mention the name of the author. Indeed, it would appear that the author intentionally left out his name for fear of undesirable consequences because of the aspersions that the book casts on the Saʿdī dynasty. This author, who lived until the beginning of the ʿAlawī dynasty, was not known to his contemporary, the historian al-Ifrānī, nor was he known to the historian al-Zayyānī, yet both of them knew the book and quoted from it.[66] Perhaps this indicates that the work had a wide circulation; after all, more than five handwritten copies of it have come down to us.

Another example of this third type of manuscript is *al-Dhakhīra al-saniyya fī taʾrīkh al-dawla al-Marīniyya*. The work remains anonymous as the author is not mentioned in the known sources, and the most that can be gleaned from the text is that it was written for the Merinid Sultan Abū Saʿīd I. Some scholars have noted similarities between this book and the *Rawḍ al-Qirṭās*, and others are of the opinion that they are indeed by the same author, namely Ibn Abī Zarʿ according to those who hold that he was the author of the *Qirṭās*.[67]

The *Qirṭās* provides us with an example of the fourth and final type of manuscript, namely works of disputed authorship. The reason for the disagreement in this case is that in some copies the work is attributed to Ṣāliḥ b. ʿAbd al-Ḥalīm and in others to Ibn Abī Zarʿ, thus causing people, in both earlier times and more recently, to differ over the identity of the author. It has, however, become customary to attribute the book to Ibn Abī Zarʿ, under whose name it has been published several times.[68]

---

66 *Chronique anonyme de la dynastie saʿdienne [Taʾrīkh al-dawla al-Saʿdiyya]*, ed. G. S. Colin (Rabat, 1353/1934), pp. *tā'*, *thā'*. The Royal Press at Rabat recently announced that a new edition of this book is in preparation.

67 See the article by ʿAbdallāh Kannūn in *Majallat Tetouan*, II, 145.

68 See the introduction to the edition published by ʿAbd al-Wahhāb b. Manṣūr.

Another example of the fourth type is *Buyūtāt Fās al-kubrā*, which is attributed by some historians to Ismāʿīl b. al-Aḥmar, and by others to a student of the *faqīh* al-Qarawī. The attribution of the entire work to Ibn al-Aḥmar is rendered untenable, however, by the fact that it contains references to dates nearly a hundred years after his death. It thus seems that more than one person may have participated in the writing of this work.

This unfortunate situation, of which of which I have given examples, is not restricted to manuscripts of historical and geographical works alone but affects other disciplines. However, it does seem to occur more frequently in historical and geographical manuscripts. There are many reasons for this. Perhaps the first is that geographical and historical works were not among those that were commonly transmitted from their authors and recorded in contemporary lists and indexes which, as the equivalent of today's bibliographies, played an important role in the documentation of books.

A second reason, closely linked to the first, is that history and geography were not highly regarded in some scholarly circles. It was sometimes said of history that it was a discipline knowledge of which brought no benefit and ignorance of which caused no harm. This opinion prevailed throughout the period of decline and one of its consequences was that people gave up copying works of history. It was because of this that a number of enlightened scholars like al-Sakhāwī, amongst others, set out to defend this discipline and to refute those who attacked or disparaged it.

Another reason is that some of these anonymous manuscripts are merely abridgements of longer works by known authors; it may well be that the scholars engaged in abridgement felt that they had no right to claim authorship for themselves. Whatever the case may be, such abridgements of unknown provenance have helped to obscure the identity of the authors of the original works which they came to replace. Closely linked to this factor were the scruples of some pious writers, who preferred not to have such works ascribed to them.

Also important in this respect is the question of fear and dissimulation, which explains why a number of works of critical content have come down to us in an unattributed form. Two examples already mentioned above are the book about the last days of the Banū Naṣr and the book on the history of the Saʿdī

dynasty, the authors of which deliberately omitted to mention their names for reasons of prudence, since a number of scholars were tried for their historical writings. There are also a number of critical Andalusian poetical works whose authors are unknown for the same reason.[69]

In addition to the causes already stated is the common problem of deterioration, particularly with regard to the title page or the colophon. When such problems occur in an original or unique copy it can be very difficult to discover the identity of the author.

I shall conclude this brief presentation by drawing attention to my own efforts in some instances of this type. The first relates to a manuscript in the Escorial, of which the first folio is missing. At the end of it we find the following:

[Thus] concludes the *Kitāb al-Tanbīh ʿalā al-mughālaṭa wa-l-tamwīh wa-iqāmat al-mumāl ʿan ṭarīq al-iʿtidāl bi-l-burhān al-kāfī wa-l-bayān al-shāfī.*

In this work a certain Abū Ḥātim responds to commentaries on pre-Islamic poetry by a certain Abū Muṭarrif; thus the attribution of this book to Abū Muṭarrif Aḥmad b. ʿAmīra al-Makhzūmī is woefully inaccurate. I have dealt with the verification of the authorship of this work in my university dissertation on Abū al-Muṭarrif Aḥmad b. al-ʿAmīra.[70]

The second case with which I have been concerned is the status of the geographical work *Kitāb al-Istibṣār*, whose author is, I believe, Ibn ʿAbd Rabbihi al-Ḥafīd. I have set forth the details about this in my monograph on this writer.[71]

A third case concerns a Spanish commentary on the poetry of al-Mutanabbī. Only the second half is extant and no mention is made of the commentator's name. However, my research led me to the conclusion that the author is, once again, Ibn ʿAbd

[69] For example, we might mention Ibn al-Abbār and ʿAbd al-ʿAzīz al-Malzūzī in this respect. On anonymous critical poems, see, for example, Ibn ʿIdhārī, *al-Bayān al-mughrib,* II, 280 and IV, 251; also M. Bencherifa, *Al-Basṭī, ākhir shuʿarāʿ al-Andalus* (Beirut, 1985), 176. There are also a number of poems by way of elegy for al-Andalus in al-Maqqarī's *Nafḥ al-ṭīb* which lack any attribution for the same reason.

[70] M. Bencherifa, *Abū al-Muṭarrif Aḥmad b. ʿAmīra: ḥayātuhu wa āthāruhu* (Rabat, 1966), 269-84.

[71] M. Bencherifa, *Ibn ʿAbd Rabbihi al-Ḥafīd,* 159-94.

Rabbihi al-Ḥafīd. The story of this discovery is related in detail in the above-mentioned monograph.[72]

A fourth such problem that I encountered was in a *dīwān* from Granada. On the edge (*ṭurra*) of the sole extant copy is a note which says that the work is by Ibn al-Khaṭīb. However, a detailed reading of the text made it clear that it was the second half of a *dīwān* by Abu al-Ḥusayn b. Farkūn, a previously unknown poet from Granada.[73]

One of the latest cases in which I have been able, with God's help, to ascertain the correct authorship of a work was in being able to attribute an anonymous manuscript of *Mukhtaṣar al-mustaṣfā*, in the Escorial, to Ibn Rushd al-Ḥafīd. My student and friend, the late Jamal al-Dīn al-ʿAlawī, told me about the work and gave me a copy of it, asking for my opinion on its authorship; his own examination of the text had led him to believe it to be the work of Ibn Rushd, although he had discovered no textual evidence for this. He then passed away leaving the work at the press. Then, while reading the manuscript of *Rawḍat al-aʿlām* by Ibn al-Azraq, I came across the following:

When the learned Ibn Rushd abridged al-Ghazālī's *Mustaṣfā* on the principles of jurisprudence, he left out the introduction on logic saying: "We shall leave everything until its proper place, for anyone who seeks to learn more than one thing at one time ends up not being able to learn even one of them."[74]

When I came across this remark, I went back to my copy of the *Mustaṣfā* and found exactly the same words, confirming Ibn Rushd as the author of the abridgment. The proof-readers were then informed and this information was included in a footnote.

Thus it is that those working with manuscripts often come across works whose authors are not known and not mentioned anywhere, or works attributed to the wrong authors, or to authors who are scarcely known. To overcome such problems, one needs much patience, painstaking research, a great deal of time and unceasing diligence. Such are the qualities which lead, with God's help, to success.

[72] ibid, 110-39.

[73] *Dīwān Ibn Farkūn* (Maṭbūʿāt Akādīmiyyat al-Mamlaka al-Maghribiyya, 1987), 5.

[74] Ibn Rushd, *Mukhtaṣar al-mustaṣfā* (Dār al-Maghrib al-Islāmī, 1993), 21.

THE HUMAN ELEMENT BETWEEN TEXT AND READER

THE *IJĀZA* IN ARABIC MANUSCRIPTS

JAN JUST WITKAM

The *ijāza* is the certificate of reading or hearing which is sometimes written on manuscripts, usually near the colophon or on the title page. It confers upon the recipient the right to transmit a text, or to teach, or to issue legal opinions. It also bears witness to attendance at a reading session. The *ijāzat al-tadrīs*, the licence to teach, and the *ijāzat al-samāʿ*, the certificate of attendance at a reading session and hence the licence to transmit the text read, should not be confused. Our attention here will be focused on the *ijāzat al-samāʿ*, the protocols of reading sessions which were often added to a text, as these in particular provide us with ample information on the human element in the transmission of texts.

The *ijāza* is a conspicuous feature of Arabic manuscripts and it illustrates how a text functions in an educational, scientific or cultural environment. Studying *ijāza*s increases our knowledge of the human element in the use of texts and manuscripts. For a better understanding of the *ijāza* it is also important also to be aware of the individual and personal element in the transmission of Muslim scholarship: we, therefore, deal with this subject briefly in the following section. Finally, we suggest a proposal for collecting and analysing *ijāzāt al-samāʿ* in Arabic manuscripts.[1]

---

[1] There is no monograph devoted to the *ijāza*, nor is there a published corpus of texts. Some useful sources which provide a wealth of material on the subject are: ʿAbd Allāh Fayyāḍ, *al-Ijāzāt al-ʿilmiyya ʿinda al-muslimīn* (Baghdad, 1967) (with emphasis on the Shiʿa); P.A. MacKay, *Certificates of Transmission on a Manuscript of the* Maqāmāt *of Ḥarīrī, MS.* Cairo, Adab 105, Transactions of the American Philosophical Society, New Series, LXI/4

Personal approach and continuity in Islamic scholarship

It has often been stated that in Islam there is no hierarchic structure comparable with the church-like organisation of the Christians. Strictly speaking, this is true. Islam does not have an infallible pope nor does it have a clergy with an intricately differentiated hierarchic structure who claim to occupy a position between God and the believer and dispense sacraments and pretend to possess the monopoly of doctrine. This does not, of course, mean that clerical organisation is totally lacking in Islam. It is only that the dynamics of continuity — since organisation produces continuity — in Islam have developed in a different way. In Islam no intermediary between God and man is necessary. And just as a Muslim's relationship with God is direct and personal, so too is a man's way of procuring religious knowledge. In Islam it is the personal relationship between teacher and pupil that, through the generations of scholars, has produced a powerful driving force that ensures a continuity of its own.

Several genres of Islamic literature have developed in the course of time, which reflect this individual and personal attitude. It started very early indeed, with the emergence of Islamic tradition, *ḥadīth*. As important as the content of the Tradition is the chain of authorities, the *isnād*, which precedes each tradition. The early collections are even organised not according to subject matter but to their authorities, and hence referred to by the name *Musnad*. Half of Islamic Tradition is *ʿilm al-rijāl*, the "knowledge of the transmitters". Only an authentic chain of trustworthy authorities validates the text of a *ḥadīth*. Without it a *ḥadīth* is suspended in space and is incomplete — at least that is the

(Philadelphia, 1971); Ṣalāḥ al-Dīn al-Munajjid, "Ijāzāt al-samāʿ fī al-makhṭūṭāt al-qadīma", *Majallat Maʿhad al-Makhṭūṭāt al-ʿArabiyya (MMMA)*, I (1375/1955), 232-51; J. Pedersen, *The Arabic Book* (Princeton, 1984), esp. 31-4; Qāsim Aḥmad al-Sāmarrāʾī, "Al-ijāza wa-taṭawwuruhā al-tārīkhī", *ʿĀlam al-Kutub*, II (1981), 278-85. Many illustrations of *ijāzāt* are found in A. J. Arberry, *A Handlist of the Arabic Manuscripts of the Chester Beatty Library* (8 vols., Dublin, 1955-66). The use of the *ijāza* in the Islamic educational system has been treated by George Makdisi, *The Rise of Colleges. Institutions of Learning in Islam and the West* (Edinburgh, 1981), while Georges Vajda, *Les certificats de lecture et de transmission dans les manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale de Paris* (Paris, 1956), gives an analysis of the contents of a great number of *ijāzāt* in 72 manuscripts. I also wish to thank Léon Buskens for putting at my disposal a number of published *ijāzāt* or *ijāza*-related texts from his private library.

opinion of the early Muslim scholars. For practical reasons these Tradition texts and chains of authorities were written down, but, according to the old ideals, religious knowledge was best disseminated orally. The *isnad*s can thus be read as protocols of successive instances and sessions in which learning was transmitted. The written form of *ḥadīth* is thus but one dimension of the Tradition: the human factor in the transmission and continuity of knowledge is as important as the recorded message itself . The saying that "knowledge is in the breasts [of men], not in the lines [of books]" (*al-ʿilm fī al-ṣudūr lā fī al-suṭūr*) aptly summarises this idea.[2]

The rapid expansion of Islam and the enormous diversification of the different disciplines of learning made it impossible to maintain oral transmission as the only vehicle for passing on knowledge. The Word of God, the divine revelation, had to be written down, since the early carriers of the Holy Word died on the battlefields of the expansion wars. At a later stage, historical and Tradition texts were written down as well, initially in all sorts of personal notebooks[3] of transmitters, later in more organised collections that were intended for a wider audience. Though, in the end, books became accepted as the ordinary medium, the individual and personal approach nevertheless remained intact. Just reading a book in order to grasp its contents, as we do nowadays, was not enough. In the classical period, it was thought, a book should be read with a teacher, preferably the author himself, or else it should be studied with an authoritative and respected professor. Reading, or rather studying, was not a solitary affair. It was also a social event, as we shall see.

Biographical literature emerged in Islam as one of the consequences of this individual and personal approach. The genre was not new around the Mediterranean. In classical antiquity biographical literature such as the "Parallel Lives" of Plutarch served historical, didactic, moralistic and sometimes ideological purposes. Some of the Islamic biographical literature had a similar purpose but there was an extra dimension. The "science of men", or *ʿilm al-rijāl*, developed into a critical method

[2] See Ibn al-Akfānī, *Irshād al-qāṣid ilā asnā al-maqāṣid*, ed. J. J. Witkam (Leiden, 1989), 446, no. 191.

[3] For their use, and the distrust they evoked, see al-Balkhī (d. *ca.* 319/913), *Kitāb Qabūl al-akhbār wa-maʿrifat al-rijāl*, MS Cairo, Dār al-Kutub al-Miṣriyya, *Muṣṭalaḥ* 14M, *passim*. An edition of this text by myself is in an advanced stage of preparation.

for the assessment of scholarly authority. Many biographical works were concerned with describing networks of scholarship and chains of transmission. A clear example of this is the *Tahdhīb al-tahdhīb* by Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī (d. 852/1449), which is a biographical dictionary of trustworthy transmitters of Islamic Tradition.[4] The usual structure of a biography in this work breaks down into three parts: firstly the full name and some other pertinent life data of the subject are given, then follow enumerations of earlier authorities from whom he transmits Tradition, and then of those later authorities who in turn transmit from him. The biographee is thereby presented in the centre of an activity of transmission of knowledge. This particular work by Ibn Ḥajar is exclusively concerned with traditionists and this particular approach can, therefore, be observed here very clearly. Other biographical works, even those that are not so exclusively concerned with traditionists, often contain similar bits of network information.

Literary genres of an individual and personal nature

Other individual and personal genres evolved. The *fahrasa*,[5] which developed in al-Andalus and the Maghreb, is one of these. This genre, in which a scholar enumerates his shaykhs and the works he read with them, can be read as a scholarly curriculum vitae. The *thabat*, which is not confined to the Maghreb, is a list compiled by a relater of traditions in which he mentions his shaykhs and the scope of his transmissions on their authority. Likewise, in the *riḥla*, or travel account, attention shifted from geography and ethnography in the classical period to the personal relationships of scholars. Especially in later times it became much more than just a travel account. In it, the itinerant author has ample opportunity to enumerate the scholars he has met, the lessons he has taken and the authorisations he has received during his travels. And the purpose of his travels was, of course, not touristic but of a much more edifying nature, namely the pilgrimage to Makka.[6] Yet another type of personalised text is

4 Published in 12 volumes in Hyderabad, 1325-7 [1907-9].

5 See Ch. Pellat, s.v. "Fahrasa", *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed (*EI*²), (Leiden and London, 1960-), II, 743-4.

6 This genre of travel accounts became specially developed in the Western part of the Islamic world. The great distance from the Arabian Peninsula must have contributed to this development.

the *silsila*, the spiritual or scholarly genealogy.[7] The *barnāmaj*[8] and the *mashyakha* have a function very similar to that of the *fahrasa*, and sometimes contain accounts of travels in search of knowledge, the *ṭalab al-ʿilm*, just as in the *riḥla*. One of the most conspicuous types of compilation of biographical data are the works describing the *ṭabaqāt* ("the layers") of scholars, which list the successive generations of persons active in a certain field. This treatment "by generation" kept intact both the synchronic and diachronic connections in the history of a field of scholarship.

Especially in later times, such enumerations were compiled as a sort of scholarly autobiography. Sometimes the main attention is directed to the texts which were read with teachers, as in the *barnāmaj*, and sometimes the shaykhs themselves are the main object of attention, as in the *mashyakha*. Often these texts were compiled by the subjects themselves and were written in the first person, although the third person is used in the autobiography as well. When others took care of the compilation of such a list of subjects taught or authorities met by their shaykh, such a survey could simply be called *al-Taʿrīf bi-*..., followed by the name of the shaykh in question. The same applies to works which are entitled *Tarjamat* ..., followed by the name of the biographee. Titles such as *al-Sanad al-muttaṣil ilā* ..., followed by the name of an early authority, occur as well. Compilations with the word *asānīd* in the title serve a similar purpose in describing the chains of authorities by which a certain scholar is connected to the great imams of an earlier period. At a much later stage, probably only as late as the 12th/18th century, separate booklets with titles including the word *ijāza* began to appear. At first sight these seem to belong to the category of educational *ijāzāt* rather than that of readers' certificates but there are also connections between the two types of texts since the later diplomas frequently contain a *silsila* of learned predecessors, often putting the Prophet Muḥammad at the beginning of the *silsila* and the student to whom the booklet was issued at its end. Elaborately adorned, impressively calligraphed and elegantly worded, these diplomas can be considered to constitute the final stage of the *ijāza* and its

7 Many *silsila*s are known. The Sufis have their own sets of *silsila*s. I have published and analysed the *silsila* of the Bosnian Ḥanafī scholar Ḥasan Kāfī al-Aqḥiṣārī (d. 1025/1616) in *Manuscripts of the Middle East* (*MME*), IV (1989), 85-114.

8 For this type of book, see ʿAbd al-ʿAzīz al-Ahwānī, "Kutub barāmij al-ʿulamāʾ fī al-Andalus", *MMMA*, I (1955), 91-120, 252-71.

finest artistic expression. Because of them, the *ijāza* has become an independent literary genre.[9]

Yet another special literary genre that developed from this practice is the *juz'*, a short text usually consisting of not much more than one quire, and often small enough for it to be easily carried. It could happen that only a very small part of a scholar's work was read and taught in a session in which an *ijāza* was going to be granted. In that case the issuer of the *ijāza* had the choice between two options. He could confer upon his pupil, or a visiting scholar, the right to transmit the whole of a book by him, or his transmissions (*marwiyyāt*), or his own orally received knowledge (*masmū'āt*), or the works for which he himself had already acquired certificates (*mustajāzāt*), or of any other of his works even if they had only been partially read or not read at all. Such *ijāzāt 'āmma* abound.

The other option was that the short text or the specific collection of transmissions which had been read could be written out separately. Such shorter collections of part of the repertoire of a shaykh often bear the title *juz'*.[10] Sometimes these *ajzā'* are provided with a more detailed specification and a more meaningful title.[11]

[9] Such booklets are available in numerous libraries. The MS Montreal, McGill University Library, No. AC 156 is such a separate diploma. Its content was analysed and published by Adam Gacek, "The Diploma of the Egyptian Calligrapher Ḥasan al-Rushdī", *MME*, IV (1989), 44–55. Another one is MS Leiden, University Library, Or. 11.121. This thin volume, which probably originates from Istanbul, contains an *ijāza* in the readings of the Qur'ān conferred upon Abū Bakr Luṭfī Afandī b. al-Sayyid 'Umar al-Sanūbī by his teacher Ismā'īl Ḥaqqī b. 'Alī in *Muḥarram* 1260/1844.

[10] It is not impossible that the *juz'* as an independent genre developed from the old practice of writing *ijāzāt*, *samā'āt* and the like on each *juz'*, here more or less meaning quire, or gathering, of a manuscript. Such manuscripts are referred to as *mujazza'*, divided into *ajzā'*. This feature is by no means rare. It can be attested by the Leiden manuscripts Or. 122 (*Makārim al-Akhlāq)* and Or. 12.644 (*Tārīkh Madīnat Dimashq*). These manuscripts contain on each gathering a number of almost identical certificates. The gatherings have title pages of their own and break up the text into parts of more or less equal length which have no connection with any division into chapters and sections that the text may also have. This latter characteristic is shared, of course, with the Qur'ān, which has a formal division into *ajzā'* and, at the same time, a division into chapters, or *sūra*s.

[11] *Ajzā'* with *samā'āt* are mentioned by Ṣalāḥ al-Dīn al-Munajjid, "Ijāzāt al-samā'", nos. 10 and 11.

When a scholar's trust in his colleague or student was great, it could happen that he conferred upon him the right to transmit all his works, even if they had not been the subject of a teaching session. In such a case the *ijāza* may contain the titles of most or all of the teacher's works and be, in effect, an autobibliography. Such lists of titles of books in the *ijāza*, or elsewhere in a manuscript for that matter, are have hardly been explored as yet.[12] There are many more works, often with more flowery titles, which serve the same purpose, namely to record and assess a scholar's authority. When one starts searching for this type of book the supply is seemingly endless. The common features that may be observed in all of them are the enumerations of scholars visited, of books read, and of authorisations (*ijāzāt*) received. In this context the *ijāza* is the conclusion of a meeting between two scholars which simultaneously contains an account of their scholarly antecedents. By virtue of it, the recipient is invested with the authority to transmit or teach part or whole of the work of the scholar who has issued the *ijāza.* The whole process is not unlike the diplomas which students of present day universities consider as the culmination of their study, the difference being that these *ijāzāt* reflect the relationship between two natural persons, rather than between a student and his institution of education.

Finally, we may note that the alphabetical arrangement of biographical material, such as in Ibn Ḥajar's *Taḥdhīb al-taḥdhīb*, encompassed all previous developments. This type of arrangement was, of course, the only organisational answer to an ever increasing corpus of material, although we do also find limitations of a chronological or geographical nature within alphabetically arranged biographical dictionaries.

[12] See my "Lists of Books in Arabic Manuscripts", *MME*, V (1990-1), 121–36, especially the section on '*Ijāzāt and autobibliography*' on pp. 126–30 where I discuss an 8/14th century document of such a nature. Another autobibliography which takes the shape of an *ijāza*, dated Damascus, 1169/1756, is found in MS Dublin, Chester Beatty Library, no. 3488 (cf. Arberry, *Handlist*, II, plate 63).

Codicology and the ijāza in Arabic manuscripts

What, one might ask, has all this to do with manuscripts and, more particularly, with codicology? The latter science is sometimes described as the specialism that devotes attention to all aspects of a manuscript other than the contents of the text it contains. In more positive wording, it is sometimes designated as the science that focusses exclusively on the physical features of the handwritten book. These are useful definitions but as summarised here they are too simplified. Indeed, there are often more things to be learned from a manuscript volume than the philological aspects of the text which is contained in it. One cannot, however, make such a simple schematic distinction between immaterial text and physical manuscript, between soul and body, so to speak. There is always an interaction between the two aspects, as is illustrated by, for example, the occurrence of a great variety of indications of personal use that can be found in many manuscripts. Each manuscript is, of course, a personally made artefact and contains information — always implicitly and sometimes explicitly — on the maker and sometimes on the users of the manuscript as well. On the whole, features such as the colophon, copyist's verses, owner's marks and reader's certificates enable us to gain an idea of the functioning of a certain text in general and the use of a certain manuscript volume in particular. Therefore, the study of these features, which belongs to the field of codicology in as much as the study of writing materials and script are part of it, gives a text an extra dimension and places it in its cultural context. Only this overall and integrated approach to the manuscript does justice to its features in coherence with one another. It is philology in the widest sense of the word, involving all these aspects and also the interaction between the text and the environment in which it was launched.

One usually finds *ijāzāt*, or copies of them,[13] added at the end of a text or written on the title page preceding the text for which the authorisation is granted. Sometimes the *ijāza* consists of a few lines only but sometimes they can be quite elaborate. They may be combined with readers' certificates. To add *ijāzāt* to texts was a time honoured practice in Arabic manuscripts which remained in use for a number of centuries. By looking at the manuscripts in which they are written, one can gain an idea of how this system of authorisation to teach operated. In addition to this, an *ijāza* can

[13] Copies (*mithāl* or *ṣūra*) are often not recognised as such.

reveal much about the way a certain text or manuscript was used. Quite surprisingly, as yet very little has been done by way of a systematic collection of the data contained in the *ijāzāt* in Arabic manuscripts.[14] A corpus of such texts with an analysis of both their formulaic peculiarities and their content would be highly desirable. The fact that such a corpus would indeed be useful is illustrated by the discovery by Ebied and Young of the etymology of the term "baccalaureate": by scrutinising the Arabic wording of the *ijāzāt* in a number of manuscripts they found evidence for their thesis that the well known European academic term is in fact derived from the Arabic term *bi-ḥaqq al-riwāya*.[15]

Examples of some important ijāzāt

The *ijāza* originated within the Islamic educational system in which the Islamic religious sciences were taught. Its use, however, has by no means remained restricted to that field. Of the 72 manuscripts listed by Vajda, 59 have a "traditional Islamic" content, that is disciplines that are part of the *madrasa* curriculum, whereas 13 do not have a directly religious content but deal with such topics as medicine, literature and the sciences. This is still a high proportion in view of the fact that there are so many more manuscripts of the first category. Vajda's geographical register reveals that Damascus and Cairo are the places from where most manuscripts with *ijāzāt* on them originate. Baghdad, Makka and Aleppo are the runners up as places where *ijāzāt* were most frequently issued. Most other places are also situated in the Mashreq. Eighty percent of Vajda's corpus dates from the 6–9th/12–15th centuries, with a more or less even distribution over this period.[16]

One of the most outstanding sets of *ijāzāt* is found not in an Islamic scholarly text, but in what is probably the most prestigious text of Arabic imaginative literature, the *Maqāmāt* of

[14] MacKay's extensive analysis of the *ijāzāt* in MS Cairo, Dār al-Kutub al-Miṣriyya, *Adab* 105 (see n. 1 above), which contains a contemporary copy of the *Maqāmāt* of al-Ḥarīrī (d. 512/1122), makes ample reference to secondary manuscripts and is exemplary both in this respect and from the methodological point of view. Vajda's collection of certificates (see n. 1 above) also provides a wealth of information.

[15] R. Y. Ebied & M. J. L. Young, "New Light on the Origin of the Term 'Baccalaureate'", *The Islamic Quarterly*, XVIII (1974), 3-7.

[16] See Vajda, *Certificats de lecture*, 65–6.

al-Ḥarīrī. This becomes clear from the *ijāzāt* found on the authoritative manuscript of the text, copied from al-Ḥarīrī's own copy. In the principal and contemporaneous *ijāza* on this manuscript the names of some 38 scholars, a number of whom are identified as distinguished notables of Baghdad, are mentioned as having been present at the reading of the entire work, which took more than a month of intermittent sessions to complete.[17] MacKay's meticulous analysis of the numerous *ijāzāt* in this manuscript has, in fact, reconstructed a period of almost two centuries of cultural life in Baghdad, Aleppo and Damascus. It all started in Baghdad in the year 504/1111, when the first reading of a copy of the author's autograph took place. That reading was followed by a number of subsequent readings, all in Baghdad. In the 60 or so years since the first reading, the manuscript had become quite heavy with *samā'* notes. After a period of 40 years, which remains unaccounted for, it came into the possession of the Aleppan historian Kamāl al-Dīn Ibn al-'Adīm (d. 660/1262). The manuscript then remained for more than 30 years in Aleppo, and bears numerous names of members of the best Aleppan families as auditors at sessions at which the manuscript was read. Finally, the manuscript bears certificates of reading sessions held in Damascus in the course of the year 683/1284. The manuscript then fades from view until, almost exactly six centuries later, it was acquired in 1875 by Dār al-Kutub al-Miṣriyya, where it still is.

When one looks at the more than 200 names of those involved in reading and listening to the manuscript, one is struck by the fact that many of them are related by family ties. The history of the transmission of the text in this manuscript often goes hand in hand with the history of generations of scholars and literary men who occupied themselves with it.

One of the earliest known *ijāzāt* is that found in the unique manuscript of *al-Nāsikh wa-l-mansūkh fī al-Qur'ān* by Abū 'Ubayd al-Qāsim b. Sallām (d. 223/837).[18] Here we do indeed

[17] See MacKay, *Certificates of Transmission*, 9.

[18] MS Istanbul, Topkapı Sarayı Library, Ahmet III A 143. The *ijāza* itself appears to be a copy (*mithāl*). A facsimile edition of the manuscript was published by Fuat Sezgin, Publications of the Institute for the History of Arabic-Islamic Science, Series C, XII (Frankfurt am Main, 1985). Pp. 418-9 of the facsimile edition contain the *ijāzāt*. The text was edited by John Burton, *Abū 'Ubaid al-Qāsim b. Sallām's* K. al-nāsikh wa-l-mansūkh *(MS. Istanbul, Topkapı, Ahmet III A 143)*, E. J. W. Gibb Memorial Series, New Series, XXX (Cambridge, 1987). Burton gives the readers' certificates of the Topkapı manuscript on pp. 101-3 of his edition, with an analysis of their contents and an identification of most persons mentioned in them on pp. 52-3 of his introduction.

have a work which belongs to the core of Islamic sciences, the knowledge of the abrogating and abrogated verses of the Qur'an. The earliest *samā'* in it dates from 392/1001-2, while the latest dates from 587/1191. In one of *samā'āt* in this manuscript a place is mentioned: al-Jāmi' al-'Atīq bi-Miṣr.[19] Here, too, several members of the same family are mentioned, including a father, his sons, and several brothers. Just as in the previously mentioned example of al-Ḥarīrī's *Maqāmāt*, it becomes clear that transmitting a text was a social event and sometimes also a family affair. In either case the personal element is clearly present. Comparison of the *ijāzāt* at the end of the Istanbul manuscript of Abū 'Ubayd's *al-Nāsikh wa-l-mansūkh* with the list of *riwāyāt* on the title page of another Istanbul manuscript, the *Kitāb al-Mujālasa* by Abū Bakr al-Dīnawarī,[20] reveals the occurrence of the same person in both manuscripts, namely, the otherwise unknown scholar Abū 'Abd Allāh M. b. Ḥamd b. Ḥāmid b. Mufarraj b. Ghiyāth al-Artājī. In the very old manuscript of Abū 'Ubayd's *al-Nāsikh wa-l-mansukh*, he is active as *musmi'* in 587/1191, while in the copy of al-Dīnawarī's *Kitāb al-Mujālasa*, copied in 671/1272, he is one of the transmitters of the text preceding the manufacture of the manuscript. This shows that it is rewarding to accumulate the data of *ijāzāt*, *samā'āt*, *riwāyāt* and the like, with the present example, for instance, revealing the beginning of a scholarly network.

The *ijāzāt* given by Ibn al-Jawālīqī (d. 539/1144), one of the foremost philologists in Baghdad,[21] can be found in a number of manuscripts. A manuscript in Dublin contains on its title page a certificate of reading signed by Ibn al-Jawālīqī in 514/1120.[22] A

[19] This must be the manuscript to which Ṣalāḥ al-Dīn al-Munajjid refers ("Ijāzāt al-samā'", 233, n. 1). The date which he gives there, 372 AH, is apparently a misreading for the clearly written date of 392 AH.

[20] MS Istanbul, Topkapı Sarayı Library, Ahmet III, No. 618. Facsimile edition by Fuat Sezgin, Publications of the Institute of the History of Arabic-Islamic Science, Series C, XXXVIII (Frankfurt am Main, 1986).

[21] See C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur*, I (Weimar, 1898), 280.

[22] Chester Beatty Library, No. 3009 (Arberry, *Handlist*, I, plate 1). See also S. A. Bonebakker, "Notes on Some Old Manuscripts of the *Adab al-kātib* of Ibn Qutayba, the *Kitāb aṣ-ṣinā'atayn* of Abū Hilāl al-'Askarī and the *Mathal as-sā'ir* of Ḍiyā' ad-Dīn ibn al-Athīr", *Oriens*, XIII-XIV (1960–

Leiden manuscript containing Abū al-ʿAlāʾ al-Maʿarrī's *Luzūm mā lā yalzam* was copied by Ibn al-Jawālīqī before 496/1102-3.[23] His handwriting is easily identified and the date can be established from an autograph note by his teacher and predecessor at the Niẓāmiyya school in Baghdad, al-Khaṭīb al-Tabrīzī (d. 502/1108).[24] Other reading notes in the same manuscript reveal the reading by a pupil, Ibn al-Khashshāb, in the course of the year 519/1125. The manuscript then travelled from Baghdad to Cairo, as is borne out by notes about its new owner, the grammarian Ibn al-Naḥḥās (d. 698/1299).[25] Another Leiden manuscript containing the philological work *Kitāb al-Alfāẓ* by ʿAbd al-Raḥmān b. ʿĪsá al-Hamadhānī (d. 320/932), was copied in 522/1128.[26] It, too, contains an autograph *qirāʾa* note by Ibn al-Jawālīqī on the title page. The manuscript itself contains notes of *bulūgh* and *muqābala* at fairly regular intervals and from these the length of the reading sessions can be approximately measured, each probably lasting around one or two hours. A late copy (11th/17th century?) of a *qirāʾa* note by Ibn al-Jawālīqī, dated *Ṣafar* 501/1107, is available in MS Leiden Or. 403, f. 430b, which contains the *Dīwān* of Abū Tammām with a commentary by al-Khaṭīb al-Tabrīzī.[27] The impression one gets from Ibn al-Jawālīqī's notes is that his transmissions were probably not as much of a social event as were the previous cases. It would appear that he had a predilection for a smaller group to whom he taught the important texts of his time. His copy of al-Maʿarrī's *Luzūmiyyāt*, with only his teacher al-Khaṭīb al-Tabrīzī between the author and himself, is an eloquent witness of this.

1), 159-94. The note in the Dublin manuscript is edited by Bonebakker on p. 165.

23 University Library, Or. 100. See also S. M. Stern, "Some Noteworthy Manuscripts of the Poems of Abu'l-ʿAlāʾ al-Maʿarrī'", *Oriens*, VII (1954), 322-47, especially 339-44.

24 The *qirāʾa* note was published by me in *Seven Specimens of Arabic Manuscripts* (Leiden, 1978), 11.

25 See Stern, "Some Noteworthy Manuscripts", 343–4.

26 MS Leiden Or. 1070 (P. Voorhoeve, *Handlist of Arabic Manuscripts in the Library of the University of Leiden and Other Collections in the Netherlands* [Leiden, 1957], 10).

27 Voorhoeve, *Handlist*, 62.

Conclusions and perspectives

Two aspects of the *ijāza* have been dealt with, one from the point of view of cultural history, the other with codicological considerations taken into account. Both are necessary and the two complement one another by interaction. The *ijāza* itself is a good example for proving that these two orientations cannot be isolated from one another. The *ijāza* is an important source for the history of scholarly and cultural networks and gives the details by which an entire cultural environment can be reconstructed.

The *ijāza* as a mechanism in the distribution of learning deserves to be studied on a much wider scale than has hitherto been the case. Librarians should collect the *ijāzāt* in their manuscripts and publish them. Such publications should not only consist of an analysis of the data of the certificates, as Vajda and MacKay have done, but should also contain as complete a transcript as possible of the Arabic texts themselves. Only then can the most important work begin, namely, the compilation of a cumulative index of all the bio-bibliographical information contained in such certificates, which would be a valuable addition to existing bio-bibliographical reference works. The publication of a large corpus of *ijāzāt* will enable us to make a survey of the technical terminology employed which, in turn, will deepen our knowledge of the function of the *ijāza* in Arabic manuscripts.

The minimal requirements for such a corpus are, firstly, the full texts, with good photographs, of a great number of *ijāzāt*. These would constitute the main body of the work. Secondly, such a corpus should also contain a number of research aids: summary descriptions of the manuscripts in question, an index of persons with their functions in the process of the issuing of the *ijāzāt*, an index of the places to where the manuscripts in which the *ijāzāt* are found peregrinated in the course of time, and a glossary of the technical terminology employed.

This is not an easy task to perform, since the scholarly certificates are often written in the least legible of scripts. The study of the *ijāza* will only be fruitful if the student of the *ijāzāt* is well acquainted with the formal requirements of these certificates[28] and the educational environment from which they stem, and if at the same time he has a wide experience in working with manuscripts. In the ongoing development towards an increased

28 As sketched by Ṣalāḥ al-Dīn al-Munajjid, "Ijāzāt al-samāʿ", 234–41.

professionalisation of the science of manuscripts, it is only natural that such a corpus of *ijāzāt* should be compiled by a professional codicologist.

MĀLIKĪ FORMULARIES AND LEGAL DOCUMENTS: CHANGES IN THE MANUSCRIPT CULTURE OF THE *ʿUDŪL* (PROFESSIONAL WITNESSES) IN MOROCCO

LÉON BUSKENS

The underlying theme of this short introductory paper[1] is the relationship between codicology on the one hand and the study of culture and society on the other: the physical appearance of books and documents is an important source of knowledge about culture and society, while the study of culture and society is an important help in understanding book-culture.

With this general proposition in mind, my aim is to analyse changes in the book-culture of the *ʿudūl*, professional witnesses or notaries, in Morocco, from the medieval period (understood in a broad sense) to the present day, focusing on three types of material: formularies, registers, and legal documents.

Some general remarks on written proof and notaries in Islamic law

Although official legal doctrine did not permit the use of written documents as a means of proof of legal rights and obligations, written documents played an important role in the practice of Islamic law from an early period onwards. The use of documents led to the emergence of professional qualified witnesses, *shuhūd* or *ʿudūl*, and the science of legal deeds, *ʿilm al-shurūt* or *ʿilm al-wathā'iq*. [2]

---

1 Severe restrictions of time have not allowed me to develop this paper beyond the broad outlines presented herein. A fuller version of my findings is, however, planned for the near future.

2 Further information is to be found in: Emile Tyan, *Le notariat et le régime de la preuve par écrit dans dans la pratique du droit musulman*

Especially in Islamic Spain and in the Maghreb, scholarship on the art of drawing up legal deeds flourished. While in other parts of the Islamic world this scholarship and the activities of Muslim notaries vanished in the course of time, in Morocco this venerable tradition is still very much alive today. The widespread use of legal deeds makes these documents a valuable historical source, as has been shown by the studies of Muḥammad al-Manūnī[3] and others.

'UDŪL AND *WATHĀ'IQ* IN MEDIEVAL MOROCCO (UNTIL 1912)

Legal status

In theory law was to be found in the scholarly law-books, the works of Mālikī *fiqh*. Use of written means of proof was accepted by Moroccan legal scholars, as is shown by their discussion of the use of documents. Even prominent and pious scholars contributed to the use of written documents by writing learned treatises about them and by acting as notaries themselves. The nexus between the judges and the *'udūl* was also shown by the physical nearness of the notary offices to the courts.

The importance of legal documents in daily life is also shown by the products of Jewish notaries, *sofrīm*, which resemble Islamic deeds in physical appearance.

Formularies

The medieval, pre-colonial period is characterised by an enormous diversity in the manuals used by *'udūl* to serve as a model for their documents. This diversity existed in time as well

(Beirut, 1945); Emile Tyan, "'adl", in *Encyclopaedia of Islam*, second ed. I (1960), 209–210; J. Lapanne-Joinville, "Les actes adoulaires marocains sont-ils authentiques", *Revue marocaine de droit*, 9 (1957), 337–384; Wilhelm Hoenerbach, *Spanisch-islamische Urkunden aus der Zeit der Naṣriden und Moriscos* (Bonn, 1965); Jeanette A. Wakin, *The Function of Documents in Islamic Law. The Chapters on Sales from Ṭaḥāwī's Kitāb al-shurūṭ al-kabīr* (Albany, 1972); Wael B. Hallaq, "Model *Shurūṭ* Works and the Dialectic of Docturine and Practice", *Islamic Law and Society*, 2 (1995), 109–134.

3 e.g. Muḥammad al-Manūnī, *Wathā'iq wa-nuṣūṣ 'an Abī al-Ḥasan 'Alī b. Manūn wa-dhurriyyatihi* (Rabat, 1396/1976).

as in space. Each period and each region had its own formularies, adapted to specific local circumstances and needs. Some of these formularies were written by well-known and respected scholars, such as al-Wansharīsī.

The temporal diversity can be illustrated by the fact that the title *al-Wathā'iq al-fāsiyya*, a manual for the *'udūl* in Fez, refers to at least three different, successively composed formularies.[4] The regional diversity shows itself through the existence of formularies named after a certain town or region, such as Taroudannt or the Sūs. A curious example of such regional diversity is the existence of a special glossary of Arabic and Berber meant for use by the *'udūl* of the Berber-speaking Sūs region of southern Morocco.[5]

Through the use of documents adapted to local circumstances, customary practices could be incorporated into Mālikī *fiqh* as developed by Moroccan scholars. Further research in this domain, such as for instance by connecting the study of *fatwā*-collections and handbooks on *'amal* with formularies from the same period and region, might be fruitful. The case of the *shahādat al-lafīf*, or collective testimony, would serve as an example of the incorporation of customary practice into Moroccan Mālikī *fiqh* by way of legal documents.[6]

Before the introduction of lithograhic printing in the 1860s all formularies in use were handwritten. After this date some important manuals were published in lithograph form. In recent years the study of the development of the *'ilm al-wathā'iq* literature in Morocco has been given an important stimulus by the activities of Mostapha Naji of the Maktabat Dār al-Turāth in Rabat who has edited and/or published several medieval formularies.[7]

4 See Muḥammad b. Aḥmad Bannānī, *al-Wathā'iq al-Fāsiyya*, ed. 'Abd al-Karīm Masrūr (Rabat, 1988).

5 See Jacques Berque, "Un glossaire notarial arabo-chleuh du Deren (XVIIIe s.), *Revue africaine*, 94 (1950, 357–398.

6 See Abū Ḥāmid Muḥammad al-'Arabī b. Abī al-Maḥāsin Yūsuf al-Fāsī al-Fihrī, *Shahādat al-lafīf* (Rabat, 1988).

7 e.g. al-Qāḍī Abī Isḥāq al-Gharnāṭī, *al-Wathā'iq al-muhktaṣara*, ed. Mostapha Naji (Rabat, 1988); Abū 'Abdallāh Muḥammad al-Maṣmūdī, *al-Wathā'iq al-Sijilmāsiyya*, ed. Mostapha Naji (Rabat, 1988); also the works mentioned in nos. 3 and 4 above.

Registers

In principle documents were only drawn up as an original. No copies or registers were kept, or at least this was not obligatory. Some *ʿudūl* preserved their notes for private use, as is shown by the survival of such private notebooks.

Documents

A variety of materials were in use, such as parchment, paper and wood. The general layout of the documents seems to have been fixed from an early age onwards: broad margins on the right-hand side of the document and no margins on the left, so as to avoid the insertion of text afterwards. These documents do not yet show any signs of standardisation through the use of special paper and/or references to registers. An important aspect is the *khiṭāb*, or homologation, which shows that the document has been accepted by the judge as a means to establish legal proof.

THE FRENCH PROTECTORATE (1912-1956)

Legal status

One of the first important developments in the legal domain after the establishment of the French protectorate in 1912 was the codification of important parts of Moroccan law according to the French model. This resulted in a dual system in which French and Moroccan, Islamic law existed alongside each other. At the same time it meant the beginning of the incorporation of the Islamic institution of professional witnesses into a newly created system of French-style state law. This is clearly shown in the codification of the law of contracts of 1913 in the *Dahir formant code des Obligations et Contrats.* Article 418 of this code accepts documents drawn up by *ʿudūl* according to the classical procedure of homologation by the judge as a means of establishing legal proof. In 1925 the French institution of the *notaire public* was officially established alongside the Islamic *ʿadl.*

The gradual incorporation of the *ʿudūl* into the new state law required important changes in the legal status of the *ʿudūl* as well as in their material culture. State supervision and regulation of the institution increased, this being partly connected to the fact that the activities of the *ʿudūl* in transactions involving real estate were used to levy taxes. In the course of time the appointment of the *ʿudūl* became the responsibility of the Department of Justice instead of the local judge.

Formularies

The French did not directly interfere with the diversity of formularies in use at the time. However, the new regulations concerning the use of stamped paper and other changes in the physical appearance of documents were spread by the Department of Justice in the form of printed circulars. The *ʿudūl* were also made acquainted with print-culture and its new, "rationalised" layout through the first formularies printed by movable type in Morocco. Print-culture was further stimulated by the introduction of legal journals, which published legal texts in Arabic as well as in French translation in an entirely new layout.[8]

Registers

A series of regulations introduced by the French made it compulsory to the use of registers of deeds drawn up by *ʿudūl.* The form of these registers became standardised, consisting of copybooks with pre-printed columns in which all kinds of information had to be filled in. The introduction of these uniform procedures and registers enabled the central government to get a firmer grip on the daily life of its subjects and on local legal practice.

---

8 See Léon Buskens, "Islamic Commentaries and French Codes. The Confrontation and Accommodation of Two Forms of Textualization of Family Law in Morocco", in Henk Driessen (ed.) *The Politics of Ethnographic Reading and Writing. Confrontations of Western and Indigneous Views* (Saarbrücken & Fort Lauderdale, 1993), 65–100.

Documents

The new regulations, aimed at centralised control, show themselves clearly in the physical appearance of the legal documents produced by the *ʿudūl*. The use of stamped paper becomes obligatory. In the margins of the documents references to registration in registers, indicated by the use of numbers, appear. In some cases stamps referring to the additional registration of the transfer of real estate are visible, and judges use stamps of their signature on a larger scale.

AFTER INDEPENDENCE (FROM 1956 ONWARDS)

Legal status

After independence the French legal reforms are in general retained. The dual system of French and Islamic law is gradually transformed into a unified system which is strongly influenced by French law. There are only two fields in which Islamic law is transformed into a legal code: family law and the rules concerning evidence.

In the 1958 codification of Mālikī family law, the *Mudawwanat al-aḥwāl al-shakṣiyya*, the *ʿadl* was assigned a vital role in the field of marriage, repudiation, filiation and inheritance. This role was further strengthened in the 1993 reforms of the *Mudawwana*.

In the field of evidence the general dispositions of the protectorate were taken over and developed: Muslim and French notaries now exist alongside each other. However, the competence of the *ʿudūl* in the transmission of real estate was enlarged. The tendencies of uniformisation, standardisation, and of state control, were also strengthened. The present rules, laid down in a law of 1982 and a decree of the prime minister of 1983, guarantee a large degree of control of the *ʿudūl* by setting specific rules for their selection, education, and appointment, as well as for the constant supervision of their activities, and also for the use of registers.[9]

9 "De ʿudūl en hun rol in het Marokkaanse huwelijks- en echtscheidingsrecht", in S.W.E. Rutten (ed.), *Recht van de Islam 9. Teksten van het op 7 juni 1991 te Leiden gehouden 9e RIMO-symposium* (Maastricht, 1992), 9–37.

Formularies

As a follow up to the codification of Islamic family law in the *Mudawwana*, an official formulary for documents connected with the law of personal status was composed by al-ʿIrāqī in 1961. Its explicit aim is to offer a clear-cut standard to the *ʿudūl* in the drawing-up of legal documents and to impose a uniformity to local practice in accordance with the recently codified national law. The book, which was officially approved by the Minister of Justice, has been continually in print, as far as I know, since 1961. In the course of time only the design of the cover has been adapted to modern taste.[10]

Registers

The obligation to use registers was confirmed and extended by the new rules of 1982 and 1983. Nowadays a personal register as well as copybook kept at the court are in use. The most recent reforms in the rules concerning the *ʿudūl* have further elaborated the prescriptions concerning the keeping of registers. According to some practictioners this has led to an unnecessary complication of procedure, as well as to the taking away of the jobs of some scribes who formerly assisted the *ʿudūl* by copying the texts of the deeds by hand. In November 1993, resistance to these reforms grew so violent that the *ʿudūl* in the traditional town of Meknes went on strike for a day.

Documents

The new regulations as well as the wider spread of Western-style print-culture show themselves in the documents produced by the *ʿudūl*. Gradually printed forms have come into use. These are headed by texts such as "The Kingdom of Morocco" and the name of the place of the court in which the *ʿudūl* are working. In the right-hand margin rubrics for the filling in of references to the registers are printed.

10 See Ḥammād al-ʿIrāqī, *al-Wathāʾiq al-ʿadliyya wifqa mudawwanat al-aḥwāl al-shakhṣiyya* (Rabat?, 1961).

Some *'udūl* have gradually given up the use of their typical handwriting and shifted to the use of a typewriter instead. Similarly, many judges now no longer write the homologation formula by hand but use a rubber stamp instead.

CONCLUSION

Study of the physical appearance of the formularies, registers and legal documents used and produced by the *'udūl* show an increasing uniformisation and standardisation of their activities and procedures. In the formularies these tendencies become manifest in the transition from manuscript via lithographed to printed books. The introduction of the obligatory use of registers, which have become more and more uniform in layout in the course of time, offers an example of standardisation. The physical appearance of legal documents has also drastically changed during this century. The introduction of stamps, stamped paper, coded references to registers, and in recent times even printed forms, are also indications of the afore-mentioned tendencies.

To understand these changes in the material culture of the *'udūl*, we have to consider their written products in the context of larger political processes, notably the formation of a modern nation state in Morocco. Uniformisation and standardisation of their activities is closely connected with a stronger control of the legal system by the central government. Part of the process of state formation is the emerging need of, as well as the possibility for, the central government to control the daily life of its subjects. The legal system, especially the domain of establishing proof of rights and obligations, is an important means to exercise this state control of private life. In the course of the 20th century the Islamic institution of qualified professional witnesses has been incorporated into the newly created system of state law, which has been fundamentally influenced by French law. The introduction of movable type printing and Western-style layout in the domain of legal writing is intimately connected with the rise of the modern, centrally controlled nation state.

By discussing this particular case I have tried to substantiate my initial proposition that the study of the physical aspects of books and documents is an important source for social history, as well as the idea that codicology can profit from paying attention

to the context in which the objects under study were produced and used. The study of books and manuscripts leads us inevitably to the study of the men and women who wrote, read and used those books and manuscripts.